



تاريخ شرق الجزيرة والخليج العربيّ من فجر الإسلام حتى نهاية الدولة الأموية

تأليف السيد الدكتور

صالح بن حسين السادة (رحمه الله)

تقريب

الأستاذ الدكتور مصطفى مراد صبحي

المستشار العلمي لجامعة الأزهر الشريف، والأستاذ بكلية الدعوة الإسلامية بجامعة الأزهر بالقاهرة

والأستاذ الدكتور: سعيد قرني الفيومي

الأستاذ بكلية الدعوة الإسلامية جامعة الأزهر الشريف بالقاهرة والأستاذ بكلية الدراسات الإسلامية
للبنات فرع الفيوم

اعتني به : محمود أبو نور الدين

دار مشكاة

للطبوع والنشر والتوزيع



اسم الكتاب:	تاريخ شرق الجزيرة والخليج العربي
المؤلف:	السيد الدكتور صالح بن حسين السادة
المشرف:	الأستاذ الدكتور : محمد أمين صالح
المحقق:	حمود أبو نور الدين
قارئ:	الأستاذ الدكتور مصطفى مراد / والأستاذ الدكتور سعيد قرنى
مراجعة وتدقيق:	د. الأمير محفوظ محمد
المنسق للكتاب:	منى بنت جابر عرفة
صمم الغلاف:	شركة دوام للخدمات التقنية
رقم الايداع:	٢٠٢٥/٤٤٦٢
لترقيم الدولي:	٩٧٨_٩٧٧_٨٨٢٥_٨٠_٠

٣٤ شارع يحيى إبراهيم - محمد مظهر - الزمالك - القاهرة
ت/ ٠١١٤٣٩٨٩٩٤ - ٠١٠١٤٤٤٤٤٦٤٨ - ٠١٠٠٢٢٦٩٥٤٧

جميع الحقوق محفوظة للمؤلف
المحتوى الأدبي مسؤولية الكاتب بالكامل

أصل البحث رسالة ماجستير

مقدمة من الباحث

صالح بن حسين بن ناصر السادة (رحمه الله)

إشراف

الأستاذ الدكتور محمد أمين صالح

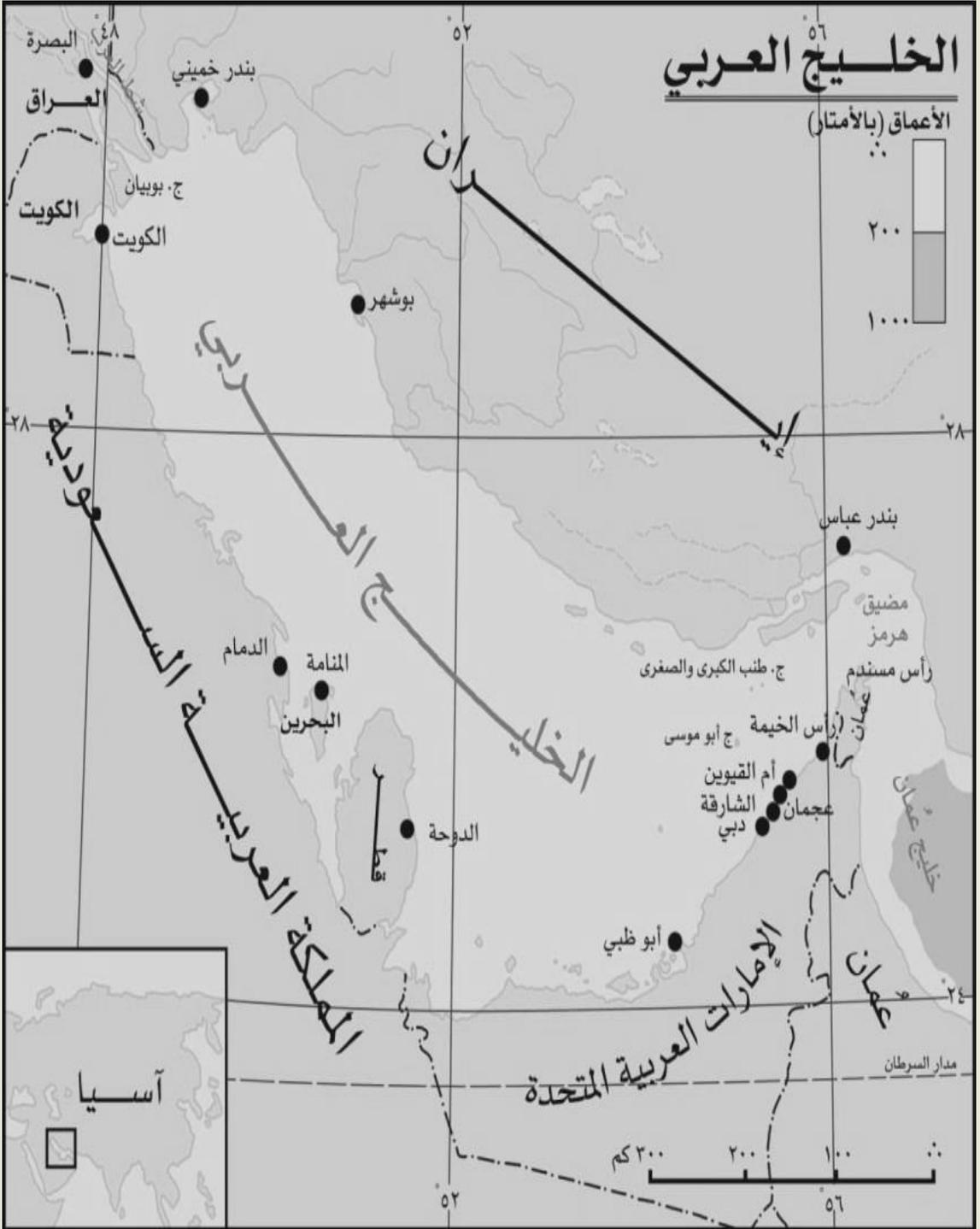
أستاذ التاريخ الإسلامي المساعد

بجامعة القاهرة

1981 م

الخليج العربي

الأعماق (بالأمتار)



كلمة المشرف العام لمؤسسة السادة للفكر والثقافة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ،،، وَنُصَلِّي وَنُصَلِّمُ عَلَى الْمَبْعُوثِ رَحْمَةً
لِلْعَالَمِينَ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ ﷺ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ،،

وبعد

فلما كان للعلوم الشرعية المنضبطة الأهميّة الكبرى في حياة كل مسلم، وصار العلم الشرعي والحاجة إليه من أساسيات الحياة، وخاصة في هذا الزمان الذي انتشرت فيه الفتن، والشبهات والمشكّكين في ثوابت الدين من هنا وهناك، وحيث انتشر الجهل والبعد عن طلب العلم والتّفقّه في دين الله تعالى، فكانت الحاجة للعلوم الشرعية ونشرها كالشمس للدنيا والصّحة للأبدان.

ومن أجل هذا حملت على عاتقي تأسيس هذه المؤسسة العلميّة وبمساعدة طيبة من بعض الإخوة المخلصين، والهدف منها نشر العلم الشرعي الصحيح المنضبط المعتدل على منهج أهل السّنة والجماعة، حتى نقدم لأبناء الأمة الإسلامية مساهمة طيّبة، ولو كانت بسيطة، عدّة لهم وتحصينًا أمام الشبهات والفتن بجميع أشكالها. ولقد تعمّدنا السهولة واليسر، حتى تكون متاحة لعموم المسلمين ولمحبي دراسة العلوم الشرعيّة، والتّفقّه في الدين.

وانطلاقاً من حديث رسول الله ﷺ عن سيدنا معاوية بن أبي سفيان ؓ، قال رسول الله: "مَنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ". (صحيح البخاري)

وحديث ابن عمر -رضي الله عنهما- قال: "جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: (يا رسول الله! أيُّ الناس أحبُّ إلى الله؟ فقال: أحبُّ الناس إلى الله أنفعهم للناس، وأحبُّ الأعمال إلى الله عز وجل، سرور تدخله على مسلم، تكشف

عنه كربة، أو تقضي- عنه دينًا، أو تطرد عنه جوعًا، ولأن أمشي- مع أخ في حاجة، أحبُّ إلي من أن أعتكف في هذا المسجد، يعني مسجد المدينة شهرًا...^(١)

ولقد ذكر النبي **صلى الله عليه وسلم** أمورًا سبعة يجري ثوابها على الإنسان في قبره وبعد موته ، وذلك فيما رواه البزار في مسنده من حديث أنس بن مالك **رضي الله عنه** أن النبي **صلى الله عليه وسلم** قال : « سبع يجري للعبد أجرهن وهو في قبره بعد موته : من علم علما، أو أجرى نهرا ، أو حفر بئرا ، أو غرس نخلا ، أو بنى مسجدا ، أو ورث مصحفا ، أو ترك ولدا يستغفر له بعد موته »^(٢)

وفي رواية ابن ماجه من حديث أبي هريرة **رضي الله عنه** قال قال رسول **الله صلى الله عليه وسلم** « إن مما يلحق المؤمن من عمله وحسناته بعد موته علما علمه ونشره ، وولدا صالحا تركه ، ومصحفا ورثه أو مسجدا بناه ، أو بيتا لابن السبيل بناه ، أو نهرا أجراه ، أو صدقة أخرجها من ماله في صحته وحياته تلحقه من بعد موته »^(٣)

وروى أحمد والطبراني عن أبي أمامة **رضي الله عنه** قال : قال رسول **الله صلى الله عليه وسلم** « أربعة تجري عليهم أجورهم بعد الموت : من مات مرابطا في سبيل **الله** ، ومن علم علما أجرى له عمله ما عمل به ، ومن تصدق بصدقة فأجرها يجري له ما وجدت ، ورجل ترك ولدا صالحا فهو يدعو له »^(٤)

وفي صحيح مسلم من حديث أبي هريرة **رضي الله عنه** أن رسول **الله صلى الله عليه وسلم** قال : « إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث : صدقة جارية ، أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له »

(١) (رواه الطبراني في الأوسط والصغير)

(٢) [حسنه الألباني رحمه الله في صحيح الجامع برقم : ٣٥٩٦.]

(٣) [حسنه الألباني رحمه الله في صحيح ابن ماجه برقم ١٩٨]

(٤) [وانظر صحيح الجامع حديث رقم ٨٩٠]

وقد نظمها السيوطي في أبيات فقال :

إذا مات ابن آدم ليس يجري
علوم بثها ، ودعاء نجل
وراثه مصحف ، ورباط ثغر
وبيت للغريب بناه يأوي
عليه من فعال غير عشر
وغرس النخل ، والصدقات تجري
وحفر البئر ، أو اجراء نهر
إليه ، أو بناء محل ذكر

ونسأله تعالى بجميل فضله وكرمه أن يجعله عملاً صالحاً ولوجهه خالصاً، وأن يكون
زخراً لنا ولكل مسلم، ونوراً على الصراط، وأن يغفر لنا ولوالدينا ولعموم
المسلمين... اللهم آمين يارب العالمين،،،

المشرف العام

ناصر بن صالح بن حسين السادة

المقدمة

الحمد لله والصلاة والسلام على أشرف الخلق سيدنا محمد عليه وعليه وصحبه

أجمعين

وبعد

فلقد كان علماءنا دائما يتحدثون معنا عن عظمة وتاريخ هذه الأمة وفضلها علي سائر الأمم .

وكانوا دائما يرددون هذه الكلمات "من لا تاريخ له لا حاضر له، وكانوا يقولون أمة لا تعرف تاريخها لا تحسن صناعة مستقبلها .

بل أننا نجد أن قرابة ثلث القرآن ذكر للأمم السابقة وتاريخهم، وأحوالهم وحياتهم وكيف كان سلوكهم.

فذكر القصة والأخبار من أقرب الوسائل التربوية التي يحبها الإنسان، حيث تميل لها النفس وتشتاق وتأنس ، قال تعالى: ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ ﴾ [سورة يوسف: ٣]، ولقد أمر الله رسوله ﷺ أن يقص على الناس ما أوحى إليه: ﴿ فَأَقْصِصْ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [سورة الأعراف: ١٧٦]، وقال: ﴿ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَقُصُّ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴾ [سورة النمل ٧٦]، وقال تعالى: ﴿ يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي ﴾ [سورة الأنعام ١٣٠].

ومن فوائد ذكر القصة والأخبار في القرآن الكريم:

١- تثبيت قلب النبي ﷺ، قال تعالى: ﴿ وَكَلَّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ ﴾ [سورة هود: ١٢٠] وقال: ﴿ وَلَقَدْ كَذَّبْتَ رَسُولٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَيَّ مَا كَذَّبُوا وَأَوْدُوا حَتَّىٰ أَنَاهُم نَصْرُنَا وَلَا مَبْدَلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ۗ وَلَقَدْ جَاءَكَ مِنْ نَّبَاِ الْمُرْسَلِينَ ﴾ [الأنعام: ٣٤].

٢- إثبات صدق النبي ﷺ في دعوته، قال تعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِي إِلَيْهِمْ ۗ فَسَأَلُوا أَهْلَ الدُّكُرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [سورة النحل: ٤٣]

٣- العبرة والعظة: من خلال النظر في سنة الله تعالى في كونه، يقول سبحانه: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصصِهِمْ عِبْرَةً لِّأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ [سورة يوسف: ١١١]

إلى غير ذلك من الأمور الحسان.

ولقد بين الله تعالى في كتابه الكريم أن هذه الأمة لا ينصلح حالها إلا بالاتباع ونشر القيم الأخلاقية التي جاء بها الإسلام وهذا كله لا يتحقق إلا بمعرفة التاريخ وسير الصالحين.

قال تعالى ﴿مُحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ (الفتح ٢٩)

وكان من صفات النبي ﷺ كما قال الله تعالى عنه: ﴿حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٢٨]

وفضل العلماء معلوم ومعروف فيهم يفهم الدين وتستقيم الحياة

- قال عون بن عبد الله: قلت لعمر بن عبد العزيز: يُقال: "إن استطعت أن تكون عالمًا، فكن عالمًا، فإن لم تستطع فكن متعلمًا، فإن لم تكن متعلمًا فأحبهم، فإن لم تحبهم فلا تبغضهم، فقال عمر بن عبد العزيز: "سبحان الله لقد جعل الله عز وجل له مخرجًا^(١)
- وقال الحسن البصري رحمه الله: "من طلب العلم يريد به ما عند الله، كان خيرًا له مما طلعت عليه الشمس^(٢)
- قال الشافعي رحمه الله: "من أراد الدنيا فعليه بالعلم، ومن أراد الآخرة فعليه بالعلم."

(١) (كتاب العلم لأبي خيثمة زهير بن حرب: ٧٢٦).

(٢) (شرح المنة: ١/ ٢٧٥).

• يقول ميمون بن مهران رحمه الله: "العلماء هم ضالتي في كل بلد، وهم بغيتي إذا لم أجدهم، ووجدت صلاح قلبي في مجالسة العلماء".

• ويقول أيضاً رحمه الله: "إن مثل العالم في البلد كمثل عين عذبة في البلد
• وقد قيل: "مثل العلماء مثل الماء، حيثما سقطوا نفعوا"^(١)

يقول أحمد بن غزال رحمه الله فقال:

الأرض تحيا إذا ما عاش عالمها متى يمت عالم منها يمت طرف
كالأرض تحيا إذا ما الغيث حل بها وإن أبي عاث في أكنافها التلف^(٢)

وكان من توفيق الله عز وجل، أن قام علماء وأعلام في هذه الأمة وأظهروا لنا محاسن الأمة عبر تاريخها المشرف حتي يصلوا الماضي بالحاضر وحتى يتسنى للأجيال أن تستفيد من خبرات وتجارب السابقين، وكان من هؤلاء الأعلام السيد الدكتور صالح بن حسين السادة في رسالته التي حصل بها علي درجة الماجستير من كلية الآداب بجامعة القاهرة بمصر. ولما كان لهذه الرسالة من أهمية وفائدة لطلاب العلم ولكل مسلم، قامت مؤسسة السادة للفكر والثقافة بإشراف السيد المهندس ناصر بن صالح بن حسين السادة بالعمل علي نشرها وتحقيقها.

وقد كان العمل في هذه الرسالة :

١. عزو الآيات القرآنية إلى اسم السورة ورقم الآية.
٢. تخريج الأحاديث النبوية.
٣. تخريج الأقوال وتوثيقها.
٤. تخريج الأشعار والأمثال والحكم.
٥. عزو النصوص التي اقتبسها المؤلف إلى مصادرها.

(١) (جامع بيان العلم وفضله: ١ / ٢٣٧).

(٢) (تفسير القرآن العظيم لابن كثير: ٢ / ٨٤٦).

٦. الشرح للكلمات الغريبة.
٧. التعريف ببعض الأعلام والأماكن.
٨. وضع خرائط وصور حتى توضح المكان الجغرافي للحدث. (١)
٩. أضفت بعض الفوائد الجميلة في البحث من آيات قرآنية، وأحاديث وبعض الأشياء المتعلقة بالموضوع.

وكان من أهم هذه الكتب التي رجعت إليها في عمل الترجمة: سير أعلام النبلاء للذهبي، شذرات الذهب في أخبار من ذهب لعبد الحي الحنبلي، أسد الغابة لابن الأثير، والأعلام للزركلي وكتاب: فهرس الفهارس والأثبات لعبد الحي الكتاني (المتوفى: ١٣٨٢هـ) ومعجم المؤلفين لعمر رضا كحالة وبعض المواقع الإلكترونية وغير ذلك من الكتب التي أشرت إليها في الهوامش

وفي الختام أسأل الله عزو جل أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم وأن ينفع به الأمة.

كتبه محمود أبو نور الدين

(١) تم نقلت الخرائط من المواقع المنتشرة علي الشبكة العنكبوتية المهمة بالتاريخ مثل ويكيبيديا وصفحات المؤرخ الدكتور سامي عبدالله المغلوث وموقع قصة اسلام اسلام أون لاين وإسلام ويب و الإسلام اليوم و لإسلام سؤال وجواب الدرر السنية (موقع ويب) وغيرهم الكثير



جامعة القاهرة كلية الآداب
قسم التاريخ

أصل البحث رسالة الماجستير
مقدمة من الباحث
صالح بن حسين بن ناصر السادة (رحمه الله)



تقريظ الأستاذ الدكتور مصطفى مراد صبحي.

الأستاذ بكلية الدعوة جامعة الأزهر الشريف

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ ومن ولاة .

وبعد

فقد نظرت في كتاب العلامة الدكتور صالح بن حسين السادة، المعنون بعنوان تاريخ شرق الجزيرة والخليج العربي من فجر الإسلام حتى نهاية الدولة الأموية

بتحقيق الباحث المفضل أبي نور الدين، وهذا الكتاب مدقق ومحقق ولقد جاء المصنف بجملته كبيرة من التصانيف والمؤلفات في هذا الشأن، وألم بما يتعلق بهذه المنطقة، من الناحية الجغرافية، ومن الناحية الفكرية وذكر من ذلك الخوارج وفرقهم كما ذكر الحالة السياسية، والحالة الاقتصادية، والحالة الاجتماعية للجزيرة العربية والخليج قبل الإسلام وفي فجر الإسلام حتى نهاية الدولة الأموية.

وجمع أبواب هذا الكتاب الممتع وأفاض فيه من تحقيقه الجميل الذي اشتمل على الاستقصاء والبيان والتفصيل، وجاءت عبارة المؤلف جلية واضحة بينة مستبينة،

كما جاء أسلوبه براق، ووصل الكتاب الي نتائج علمية دقيقة في بابها، سديدة في محرابها مؤثرة في لبابها فأفادنا علما كثيرا فبارك الله فيه وعليه.

الأستاذ الدكتور مصطفى مراد صبحي

الأستاذ بكلية الدعوة بجامعة الأزهر الشريف، والمستشار العلمي لجامعة الأزهر الشريف، وعميد معهد القران الكريم سابقا، وأحد علماء الجمعية الشرعية الرئيسية

تقريظ (٢)

أ.د سعيد محمد قرني علي الفيومي

الحمد لله رب العالمين بعث نبيه صلى الله عليه وسلم بالهدى ودين الحق ليظهره علي الدين كله، وأنزل عليه قرآنا عظيما واضحا مبينا ليحق الله به الحق ويبطل الباطل ولو كره المجرمون.

ونصلي ونسلم على المبعوث رحمه للعالمين سيدنا محمد وعلى اله وصحبه ومن سار على نهجه ودربه واستن بسنته إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

وبعد

قال تعالى: ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ ﴾ [سورة يوسف: ٣]، وقال تعالى: ﴿ فَأَقْصِصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [سورة الأعراف: ١٧٦] وعن عمر بن الخطاب رضي الله (لولا ثلاث لأحببت أن أكون قد لقيت الله : لولا أن أضع جبهتي لله أو أجلس في مجالس ينتقى فيها طيب الكلام كما ينقى جيد التمر أو أن أسير في سبيل الله عز و جل) (١)

والكتاب الذي بين أيدينا تاريخ شرق الجزيرة والخليج العربي من فجر الإسلام حتى نهاية الدولة الأموية تأليف: الدكتور صالح بن حسين السادة بعناية محمود أبو نور الدين

كتاب (حسن في بابة رائع في مضمونه) بذل فيه الباحث الكثير من الجهد والتحقيق مع السهولة في العرض وتيسير في الأسلوب وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على جهد رائع لصاحبه أسأل الله تبارك وتعالى أن ينفع به، ونصح شباب الأمة بالاطلاع عليه و مدارسته لما فيه من فوائد حسنة، فجزى الله خيرا الباحث والمحقق علي هذا العرض السهل الممتع المنظم وجعله في ميزان حسناته اللهم آمين ونسأل الله تعالى أن ينفع به وأن يفتح علي يده قلوب العباد والبلاد ، إنه سبحانه نعم المولي ونعم النصير، وصلي اللهم وسلم وبارك علي سيدنا محمد وعلي اله وصحبه وسلم وجزاكم الله خيرا

الاستاذ الدكتور: سعيد محمد قرني علي الفيومي

(١) حلية الأولياء ٥١/١.

استاذ بقسم الثقافة الإسلامية بكلية الدعوة الإسلامية بالقاهرة
والأستاذ بكلية الدراسات الإسلامية بالفيوم (جامعه الازهر الشريف)

ترجمة لصاحب الكتاب:

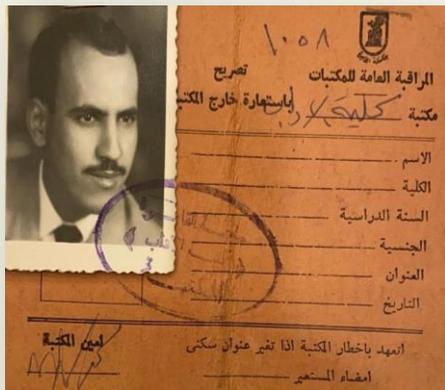
السيد الدكتور صالح بن حسين السادة رحمه الله :



وُلد -رحمه الله- في دولة قَطْر، سنة ١٣٥٨ هجرية، ١٩٤٠ ميلادية:

أتم تعليمه الديني الأساسي في سنٍّ مبكر، وهو في سنِّ التاسعة عشر من عمره، مما أهَّله للتدريس في عدد من دول الخليج العربي كمدرسٍ منتدبٍ لمادة التاريخ والجغرافيا وآخرها كان في منطقة الرويس شمال قطر عام ١٩٧٠م:

ثم أتم تعليمه الجامعي في كلية الآداب جامعة القاهرة بمصر في بداية الستينيات من القرن الماضي: تزوج -رحمه الله- وله ثلاثة ذكور وبنت واحدة.





أولاده الذكور "هم".

السيد خالد بن صالح، والسيد ياسر بن صالح،
والسيد ناصر بن صالح السادة.

حياته العلمية:

تم ترقيته بوزارة التربية والتعليم إلى مدير الامتحانات
العامة بالوزارة. ثم تم انتدابه من وزارة التربية والتعليم
لتأسيس أول ملحقة ثقافية في سفارة لندن بعد
الاستقلال، أوائل السبعينات، وكان ملحقا ثقافيا بها.



ثم رجع إلى قطر، واستقر فيها بعد مسيرة من الوظائف الخارجية في السلك التعليمي، والثقافي؛ ليتفرغ لدراسة الماجستير والدكتوراه سنة (١٩٧٧/١٩٧٨ م) بالقاهرة انتهى من دراسة الماجستير في جامعة القاهرة عام (١٩٨١ م)، وكانت بعنوان: (تاريخ شرق الجزيرة والخليج العربي من فجر الإسلام حتى نهاية الدولة الأموية)، وبدأ في دراسة الدكتوراه، وكانت مناقشة الدكتوراه في جامعة عين شمس عام (١٩٩٢ م) التي كانت بعنوان: (الخوارج في الشرق الإسلامي حتى نهاية القرن الثاني الهجري)، ثم تفرغ بعد أن اجتاز الماجستير والدكتوراه لأعماله الخاصة، وللقراءة في التاريخ الإسلامي.

توفي الدكتور صالح بن حسين السادة -رحمه الله رحمة واسعة- عن عمر يناهز ٧٩ سنة عام ١٤٤٠ هجرية ٢٠١٩ م، ودفن في مقبرة مسيمير بقطر. وكانت وفاته بعد أن ترك رسائل علمية مهمة عن تاريخ الجزيرة العربية، وتاريخ الخوارج تحتاج إلى نشرها لطلبة العلم؛ لكي يتمكنوا من الاستفادة منها، وهذه واحدة من أبحاثه.



وهذا قبره رحمه الله

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله بداية كل نعمة وثمام كل خير

الإهداء

إلى المسلمين عامة وأهل الجزيرة العربية والخليج العربي خاصة
والي كل المظلومين المستضعفين، في كل مكان أهدي لكم هذا
العمل.

دعاء

اللهم اقدر في قلبي رجاءك، واقطع رجائي عن من سواك،
حتى لا أرجو أحدا غيرك.

اللهم وما ضعفت عنه قوتي، وقصر عنه عملي ولم تنته إليه
رغبتي، ولم تبلغه مسألتي، ولم يجر على لساني مما أعطيت
أحدا من الأولين والآخرين من اليقين، فخصني به يا رب
العالمين.

السيد الدكتور: صالح بن حسين السادة

المقدمة وتحليل المصادر

يبدو الآن واضحًا أهمية الخليج العربي وشرق الجزيرة العربية استراتيجيًا واقتصاديًا في السياسة الدولية المعاصرة، ومن ثمّ تعدّدت الأبحاث والدراسات عن (الخليج) في التاريخ الحديث، والمعاصر بينما يندر وجود دراسات خاصة عن تاريخ هذا الإقليم في العصر الإسلامي؛ ليربط بين الماضي والحاضر.

ولما كان من الصعب تناول القرون الوسطى الطويلة في دراسة واحدة فقد فضلت أن أحدّد الفترة الزمنية لموضوع هذا البحث الذي أتشرف بتقديمه الآن لدرجة الماجستير في الآداب بعنوان: **(تاريخ شرق الجزيرة والخليج العربي منذ فجر الإسلام حتى نهاية الدولة الأموية).**



وكشفت هذه الدراسة عن أهميّة تلك المنطقة من العالم في ذلك الزمن البعيد مثل ما هي الآن، فهناك أهميّة اقتصادية وسياسية في مجال الصراع الدولي آنذاك بين الدولتين الأعظم (الفرس والروم) قبل ظهور الإسلام ينبع أساسًا من اتخاذ طريق الخليج العربي معبرًا لتجارة المحيط الهندي التي تصل إلى عُمان جنوبًا ثم موانيه، وخاصة على الساحل الغربي منه صعدًا إلى الأبلّة لتأخذ بعد ذلك طريق الفرات، ذلك الطريق الذي سيطر عليه الفرس ضمناً لاحتكار التجارة الشرقية، حسب السياسة الاقتصادية التي اتبعتها الفرس في مواجهة الروم، ومن ثمّ بسط كسرى فارس نفوذه على القبائل العربية القاطنة

في تلك المناطق مع منح حكامهم سلطة الحكيم بين قبائلهم، أو أحيائهم، وأوضح مثال على ذلك إمارة المناذرة^(١) في الحيرة غربيّ الفرات المستقلة ذاتياً في إطار التبعية الفارسية، وبالمثل كُشِفَ البحث عن حكامٍ مماثلين هم شيوخ القبائل مثل: (عبد القيس) في البحرين^(٢)، و(الأزد) في عُمان^(٣).



هؤلاء الشيوخ الحكام هم الذين وصلتهم كتبُ الرسول -عليه الصلاة والسلام- بالدعوة إلى الإسلام، وكشف البحث عن سرعة قبولهم الإسلام دينا يدفعهم إلى ذلك أساساً الرغبة في التحرر من هذا النفوذ الأجنبي في إطار دولة العرب الفتية، ولا شك أن انتصار (بكر بن وائل)^(٤) سابقاً على قوّات الفرس في موقعة (ذي قار)^(١) كان مشجعاً لعبد القيس في البحرين، والأزد في عُمان على استمرار التحدي.

(١) تعد مملكة المناذرة في الحيرة واحدة من الممالك العربية الثلاث التي ظهرت في بلاد الرافدين قبل الإسلام، إلى جانب مملكة ميسان ومملكة الحضر، وتقع آثار الحيرة اليوم على مسافة ٧ كيلومترات إلى الجنوب الشرقي من مدينة النجف، وقد أصبحت الحيرة عاصمة لمملكة المناذرة العرب الذين نزحوا من شبه الجزيرة العربية إلى بلاد الرافدين، وحكموها مدة ٣٦٥ عاماً تقريباً، بحسب أستاذ التاريخ الدكتور محمد مظفر الأدهمي.

(٢) ينتسبون إلى: عبد القيس بن أفضى بن دهمي بن جديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار بن معد بن عدنان . قبيلة عربية، كانت في عوالي نجد، ثم ارتحلت قبائلها وبطونها في أماكن متفرقة. منها صحراء ركية في السّي وبسيان، ومن مواردها آبار سجا، في جنوبي أرض غسان (يثرب)، وشمال أرض نزار، وآبار سجا حالياً تقع في محافظة عفيف.

(٣) الأزد: اسمها في بعض المصادر الأسد (بتسكين السين) وهي غير قبيلة أسد (بفتح السين) العدنانية، بطونها كثيرة، ينتمي أكثرها إلى: مازن، نصر، الهنوء، عبد الله، وعمرو، كانت تسكن جنوب الجزيرة العربية، وبعد خراب سد مأرب، تفرقت في مواطن مختلفة.

(٤) بكر بن وائل من قبائل ربيعة وهم أبناء عمومة تغلب .

ومن ثمّ عمل كسرى فارس على تأليب بعض القوى العربية من هنا وهناك الطامعة في الرئاسة، أو السلطان لتقود حركة الردة سواء في البحرين، أو عمان.

كذلك كشف البحث عن عزيمة قوية بالتمسك بالإسلام في مواجهة المجوسية، وحلفائها، كما ظهر من دراسة تفصيلية لحروب الردة، بالإضافة إلى عزيمة صادقة بالقضاء على تلك العناصر الموالية، ثم مواصلة التحدي بالتقدم صوب أراضي الفرس ذاتها مقدّمة مبكرة ورائداً مبشراً لحركة الفتح العربي الإسلامي في نواحي العراق وفارس.

وإذا كان هذا هو الإطار العام للعلاقات بين (عرب الخليج)، مع دولة الفرس، فإن البحث قد كشف -أيضاً- عن موقف قبائل شرق الجزيرة العربية إزاء الدعوة للإسلام في نطاق دولة العرب؛ فمنهم من تقبل الإسلام، وتمسكوا به مثل: عبد القيس، والأزد، ومنهم من انقسم على نفسه إزاء الإسلام، مثل: تميم^(٢)، ومنهم بنو حنيفة^(٣) الذين التقوا بدافع العصبية حول أحدهم يدعي النبوة،^(٤) وتلك جميعاً مواقف تختلف باختلاف النزعات العربية.

وهكذا كان تقييماً لحركة الردة بين عرب الخليج داخلياً وخارجياً، تلك هي أهم النتائج المباشرة التي توصل إليها البحث في هذه الفترة المبكرة في فجر الإسلام، وهي تأخذ كما رأينا اتجاهاً خاصاً بالنسبة لأوضاع عرب شرق الجزيرة العربية؛ كي يأخذ تاريخ الخليج بعد ذلك سيرة في أحداث التاريخ الإسلامي العام بدءاً بحركة الفتوح في شمال الخليج، ثم شرقه، واستقرار معظم عرب البحرين وعمان في البصرة، ومدن فارس، ثم اشتراكهم في الحرب الأهلية التي دارت بين العرب المسلمين في عهد الخليفة الراشد الرابع في موقعي: (الجمال، وصفين) ثم حركة الخوارج عند ظهورها تلك التي صبغت تاريخ المنطقة بصبغة خاصة، وهي نهاية العصر الأموي.

(١) معركة ذي قار انتصر فيها العرب على الفرس قبل مبعث النبي ﷺ. وسببه غضب كسرى على النعمان بن المنذر ملك الحيرة.

(٢) ترجع قبيلة بني تميم إلى: تميم بن مر بن إد بن طابخة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان من ذرية نبي الله إسماعيل عليه السلام.

(٣) بنو حنيفة ترجع الي بكر بن وائل، ونسبها إلى حنيفة بن لجم بن صعيب بن علي بن بكر بن وائل، كانت تسكن أولاً نواحي الحجاز ثم هاجرت وغيرها من بطون ربيعة واستقرت في بلاد اليمامة في الجزيرة العربية.

(٤) كطليحة بن خويلد الأسدي، والأسود العنسي، ولقيط بن مالك الأسدي، ومسيلمة الكذاب، وسجاح من تميم وبني حنيفة وغيرهم قال النبي صلى الله عليه وسلم: وإنه سيكون في أمتي كذابون ثلاثون كلهم يزعم أنه نبي، وأنا خاتم النبيين لا نبي بعدي.. رواه أبو داود والترمذي

وقد اتّبع الباحثُ المنهجَ التاريخي التحليلي، الذي يَصِفُ ويحلّل، ويحاول عن طريق النقد الوصولَ إلى الحقيقةِ التاريخيةِ الناصعةِ.

وقد تجسّم الباحثُ في ذلك أشدَّ العناء؛ حيث الروايات الكثيرة، والأسماء المتعددة، وتراكم الأحداثِ بلا ربطٍ بينها أحياناً، وبلا تسلسلٍ يساعدُ الباحثَ فضلاً عن بعض الصعوباتِ اللغويةِ في مصطلحاتِ جَرَى بها العرفُ اللغويّ حينذاك.

ومن هذه الصعوباتِ كذلك مشكلة: (تحديد المواضع الجغرافية)، ووصفها، وتقدير أهميتها، ومطابقتها على التطوراتِ الحديثة، ومن المعلوم أن بعضَ المصادر العربية غير دقيقةٍ في هذا، ولم تجرِ حتى الآن محاولةً لإعدادِ (أطلسٍ تاريخيٍّ) مفصّل لهذه الأماكن في هذا الجزء من العالم.

كذلك لا يوجدُ كتاب شامل عن المعلوماتِ المتناولةِ في مادة البحث؛ لذا كان لا بد من الرجوعِ إلى المصادرِ العربيةِ العديدة، والمتنوعة خاصة التاريخية منها، ومن المعلوم أن أهم المؤرخين الأولين الذين كتبوا عن أحداثِ الأزمنةِ الأولى في الإسلام عامة هم:

محمد بن إسحاق (ت ١٥١هـ) الذي ألّف كتاب السيرة، والمبتدأ، والمغازي، وكتاب الخلفاء، وأبو مخنف، لوط بن يحيى (ت ١٥٧هـ) الذي ألّف كتباً كثيرة منها: كتاب الرد، وكتاب أهل النهروان والخوارج، وسيف بن عمر (ت ١٨١هـ) الذي ألّف كتاب الفتوح والردة^(١)، والقاضي يعقوب بن إبراهيم، أبو يوسف (ت ١٨٢هـ)، في كتابه الخراج أشار إلى الخليج تحت اسم البحرين، فذكر عن إسلامِ المنطقة، والردة فيها والمكان، وهشام بن محمد الكلبى (ت ٢٠٤هـ) ومن مؤلفاته كتاب التاريخ، وأخبار الخلفاء^(٢)، ومحمد بن عمر الواقدي (ت ٢٠٧هـ)، وهو مؤلف عدة كتب منها السيرة، والرد، والتاريخ الكبير^(٣)، والهيثم ابن عديّ (ت ٢٠٧هـ) الذي ألّف عدة كتب منها كتاب الوفود والخوارج^(٤)، وعلي

(١) ابن النديم: الفهرست، (ص ٩٢ - ٩٤)، طبعة بيروت.

(٢) ابن النديم، الفهرست (ص ٩٧).

(٣) ابن النديم: نفس المصدر، (ص ٩٨-٩٩).

(٤) ابن النديم: نفس المصدر، (ص ٩٩-١٠٠).

بن حسن المدائني (ت ٢٢٥هـ)، ومن مؤلفاته رسائل النبي -صلى الله عليه وسلم- كتبه والوفود، وتاريخ الخلفاء، والخوارج، والردة^(١).

كما ألف بعضهم كتبًا مستقلة عن الخليج تحت اسم البحرين منها كتاب (خوارج البحرين واليامة) وخبر عبد القيس لأبي عبيدة^(٢)، وكتاب أمر البحرين للمدائني^(٣)، غير أنهم لم يبق من كتبهم إلا ما نقله عنهم اللاحقون، وخاصة الطبري، والبلاذري، والجاحظ.

فأما الطبري (توفي سنة: ٣١٠هـ / ٩٢٢م) فإن كتابه تاريخ الرسل والملوك ذو أهمية في دراسة التاريخ الإسلامي؛ لذلك اعتبرته دستورًا لي في هذا البحث، إذ وجدت فيه مادةً واسعةً عن أحداث القرنين (الأول والثاني) الهجريين فذكر عن سكان الخليج (البحرين)، والوفود التي خرجت من هذه المنطقة لمقابلة رسول الله -صلى الله عليه وسلم- بالمدينة، كما أشار إلى انتشار الإسلام في هذه المنطقة وإلى الإدارة والخوارج فيها، واهتم الطبري بجمع كافة الروايات المختلفة عن كل حادثة، وكان ما أورد الطبري من معلومات عن هذه الفترة يعتبر المصدر الرئيس لمن تلاه من المؤرخين وخاصة ابن الأثير (توفي سنة: ٦٣٠هـ / ١٢٢٨م) الذي اكتفى في الغالب بتلخيص ما جاء في الطبري مضيفًا إليه بعض الأخبار حاذقًا بعض الروايات المتكررة.

أما البلاذري (توفي سنة: ٢٧٩هـ) فقد رتب كتابه "فتوح البلدان" على أساس الأقاليم، والمقاطعات، ورتب كتابه الآخر "الأنساب والأشراف" على أساس الأسر، وشخصياتها البارزة، وقد أورد في كتابه "فتوح البلدان"، معلومات قيمة عن منطقة البحرين (الخليج)، وإن كانت مختصرةً عن العلاقة بين أهل الخليج من العرب، والفرس، والسكان والعقائد والأحوال الاقتصادية، وكذلك عن انتشار الإسلام والمراسلات بين الرسول -صلى الله عليه وسلم- وأهل المنطقة، وعن الإدارة والأموال، أما كتابه الآخر "الأنساب والأشراف" ففيه معلومات قيمة عن الشخصيات العربية البارزة التي كان لها نشاط خاص في الدين، أو السياسة.

(١) ابن النديم: نفس المصدر، (ص ١٠٠ - ١٠٣).

(٢) ابن النديم: نفس المصدر، (ص ٥٣).

(٣) ابن النديم: نفس المصدر (ص ١٠٣).

وهناك مؤرخون آخرون؛ كالدينوري (ت: ٢٨١ هـ) مؤلف الأخبار واليعقوبي (ت: ٢٨٤ هـ) صاحب تاريخ اليعقوبي، والمسعودي (ت: ٣٤٦ هـ) صاحب كتابي "مروج الذهب"، و"التنبيه والأشرف" ولكن المعلومات في كتبهم مختصرة عن المنطقة، وعلاقتها بالفرس وعن الأحوال الاقتصادية والاجتماعية، كما أن بعض المعلومات التي ذكرها هؤلاء المؤرخين تختلف عما أورده الطبري، والبلاذري مما يدل على أنهم استمدوها من مصادر تختلف عما أورده المؤلفان السابقان، وهذه جميعاً كانت تثير المادة التاريخية لكتابة هذا البحث.

كذلك لم نهمل الكتب الجغرافية ففيها معلومات قيمة عن منطقة الخليج، وحدودها وطوبوغرافيتها، ومياهها، وعن المدن والقرى والسكان، والحياة الاقتصادية،^(١) ومن أقدم ما وصلنا من هذه الكتب كتاب "بلاد العرب" لحسن بن عبد الله الأصفهاني من رجال القرن الثالث الهجري؛ حيث أوضح فيه تحديد منازل القبائل، واستمد معلوماته من رواة وشعراء من أهل تلك البلاد، وكتاب "المناسك"، وأماكن طرق الحج، ومعالم الجزيرة المنسوب إلى الحربي (ت: ٢٨٥ هـ) والأعلاق النفيسة لابن رسته (أواخر القرن الثالث الهجري) فيه معلومات عن المدن والأقاليم الإسلامية التي استقاها من مصادر أدبية، وجغرافية قديمة، والمسالك والممالك لابن خردادبة (ت: ٣٠٠ هـ) وكتاب "صفة العرب" للهمداني (ت: ٣٣٤ هـ) و"المسالك والممالك" للأصطخري (ت: ٣٤٦ هـ).

وكتاب البلدان لابن الفقيه الهمداني (ت: ٣٥٦ هـ) وقد أودعه معلومات إدارية ثمينة اعتمد فيها على عدد من المؤلفين منهم: الجاحظ في كتابه البلدان الذي حفظ لنا مادة جغرافية وتاريخية قيمة، ولكنه لم يصل إلينا كاملاً، كما أنه نقل من كتاب الممالك للأصطخري مع إضافة قليلة. أما كتاب صورة الأرض لابن حوقل (ت: ٣٦٧ هـ) فهو نسخ لما جاء في كتاب الأصطخري مع إضافات قليلة وقد أودع كل من المقدسي (ت: ٣٧٥ هـ) في كتابه أحسن التقاسيم، وياقوت (ت: ٣٢٦ هـ) في كتابه معجم البلدان معلومات مهمة عن الخليج استمداها من المصادر القديمة المفقودة للآن، ومنها رحلة ناصر خسرو (ت: ٤٨١ هـ) ورحلة بنيامين التطيلي (ت: ٥٦٩ هـ) ورحلة ابن بطوطة (ت: ٧٧٠ هـ) وفي هذه الكتب معلومات قيمة في وصف المواضع الجغرافية، وطرق المواصلات والحياة

(١) ومن الكتب الهامة أيضاً التيارات السياسية في الخليج العربي د/ صلاح العقاد والخليج تحديات المستقبل مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية اكتشاف جزيرة العرب جاكين بيرين مجلة الخليج العربي مركز دراسات الخليج العربي الخليج العربي د/ جمال زكريا قاسم من تاريخ الخليج العربي الكلية العسكرية

الاقتصادية، أما كتب الأنساب ففيها مادة غنية عن القبائل العربية التي كوَّنت عناصر السكان في الخليج، وأقدم ما لدينا من هذه الكتب كتاب (جمهرة النسب) لابن الكلبي (ت: ٢٠٤هـ)، وفيه تفاصيل قيمة عن القبائل والعشائر، وأقدم ما بين أيدينا من كتب التراجم هو كتاب الطبقات لابن سعد (ت: ٢٣٠هـ)، وقد استقى ابن سعد معلوماته من مصادر أقدم يذكرها في الغالب كالواقدي، وأبي معشر- وقتادة، وقد صنَّف تراجمه على أساس أسبقية اتصالهم بالإسلام، وهو يفصّل في حياة بعض الرجال، ويحوي كتابه معلومات ثمينة عن فتح البحرين والمراسلات بين الرسول - **صلي الله عليه وسلم** - وأهل البحرين والوفود.

ومن المصادر التي يمكنُ الاستفادة منها في البحث كتبُ الحديث، والفقه، فأما الأحاديث فأهم كتبها المعتمدة صحيح البخاري، ومسلم، وسنن الدرامي، وأبي داود، والترمذي، والنسائي، وابن ماجه، والمسند لأحمد بن حنبل؛ وهذه الكتب تحوي معلومات قيمة عن الأحوال الاقتصادية والإدارية وعن الوفود، وفي كتب السيرة لابن اسحاق (ت: ١٥١هـ)، وقد وصلنا بعد روايات أشهرها رواية ابن هشام (ت ٢١٨هـ)، والسيرة الحلبية للحلي (ت: ١٠٤٤هـ)، والسيرة النبوية لدحلان، (المتوفى سنة: ١٣٠٤هـ).

وتوجد معلومات قيمة عن خوارج الخليج في كتب الفرق، والعقائد منها مقالات الإسلاميين للأشعري (ت: ٣٢٤هـ)، والفرق بين الفرق للبغدادي (ت: ٤٢٩هـ)، والتبصير في أصول الدين، للأسفراييني، (ت: ٤٧١هـ)، والملل والنحل للشهرستاني (ت: ٥٤٨هـ)، ومعلومات هذه الكتب مختصرة، وتهتم بالنواحي الفكرية للخوارج، ومنها ما يهتم بالنواحي السياسية والعسكرية، ولكن فيها معلومات مهمة عن غزو (نجدة الخارجي) للخليج، وعن الخلاف بين نجدة وأتباعه ذلك الخلاف الذي أدى إلى مقتله ومبايعة (أبي فديك عبد الله بن ثور) من بني قيس بن ثعلبة، هذا بالإضافة إلى المراجع التي شملتها قائمة المصادر والمراجع.

خطة البحث:

يتكون هذا البحث من ثلاثة أبواب:

خصص الباب الأول لدراسة الأحوال الجغرافية لما لها من أهمية في حياة السكان، وتطورهم، وفي توجيه تاريخهم، ويتضمن هذا الباب أربعة فصول:

الفصل الأول: التعريف بالخليج ونشأته وتكوينه وموقعه وحدوده وأرضه وسواحله ومياهه ومدنه وقراه، والطرق البحرية والبرية وأهميتها في نهضة الخليج التجارية والاقتصادية.

الفصل الثاني: بين المناطق المأهولة والعشائر التي كانت تسكن الساحل الغربي للخليج كعبد القيس، وتميم، وبكر بن وائل، وبني حنيفة، والقبائل غير العربية كالزط والسيابجة.^(١)

الفصل الثالث: تناول الأهمية الاقتصادية للخليج والمركز الاقتصادي العظيم الذي كان يتمتع به الخليج العربي في فجر الإسلام، ودور هذه النهضة الاقتصادية في خدمة الدولة الإسلامية الناشئة، فأول خراج وصل إلى النبي -صلى الله عليه وسلم- من الخليج، وأكثر مالا وصل إلى الخلفاء من الخليج، ولا أدل على هذا من قول الرسول الكريم -صلى الله عليه وسلم- لأحد أصحابه حينما سأله عن مال قال: "لو جاءني مال من البحرين لأعطيتك كذا وكذا"، وهو -عليه الصلاة والسلام- يشير بكفيه.

فعن جابر رضي الله عنه قال: قال لي النبي -صلى الله عليه وسلم-: «لَوْ قَدْ جَاءَ مَالُ الْبَحْرَيْنِ أَعْظَيْتُكَ هَكَذَا وَهَكَذَا وَهَكَذَا»، فَلَمْ يَجِئْ مَالُ الْبَحْرَيْنِ حَتَّى فُبِضَ النَّبِيُّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فَلَمَّا جَاءَ مَالُ الْبَحْرَيْنِ أَمَرَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَتَادَى: مَنْ كَانَ لَهُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- عِدَّةٌ أَوْ دَيْنٌ فَلْيَأْتِنَا، فَأَتَيْنَاهُ وَقُلْتُ لَهُ: إِنَّ النَّبِيَّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ لِي كَذَا وَكَذَا، فَحَتَّى لِي حَثِيَّةٌ فَعَدَدْتُهَا، فَإِذَا هِيَ خَمْسِمِئَةٍ، فَقَالَ لِي: خُذْ مِثْلَهَا. [متفق عليه]

(١) الزط بضم الزاي وتشديد الطاء هو تعريب للكلمة الفارسية جت Jat أو Jets . أصلهم من بلاد الهند إلى بلاد فارس والعراق و منطقتهم تقع بين المنصورة ومكران في بلاد السند وهم من أهم شعوب وادي السند كانوا سادة البلاد حين أغارت عليهم قبائل الأريين. وأصبحوا قوم جوالون، ينتقلون من مكان الى مكان، طلباً للرزق، أو هرباً من الملاحقات القانونية.

تلك هي إشارة من النبي - **صلى الله عليه وسلم** - إلى أهمية الخليج الاقتصادية، وما اشتهر به من ثروة حينذاك، وبينت الأنشطة الزراعية، وربطتها بآبار المياه، وعيونها المنبثة في جوانب الصحراء، كما أشرت إلى بعض الصناعات والنشاطات المهمة، مثل: الغوص على اللؤلؤ في أعماق الخليج حيث كانت له أهمية بالغة فقد كان حجر الزاوية في الاقتصاد الخليجي، وكان بتروال الخليج آنذاك، وحظيت التجارة باهتمامي، فتحدثت عنها، وعن العوامل التي أدت إلى ازدهارها، ومراكز التجارة، ومنطلقاتها، والمدى الذي انتهت إليه اهتمامات تجار الخليج، وقد كان نشاطهم واسعاً، حيث شمل أجزاء كبيرة من جنوب شرق آسيا وغيرها، كما شمل أنواعاً عديدة من السلع، والمصنوعات التي اشتهرت بها بعض مدن الخليج آنذاك.

أما في الفصل الرابع فقد تناول البحث عرضاً لما كان منتشرًا في أهل الخليج عند ظهور الإسلام من عقائد، وأديان؛ كالوثنية والمجوسية والأسبذية، والنصرانية، واليهودية.

وفي الباب الثاني فتناول: انتشار الإسلام في الخليج بطريقة سلمية، ودراسة الكتب التي تبادلت بين الرسول - **صلى الله عليه وسلم** - وأهل الخليج، والوفود التي وفدت إلى الرسول - **صلى الله عليه وسلم** - في المدينة كوفد عبد القيس، ووفد تميم، ولم تصعد روحه - عليه الصلاة والسلام - إلى الرفيق الأعلى إلا والمسلمون يدعون إلى الصلاة في أنحاء الخليج، وبخاصة أهل عمان الذين باركهم الرسول - **صلى الله عليه وسلم** - بدعائه لهم بالخير الوفير، والنصر - على الأعداء، والأمن في البلاد والأوطان، قائلاً لهم: "اللهم اهدهم وثبتهم وارزقهم العفاف والكفاف والرضى بما قدرت لهم، ووسع عليهم في ميرتهم، وأكثر خيرهم من بحرهم، ولا تسلط عليهم عدواً من غيرهم.

ولقد جاء في فضل عمان بعض الأحاديث، منها حديث أبو برزة **رضي الله عنه** فيقول:

(**بَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَجُلًا إِلَى حَيٍّ مِنْ أَحْيَاءِ الْعَرَبِ، فَسَبَّوهُ وَصَرَبُوهُ، فَجَاءَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَخْبَرَهُ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لَوْ أَنَّ أَهْلَ عَمَانَ أَتَيْتَ مَا سَبُّوكَ وَلَا صَرَبُوكَ**)^(١)

(١) رواه مسلم (رقم/٢٥٤٤)

يقول القرطبي رحمه الله: يعني: أن أهل عمان قوم فيهم علم، وعفاف، وتثبت، والأشبه: أنهم أهل عُمان التي قَبِلَ [أي: ناحية] اليمن؛ لأنهم ألين قلوباً، وأرق أفئدة، من: عَمَّنَ بالمكان: أقام به (١)

وعن الحسن بن هادية قال: (لَقِيتُ ابْنَ عُمَرَ فَقَالَ لِي: مِمَّنْ أَنْتَ؟ قُلْتُ: مِنْ أَهْلِ عُمَانَ. قَالَ: مِنْ أَهْلِ عُمَانَ؟ قُلْتُ: نَعَمْ. قَالَ: أَفَلَا أَحَدْتُكَ مَا سَمِعْتُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ قُلْتُ: بَلَى. فَقَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ (إِنِّي لَأَعْلَمُ أَرْضًا يُقَالُ لَهَا عُمَانُ، يَنْصَحُ بِجَانِبِهَا الْبَحْرُ، الْحَجَّةُ مِنْهَا أَفْضَلُ مِنْ حَجَّتَيْنِ مِنْ غَيْرِهَا) (٢)

وعَنْ أَبِي لَبِيدٍ قَالَ: خَرَجَ رَجُلٌ مِنْ طَاحِيَةِ مُهَاجِرًا يُقَالُ لَهُ يَبْرَحُ بْنُ أَسَدٍ فَقَدِمَ الْمَدِينَةَ بَعْدَ وَفَاةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِأَيَّامِ فَرَاةِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَعَلِمَ أَنَّهُ غَرِيبٌ فَقَالَ لَهُ مَنْ أَنْتَ قَالَ: مِنْ أَهْلِ عُمَانَ، قَالَ: مِنْ أَهْلِ عُمَانَ! قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: فَأَخَذَ بِيَدِهِ فَأَدْخَلَهُ عَلَى أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَقَالَ: هَذَا مِنْ أَهْلِ الْأَرْضِ الَّتِي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: (إِنِّي لَأَعْلَمُ أَرْضًا يُقَالُ لَهَا عُمَانُ يَنْصَحُ بِنَاحِيَتِهَا الْبَحْرُ بِهَا حَيٌّ مِنَ الْعَرَبِ لَوْ أَنَّهُمْ رَسُولِي مَا رَمَوْهُ بِسَهْمٍ وَلَا حَجْرٍ) (٣)

أما في فصله الثاني فقد تعرضت للردة في الخليج العربي، وللدور الذي قام به أهل الخليج في الفتوح الإسلامية، فأما فيما يتصل بالردة، فقد كشفت عن البذور الكامنة في أعماق بعض زعماء بني حنيفة، وبني تميم، وقد طمست غشاوة الأحقاد القبلية، والأطماع الشخصية الحق الصراع، فارتدوا عن الإسلام عشية وفاة الرسول -صلى الله عليه وسلم-، وقد أشرت إلى جهود الخليفة الراشد (أبي بكر الصديق)، وقواده أمثال: (خالد بن الوليد)، و(المتنى بن حارثة الشيباني) (٤)، في القضاء على الردة، وإرجاع هؤلاء المرتدين إلى الصواب، ومنهم من صلح أمره، وصار من أبطال الفتوحات الإسلامية بعد ذلك، فقد كان

(١) "المفهم لما أشكل من تلخيص صحيح مسلم" (٥٠١/٦)

(٢) رواه أحمد في "المسند" (٤٦١/٨-٤٦٢)

(٣) أخرجه أحمد (٤٤/١)، وأبو يعلى (١٠١/١) والحاثر في "مسنده، بزوائد الهيثمي" (٩٤١/٢)

(٤) المتنى بن حارثة الشيباني (ت ١٤ هـ)، من كبار قادة العرب. من أهل العراق، شهد يوم ذي قار، وكان سيد قومه قبل الإسلام، وفي ذلك ابن حبان قال: «المتنى بن حارثة كان سيدا في الجاهلية»، وقال أبو عبيدة: «المتنى بن حارثة الذي افتتح السواد، ساد في الجاهلية والإسلام». وكان شيخ بني شيبان، وفي ذلك قال هانئ بن قبيصة الشيباني لرسول الله « بن حارثة شبخنا وصاحب حربنا».

نجاح الخليفة أبي بكر الصديق في التغلّب على المرتدين تصفية، وامتحانًا، وتثبيتًا للإسلام ومدًا لأطرافه التي طوّقت الجزيرة، وتدعيمًا لأمن الحدود.

وفيما يتّصل باشتراك عرب الخليج في الفتوحات الإسلامية؛ فالواقع أنهم كانوا بمثابة رأس الرمح في الفتوحات المتجهة صوب بلاد الفرس، وكان لكثير منهم؛ كالمثني بن حارثة فضل الزيادة في توطئة، وتهيئة الأرض الفارسية لجيوش الإسلام.

بعد أن حطمت قوى بني حنيفة في اليمامة،^(١) وسارت بمحاذاة الخليج إلى حيث التقت بجيوش فارس في سهول العراق، وشرق الخليج برًا وبحرًا، وكان التنافس بين بعض المسلمين في التوسع الإسلامي شديدًا، ولا أدلّ على ذلك مما قام به (العلاء الحضرمي)^(٢) من غزو لفارس من البحرين دون الرجوع إلى الخليفة (عمر بن الخطاب) رغبة منه في أن يأتي بأفضل مما أتى به (سعد) بطل القادسية إرضاءً لله وحبًا في نشر دينه.

(١) بنو حنيفة قبيلة عدنانية من بكر بن وائل، تنسب إلى حنيفة بن لجم بن صعيب بن علي بن بكر بن وائل، كانت تقطن نواحي الحجاز ثم هاجرت مع من هاجر من بطون ربيعة واستقرت في إقليم اليمامة في الجزيرة العربية
(٢) العلاء بن الحضرمي، صحابي من صحابة النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وكان واليًا على البحرين.



أما الباب الثالث وعنوانه: (النشاط السياسي لعرب الخليج وشرق الجزيرة) عرضت فيه لولاة الخليج في عهد الخلفاء الراشدين، وما كان فيه من استقرار وسيطرة للراشدين على أزمة الخليج، ثم تحدثت بعد ذلك عما اعتري الخليج من هزاتٍ سياسيةٍ منذ حدثت (الفتنة الكبرى)، وانقسم العرب على الخليفة الرابع (علي بن أبي طالب)، وما أدى إليه ذلك الانقسام من اضطرابٍ في الإدارة معظم العصر الأموي، رغم بعض السياسات القاسية التي اتبعها الأمويون، ومنها ما قام به الخليفة (عبد الملك بن مروان) من طمس عيون المياه في البحرين انتقاماً منهم؛ وذلك لخروجهم عليه.

كذلك تناولت ظهور الخوارج في الخليج، ثم حروبهم مع الدولة الأموية المخالفين لهم في الاتجاه السياسي والديني، وأبرزت الأسباب التي جعلت من منطقة الخليج، ومن بعض قبائله قوةً خطيرةً من قوى الخوارج، وكيف تداخلت بعض الصراعات القبليّة مع الآراء المتطرفة للخوارج في دفع بعض القبائل إلى التعصّب للخوارج، أو التحزّب عليهم؛ مما أوجد نوعاً من الصراع القبلي داخل الصراع الأموي الخارجي؛ وذلك لأن كلاً من الطرفين

كان يحاول استقطاب القبائل، ولقد سُفِّتُ في هذا المجال بعض ألوان الخلاف بين زعماء الخوارج، وتتبعُ جذورَ دعوتهم، وكيف أنهم طلبوا الحقَّ فضلُّوا السبيلَ، وكيف كانت منطقة الخليج مَسْرَحًا للصراع الدامي، انتهى بفوز الأمويين.

وفي الحقيقة فإن الجهد الذي بذلته لجمع هذه المادة، وفي إنجاز الرسالة لم يكن ليحقق النتيجة التي وصلت إليها لولا التوجيهات الخلاقة التي تلقيتها من أستاذي الفاضل الدكتور/ (محمد أمين صالح)، ولذلك فإنني أرفعُ إليه عظيمَ شكرِي، وتقديري فقد كان نِعْمَ الأستاذُ الذي أحاطني برعايته واهتمامه؛ إذ لم يدخر وُسْعًا في تزويدي بالملاحظات القيمة، كما أحیی فيهِ رجلَ العلمِ الذي يَسْمُو بنفسه من أجلِ الحفاظ على قدسية العلم، وأخلاقياته.

كما يسعدني أن أتقدّم بالشكر والتقدير لأساتذتي الأجلاء أعضاء لجنة المناقشة؛ لتفضلهما بقبول مناقشة هذه الرسالة لأسعد بملاحظاتهم، وأستنير بتوجيهاتهم.

كما يشرفني أن أشكر كلَّ مَنْ أسدى إليّ خدمة مَهْمًا كان حجمها في سبيل تشجيعي، وتمهيد السبيل لإنجاز هذا البحث الذي أرجو أن يسدَّ ثغرةً في المكتبة العربية، وأن يسلِّط أضواءً على موضوعاتٍ يمكن أن ينفذ منها الباحثون إلى آفاقٍ جديدة.

فإذا قدر لهذا البحث أن يسهم بصورة متواضعة في كشف بعض الحقائق الجغرافية، والتاريخية الغامضة، أو المجهولة في تاريخ الخليج، وشرق الجزيرة العربية، فقد أدّت الدراسة غاية ما أتمناه، أسأل الله التوفيق، والله من وراء القصد.

فإن الصفة المناخية السائدة في كل العالم العربي هي شدة الحرارة في الصيف واعتدالها في الشتاء.

ويمتد هذا العالم بشكل نطاق عظيم وسط أكبر تجمع قاري في العالم، ولهذا فإن الصفة القارية هي الصفة المناخية السائدة فيه، وذلك على الرغم من أن له سواحل ممتدة لبضعة آلاف من الكيلو مترات على المحيطين الأطلسي والهندي وعلى البحرين الأحمر والمتوسط وعلى الخليج العربي؛ لأن تأثير هذه المسطحات على مناخه لا يتوغل كثيرًا في الداخل إلا في مناطق محدودة، بينما ينحصر في أغلبها في أشرطة ضيقة يتوقف اتساعها على طبيعة المسطح المائي نفسه وعلى تضاريس الساحل واتجاه الرياح السائدة، فالبحر الأحمر مثلًا تأثيره محدود بسبب ضيقه وإحاطة الجبال والصحاري به من الشرق والغرب، وارتفاع درجة حرارة مياهه، وهبوب الرياح السائدة عليه من الاتجاهات الشمالية، أما البحر المتوسط فتأثيره أكبر من تأثير البحر الأحمر لعدة أسباب منها أنه أكبر اتساعًا وامتدادًا، وأن مياهه أقل حرارة بصفة عامة وأن الرياح السائدة عليه تهب من الاتجاهات الشمالية والغربية وتصل إلى بعض المناطق الساحلية بعد أن تكون قد قطعت رحلة طويلة فوق مياهه، ويكون اتجاهها متعامدًا تقريبًا على امتداد بعض هذه السواحل، كما أن هذا البحر له تأثير قوي على الضغط الجوي»^(١)

وأرض العرب في كتابات المتقدمين يقصد بها جزيرة العرب، وقد اختلفوا في حدود هذه الجزيرة، فمنهم من قال: هي ما بين البحر الأحمر والخليج والمحيط الهندي وبادية الشام، وقال غيرهم بهذه الحدود، غير أنه قال: تمتد شمالًا، يحدها من الشرق الفرات، ومن الغرب نهر الأردن، فتشمل بذلك بلاد الشام الشرقية، مثل: البلقاء وحوارن وما شمال شرقي دمشق، وهذه أرض العرب التي جاءهم الإسلام وهم سكانها. وكتاب اليوم يقولون «بلاد العرب»، ويقصدون: الجزيرة العربية والعراق وكل بلاد الشام. وإذا أضفوا عرب إفريقيا، قالوا: العالم العربي.^(٢)

وتتميز هذه الدول بتنوع تضاريسها الجغرافية التي تشمل الصحاري الشاسعة والسهول الساحلية والجبال. تمتد الصحاري، مثل صحراء الربع الخالي، عبر أجزاء كبيرة من

(١) «الجغرافيا المناخية والنباتية» (ص ٤٤٣):

(٢) «معجم المعالم الجغرافية في السيرة النبوية» (ص ٢٧):

السعودية والإمارات وعمان، وتعتبر من أكبر الصحاري الرملية في العالم. كما تتميز المنطقة بسواحل طويلة على الخليج العربي وبحر عمان، مما يساهم في تشكيل سهول ساحلية غنية. بالإضافة إلى ذلك، توجد سلاسل جبلية مثل جبال الحجر في عمان والإمارات، التي تضيف تنوعًا جغرافيًا وتؤثر على المناخ المحلي. هذا التنوع في التضاريس يلعب دورًا مهمًا في تحديد المناخ والموارد الطبيعية والأنشطة الاقتصادية في المنطقة.



الباب الأول:

جغرافيا الخليج وشرق الجزيرة في فجر الإسلام

وفيه أربعة فصول، هي كما يلي:

الفصل الأول: الخليج العربي وأشهر مدنه وموانيه.

الفصل الثاني: سكان الخليج العربي وشرق الجزيرة ابان فجر الإسلام.

الفصل الثالث: أهمية الخليج الاقتصادية منذ فجر الإسلام.

الفصل الرابع: الحياة الدينية في الخليج وشرق الجزيرة قبل الإسلام.

الفصل الأول:

(الخليج العربي وأشهر مدنه وموانيه)

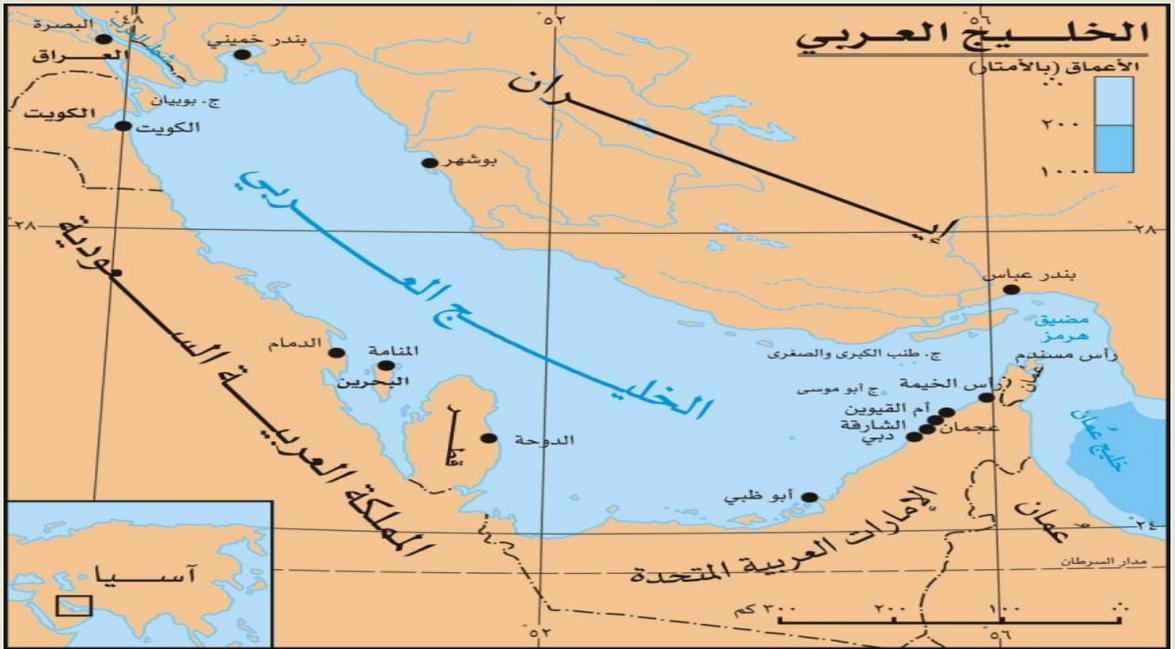
لقد بدلتُ في السنوات الأخيرة جهودًا كبيرة لتجميع الوثائق التاريخية التي تلقي أضواء جديدة على تاريخ الخليج العربي قبل الإسلام، وبعده كما بدلتُ جهودًا أخرى؛ لاكتشاف آثار مختلفة من هذه الحقبة التاريخية غير أن المصادر العربية الموجودة بين أيدينا التي تؤرخ للخليج لا تزال بحاجة إلى الاستجلاء، وحسن الفهم والمعرفة لكل ما تناقله الرواة العرب قبل عصر التدوين من أخبار الأمم، وما من شك في أننا محتاجون إلى الاستعانة بهذه المصادر للاطلاع على نواحي الحياة العربية المختلفة؛ من سياسية، واجتماعية، واقتصادية، ودينية، وفكرية.

فإذا كانت منطقة الشرق الأدنى القديم تتبوأ مركزًا حضاريًا مهمًا لكون موقعها في قلب العالم، فإن الخليج العربي جزء من هذه المنطقة، حيث يقع في شرقها، كما يمثل أقصى امتداد للعالم العربي شرقًا، ويعتبر امتدادًا للمحيط الهندي فهو ينعم بموقع ممتاز في قلب العالم القديم؛ حيث بدأ ظهور الخليج العربي في عصر: (الميوسين، والبليوسين)،^(١) عندما حدث ارتفاع في وسط آسيا بسبب (الحركة الألبية)^(٢) المعروفة صحبه ظهور هضبة إيران من تحت ماء البحر، وظهور جبال زاغروس، والجزء الشرقي من الجزيرة العربية، وحدث هبوط على شكل ثنية مقعرة كوّنت الخليج العربي وامتداده في أرض العراق.^(٣)

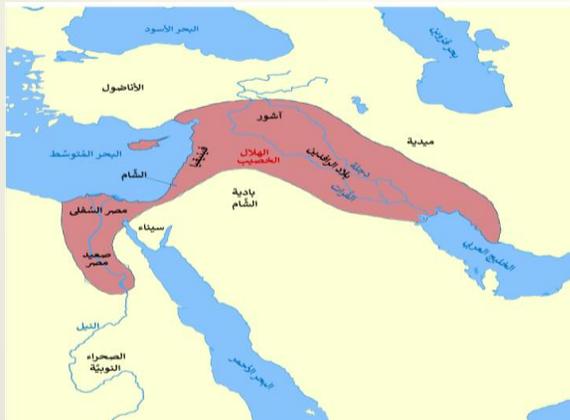
(١) فترة الميوسين أو الميوسيني (باللاتينية: Miocene) هي فترة جيولوجية من المقياس الزمني الجيولوجي تمتد ملاي من ن السنين. قيل ٢٣ مليون سنة إلى ٥,٣ مليون سنة مضت.

(٢) الحركة الألبية: ابتدأت هذه الحركة مع العصر الجوارسي واستمرت إلى أن بلغت أشدها في عصر الميوسين. ولما كانت هذه الحركة أحدث الحركات الرئيسية التي تعرضت لها قشرة الأرض فإن المرتفعات التي تنتمي إليها هي أعظم المرتفعات وأضخمها على الإطلاق، وترجع عظمة وضخامة مرتفعات هذه الحركة إلى أنها لم تتعرض إلى معاول الهدم الطبيعية، من نحت وحمل وإرساب وتجوية، لمدد طويلة، كما حدث مع مرتفعات كل من الحركة الهرسينية والحركة الكاليدونية، وتنتمي إلى الحركات الألبية جبال الهيمالايا في آسيا وجبال الألب في أوروبا ومنها اكتسبت الحركة اسمها، وجبال أطلس في أفريقيا، وجبال روكي في أمريكا الشمالية، وجبال الأنديز في أمريكا الجنوبية راجع كتاب المدخل إلى علم الجغرافيا والبيئة [محمد محمود محمد] ص ١٧٩

(٣) محمد متولي: حوض الخليج العربي، (١/ ص ٥٥)، (البليوسين: Pliocene). (الميوسين: miocen) العصر الرابع من الزمن الثالث، العصر الثالث من الزمن الرابع.



وظهرت أهمية الخليج العربي واضحةً عندما أسهمت العواملُ الجغرافية في جعله جسراً يربط بين قارتي: (آسيا وأفريقيا) من ناحية، وبين القارة الأوربية من ناحية أخرى، وذلك لكونه ملتصقاً بمنطقة الهلال الخصيب، فأصبح بحكم هذا الموقع الجغرافي يمثل الطريق المباشر لهذه القارات .



كانت هذه الخريطة الجغرافية للخليج العربي موضع اهتمام الجغرافيين المسلمين الذين دونوا مؤلفاتهم، والتي نال منها الخليج العربي نصيباً وافراً غدت مرآة لجغرافيته التاريخية.

واستكمل الجغرافي (ابن حوقل) ^(١) الصورة الجغرافية للخليج العربي بعد تبادله الرأي حول بعض الخرائط التي رسمها (الاصطرخي) ^(٢) نفسه، والتي أظهر ابن حوقل عدم استحسانه لتلك الخرائط، مما دفع الاصطرخي إلى أن يطلب من ابن حوقل تصحيح تلك الخرائط. ^(٣)



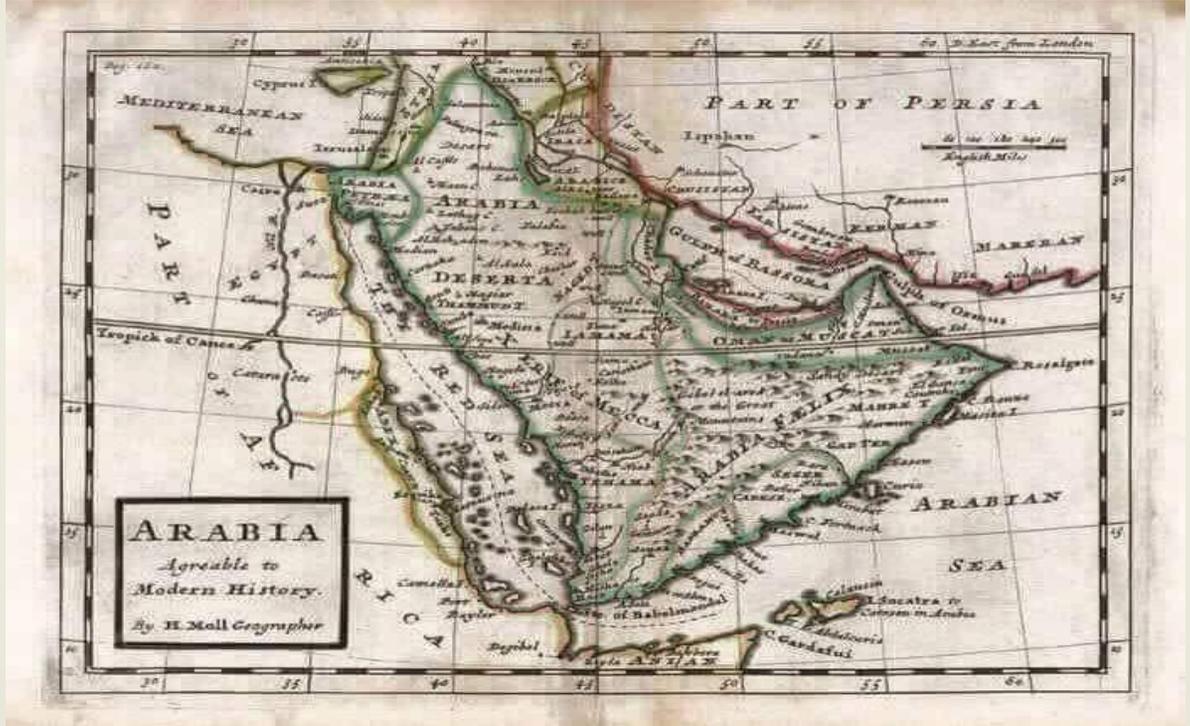
(١) ابن حوقل هو أبو القاسم محمد بن حوقل، وقيل محمد بن علي النصيبي أو النصيبيني، ويكنى بالحوقلي أو الموصلّي أو البغدادي، كاتب وجغرافي ومؤرخ ورحالة وتاجر عربي مسلم ولد بمدينة نصيبين في شمال شرق الجزيرة الفراتية ضمن الحدود التركية اليوم، وعاش في القرن الرابع الهجري / العاشر للميلاد، من أشهر أعماله «صورة الأرض»، توفي في الأندلس تقريباً عام ٣٦٧هـ / ٩٧٧م. خير الدين الزركلي (الأعلام ج. ٦. ص. ١١١)

(٢) الإصطخري، أبو القاسم إبراهيم محمد الكرخي هو عالم مسلم من رواد علماء البلدان أو الجغرافيين. نشأ في أصطخر ونسب إليها، وألف كتاب صور الأقاليم.

(٣) ابن حوقل: صورة الأرض، ط بيروت، (ص ٤٨٤).

وزود ابن حوقل كتابه: (صورة الأرض) بخريطةٍ شاملةٍ لبحرِ فارسٍ موضحةً علاقته ببحر الروم: (البحر المتوسط) الذي تطلّ عليه أسواقُ التجارة الشرقية^(١)، وظلت خريطة ابن حوقل هي العمدة في شرح الأسس التي جعلت طريقَ الخليج العربي ينعمُ بمركزِ الصدارة على طريقِ التجارة خاصة الشرقية منها .

وقد خص (ابن رسته)^(٢) البحر الأول (بحر فارس) من تقسيماته بدراسة مفصلة لبيان موقع الخليج العربي، ومدى امتداد هذا الموقع، وصلته مع غيره من الطرق التجارية العالمية، فذكر أن الساحلَ الشرقي للخليج العربي يمتد حتى مدينة (تيزمكران) على بلاد السند حيث المصدر الأول من مصادر التجارة الشرقية في بلاد الهند، على حين يمتد الساحل الغربي للخليج بحيث يطوف بجنوب بلاد العرب، وينتهي عند غرب عدن.^(٣)



(١) ابن حوقل: صورة الأرض، (ص ٤٨ - ٥٠) .
 (٢) «ابن رسته» (توفي- نحو ٣٠٠ هـ - نحو ٩١٢ م) أحمد بن عمر، أبو علي ابن رسته: عالم جغرافي. فارسي الأصل، من أهل أصفهان. رحل إلى بلاد العرب حاجاً، سنة ٢٩٠ و صنف (الأعلاق النفيسة - ط) «الأعلام للزركلي» (١/ ١٨٥)
 (٣) ابن رسته: الأعلاق النفيسة، ليدن، ١٨٩١، (ص ٨٣- ٨٤) .

لقد ورد اسم الخليج العربي في دراسات أولئك الجغرافيين المسلمين بالاسم الذي شاع منذ أيام (الإسكندر الأكبر المقدوني)،^(١) وهو "الخليج الفارسي"، أو "بحر فارس" كما أطلقوا عليه في نفس الوقت أسماء أخرى مثل: "خليج البصرة"، وأحياناً أطلقوا عليه: "خليج عمان".



وجاء ظهور المسميات الأخيرة للخليج العربي إلى جانب الاسم الذي أطلقه عليه الإسكندر المقدوني دلالة على إحساس الجغرافيين المسلمين بخطأ تعميم اسم الخليج الفارسي، وأن وضعه الجغرافي يؤكد خطأ التصاق هذا النعت به، والتصق اسم الخليج الفارسي بهذا الخليج نتيجة جهل قائد أسطول الإسكندر، وهو أمير البحر المقدوني (نيارخوس: nerchus) بالساحل الغربي فلم يدرج في مسماه الساحل العربي لهذا الخليج، والذي تشرف عليه شبه الجزيرة العربية^(٢) للخليج، أخذ يسير بمحاذاة الساحل الشرقي للخليج، والمطل على أرض فارس.

(١) وُلد الإسكندر في ٢٠ يوليو من سنة ٣٥٦ ق.م، في مدينة بيلّا عاصمة مملكة مقدونيا. والده هو الملك فيليب الثاني المُلقب بالأعور، ووالدته هي أولمبياس ابنة نيوبوليموس الأول ملك إقليم إبيروس، وهي الزوجة الرابعة لفيليب.

(٢) Wilson: the Persian gulf p. 36.37.38

وأيضاً قدرتي قلجعي: الخليج العربي، بيروت ١٩٦٥، (ص ٧، ٨).

وفي القرن الأول الميلادي ظهرت محاولات من جانب الرومان؛ لتصحيح هذا الخطأ حيث عرف الرومان الكثير عن أحوال هذا الخليج، وسكانه أثناء صراعهم مع الفرس، فذكر المؤرخ الروماني (بليني: pliny) أن المراكز الكبرى حول هذا الخليج كانت في يد قبائل عربية، وأطلق عليه اسم "الخليج العربي"^(١) إلا أن الجغرافيين المسلمين لم تصلهم هذه التسمية؛ لأن الكتب اليونانية وحدها كانت هي المصادر التي أقبل على ترجمتها المسلمون، والتي ظهر فيها اسم الخليج الفارسي، وبحر فارس، ولكن الجغرافيين المسلمين أظهروا عدم اقتناعهم بهذا المصطلح، فقرنوا هذا المصطلح بأسماء تنسب إلى مسميات أخرى، وذلك بتسميته مثلاً بـ: "خليج البصرة"، أو "البحرين"، أو "خليج عمان"، كما سبقت الإشارة.

ويذكر الغربيون هذا الخليج تحت اسم "الخليج الفارسي" ولا تزال الدوائر الغربية المعادية للعرب تصر على تسميته بالخليج الفارسي، واكتسب هذا الاسم شيوعاً، وذلك أثناء التوسع الاستعماري في القرنين الماضيين في هذه المنطقة، رغم أنه - أي الخليج العربي في كيانه المعاصر والقديم- (عربي الطابع) في مظاهره وسماته، فجميع الدول التي تطل على الساحل الغربي عربية، ورغم أن بلاد فارس تطل على ساحله الشرقي فإن هذا الساحل كان -ولا يزال- عربياً، ففي إقليم عربستان، جنوب غربي إيران، توجد قبائل عربية مثل: بني كعب، وبني تميم، وكذا قبائل تنوخ التي أخذت تنتشر على سواحل الخليج، وعلى امتداد منافذه التجارية، وبخاصة غرب نهر الفرات^(٢)، كما أنه تحمل بعض المدن، والأخوار، والجزر الأسماء العربية الصميمة، بينما يستمد هذا الساحل للخليج عروبته من الموجات البشرية التي ظلت تدفق عليه من سواحله الغربية، أو الشمالية حيث ملتقى نهري: دجلة والفرات عند شط العرب^(٣)، ومما يؤيد ذلك الرحالة الدنماركي (كارستن ليمور)،^(٤) وهو الذي زار الخليج سنة: (١٧٦٥م)، وقال: إنه من الخطأ تسميته بالخليج

(١) Wilson : the Persian gulf p.45,46 وانظر أيضاً، قدرتي قلعي: الخليج العربي، بيروت ١٩٦٥، (ص ٨-٩).

(٢) د. محمد جمال الدين سرور: قيام الدولة العربية الإسلامية، القاهرة سنة: ١٩٦٦م، (ص ٣١).

(٣) جواد علي: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، (٢، ص ٦٣٢).

(٤) كارستن نيبور خرائط ألماني عاش في الفترة ما بين ١٧ مارس ١٧٣٣ - ٢٦ أبريل ١٨١٥ ولد كارستن نيبور في قرية بشمال غرب ألمانيا في سكسونيا السفلى، عمل فلاحاً في مزرعته أول حياته، وافته سنة ١٨١٥م. رحلته المجلد الأول: وصف الجزيرة العربية، نُشر في كوبنهاغن بلغة هولندية سنة ١٧٧٢ م، يشتمل على وصف كامل للجزيرة العربية وأسماء مدنها وقرائها في نجد والحجاز والأحساء وشبه جزيرة سيناء، مع ذكر القبائل العربية والأمراء والأعيان والمذاهب الدينية السائدة، وزين نيبور هذا المجلد بعشرات الصور التي رسمها عن الزي واللباس وحتى خرائط المدن والمناطق. موقع الموسوعة البريطانية (الإنجليزية) الرحلة العربية ١٧٦١-١٧٦٧ ست. ت. راسموسن

الفارسي؛ لأن العرب يحتلون الخليج بشاطئيه الغربي والشرقي، ثم ذكر نبذة عن حياة العرب الذين يسكنون الشواطئ الإيرانية. (١)



ويبدو أن اسم "الخليج العربي" كان اسمًا متداولًا بين مشاهير المؤرخين منذ الزمن القديم، فمثلا ذكر المؤرخ اليوناني هيرودوت والذي توفي سنة (٤٢٥ ق.م) (٢) في تاريخه المعروف اسم خليج العرب مرارًا، كما أطلقه على البحر الأحمر ما ذكره أيضًا أحد علماء الجغرافيا اليونانيين وهو: (استرابون) (٣) الذي أشار إلى أن العرب يسكنون بين خليج العرب، وخليج فارس. (٤)

أولًا: الساحل الغربي للخليج:

أطلق العرب قديمًا على الساحل الغربي للخليج العربي - والذي أعني الساحل الشرقي للجزيرة العربية- اسم "البحرين"، وهو عبارة عن الإقليم الممتد من البصرة، والأبلة شمالًا حتى عمان جنوبًا (٥).

(١) سليمان سعدون البدر: منطقة الخليج العربي، (الكويت)، (ص ٢٢).
 (٢) مؤرخا يونانيًا أسبويًا عاش في القرن الخامس قبل الميلاد (حوالي ٤٨٤ ق.م - ٤٢٥ ق.م).
 (٣) ولد إسترابون في قبادوقية سنة ٦٣ أو ٦٤ ق.م لأسرة ثرية، ووالدته كرجية الأصل، تتلمذ على يد الكثير من الجغرافيين والفلاسفة في اليونان وروما وكان من الفلاسفة الرواقيين وكسياسي كان من أنصار الاستعمارية الرومانية.
 (٤) محمد جواد مشكور: نام خليج فارس در طول تاريخ، (ص ٣١).
 (٥) الجوهرى: الصحاح ٥٨٥/٢، وابن منظور: لسان العرب (٤/٤٦).



وتشمل هذه التسمية ما نعتبره -في الوقت الحاضر- جنوب العراق، ودولة الكويت، وشرق المملكة العربية السعودية، ودولة الإمارات العربية المتحدة، ودولة قطر، وجزر البحرين الحالية، وهي التي كانت قديمًا تعرف باسم: (أزال) ^(١)، وكذلك سلطنة عمان، وتحدها الإقليم صحراء الدهناء، ورسل بيرين غربًا ^(٢)، وجزر البحرين شرقًا، والتي اختصت في الوقت الحالي باسم الإقليم من قبيل إطلاق العام على الخاص .

١. جنوب العراق:

أ. الأبلّة بضم الهمزة والباء واللام المشددة: ^(٣) والأبلّة هي بلد على شاطئ دجلة في زاوية الخليج الذي يدخل إلى مدينة البصرة، وهي أقدم من البصرة ^(٤)، وهي مدينة قديمة اشتهرت في النقوش الأكادية باسم: (أبولوم: ubulum)، وعند اليونان باسم: (أبولوجوس: abolugus)، وكانت هذه المدينة قد تضائل شأنها قبل مجيء الفرس الساسانيين إلى الحكم، ومن ثم أعاد بنائها (كيسرى أردشير)، وظلت قائمة طوال العصر-

(١) الببهاني: التحفة النبهانية في تاريخ الجزيرة العربية (ص ١١) وينظر: كحالة: جغرافية جزيرة العرب ، (ص ٢٦١) .

(٢) ابن رسته، الأعلام النفيسة (ص ١٨٢) .

(٣) الأبلّة بضم الهمزة والباء واللام المشددة، مدينة بالعراق بينها وبين البصرة أربعة فراسخ ونهرها الذي يقع في شمالها، وجانبها الآخر على غربي دجلة، وهي أكبر مدن البصرة وأفسحها

(٤) أبو يوسف، الخراج (ص ١٤٨) .

الساساني، وسكنها كثير من العرب، والهنود حتى سماها العرب بـ (الأُبَلَّة) (وأحياناً باسم (فرج الهند) ولكن تضاءل شأن هذه المدينة بعد تأسيس البصرة، كما يرجع تاريخ أهمية مدينة الأُبَلَّة؛ كميناءٍ للتجارة الهندية إلى عهد الإسكندر الأكبر^(١))

وكان يستوطن الأُبَلَّة، ويستقر فيها عشائر عربية أغلبها من قبيلة بكر التي شجعها انتصارها على الفرس في موقعة (ذي قار)^(٢)، على القيام بغارات الأطراف العربية للإمبراطورية الساسانية، وأشهر هذه الغزوات ما كان يقومُ بها كل من: قطبة بن قتادة السدوسي، والمثنى بن حارثة الشيباني، وعندما قدم خالد بن الوليد، يريد الكوفة سنة: اثني عشرة أعانه الشيباني على حرب هذه الأُبَلَّة، حيث كانت وصية أبي بكر الصديق لخالد بن الوليد عند خروجه لفتح العراق أن يبدأ بفتح (فرج الهند)، وهي الأُبَلَّة^(٣).

وفي عهد عمر بن الخطاب كان قطبة بن قتادة^(٤) يقوم بغاراته بصورة مستقلة في الحركات الإسلامية، وبلغ به الأمر أن كتب إلى الخليفة عمر بن الخطاب ليُعلمه مكانه، وأنه لو كان معه عددٌ يسير لظفر بمن قبله من العجم، ولنفاهم من بلادهم^(٥)، وأدرك عمر بن الخطاب حركات قطبة، فأرسل (شريح بن عامر السعدي)^(٦)؛ وذلك ليكون ردًا له^(٧)، ثم أرسل إليه عمر ابن الخطاب بعد ذلك (عتبة بن غزوان)^(٨)؛ ليقود الحركات

(١) صالح العلي: التنظيمات الاجتماعية (ص ٢٥٩).

(٢) صالح العلي: التنظيمات الاجتماعية، (ص ٣٤).

(٣) الطبري: تاريخ الرسل والملوك: (٣/ ٣٤٧).

(٤) (توفي - بعد ١٤ هـ = ٦٣٥ م) قطبة بن قتادة بن جرير السدوسي الشيباني: من بكر بن وائل، أبو الحويصلة: شجاع من القادة من أبناء بادية الأبله (بين الكويت والبصرة) أسلم بعد فتح مكة. ودخل الأبله (سنة ١٢ هـ) فاتحا مع خالد بن الوليد وعليها قائد من قبل الفرس، وافتتح خالد الخريبة (حيث بنيت البصرة بعد ذلك) واستخلف قطبة. وتابع زحفه. وجاء عتبه بن غزوان، في أيام عمر، فاستكمل معه فتح الأبله (سنة ١٤ هـ «الأعلام للزركلي» (٥/ ٢٠٠).

(٥) الطبري: تاريخ الرسل والملوك (٣/ ص ٥٩٣).

(٦) ((شريح بن عامر: بن قيس بن عامر بن عمير. وعند ابن قانع: شريح بن عامر بن عوف بن كعب بن أبي بكر بن عامر بن صعصعة السعدي، من بني سعد بن بكر.)) الإصابة في تمييز الصحابة. ((أخرجه أبو عمر.)) أسد الغابة. ((جد القاسم بن سليمان.)) الإصابة في تمييز الصحابة. ((استخلفه خالد بن الوليد على الجزيرة بالبصرة حين سار إلى الشام)) أسد الغابة. ((قال أبو عُمَر: له صحبة، وولاه عمر البصرة وقتل بـ "الأهواز". وروى عمر بن شبة من طريق قتادة، قال: كان قطبة بن قتادة كتب إلى عمر يستمده، فوجه بشريح بن عامر السعدي من بني سعد بن بكر فقال له: كن رذءا للمسلمين؛ فأقبل إلى البصرة، ثم سار إلى الأهواز فقتلوه بها)) الإصابة في تمييز الصحابة.

(٧) الطبري: نفس المصدر، نفس الصفحة.

(٨) «عتبة بن غزوان (٤٠ ق هـ - ١٧ هـ = ٥٨٤ - ٦٣٨ م) عتبه بن غزوان بن جابر بن وهيب الحارثي المازني، أبو عبد الله: باني مدينة البصرة. صحابي، قديم الإسلام. هاجر إلى الحبشة، وشهد بدرا. ثم شهد القادسية مع سعد بن أبي وقاص. ووجهه عمر إلى أرض البصرة واليا عليها، وكانت تسمى "الأبله" أو "أرض الهند" فاخطبها عتبه ومصرها. وسار إلى ميسان وأبزقباد فاقتنحهما. وقدم المدينة لأمراخاطب به أمير المؤمنين عمر، ثم عاد فمات في الطريق. وكان طويلا جميلا من الرماة المعدودين. روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أربعة أحاديث «الأعلام للزركلي» (٤/ ٢٠١).

الإسلامية في تلك المنطقة فقام عتبة بعدة غاراتٍ على بلادِ العجم أدّت إلى احتلال الأُبَلَّة عام (١٤) هجرية في رجبٍ، أو شعبان^(١)، حيث استسلمت الأُبَلَّة للقوات الإسلامية العربية بسرعةٍ، وبلا أدنى مقاومةٍ تُذكر رغم صغرِ القواتِ العربية التي هاجمَتْها مما يدل على أنه لم تكن فيها حاميةٌ عسكرية قوية تدافع عنها^(٢).

وظلت (الأُبَلَّة) مركزًا للتجارة البحرية حتى بعد حفر قناة الأُبَلَّة التي كانت تربط هذا الميناء بالبصرة؛ وذلك نظرًا لأنه كان في فوهة القناة دوار^(٣) يمنع مرور السفن الكبيرة^(٤) غير أن نشأة مدينة البصرة أدّى إلى تساؤل أهمية الأُبَلَّة، حتى أصبحت مجرد ميناءٍ ثانويٍّ للتجارِ البصريين بعد أن كانت الميناءَ العراقيَّ الرئيسَ للتجارة مع الهند^(٥)، وتبعد آثارها الآن بحوالي: (٧٥) كيلومتر على شاطئِ الخليج العربي في المنطقة التي توجد بها الآن الممتدة في إقليم عربستان الواقع تحت السيطرة الإيرانية حاليًا.



- (١) الطبري: نفس المصدر، (ص ٥٩٤).
- (٢) الطبري: تاريخ الرسل والملوك (٣/ ٥٩٤)، ويذكر الطبري أنه كان بالأبلة خمسمائة من الأساور يحمونها.
- (٣) دوار: المقصود بها تيارات بحرية عنيفة نتيجة اندفاع المياه بسرعة.
- (٤) صالح العلي: التنظيمات الاجتماعية، (ص ٢٥٩).
- (٥) نفس المصدر: (ص ٣٣).



ب. البصرة: (١)

البصرة قصبة أحدثها المسلمون أيام الخليفة عمر بن الخطاب عام (١٦) هجرية (٢) بعد أن كتب إليه (عتبة بن غزوان) مبينا له صلاحيتها للسكنى فكتب إليه عمر أن أجمع أصحابك في موضع واحد؛ ليكون قريباً من الماء، والمرعى، وكتب إليّ بصفته، فكتب إليه أني وجدت أرضاً كثيرة القصب في طرف البر إلى الريف، ودونها منابع ماء، فلما قرأ عمر الكتاب قال: (هذه أرض نضرة قريبة المشارب، والمراعي، والمحتطب) (٣)، ثم كتب إليه أن أنزلها الناس فنزلها عتبة وجيشه، واختط المسجد، واختط الناس خططهم حول المسجد.

وقيل أن (عتبة بن غزوان): أرسل إلى عمر بن الخطاب (إني أرى أرضاً كثيرة القضة في طرف البر إلى الريف ودونها مناقع فيها ماء وفيها قصباء). فقال عمر بن الخطاب: (هذه

(١) تقع مدينة البصرة على الضفة الغربية (اليمنى) لنهر شط العرب، الذي يتكون من التقاء نهري دجلة والفرات، ويصب في الخليج العربي، وتبعد البصرة عن هذا المصب مسافة ١١٠ كم، وتقع على دائرة عرض ٣٠ درجة و ٣٠ دقيقة شمالاً، وخط طول ٤٧ درجة و ٥٠ دقيقة شرقاً.
شيدتها عتبة بن غزوان في عهد ثاني الخلفاء الراشدين عمر بن الخطاب لتكون أول مدينة إسلامية بناها العرب خارج شبه الجزيرة العربية،

(٢) البلاذري: فتوح البلدان (ص ٢٣٦).

(٣) البلاذري: نفس المصدر (ص ٣٤١).

أرض بصرة قريبة من المشارب والمراعي والمحتطب). ومعنى البصرة في اللغة العربية الأرض الغليظة الصلبة ذات الحجارة الصلبة.^(١)

وسميت البصرة نسبة إلى الأرض التي شيدت عليها، والتي كانت مكونة من الحجارة الرخوة البيضاء^(٢) كما كان عددٌ من نَزَلِ البصرة في أولِ اختطاطها (٨٠٠) رجلاً، ولم يمض على تمصيرها وقتٌ طويل حتى تضاعف عددُ سكانها، وذلك لكثرة هجرة القبائل العربية إليها، حتى بلغ عدد سكانها في خلافة علي بن أبي طالب رضي الله عنه - بين سنة (٣٥-٤٠) هجرية ستين ألفاً، أكثرهم من المضريين مع قلة من اليمانية^(٣)، كما زادت رغبة الناس في البصرة، حتى أتوها بعد أن أتى (أنس بن حجية) مبعوث عتبة بن غزوان إلى عمر فسأله عمر: كيف المسلمون؟ قال: انثالت عليهم الدنيا، فهم يهيلون الذهب والفضة^(٤).

وتقع البصرة على الطرف الشمالي من الخليج، وهياً هذا الموقع الجغرافي للبصرة أن تكون مركزاً مهماً من مراكز الحياة الاقتصادية في الدول الإسلامية حيث أصبحت ملتقى الطرق الممتدة من وسط إيران، إلى الخليج، ومن بادية العرب إلى الخليج أيضاً^(٥).

وازدادت أهمية البصرة التجارية بعد التطور الذي طرأ عليها زمن الدولة العباسية خاصة، حيث انتقل النشاط التجاري من (دارين) إلى البصرة، وكانت دارين مركزاً مهماً للتجارة وبخاصة في السلع الشرقية في صدر الإسلام^(٦).

وكانت البصرة تمثل مع (الكوفة) المصيرين الوحيدين في العراق في العصر الإسلامي، لكن البصرة تختلف عن الكوفة من حيث سكانها في تلك الفترة، حيث كان أغلبهم من القبائل العربية التي جاءت إليها من شرق الجزيرة العربية وخاصة من الخليج العربي^(٧).

(١) البصرة". الموسوعة المعرفية الشاملة.

(٢) ابن منظور: لسان العرب، مجلد، (٤/٦٧).

(٣) ثابت إسماعيل الراوي: العراق في العصر الأموي، ص١٣٥. قال ابن حجر: مضر و مضر بضم الميم وفتح المعجمة، يقال سمي بذلك لأنه كان مولعاً بشرب اللبن الماضر وهو الحامض، وفيه نظر لأنه يستدعي أنه كان له اسم غيره قبل أن يتصف بهذه الصفة، نعم يمكن أن يكون هذا اشتقاقه ولا يلزم أن يكون متصفاً به حال التسمية، وهو أول من حدا الإبل.

(٤) الطبري: تاريخ الرسل والملوك، (٣/٥٩٥).

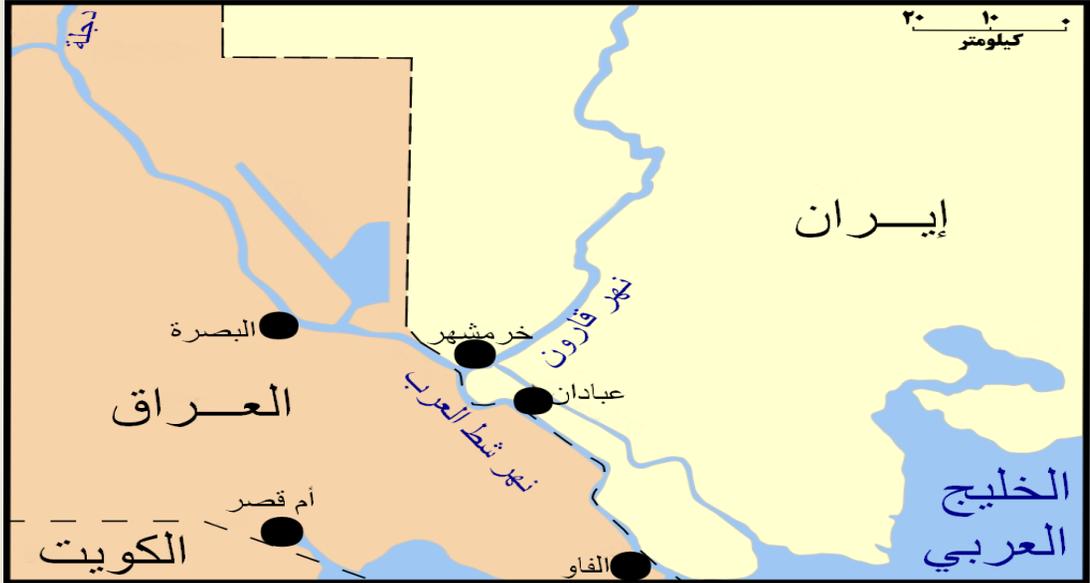
(٥) محمد متولي، حوض الخليج العربي، (١/٢٢٩).

(٦) صالح العلي: التنظيمات الاجتماعية، (ص٢٥٨).

(٧) صالح العلي: نفس المصدر، (ص١٨).

وكانت البصرة على مفترق عدة طرقٍ تجاريةٍ مهمّة؛ لذلك سرعانَ ما أصبحت مركزًا لحياةٍ اقتصاديةٍ نشطة، وواسعة لمنطقة شرق الجزيرة، والخليج خاصة؛ فزادت أهميتها في العالم الإسلامي، خاصة بعد إنشاء مدن مثل: واسط، وبغداد، ونستطيع أن نقول: إن البصرة بعد الفتح الإسلامي أصبحت القاعدة العسكرية التي اندفعت الجيوش الإسلامية منها شرقًا وجنوبًا لفتح كل من: (الأهواز، وفارس، وكرمان)، وبقايا أجزاء الخليج الشمالية^(١).

كانت البصرة موضع اهتمام المؤرخين من حيث عناصر السكان، وأنشطتهم، ومساهماتهم الاقتصادية، والسياسية، وحياتهم الاجتماعية والعلمية، ومن هؤلاء المؤرخين: (البلاذري^(٢)، والكلبي^(٣)، واليعقوبي^(٤)).



(١) انظر فصل النشاط السياسي لعرب الخليج .

(٢) أحمد بن يحيى بن جابر بن داود البلاذري أبو جعفر البغدادي المؤرخ توفي سنة ٢٧٩ تسع وسبعين ومائتين صنف الاستقصاء في الأنساب والأخبار. لم يكمل. انساب الأشراف مجلدين. كتاب البلدان الصغير. كتاب البلدان الكبير لم يكمل. كتاب عهد أردشير. «هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين» (١ / ٥١):

(٣) محمد بن السائب بن بشر بن عمرو بن الحارث بن عبد الحارث الكلبي (نحو ٥٥ هـ - ١٤٦ هـ / ٦٧٥ م - ٧٦٣ م): نساب، رواية، وعالم بالتفسير والأخبار وأيام العرب

(٤) اليعقوبي - أحمد بن أبي يعقوب موسى بن جعفر بن وهب ابن واضح الكاتب العباسي المعروف باليعقوبي. له تاريخ اليعقوبي مجلدين إلى سنة ٢٥٢. كتاب البلدان «هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين» (١ / ٤٨)

٢. كاظمة (الكويت)

تعتبر مدينة الكاظمة -الكويت اليوم-، مفتاح الطريق من الخليج العربي إلى الأبله، وقد أدرك الفرس ذلك منذ القدم، وبخاصة في صراعهم مع العرب، وكذلك قيل: كانت مركزاً لقوات هرمز أثناء صراعه مع القبائل العربية التي كانت تسكن هذه المنطقة، وإن كان من العسير على المختصين في شؤون القبائل العربية، وتحركاتها أن يحددوا على وجه اليقين الأماكن التي كانت تنزل بها تلك القبائل، وكذلك الزمن الذي كانت تقضيه فيها قبل حركاتها من مكانٍ إلى مكانٍ .

فقد قذفت الجزيرة العربية بأبنائها في بداية الفتوحات الإسلامية لفتح البلاد المجاورة، فوصلوا إلى الركن الشمالي الغربي من الخليج حيث تقوم الكويت الحالية، وحيث قامت قرى كثيرة من قبل مثل: (كاظمة والجهرة)، وقد كانت قرية كاظمة بالذات كان لها دور في عهد مناذرة الحيرة، ثم في بداية الفتوحات الإسلامية في بلاد العراق، وفارس؛ ففيها كانت موقعة (ذات السلاسل)^(١) بين هرمز قائد الفرس، وبين خالد بن الوليد قائد الجيوش الإسلامية، وكانت كاظمة من منازل الطريق بين البصرة، والبحرين، وتبعد عن القطيف أربعة أيام^(٢)، ووصفها الأزهري بأنها: جو^(٣) على الساحل، ووصفت بأنها: جون^(٤) بها حصن، ودور مبنية وتجار، فإن كاظمة -على ما يبدو- هي الكويت الآن، وكان بها في القرن الثالث الهجري على ما يذكر الحرثي رباط^(٥)، وبها آبار كثيرة، وقريبة المدى يستسقى منها المسافرون، وكانت الكويت جيدة المراعي، ووصف الشعراء في فجر الإسلام مياهها ومراعيها.

(١) مَعْرَكَةُ ذَاتِ السَّلَاسِلِ أَوْ مَعْرَكَةُ كَاطِمَةَ هِيَ مَعْرَكَةٌ وَقَعَتْ فِي سَنَةِ ١٢ هـ بَيْنَ جَيْشِ الْمُسْلِمِينَ بِقِيَادَةِ خَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ وَجَيْشِ الْفَرَسِ بِقِيَادَةِ هَرْمُزٍ وَتَلَّتْ فِي أَرْضِ كَاطِمَةَ (شَمَالِ الْكُوَيْتِ حَالِيًا)، وَانْتَهَتْ بِانْتِصَارِ الْمُسْلِمِينَ.
(٢) الْفَلَقَشْنَدِيُّ: صَبِيحُ الْأَعَشَى، (٥/ص ٥٦).
(٣) وَالْجَوْ مَا تَسْعُ مِنَ الْأَوْدِيَةِ، يَاقُوتٌ: مَعْجَمُ الْبُلْدَانِ: (٢/١٦١).
(٤) الْفَلَقَشْنَدِيُّ: صَبِيحُ الْأَعَشَى، (٥/ص ٥٦).
(٥) الْحَرِثِيُّ: الْمَنَاسِكُ، (ص: ٥٧٤).



٣. شرق الجزيرة العربية (الساحل الغربي للخليج):

ومن أشهر مدن غرب الخليج العربي في العهود الإسلامية الأولى ما يلي:



• مدينة هجر^(١) (الهفوف حاليًا):^(٢)

هي مدينة داخلية بعيدة عن الساحل، وهي من أهم مدن الإقليم الشرقي للجزيرة العربية، وقد وصفها ابن حوقل بأنها: "أكبر أعمال البحرين ومدنها"^(٣)، وكانت عند ظهور الإسلام قاعدة البحرين، وقصبتها، وكان يقيم فيها مرزبان فارس عند ظهور الإسلام، وهو: (أسيخت ابن عبد الله)^(٤)، كما كانت هجر مركزًا تجاريًا مهمًا، وفيها أحد أسواق العرب المشهورة، الذي كان يقام في شهر ربيع الآخر من كل سنة^(٥).

وقد نزل (الحطم بن ضبيعة)^(٦) هجر عند رده عام ١١ هـ^(٧)، فقاتله العلاء بن الحضرمي^(٨) فيها، وكان فيها في القرن الثالث الهجري وفق ما يقول الحرابي: "منبران

(١) هجر سميت هجر بهجر بنت المكلف التي بنتها، القلقشندي: صبح الأعشى، (٥/ ص ٥٥).
(٢) ومملكة هجر هي مملكة قديمة في شرق الجزيرة العربية. ويرجح أن مملكة هجر كانت تضم شرق الجزيرة العربية بالإضافة لجزر البحرين وجزيرة فيلكا؛ حيث تم العثور على العديد من العملات في هذه المناطق.
قال عنه العالم اللغوي محمد بن أحمد الأزهرى صاحب كتاب التهذيب في اللغة: مُخَلَمَ عَيْنِ فَوَارَةَ بِالْبَحْرَيْنِ، وَمَا رَأَيْتَ عَيْنًا أَكْثَرَ مَاءً مِنْهَا، وَمَاؤُهَا حَارٌّ فِي مَنِيْعِهِ، وَإِذَا بَرَدَ فَهِيَ مَاءٌ عَذْبٌ، وَلِهَذَا الْعَيْنُ إِذَا جَرَّتْ فِي نَهْرِهَا خُلِجٌ كَثِيرٌ تَتَخَلَجُ مِنْهَا، تَسْقِي نَخِيلَ جَوَائِي وَعَسَلَجَ وَقُرَيَاتٍ مِنْ قَرَى هَجْرٍ، وَأَرَى مُخَلَّمًا اسْمَ رَجُلٍ نُسِبَتْ الْعَيْنُ إِلَيْهِ
(٣) ابن حوقل: صورة الأرض، (ص ٣١).
(٤) ابن سعد: (١ق)، (٧/٢) أسيخت، وفي نهاية الإصابة (١١٥/٢)، أسمىح مرزبان البحرين.
أسيخت بن عبد الله صاحب هجر الذي جاء في كتاب الرسول صلى الله عليه وسلم إليه: «... إنه قد جاءني الأفرع بكتابك وشفاعتك لقومك، وإني قد شفعتك وصدقت رسولك في قومك، فأبشر فيما سألتني وطلبتني بالذي تحب.. فإن تجننا أكرمك وأن تقعد أكرمك أما بعد فإني لا أستهدي أحدا، وإن تهد إلي أقبل هديتك وقد حمد عمالي مكانك، وأوصيك بأحسن الذي أنت عليه من الصلاة والزكاة وقراءة المؤمنين، وإني قد سميت قومك بني عبد الله، فمرهم بالصلاة وبأحسن العمل، وأبشر والسلام عليك وعلى قومك المؤمنين» كتاب دراسة في السيرة [عماد الدين خليل] ص ١٩٧
(٥) القلقشندي: صبح الأعشى، (١/ ٤١٠-٤١١).

(٦) خرج الحطم بن ضبيعة أخو بني قيس بن ثعلبة في بكر بن وائل، فاجتمع إليه من غير المرتدين ممن لم يزل مشركا، حتى نزل القطيف و هجر الكامل في التاريخ ج ٢ ص ٢٢٢
(٧) الطبري: الرسل والملوك، (٣/ ص ٣٠٨).

(٨) (ت - ٢١ هـ - = ٦٤٢ م) العلاء ابن الحضرمي العلاء بن عبد الله الحضرمي: صحابي، من رجال الفتوح في صدر الإسلام. أصله من حضرموت. سكن أبوه مكة، فولد بها العلاء ونشأ. وولاه رسول الله صلى الله عليه وسلم البحرين سنة ٨ هـ وجعل له جباية "الصدقة" وأعطاه كتابا فيه فرائض الصدقة في الإبل والبقر والغنم والثمار والأموال، وأمره أن يأخذ الصدقة من أغنيائهم ويردّها على فقرائهم. وبعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم أقرّه أبو بكر، ثم عمر ووجهه عمر إلى البصرة فمات في الطريق، في قرية من أرض تميم اسمها "لباس" وقيل: مات في البحرين. هو الذي بسير عرفجة بن هرثمة إلى شواطئ فارس سنة ١٤ هـ بالسفن، فكان في الإسلام. ويقال: إن العلاء أول مسلم ركب البحر للغزو «الأعلام للزركلي» (٤/ ٢٤٥)

عظيمان بينهما فراسخ؛ أحدهما في مملكة ابن عياش من عبد القيس، ومنزله نحواً من هجر، والآخر في مملكة موسى بن عمران بن الرجاف، وهو بجهلة وساكنها عبد القيس^(١).



ويتبين مما مرَّ أن هجر قاعدة تجارية ذات علاقة بالساحل الشرقي للخليج العربي الذي كان يَرِدُونَهُ، وربما استوطنوه، وخاصة بعد الفتوحات الإسلامية، وقد دُثِرَتْ هجر، وإن موقعها اليوم هو مدينة (الهفوف) حالياً.

وكان يتبع هجر عدد من القرى مثل: طرييل^(٢) وهي اليوم قرية عامرة من قرى الهفوف، حيث يعتمد سكانها على النخيل، ولها سوق يُعقد مرةً في الأسبوع، ومن قرى هجر أيضاً أسبد^(٣)، والعسايم، والجريب، والوجير، والبدي.

(١) الحربي: المناسك، (ص ٦٢).

(٢) ياقوت: معجم البلدان، (ص ٩٥).

(٣) البلاذري: فتوح البلدان، (ص ٩٥).

• القطيف: (١)

تلي مدينة هجر في الأهمية في تلك الفترة، وهي قريبة من الساحل تبعد عن البحر مسافة ميل واحد، وتقع في شمال شرقي الأحساء، وتشتهر بكثرة النخيل، ولها سورٌ، وأربعة أبوابٍ، وخذق، ويدعى ساحلها (قراح)^(٢)، وهو لا يزال موجودًا حيث يشتهر بجودة النخيل، وكانت مدينة القطيف إحدى المدينتين الرئيسيتين في (غربي الخليج)، في صدر الإسلام والثانية هجر.

والقطيف اليوم تقع على خليج يشمل جزيرة تاروت، وتمتد المدينة على الساحل مسافة عشرة أميالٍ، وبها أطلال قلعة قديمة، وفي شمالها ثلاث قنوات متصلة بالبحر، والبحر فيها عميقٌ، ومن أقسام المدينة القلعة، وهو القسم المحصّن.

(١) والقطيف هو العنب الذي يقطف توأ أو الثمر المقطوف. ذكرها أبو الفداء قائلاً عنها: «القطيف: بلدة بناحية الأحساء، وهي على شط بحر فارس، وبها مغاص». وذكرها ابن بطوطة فقال: «ثم سافرنا إلى مدينة القطيف -كأنها تصغير قطف- وهي مدينة كبيرة ذات نخل كثير يسكنها طوائف من العرب»
(٢) الأزهرى: تهذيب اللغة، (٤ / ٧٣) .



• دارين: (١)

تلي القطيف في الأهمية آنذاك، وتقع في الطرف الجنوبي من جزيرة تاروت في شرق القطيف، وهي ميناء مشهور، وتذكر المصادر أن (سابور) أسكن فيها بعض بني تغلب في حملته على بلاد العرب^(٢)، ثم فتحها أبو العلاء الحضرمي عنوةً في خلافة عمر بن الخطاب^(٣).

(١) قال ياقوت في «معجم البلدان» (٤٣٢/٢): «أن المسلمين اقتحموا إلى دارين البحر مع العلاء بن الحضرمي، فأجازوا ذلك الخليج بإذن الله جميعاً يمشون على مثل رملة ميثاء فوقها ماء يغمر أخفاف الإبل، وإن ما بين دارين والساحل مسيرة يوم وليلة لسفر البحر في بعض الحالات، فالتقوا وقتلوا، وسبوا فبلغ منهم الفارس ستة آلاف، والراجل ألفين. فقال في ذلك عفيف بن المنذر: ألم تر أن الله ذلل بحره وأنزل بالكفار إحدى الجلائل؟ دعونا الذي شق البحار فجاءنا بأعجب من فلق البحار الأوائل.

تقع جزيرة دارين في الركن الجنوبي الشرقي من جزيرة تاروت الواقعة بمحاذاة ساحل مدينة القطيف على الساحل الغربي له. دارين هي إحدى قرى تاروت الأربع التي ذكرها المؤرخون ووصفوها بأنها: «قرية محمية بقلعة حريصة تتكون من فنة منزل للسادة ولم يكن بها زراعات أو حدائق وكان يعتمد سكانها على صيد اللؤلؤ». جزيرة دارين.. أهم موانئ الخليج العربي قديماً». جريدة الرياض.

(٢) ابن خلدون: العبر ديوان المبتدأ والخبر، (٣٤٨ / ٢) .

(٣) البلاذري، فتوح البلدان (ص ١٠٣) .

وكانت دارين من أسواق العرب في فجر الإسلام، واشتهرت بتجارة اللؤلؤ، والمسك^(١)، وتعتبر دارين اليوم قرية من قرى القطيف غير عامرة بعد أن كانت مدينة؛ حيث هجرها أكثر سكّانها لضعف تجارة اللؤلؤ، ولعدم صلاحيتها لاستقبال السفن التجارية الكبيرة، كما أنها أهملت بعد اكتشاف البترول، وإنشاء مدينة الدمام.



• الإحساء: (٢)

تقع مدينة الإحساء على مرحلة من الساحل، وتبعد عن هجر ميلين في جنوب غربي القطيف، ولها سوق خاص بها، قال المقدسي: إنها قصبه هجر، وتسمى: البحرين، وهي كبيرة، وكثيرة النخيل عامرة أهلة، معدين الحرّ، والقحط^(٣)، وتشتهر الإحساء بمياهها الكثيرة، وعيونها العديدة الدافئة والحارة، وقد وصفها (ناصر خسرو)^(٤) حيث كان فيها

(١) البكري: معجم ما استعجم (ص ٥٠٤).

(٢) الأَحْسَاء: بفتح الألف وإسكان الحاء وفتح السين المهملة، وبالنطق المحلي (الحسا) تعني الأرض الرملية التي يوجد تحتها طبقة سُفلى من صخر صلد تمسك بماء المطر لوقت طويل، وهذا الماء يمكن الوصول إليه واستخراجه بسهولة، والحفرة من هذا النوع تُسمى حسي، وكثيرة الأحسية في هذا الموقع عرفت المنطقة بالأحساء. يُكتب الاسم عادةً في اللغة العربية «الأحساء» وفي حالات قليلة يُكتب «الحسا». وقليلًا ما يُنطق الأحساء بين سكّانها، ويُطلق على ساكن الواحة اسم «حساوي» وجمعها «حساويّة».

(٣) المقدسي: أحسن التقاسيم (ص ٩٣ - ٩٤).

(٤) ناصر خسرو القبادياني المروزي (٣٩٤-٤٥٣هـ) رحالة وشاعر فارسي، علي المذهب الشيعي الإسماعيلي وعمل داعيًا له. له كتاب الأسفار أو السفرنامه، الذي دَوّن فيه أخبار أسفاره في أرجاء العالم الإسلامي، وامتاز بوصف دقيق لبيت المقدس ووصف نادر لأحوال وسط الجزيرة العربية وشرقها أيام القرامطة والأخضرين في القرن الخامس الهجري (الحادي عشر الميلادي). الكتاب باللغة الفارسية ويتمتع بقدر من الشعبية في إيران، إلا أنه مترجم أيضًا إلى العربية. زكي محمد حسين الرحالة المسلمون في العصور الوسطى. ص. ٤٥.

عام (٤٤٣هـ) بأنها: مدينة تحيطها صحراء واسعة، وهي مدينة سوداء أيضًا، بها قلعة، وتحيط بها أربعة أسوارٍ قريبة متعاقبة من اللين المُحْكَم البناء بين كل اثنين منها ما يقرب من فرسخٍ، وفيها عيون ماءٍ عظيمة تكفي لإدارة خمس أسواق، ويستهلك كل هذا الماء داخل المدينة، وفي وسط القلعة مدينة جميلة بها كل وسائل الحياة التي في المدن الكبيرة، وليس فيها مسجد جمعة، ولا تقام بها صلاة، أو خطبة، وفيها كثير من التمر، ويستعملونه علفًا للحيوانات^(١).

وفي عهد القرامطة أعاد القرمطي (أبو طاهر الحسن بن أبي سعيد الجنابي)^(٢) عام (٣١٤هـ) تأسيس مدينة الإحساء، حتى أصبحت عاصمةً للبحرين آنذاك بعد خراب هجر العاصمة القديمة، وأطلق على المدينة الجديدة اسم (المؤمنية)، لكن المدينة القديمة وإقليمها ظلَّا يُعرفان باسمهما الأول: (الإحساء)^(٣).

والإحساء اليوم على الساحل الغربي للخليج العربي حتى حدود قطر جنوبًا، ومن الغرب منها الصمان، وشمالها الكويت، وتشتهر بمياهها، وعيونها العديدة الدافئة والحارة، وأشهرها: (عين نجم، وأم سبع)، وتنتج هذه المنطقة محاصيل زراعية متنوعة، وأشهرها التمر^(٤).

• جواثا:^(٥)

مدينة لعبت دورًا كبيرًا في الحروب الإسلامية في فجر الإسلام، وخاصة حرب المرتدين بها (حصن جواثا) قد وصفه البلاذري بأنه، "حصن البحرين"^(١)، وجواثا اليوم تقع شرق قرية الكلابية الحالية، وطغث الرمال على أكثر آثارها^(٢).

(١) ناصر خسرو: سفرنامه، (ص ٩٢-٩٤).

(٢) المجرم لعنه الله هو سليمان بن الحسن بن بهرام الجنابي الهجري، أبو طاهر القرمطي، نسبته إلى «جنابة» من بلاد فارس. اشتهر بغارة شنّها على مكة يوم التروية سنة ٣١٧ هـ والناس محرمون، ونهب أموال الحجاج وقتل منهم الكثير، قيل بلغ قتلاه في مكة نحو ثلاثين ألفا. وكان يصيح على عتبة الكعبة: أنا بالله، وبالله أنا يخلق الخلق، وأفنيهم أنا (٣) ياقوت: معجم البلدان، (١/١٤٨).

(٤) وهبة: جزيرة العرب في القرن العشرين، (ص ٦٨-٦٩).

(٥) جواثا، مدينة السعودية في محافظة الأحساء شرق المملكة على بُعد ١٧ كم من الجهة الشمالية الشرقية لمدينة الهفوف، فقد أسست مدينة جواثا الجديدة في ١١ فبراير ٢٠١٤، تضم مدينة جواثا ثلاث بلدات رئيسية وهي الكلابية والمقدم والحليلة، يحظى مسجد جواثا التاريخي بالأحساء بأهمية خاصة لكونه ثاني مسجد صليت فيه صلاة الجمعة في الإسلام بعد مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم. ويقع المسجد على بعد نحو ٢٠ كلم باتجاه الشمال الشرقي لمدينة الهفوف، وقد بني هذا المسجد أول مرة في عهد الرسول محمد صلى الله عليه وسلم، حيث قام ببنائه (بنو عبد قيس) الذين كانوا يسكنون الأحساء آنذاك. ولا تزال قواعد هذا المسجد قائمة إلى وقتنا الحالي.



مسجد جواثا ثاني مسجد صليت فيه صلاة الجمعة في الإسلام بعد مسجد الرسول ﷺ

• الخط:

من مدن الخليج القديمة، وتختلف الروايات في تحديد الخط، فقد وصفها ثعلب بأنها: جزيرة بالبحرين^(٣)، كما وصفها ابن السكيت بأنها: فرضة^(٤)، ووصفها البكري بأنها: قرية^(٥).

ويذكر في مكان آخر أن (الخط) ما بين عمان والبحرين، ٦ ويذكر ابن دريد أنها: سيف البحرين، وعمان^(٧)، ويذكر ابن الأعرابي أن جواثا مدينة الخط^(٨)، كما يذكر الأزهرى أنه يطلق على المنطقة الساحلية في البحرين الخط، ويعتبر من قُراه القطيف، والعقير،

(١) البلاذري: فتوح البلدان، (١ / ص ١٠١) .

(٢) الأحساني: تحفة المستفيد، (١ / ص ١١) .

(٣) ثعلب: شرح ديوان زهير بن أبي سلمى، (ص ١١٥) .

(٤) ديوان الحطيئة (ص ٣٠٤) .

(٥) ابن حزم: جمهرة أنساب العرب، (ص ٨٢)، وأيضًا ديوان الهذليين، (٢ / ص ٤٢٨ - ٤٢٩) .

(٦) ديوان الهذليين: (٢ / ص ٦٦) .

(٧) ابن دريد: جمهرة اللغة (١ / ص ٦٧) .

(٨) ياقوت: معجم البلدان، (٢ / ص ١٣٦) .

وقطر^(١)، ويذكر ابن الأنباري أن الخط يطلق على ساحل البحرين^(٢)، كما يذكر ابن خلدون أن الخط بجانب دارين^(٣).

والراجح من بين هذه الأقوال العديدة أن الخط ميناء على الخليج العربي تمر به السفن الآتية من الهند، حيث تنسب الرماح الخطية إلى مدينة الخط، التي يجلب قناها من الهند بحرًا، ثم تقوم فيها، ثم تباع في بقية أنحاء الجزيرة، وكانت هذه الرماح من أسلحة العرب المشهورة التي يُضرب المثل بها، ويبدو أنها كانت عند ظهور الإسلام وحدة إدارية^(٤)، حيث كان يسكنها الزط، والسيابجة الذين انضموا إلى المرتدين في البحرين عام (١١هـ)^(٥)، ولقد لجأ إليها فلول المنهزمين من جواثا، ثم فتحها العلاء بن الحضرمي^(٦)، سنة (٦٧هـ)، وجّه (نجدة بن عامر الحنفي)^(٧) قوة من الخوارج إلى الخط، فظفروا بسكانها^(٨)، وبعد هذه الحادثة يختفي ذكر الخط مما قد يدلّ على فقدان أهميتها، وفي حدود الخط تقع (البيضاء)، وهي شرقي تاج، وتتصل بوادي الستار، وفيها نخيل كثير، ومياه جوفية عذبة، وحصون مبنية من الحجارة، وتسمى اليوم: (بيضاء الخط) وهي قرب الجبيل^(٩).

• الظهران: (١٠٠)

ذكرها المسعودي بأنها من مدن البحرين، وفي رواية أخرى أنها أراه (قرية)^(١١)، وهي اليوم غرب مدينة الخبر الساحلية، والمركز الرئيس للبتروك.

(١) ياقوت: المصدر السابق، (٢/٤٥٣ - ٤٥٤).

(٢) البكري: معجم ما استعجم، (ص٥٠٣).

(٣) ابن خلدون: العبر وديوان المبتدأ والخبر، (٤/١٩٧ - ١٩٨).

(٤) انظر الإدارة الإسلامية للخليج في فجر الإسلام.

(٥) الطبري: الرسل والملوك (٣/٣٠٤).

(٦) البلاذري: فتوح البلدان، (ص١٥٢).

(٧) نجدة بن عامر الحنفي هو أحد قادة الخوارج في عهد الدولة الأموية، ولد عام ٣٦ هـ، وبويع في سنة ٦٦ هـ. استولى على اليمامة، والبحرين بعد حروب طويلة وامتد نفوذه حتى اليمن، واتخذ من القطيف قاعدة له. أرسل لهم عبد الملك بن مروان جيشاً قضى عليهم عام ٧٣ هـ.

(٨) الاحساني: تحفة المستفيد (١/١٠١).

(٩) ينظر فصل الخوارج.

(١٠) قال محمد بن خليفة النهاني في كتابه (التحفة النبهانية) "ظهران كسحبان، ساحل الحساء، وكانت قصبته قديماً مشهورة بصنع الثياب الظهرانية المنسوبة إليها".

(١١) الدباغ: جزيرة العرب، (١/١٩٠).

ولا تزال هذه المدن - كما كانت قديمًا - من أشهر مدن ومواني الساحل الغربي للخليج العربي تتفوق على ساحله الشرقي، حيث زادت شهرة هذه المدن التجارية بما قام به عرب شرق الجزيرة العربية من دورٍ مهمٍّ في تاريخ الخليج بعد ظهور الإسلام.

أما عن قرى الساحل الغربي للخليج منذ فجر الإسلام فتذكر المصادر عددًا كبيرًا منها في غرب الخليج، وشرقه دون تحديد بعضها، وأكثرها اندثر وزال ومنها:

- قرية شط بني جذيمة: وهي قرية ساحلية بين عمان، وقطر^(١).
- السنجة: تقع بين عمان والإحساء، وهي منزل الطريق من عمان إلى البصرة^(٢).
- قرى بني محارب بن عبد القيس: ذكرها ابن الفقيه دون أن يحدّد موضعها منها: الرجرجة^(٣)، المطلع^(٤)، الطريال^(٥)، المرزي^(٦)، ذور النار^(٧)، العرجة^(٨)، الذرائب^(٩)، الخرصان^(١٠).

وهناك قرى كثيرة ل(بني عامر بن عبد القيس)، ذكر ياقوت منها دون أن يحدّد مواضعها، وهي: الديرية^(١١)، وأوجار^(١٢)، والصادر^(١٣)، والردم^(١٤)، والجار^(١٥)، والرملة^(١٦)، والفرضة^(١٧)، كما يذكر ياقوت أيضًا قرى ل(بني تميم) منها: السليب^(١)، وهناك قرى أخرى

(١) المسعودي: مروج الذهب (١/ ١١٠).

(٢) قدامة: الخراج، (ص ١٩٣)

(٣) ابن الفقيه: مختصر كتاب البلدان (ص ٣١).

(٤) ابن الفقيه: نفس المصدر والصفحة.

(٥) ياقوت: نفس المصدر (٢٠/ ٥٢٥).

(٦) ابن الفقيه: البلدان (ص ٣١).

(٧) ابن الفقيه: نفس المصدر (ص ٣١).

(٨) ابن الفقيه: نفس المصدر (ص ٣٠).

(٩) ابن الفقيه: نفس المصدر (ص ٣٠).

(١٠) ياقوت: معجم البلدان، (٢/ ٥٤٨).

(١١) ياقوت: نفس المصدر (١/ ٣٩٧).

(١٢) ياقوت: نفس المصدر (٣/ ٣٦٠).

(١٣) ياقوت: نفس المصدر، (٢/ ٧٧٤).

(١٤) ياقوت: نفس المصدر، (٢/ ٧).

(١٥) معجم البلدان، لياقوت الحموي، (٢/ ٩٢)، وبعدها.

(١٦) ياقوت: معجم البلدان، (٢/ ٨١٨).

(١٧) ياقوت: نفس المصدر، (٣/ ٨٧٦).

أخرى نذكر منها: قرية بيرين، وهي قرية كثيرة النخيل، والعيون بها حصون، وسباخ، وتقع جنوب الإحساء، وهي في الجنوب الشرقي من اليمامة بينهما مسيرة ثلاثة أيام^(١)، ويبدو أن جبرين (بيرين) كانت وحدة إدارية، ويذكرها المسعودي بأنها: كانت من أطيب بلاد الله، وأكثرها أصلاً، وعمائر، ونخلاً، فلا أنيس بها إلى هذا الوقت^(٢).

وبيرين (جبرين) اليوم هي: الواحة الواقعة في الجنوب الغربي في الإحساء، وفيها مياه، ونخيل كثيرة، وتبلغ مساحتها (٧٥٠٠) فدان، ومعدل ارتفاعها (٧٢٠)، قدمًا فوق سطح البحر^(٣).

-
- (١) ياقوت: نفس المصدر، (١١٧ / ٣) .
 - (٢) ياقوت: نفس المصدر، (١٠٠٥ / ٤٠) .
 - (٣) أبو الفداء، تقويم البلدان (ص ٨٥) .
 - (٤) الديباغ، جزيرة العرب، (١ / ١٨٠) .



القارة: قرية من قرى الإحساء منذ فجر الإسلام، ولا تزال عامرة في الشمال الشرقي من الهفوف^(١)، وتقوم فيها سوق عامة لأهل الإحساء يوم الأحد من كل أسبوع، وأهلها فلاحون، وسميت القارة نسبة إلى (جبل القارة) الذي يعتبر مصيفاً لأهل المنطقة لبرودة الطقس فيه صيِّفت.

الصفاء: قرية بمثابة حصنٍ قرب المشقر، وكانت قصبة هجر، وهي اليوم قصبة المبرز في الإحساء^(٢)

(١) الدباغ، نفس المصدر، (١ / ١٨٩) .

(٢) ياقوت، معجم البلدان، (٣ / ٣٩٨) .

واديان الساحل الغربي للخليج العربي: (١)

أما واديان الساحل الغربي للخليج العربي فأهمها في تلك الفترة: (وادي الستار): ويعرف بستار البحرين^(٢)، وفيه أكثر من مائة قرية، ويتكون من واديين غربي الإحساء^(٣)، وهو صالح للزراعة، ويتصل به (وادي مالع)^(٤).

وادي فروق: الذي يقع في الشمال الغربي من هجر^(٥)، وشرق الصمان، وقد حدث فيه أحد أيام العرب، وكان لبني عبس على سعد بن زيد منا بن تميم^(٦)، وهو اليوم أحد أودية الإحساء.

وادي السيدان: يقع قرب كاظمة^(٧)، قرب جبل الرحا،^(٨) ويسمى اليوم (السادة)، وهو جزء من أرض الكويت، ومياه هذا الوادي دائمة، وعليها قباب مبنية، وآبارها عميقة.



- (١) الوادي هو حوض أو منخفض طبيعي على سطح الأرض . تمتد الأودية بين السهول والهضاب والجبال. وتسيل الأنهار والسيول التي تتدفق في الأودية، تدريجياً من الأراضي الداخلية إلى المحيط. وتمتاز أراضي الأودية بخصوبتها، مما يجعلها صالحة للزراعة. الموسوعة العربية العالمية، الطبعة الثانية، ج. ٢٧، ص. ٩
- (٢) الهمداني: صفة جزيرة العرب، (ص ١٣٦) .
- (٣) لغدة؛ الحسن بن محمد الأصبهاني : بلاد العرب ٣٨٦ هامش، وفي هامش (ص ٣٤٥) يقع غرب الجبيل .
- (٤) لغدة؛ الحسن بن محمد الأصبهاني : المصدر نفسه (ص ٣٨٦) هامش .
- (٥) البكري: معجم ما استعجم ١٠٢٤، وفي ياقوت، (٣/ ٨٨٧) .
- (٦) النقائص جريير والفرزدق: ٤٨٢/١ انظر البكري معجم ما استعجم (ص ٧٧١) .
- (٧) الاصطرخي، مسالك الممالك، ص ٣٢، وابن حوقل: صورة الأرض، (ص ٢٣) .
- (٨) جبل الرحا: يقع بين كاظمة و السيدان عن يمين الطريق من اليمامة إلى البصرة الاستاذ عبدالله الشايع عن الرحا يقول : انه جبل متطامن مستطيل من الشمال الى الجنوب بمحاذته من الشمال قاره منفردة ترها من البعد على شاكله الرحا ولعل التسميه الجديده لرحا اخذت منها وان جبل الرحا كان يسمى قديماً(ذو طولح)

وبجانب هذه الوديان التي تتجمع فيها مياه الأمطار توجد بعض الجداول الصغيرة التي تستمد مياهها من العيون، كما يعتمد السكان عليها بالإضافة إلى المياه الجوفية القريبة من سطح الأرض، كما توجد هناك مياه متجمعة بالوديان من الأمطار^(١)، وأشهر هذه العيون، والنهيرات بالمنطق:

العيون والآبار والنهيرات:

عين محلم^(٢): وتقع عين محلم في هجر، ووصفها الأزهرى، فقال: «وبالبحرين نهر يتخلج من عين محلم يُقال له: الصفا، مقصور»^(٣)، وهي عين فؤارة، وماؤها حار في منبعه، وإذا برد فهو ماء عذب يجري في نهيرات تسقي نخيل جواثا، وعملج، وقريات من هجر.



عين هجر: ورد ذكرها في أخبار ما قبل الإسلام، وقد نزلت عليها تنوخ، وذلك قبل خروجهم من شرق الجزيرة إلى العراق، والشام^(٤).

(١) الأزهرى: مصدر سبق ذكره ، (١٠٨/٥) .

(٢) عين أم سبعة أو عين مُحلم نبع مائي عذب، يقدر دققها بعشرين الف جالون في الدقيقة، تقع في شمال مدينة المبرز بالقرب من قرية القرين بمحافظة الأحساء شرق السعودية. وهي أحد المواقع التي يقصدها السكان والزوار من الخليج العربي في محافظة الأحساء للأغراض السياحية والعلاجية، ومن أهم مصادر المياه فيها. تصل مساحة العين إلى ١٢٠٠ م^٢، وتبلغ حرارة مياهها في الوسط ١٠٤ درجة مئوية، وعند الأطراف تصل إلى ١٠١ درجة مئوية. راجع "عيون الأحساء" تروي القلوب طيبة ووفاء". جريدة الرياض.

(٣) «تهذيب اللغة» للأزهرى، (١٢/١٧٥).

(٤) ابن دريد: الاشتقاق ٥٤٢/٢ تنوخ قبائل تحالفت بعد تصدع سد مأرب

عين الزارة: تقع في مدينة (الزارة)، وهي من العيون المشهورة يعتمد عليها السكان في حياتهم، وقد قام العلاء بن عبد الله الحضرمي بسدها مؤقتًا عام (١٣) هجرية عندما حاصر الزارة، فلما صالحوه أعاد فتحها^(١)، لكنها جفّت فلم يُعد لها أثر اليوم.



عين الزارة محاطة بالبناء

عين جواثا:^(٢) وهي عين غزيرة بمدينة جواثا لم يبقَ منها سوى فوهتها التي تقع وسط جواثا، وهي مليئة بالماء العذب، وكان مجراها يتجه غربًا، ويسقي الأراضي الواقعة في الجهة الغربية من المدينة مما يدل على وجود آثار في تلك الجهة للزراعة والغرس، وقد أقيم على جواثا قبة^(٣) بقي منها الآن ما يشبه نصف دائرة.

أما عن نهيرات المنطقة فنذكر منها: نهري السرى والصفاء، وهما نهيران صغيران يسقيان قرى هجر^(٤)، وقد عُفِيَا، ولم يُعد لهما الآن وجودٌ، وتذكر لنا المصادِرُ نهر العين، وهو يجري بين الصفاء والمشقر^(٥).

(١) البلاذري: فتوح البلدان، (١ / ١٠٣).

(٢) عين جواثا تعد من أهم المناطق الأثرية المتواجدة في مدينة جواثا بالأحساء. وهي عين غزيرة مليئة بالماء العذب.

يطلق عليها أهل جواثا اسم عين الجثي والبعض الآخر يسميها عين أبي هريرة

(٣) الأحساني: تحفة المستفيد، (١ / ١١).

(٤) الأزهرى: تهذيب اللغة، (١٢ / ٢٤٩).

(٥) وهو قرب للهاية بينه وبين الوريصة ليلة وقد وصفه الأصمعي بأنه " ماء عليه قباب مبنية وهذا الماء له

أفواه كثيرة وفيه تجار وهو قرية وقباب مبنية وفيه شجيرات من أثل وصدر وحصن يسمى اليوم قرية



"النهر السري"

أما الآبار فهي كثيرة منها: بئر طويلع في شمال شرق الصمان بين هجر والبصرة^(١)، وبئر النقيرة، وهو بئر معروفة ماؤها رواء بين ثاج، وكاظمة، والنقيير، والنقيرة باقيات في شمال الإحساء.

أما البحيرات في المنطقة فلا تذكر لنا المصادر إلا بحيرة واحدة في الإحساء وصفها الأزهري بأنها: "تَنَوُّوا الْبَحْرَيْنِ لِأَنَّ فِي نَاحِيَةِ قُرَاهَا بُحَيْرَةً عَلَى بَابِ الْإِحْسَاءِ"^(٢)، وقرى الإحساء وهجر ماءها راكد زعاق.

مرتفعات شرق الجزيرة العربية:

تظهر في شرق الجزيرة العربية بعض المرتفعات سمّتها المصادر القديمة جبلاً نذكر منها:

١- **جبال عمان أو الجبل الأخضر**^(٣) وهي أشهر هذه الجبال وأكثرها ارتفاعاً، وتشكل الطرف الجنوبي الشرقي للجزيرة، وتمتد على مسافة (٦٠٠) كم، ويبلغ أعلى ارتفاع في هذه الجبال (قمة الجبل الأخضر-)، حوالي (٣٠٠٠) متر^(٤) عن سطح البحر، وتسير

(١) لغدة؛ الحسن بن محمد الأصبهاني: الأصفهاني: بلاد العرب، (ص ٣١٤).

(٢) قال: بينها وبين البحر الأخضر عشرة فراسخ، الأزهري: تهذيب اللغة: (٥/ ٢٧) وقد ذكرت في شعر الفرزدق: كان ديار بين أسمنة النقا وبين هذا ليل البحيرة مصحف

وتسمى الآن الأصغر آخر قرى الأحساء الشرقية، وشمال شرق الهفوف على بعد (١٢) ميلاً.

(٣) الجبل الأخضر هو جبل يقع في سلطنة عمان بولاية الجبل الأخضر بمحافظة الداخلية وهو جزء من سلسلة جبال الحجر، ويشتهر الجبل الأخضر بتنوع منتجاته الزراعية كالرمان والخوخ والمشمش والجوز والورود التي لا يمكن أن تنمو في أي مكان آخر في الخليج العربي عدا الجبل الأخضر نتيجة للطقس المتميز ويبلغ ارتفاعه حوالي ٣٠٠٠ متر (١٠ آلاف قدم) ويبعد عن العاصمة مسقط نحو ١٧٠ كيلومترا

(٤) شكري فيصل: المجتمعات الإسلامية، (ص ٩).

بموازاة الساحل، واتجاهها العام من الشمال إلى الجنوب، وتتألف من سلاسل من الجبال التي تقطعها أودية تتوغل فيها إلى الداخل، وجوانب هذه الأودية شديدة الانحدار، وتشرف عليها مناطق جبلية عالية مثل: جبل حازم، وجبل رشيد، وجبل قوة، وجبل حجاب، حيث تمتد هذه الجبال إلى مياه بوغاز هرمز.



٢- جبل الصمان: ويقع بين الإحساء، والدهناء، وقد سمي بالصمان لصلابته، وهو ذو نتوءات صلبة مرتفعة، وبه أودية وسهول وقيعان تجود جميعها بأنواع النباتات، فهي من خيرة المراعي شتاءً، ويبلغ مساحة الصمان مسيرة ثلاث ليال، ويبعد عن البصرة مسيرة تسعة أيام، ومن أشهر مناطق الصمان الصلب، وهو نتوء صخري كثير النباتات، والأعشاب ولا يزال الصلب معروفًا بهذا الاسم في جنوب الصمان، وفي شرقي الصمان يقع المعاء، وهو رمل، وخدادة، وهو واد ينبت السدر، وأخاشب الصمان، وهي تلال، وأم سالم الثماني، والجواء، والبيضة.

والصمان منطقة جافة لا توجد فيها مياه إلا ما تجمّع بعد الأمطار، وهذه المياه تتجمع على شكل دحول، ومصدرها دحل، وهو عبارة عن فجوة في الأرض تمتد على أعماق مختلفة، ومن الدحول التي ذكرتها المصادر: خريشم^(١)، ودحيل العييض، وأربكة، والسمرات، والضبي^(٢).

(١) لغدة؛ الحسن بن محمد الأصبهاني : بلاد العرب، (ص٣١٢ - ٣١٣).

(٢) الهمداني: صفة جزيرة العرب، (ص١٣٨).

والصمان اليوم مرتفع صخري يمتد موازيًا الساحل الخليج العربي الغربي، ومن أشهر مناطقه في الجنوب الصلب، وهو أعرض في ناحية الشمال عنه في الوسط، والجنوب، كما يتراوح عرض أرض الصمان ما بين (٥٠ - ٩٠)، ميلًا، كما يبلغ طولها (٢٥٠) ميلًا.



٣. **عماية:** من الجبال التي يضرب بها المثل في الثقل^(١)، ورد ذكره في شعر الفرزدق^(٢)، ووصفه البكري بأنه: ضخم^(٣) في حين وصفه ياقوت بأنه: معروف^(٤).

القارة: يقع قرب الساحل جنوب ميناء العقير، وهو اليوم من جبال الإحساء^(٥).

عطالة: جبل منيع، وشامخ ورد ذكره في شعر جرير^(٦).

لو عقلت خيل الزبير جبالنا لكان كتاج في عطالة أعصما

المقر: جبل يقع قرب كاظمة، ويهبط منه إليها في الكويت الآن^(٧).

الرحا: يقع بين كاظمة، والسيدان عن يمين الطريق من اليمامة إلى البصرة^(١)، وعند كاظمة يقع جبل صغير يسمّى: الصليب^(٢).

(١) البكري: معجم ما استعجم، (ص ٩٦٦).

(٢) بيت الفرزدق هو: لكانوا أركان من عماية منهم * منيع الذرى صعب المتظلم. ينظر: ديوان الفرزدق: (٢/ ١٨٨).

(٣) البكري، نفس المصدر، (٩٦٦).

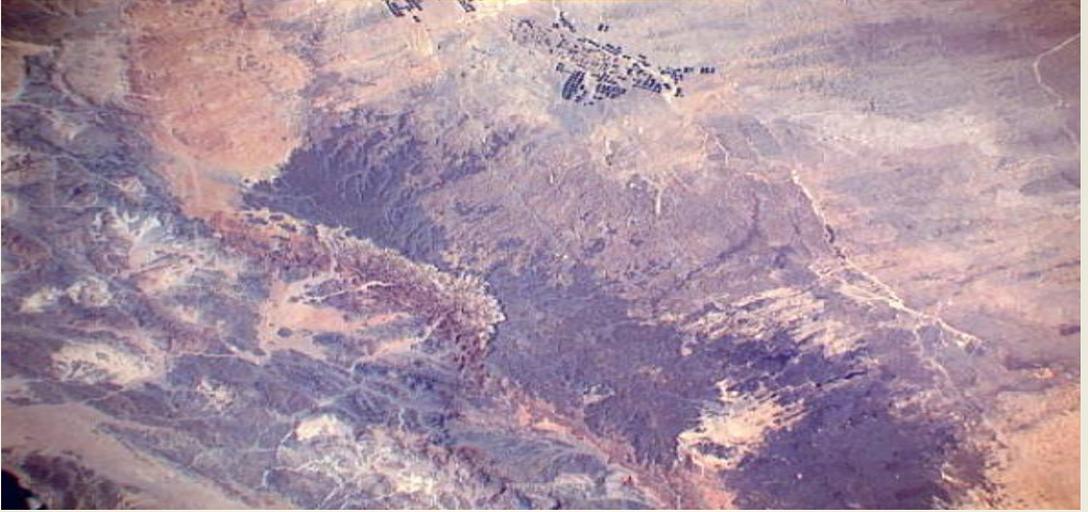
(٤) ياقوت: معجم البلدان، سبق ذكره، (٣/ ٧٢١).

(٥) ابن بليد: صحيح الأخبار عما في بلاد العرب من آثار، (٤/ ١٦٤).

(٦) ياقوت: مصدر سابق، (٤/ ١٣)، مراصد الاطلاع، (٢/ ٣٧٨-٣٧٧).

(٧) نقائض جرير والفرزدق، (٢/ ٨٥٢).

ومن الجبال الباقية حتى الآن، ومعروفة منذ فجر الإسلام (الرمانتان)، ووصفها ياقوت بأنها: موضع جنوب هجر، وهما اليوم في وسط الإحساء^(٣).



حرة الرحا

الأخوار: (٤)

يحتوي الساحل الغربي للخليج على ثلاثة أخوار غير صالحة للملاحة من أولها الجوف الكبير الكائن بين البحرين، وقطر، وفيه (مرفاً العقير)، وهذا الخليج قليل العمق كثير الصخور المرجانية، والشعاب، وليست له أهمية إلا لموقعه بين جزر البحرين، وبين الساحل الشرقي للجزيرة العربية، وكونه المرفأً القريب من هذه المقاطعة.

أما الخور الثاني فهو الكائن جنوبي (رأس تنورة)، وبين القطيف، وهو في حالته الحاضرة غير صالح لاقتراب السفن.

(١) لغدة؛ الحسن بن محمد الأصبهاني : مصدر سبق ذكره، (ص ٣٢١- ٣٢٢) .
(٢) وتسمى الآن الصليبية وتبعد عشرين ميلاً إلى الغرب عن مدينة الأحمدية وفيها ماء من الآبار يجتمع عليها البدو ويشربون منها ويروون إبلهم وماشييتهم. ياقوت معجم البلدان (٣٥ / ٤١٥) .
(٣) الاحسانى: تحفة المستفيد، (١ / ١٥) .
(٤) وفقاً لرصد "أثير"، يطلق مصطلح الخور على جميع البحيرات الساحلية المالحة وقليلة الملوحة، وتشمل كلا من البحيرات الشاطئية وبحيرات المد الشاطئية وكذلك الخلجان المحمية .

أما الخور الثالث فهو ميناء الجبيل الواقع شمال (رأس تنورة)، وهو أحسن من ميناء القطيف، ولكنه غير صالح لرسو السفن الكبيرة بالإضافة إلى ذلك يوجد خليج في الشمال غير أنه شبه مسدود بجزيرة أبي علي من جهة البحر^(١).

لقد لعبت هذه الأخوار دورًا رئيسًا في حياة السكان، وفي تاريخ هذه المنطقة من الخليج فعلى رؤوسها البارزة في مياه الخليج قامت مراكز العمران المختلفة التي استقرت فيها جماعات من الصيادين مثل: دبي، والشارقة، وعمان، وقطر، وفي مياهها الضحلة وجد هؤلاء السكان الحماية التي ينشدونها سواء من أمواج البحر العاتية، أو من غارات القبائل البدوية، ومنها شنت جموع القراصنة هجماتهم العنيفة على السفن التجارية التي كانت تجوب مياه الخليج في الفترة التي نشطت فيها أعمال القرصنة في الخليج كذلك ظهرت فيها الموانئ التجارية منذ فجر الإسلام.

وتظهر فوق الساحل كثبان واسعة من الرمال، وهي من أهم العوارض الطبيعية في شرق الجزيرة، وتتحول هذه الكثبان من مكان إلى آخر بفعل الرياح، والعواصف، وأحيانًا ما تظمر هذه الرمال منازل السكان^(٢)؛ لذا يستخدم السكان في هذه المنطقة سعف النخيل لإيقاف تقدم هذه الرمال نحوهم، فإذا لم يستطيعوا إيقافها - لشدة الرياح - تحولوا عن تلك المنازل، كما أن هذه الرمال تظمر مسالك الطرق، وتخفي معالمها تمامًا، ومن أشهر الرسائل مردًا: هجر، وهي رملة قاحلة قريبة من هجر^(٣)، ورملة البنوك التي يصفها ياقوت بأنها: "الروابي اللينة، وهي أرض جرداء بأحساء هجر".

وهناك الصحاري، ولكنها محدودة في هذا الساحل، وأشهرها صحراء بينونة، وهي بين عمان والبحرين، وقد سميت بهذا الاسم؛ لأنها وسط بينهما، وبينونة معروفة اليوم في الصحاري الواقعة بين عمان والإحساء^(٥).

- (١) فؤاد حمزة: قلب جزيرة العرب، (ص ٦).
- (٢) البكري: معجم ما استعجم، (ص ٢١٨).
- (٣) ياقوت: معجم البلدان، (٤ / ٧٤٠).
- (٤) البكري: معجم ما استعجم، (ص ٨٢).
- (٥) الاحساني: تحفة المستفيد، (١ / ١٠).



٤_ أوال (البحرين):^(١)

معنى الاسم الظاهري: (بحرين: two seas) مثنى بَحْر^(٢)، ولعل أهم تفسير لهذه التسمية أن هذه المجموعة من الجزر يحيط بها البحر من كل ناحية، وبها ينابيع مياه عذبة قرب الشاطئ تندفع متدفقة من جوف البحر، فيشهد الإنسان ملتقى "البحرين" العذب، والمالح^(٣)، ومن ثم تأخذ جزر البحرين اسمها من هذا المشهد الطبيعي، وإلى مثل هذه الظاهرة يشير القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿ وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَحْجُورًا ﴾ [سورة الفرقان: الآية ٥٣].

وكان بالبحرين أكثر من مائتي عين ماء إلا أن الخليفة (عبد الملك بن مروان) قام بردم معظمها، وذلك لخروج البحرين عدة مراتٍ عن طاعة الأمويين بقيادة الخوارج، منها:

(١) كانت أوال حضارة قديمة سكنت جزيرة البحرين . أوال كانت من أهم الحضارات القديمة حيث كانت تابعة للحضارة السومرية في بلاد ما بين النهرين. كما تشير بعض الأبحاث عن تاريخ البحرين أنها كانت على علاقة وثيقة بين الحضارة السومرية وحضارة أوال من حيث اللغة السومرية كتابةً ونطقاً وتجارة وغيره من المعاملات.

(٢) Farougy: The Bahrain Islanes P.13

(٣) وخير مثال على ذلك حتي وقتنا الحاضر بعض الينابيع في شرق الجزر ومنها أم السوالي - الدبيل أبو قلم حيث يغوص الإنسان في البحر المالح ليشرب ماء عذباً.

حركة أبي فديك من بكر بن وائل سنة (٧٢هـ)^(١)، وانفصالها عن الدولة الأموية، وكان يقصدُ بعمله هذا إخضاع شعب البحرين له بعد مضايقتهم اقتصاديًا، حيث كان اعتمادهم على الزراعة والماء عظيمًا^(٢).

أما آثار الأمويين الحسنة الباقية حتى الآن في البحرين فمنها مسجد الخميس في قرية الخميس بالبحرين، وقد أقامه (عمر بن عبد العزيز) - رضي الله عنه - سنة (١٠٠هـ).



مسجد الخميس هو أقدم مسجد بُني في البحرين:

ويمتد تاريخ البحرين عبر العصور القديمة؛ إذ تدل الحفائر على أنه كانت هناك مدينة تجارية مهمة استمرت رائدة للتجارة في مياه الخليج، والهند تدعى مدينة "دلمون"^(٣) من الألف الثالث إلى الألف الثاني قبل الميلاد^(٤)، ودلمون من الأسماء القديمة للبحرين،

(١) أبو فديك هو عبد الله بن قيس بن ثعلبة التغلبي. ثائر من الخوارج الحرورية. اتبع في البداية نافع بن الأزرق، ثم تولى إمرة الخوارج بعد مقتل نجدة الحروري عام ٦٩هـ (حوالي ٦٨٨م). وكانوا يسيطرون على البحرين، وما جاورها أيام حكم عبد الله بن الزبير (الخليفة في الحجاز).

ثار عام ٧٢هـ (حوالي ٦٩١م) في البحرين، واستولى عليها، فأرسل له خالد بن عبد الله الأموي، أمير العراق، أخاه أمية على رأس جيش لكنه هُزم، فما كان من عبد الملك بن مروان (الخليفة في الشام) إلا أن أرسل جيشاً من عشرة الآلاف مقاتل ففضى عليه بعد أن حاصروهم في المُشَقَّر وذلك في عام ٧٣هـ. د. عبد السلام الترماني، " أحداث التاريخ الإسلامي بترتيب السنين: الجزء الأول (من سنة ١هـ إلى سنة ١٣١هـ) دار طلاس، دمشق.

(٢) الريحاني: ملوك العرب، (ص ٢٢١).

(٣) دلمون هي حضارة قديمة قامت في شرق الجزيرة العربية وجزيرة البحرين في الألفية الثالثة قبل الميلاد، وعرفها السومريون بأرض الفردوس وأرض الخلود والحياة.

(٤) Belgrae: Welcome to Bahrain P. 17

والتي ذكرت لدى السومريين، فهناك أنشودة سومرية عمرها خمسة آلاف سنة بشأن دلمون أنها: (أرض القداسة)^(١).

كذلك عرفت البحرين باسم (تايلوس: Tylous) عند جغرافي الإغريق، والرومان في القرن الخامس قبل الميلاد، ويقال: إن المؤرخ الروماني (يليني) هو الذي أطلق على البحرين هذا الاسم، مشيرًا إلى لآلتها وأحجارها الكريمة^(٢).

ولقد ورد في أحد المخطوطات العربية في المتحف البريطاني^(٣)، أن البحرين هي جزيرة في صدر بحر فارس، كما أن القلزم في صدر بحر الحبشة، ويقال: إنها جزيرة في بحر مالح فوق بحر عذب، فلأجل ذلك سمي البحرين، حدثني جماعة من أهل البلاد قالوا: إذا غاص إنسان بين المائين، وشرب فشرّب ماء عذبًا فرائًا، وأعلاه ماء مالح ملحًا أجاجًا، وقال ما سمي البحرين إلا لأجل البحر، وأهلها العرب شبه البحر في كرمهم فهي بلاد تسمى البحرين بحر ماء وبحر خلق، وتسمى الجزيرة (جزيرة أوال)، وبها ثلاثمائة وستين قرية إمامية المذهب ما خلا قرية واحدة، ومأكلهم التمر والسّمك من ماء ذي رائحة، وطعم زفر، وقال آخرون: إن جزيرة أوال هي أوسط مغاص البحرين، ولا أصغر ولا أكثر مائية من لؤلؤها، وهي جزيرة في الغبة، وبر العرب وفارس مستدير حولها... كما ورد في بعض الأساطير أنها: "جنة عدن على الأرض"^(٤).

(١) الأنشودة هي: (دلمون أرض مقدسة أرض طهور، على أرض دلمون المقدسة، الطهور لا ينسب الغراب، ولا يفترس الأسد، ولا أحد يمرض، ولا أحد يشكو ألم العين، ووجع الرأس... ولا أحد يشيخ، ولا أحد يقول المرأة: تصبح عجوزًا، أو الرجل يصبح كهلاً، وبعد أن يبارك أنكي إله الماء العذب أرض دلمون بالماء العذب من الأرض... دع دلمون الأرض أنشد "دع الشمس في السماء تجلب الماء العذب من الأرض... دع دلمون تشرب تلك المياه الفياضة دع آبار دلمون تصبح عيون المياه العذبة... دع حقول دلمون تنتج القمح، والحبوب دع مدينة تصبح ميناء العالم كله). الرفاعي، الجامعة العربية، قضايا التحرر (ص ٣٩٣).

وكان مركزها قبل خمسة آلاف سنة تقريبًا في جزر البحرين وجزيرة تاروت في القطيف؛ هي جنة دلمون والسبب في هذه التسمية أنها كانت تحوي مقبرة دلمون. وقد مثلت مركزًا استراتيجيًا مهمًا؛ فهي حلقة الوصل بين بلدان الشرق، الأوسط والأندلس؛ حيث كانت في الشمال حضارة بلاد ما بين النهرين (العراق)، وفي الشرق حضارة ميلوخا في وادي السند (الهند)، وفي مصر حضارة الفراعنة.

(٢) Belgave welcome to Bahrain, p. 117

(٣) ورقة المخطوطة في المتحف ٢٥٦٠٣ وهي من تاريخ المستنصر لابن الجاور (ت ٦٩٠ هـ).

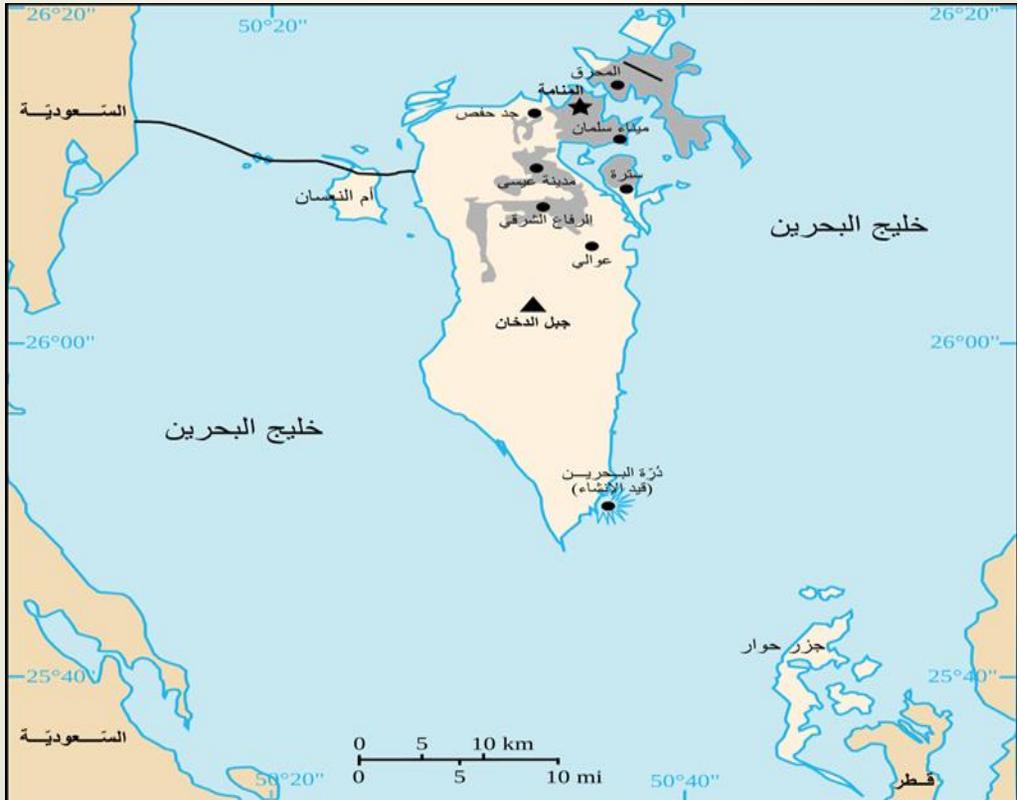
(٤) الرفاعي: الجامعة العربية، وقضايا التحرر (ص ٣٩٣)

Hay; The Persian gulf states, p. 97

جزر (البحرين): تتبع البحرين عدة جزر أشهرها:

جزيرة أوال: وهي أكبر جزر الساحل الغربي للخليج العربي، وكان ياقوت يذكر أن اسمها القديم (ترم)^(١)، على مسيرة يوم من الساحل الغربي للخليج، وكانت مأهولة بالسكان عند ظهور الإسلام، وكانت أرضها خصبة، ومياهها عذبة جوفية تنتج المحاصيل الزراعية المتنوعة، وأشهر مدنها (دلمون)، وبعض القرى مثل: الجفير، وفي الشمال الشرقي من الجزيرة.

جزيرة ستره: وتقع شرق جزيرة أوال، وتكثر فيها أشجار النخيل، كما تتوسطها هضبة مرتفعة، ويحيط بهذه الجزيرة أرخبيل من الجزر الصغيرة كان في بعضها قرى كثيرة، وكانت تابعة إلى أعمال هجر، وقد طغي الماء على معظمها، فلم يعد لها أثر اليوم^(٢).



(١) ياقوت: معجم البلدان، (١/ ١٤٤).

(٢) الأحساني: تحفة المستفيد (٢/ ١٦).

٥_ قطر:

شبه جزيرة تمتد على الساحل الغربي بين عمان والعقير نحو (١٠٠) ميل في الخليج العربي، ويبلغ عرضها نحو (٥٠) ميل من الشرق إلى الغرب، ويفصل بينها وبين شرق الجزيرة منطقة خليجية تعرف باسم (خليج سلوى)، وأما من الناحية التاريخية فإنها تعتبر قطر من أهم مناطق الخليج العربي؛ حيث تتمثل هنا أقدم الحضارات الإنسانية التي تم الكشف عنها في المنطقة حتى الآن، ولقد اهتم الباحثون الأجانب بمنطقة قطر، وقامت بعثة دنماركية في البحث عن آثار المنطقة، كما تم تحديد حوالي (٢٠٠) موقع أثري تنتمي إلى مرحلة عصور ما قبل التاريخ منها حوالي (١٣١) موقعًا تعود إلى العصر الحجري^(١)، وكانت قطر مركز نسيج البرود القطرية^(٢)، كما كانت مرز النصرانية^(٣)، وتنسب إليها القطريات وهي النجائب من الإبل، وكان بها سوق قبل الإسلام^(٤).

وقد ذكر هيرودوت "المؤرخ الإغريقي الشهير الذي عاش من سنة (٤٨٤-٤٢٥ ق. م) أن أوائل القبائل العربية التي سكنت دولة قطر هي القبائل الكنعانية التي اشتهرت بالتجارة البحرية، هذا وقد برزت قطر في العصور الإسلامية؛ كبلد بحري ساهم أبناؤه في الفتوحات الإسلامية.

ومن سكان قطر في فجر الإسلام النصارى الذين كانت لهم في قطر مطرنة، وكانوا يسمونها باللغة الأرامية (بيت قطرايا)، كما تذكر المصادر أن هذه المطرنة تمتد إلى مساحة أوسع بكثير من قطر الحالية، وكان يتبع هذه المطرنة عدد من الأسقفيات خاضعة لرئيس أساقفة فارس، ووصف الأزهري قطر بأنها: قرية في أعراض البحرين على سيف الخط بين عمان والعقير.

وكان في قطر مراكز للنسيج تنسج أقمشة دعيت باسم (المراكز القطرية)، وهي ثياب حمر لها أعلام فيها بعض الخشونة، ويدل اسمها على أنها مصنوعة في شبه جزيرة قطر.

(١) سليمان سعدون البدر: منطقة الخليج العربي (ص ١٤٣) .

(٢) ياقوت: معجم البلدان، (١/ ٨٤٤) .

(٣) عن النصرانية في قطر (انظر فصل الديانات)

(٤) ياقوت: معجم البلدان، (٤/ ١٤٦) .

تاريخ شرق الجزيرة والخليج العربي من فجر الإسلام حتى نهاية الدولة الأموية



وكانت المنسوجات القطرية أكثر منسوجات الخليج، وذكر استعمالها في زمن الرسول . **صلى الله عليه وسلم**. وبعده في الحجاز، وفي العراق، وفي سائر المنطقة، كما وصف بأنها ثياب، وأزر، وبرود، وأردية، كما كان لها صفات خاصة مميزة، وقد روي أن رسول الله - **صلى الله عليه وسلم** -^(١)، والسيدة عائشة -**رضي الله عنها**- وعمر بن الخطاب، وعلي بن أبي طالب^٢، وكذا عبد الله بن عمرو بن العاص قد لبسوا من هذه الثياب القطرية، وفي رواية للإمام الطبري عن بعض أصحاب عمر قال: (رأيت عمر ماشياً حافياً أعسر-يسراً. متلبساً رداءً قطرياً)^(٣)، وأهدى أبو العتاهية المأمون هدايا كثيرة منها: (أردية قطرية)^(٤)، وهذا دليل على ازدهار هذه المنسوجات حتى العصر العباسي.

وفي ذكر البرود القطرية قال البكري: البرود القطرية حُمِر لها أعلامٌ، فيها بعض الخشونة، وقال خالد بن جنيد: هي حُلل تعمل في مكان لا أدري أين هو، وهي جيد، وقد رأيتها، وهي حُمِر تأتي من قِبَل البحرين، وقال أبو منصور في أعراض البحرين على سيف الخط بين عمان والعقير قرية يقال لها (قطر)، وأحسب الثياب القطرية تنسب إليها، وقالوا قطري، قال جرير:

لَدَى قَطْرِيَّاتٍ إِذَا مَا تَعَوَّلَتْ بِهَا الْبَيْدُ غَاوَلْنَ الْحُزُومَ الْفَيَافِيَا^(٥)

ومما يؤكد أنه بين عمان والبحرين قول عبدة بن الطيب:

تذكر ساداتنا أهلكم وخافوا عمان وخافوا قطر^(٦).

ويروى عن عائشة أنها قالت «كان رسول الله -**صلى الله عليه وسلم**- له ثوبان عمانيان، أو قطريان فقالت له عائشة: «هذان ثوبان غليظان»^(٧)، ومن قول السيدة عائشة أن الثوبين غليظان يتبين لنا أنهما من منسوجات قطر، وأن هذين الثوبين قطريان حيث

(١) ابن حنبل: المسند (٥/ ٢٤)، (٦/ ١٤٧)، وينظر: لسان العرب، لابن منظور، (٥/ ١٠٥ - ١٠٦) .

(٢) البلاذري: أنساب الأشراف، (ج ٢ ورقة ٢٣) .

(٣) الطبري: تاريخ الرسل والملوك، (٤/ ١٩٦) .

(٤) الجاحظ: البيان والتبيين، (٣/ ١٢١) .

(٥) تهذيب اللغة، للأزهري، (٧/ ٩) .

(٦) معجم البلدان، لاقوت الحموي، (٤/ ٣٧٣) .

(٧) ابن حوقل: صورة الأرض، (٥/ ٢٤)، و(٦/ ١٤٧) .

يذكر الجوهري أن القطرية (ضرب من البرود)^(١)، كما يذكر ابن الإثير أن الثوب القطري: (ضرب من البرود فيه حمرة، وأنها أعلام، وفيها بعض الخشونة)^(٢).

كما ورد ذكر المنسوجات القطرية في الشعر العربي:

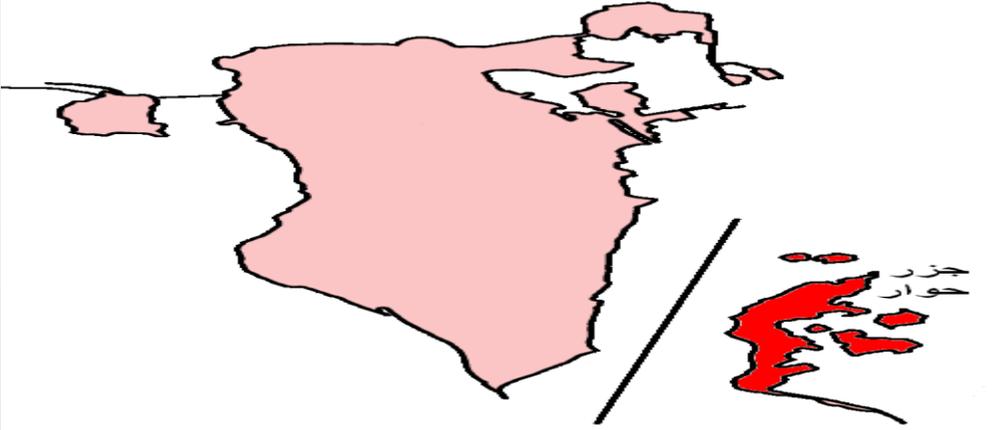
كَسَاكَ الْحَنْظَلِيُّ كِسَاءَ صُوفٍ * وَقِطْرِيًّا فَأَنْتَ بِهِ تَفِيدُ^(٣).

ومن الجزر القريبة من قطر:

جزيرة حوارين:

وتسمّى أيضًا (حوار)^(٤) وصفها البكري بأنها: من مدن المنطقة، وقد فتحها زياد بن عمر بن المنذر، ولذلك سمي: (زياد حوارين)^(٥).

وتقع حوارين اليوم بالقرب من قطر، ويمكن الوصول إليها من قطر مشيًا على الأقدام في حالة الجزر، وطولها حوالي عشرة أميال من الشمال إلى الجنوب، ولا توجد بها آبار، وإنما حوض تتجمع فيه الأمطار^(٦).



- (١) الجوهري: الصحاح (٢/ ٧٩٦).
- (٢) ابن الأثير: النهاية في غريب الحديث والأثر، (٣/ ٢٦٢).
- (٣) تهذيب اللغة، للأزهري، (٧/ ٩)، وينظر: معجم البلدان، لياقوت، (٤/ ٣٧٣)، ولسان العرب، (٥/ ١٠٦).
- (٤) ياقوت: معجم البلدان، (٢/ ٣٥٣).
- (٥) أبو الفدا: تقويم البلدان، ٨٣، ياقوت (٢/ ٣٥٤).
- (٦) لوريمر: دليل الخليج العربي، (٦/ ص ٢٩٥).

٦_ الإمارات العربية:



من أشهر مواقع الإمارات التي ذكرها المؤرخون في تلك الفترة التاريخية (رأس الخيمة)، وكانت تعرف قديمًا بـ (جلفار) حتى بداية ظهور الإسلام، فيذكر المؤرخ حميد بن محمد بن زريق (١٢٧٤هـ) في كتابه: (الشعاع الشائع باللمعان في ذكر أئمة عمان): أن الإمام الجلندي قضي شهيدًا بجلفار، ويذكر أن جلفار هي البلد التي تسميها العامة رأس الخيمة، والبعض يسميها (الصير)^(١).

(١) حميد بن محمد بن زريق: الشعاع الشائع باللمعان في ذكر أئمة عمان، (ص ٢٥).

دبا: ذكرها الطبري بأنها المصرب، والسوق العظمى، وأنها أرض كثيرٍ من الصحابة، كما قد ولد فيها (المهلب بن أبي صفرة)، ومات فيها، وتذكر المصادر بأنها: أعظم مدن الساحل العماني آنذاك، وكانت المقر الرئيس للحكام، ومقر الصحابة، وتكون دبا خليجًا يدعى بـ(خليج دبا)، ومنه بداية ساحل رؤوس الجبال، وهو اسم لمنطقة جبلية في عمان، ويكون الجزء الشمالي من رأس عمان الكبير^(١)؛ حيث كانت المركز الرئيس لجموع وعساكر المرتدين بقيادة (ذو التاج) لقيط بن مالك الأزدي (٢).

عمان:

يقع ساحل عمان فيما بين رأس الحد، وبين مدينة مسقط، وهذا الجزء من الساحل صخري متعرج، وتشرف عليه جروف صخرية قليلة الارتفاع، وأشهر جبال منطقة بحثنا هي تلك التي توجد في عمان، وتسمى: (جبال عمان)، ومن أشهرها الجبل الأخضر، والذي بلغ ارتفاعه (٨٠٠) متر^(٣).

أما الساحل الممتد من مسقط إلى دبا فإنه يعرف بساحل الباطنة، وبه أجزاء رملية منخفضة، وأجزاء صخرية مكوّنة من جروفٍ قليلة الارتفاع، يتصل هذا الساحل بساحل الإمارات، ويقصد بها الإمارات العربية المتحدة، والتي تشمل حاليًا: (أبو ظبي، ودبي، الشارقة، ورأس الخيمة)، وكانت تسمى قديمًا في صدر الإسلام (جلفار)، وأم القرين، وعجمان، والفجيرة.

أعود إلى عمان، وأقول: إن أول من لَحِقَ بعمان من العرب كان من قبيلة الأزد، وهو (مالك بن فهم بن غانم دوس بن عدنان) ثم جاءت إلى عمان قبائل كثيرة من الأزد، وقد سميت الأزد عمانيًا؛ لأن منازلهم كانت على وادٍ بمأرب يقال له: (عمان) والعجم كانت تسميها: (مزون)^(٤).

ثم تكاثرت الأزد بعمان، وقويت يدهم، واشتدت شوكتهم، وانتشروا حول المنطقة فساروا إلى البحرين، والأحساء حين نزل عمان غيرهم مثل: (أسامة بن لؤي بن غالب)

(١) لوريمر: دليل الخليج الجغرافي، (٦/ ٢٠١١).

(٢) الطبري: تاريخ الرسل والملوك (٣/ ٣١٥).

(٣) محمد متولي: حوض الخليج العربي، (ص ٤٤).

(٤) سرحان بن سعيد العماني: تاريخ عمان، (ص ٣١).

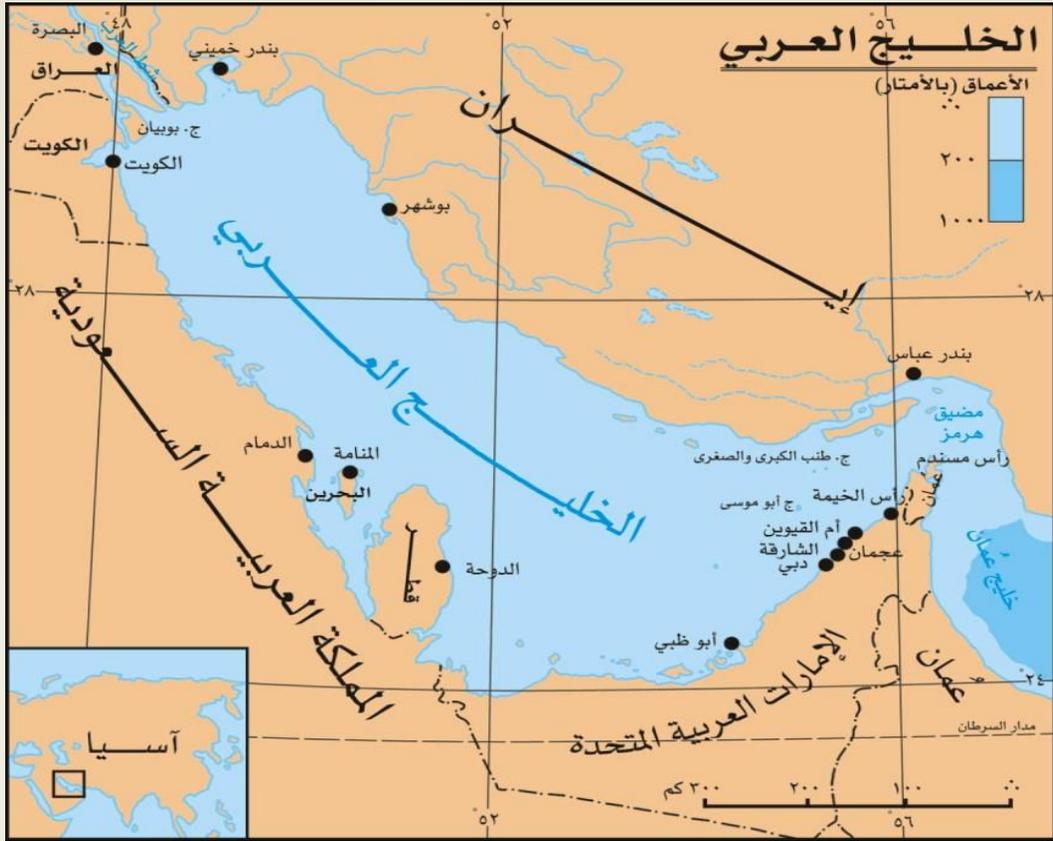
بأرض توام -وهي اليريمي الحالية-، كما نزل بعمان كذلك أناس من بني تميم، وفهيم: آل جذيمة بني خازم،^(١) ونزل أناس من بني رواحة بن قطيعة بن عبس، ودخلت عمان الإسلام، كما كان عليها وقتذاك أبناء الجلندي، وذلك سنة ثمان هجرية، حينما بعث الرسول -صلى الله عليه وسلم- كتابه إليهم^(٢).



(١) هو خازم بن خزيمة بن عبد الله بن حنظلة بن نضلة بن حريث بن مطلق بن صخر بن نهشل بن دارم بن مالك بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم بن مر النهشلي الدارمي الحنظلي التميمي يُكنى بأبي خزيمة، وقومه بنو نهشل من بني تميم من أشرف العرب، وفيه يقول الشاعر:
إذا مضى الحمراء كانت أرومتي
وقام بنصري خازم وابن خازم

(٢) ينظر: فصل ظهور الإسلام في الخليج .

ثانيًا: الساحل الشرقي للخليج:



والساحل الشرقي للخليج العربي يختلف عن الساحل الغربي اختلافاً بيئياً بكثرة التعاريج؛ لذا ظهرت فيه الرؤوس والخلجان، كما قامت به الجروف الصخرية العالية، وهي التي تصل في علوّها إلى مئات الأقدام، كونتها الأمواج البحرية، كما توجد في بعض مناطق هذا الساحل مساحات واسعة من الأراضي المنبسطة والمنخفضة، وتغطيها الرمال والمستنقعات بصورة أكثر منها على الساحل الغربي، ومن هذه المناطق ما يوجد عند مدينة (بوشهر)، ومدينة (لنجة)^(١).

(١) محمد متولي: حوض الخليج العربي، (١/ ص ٥٠).



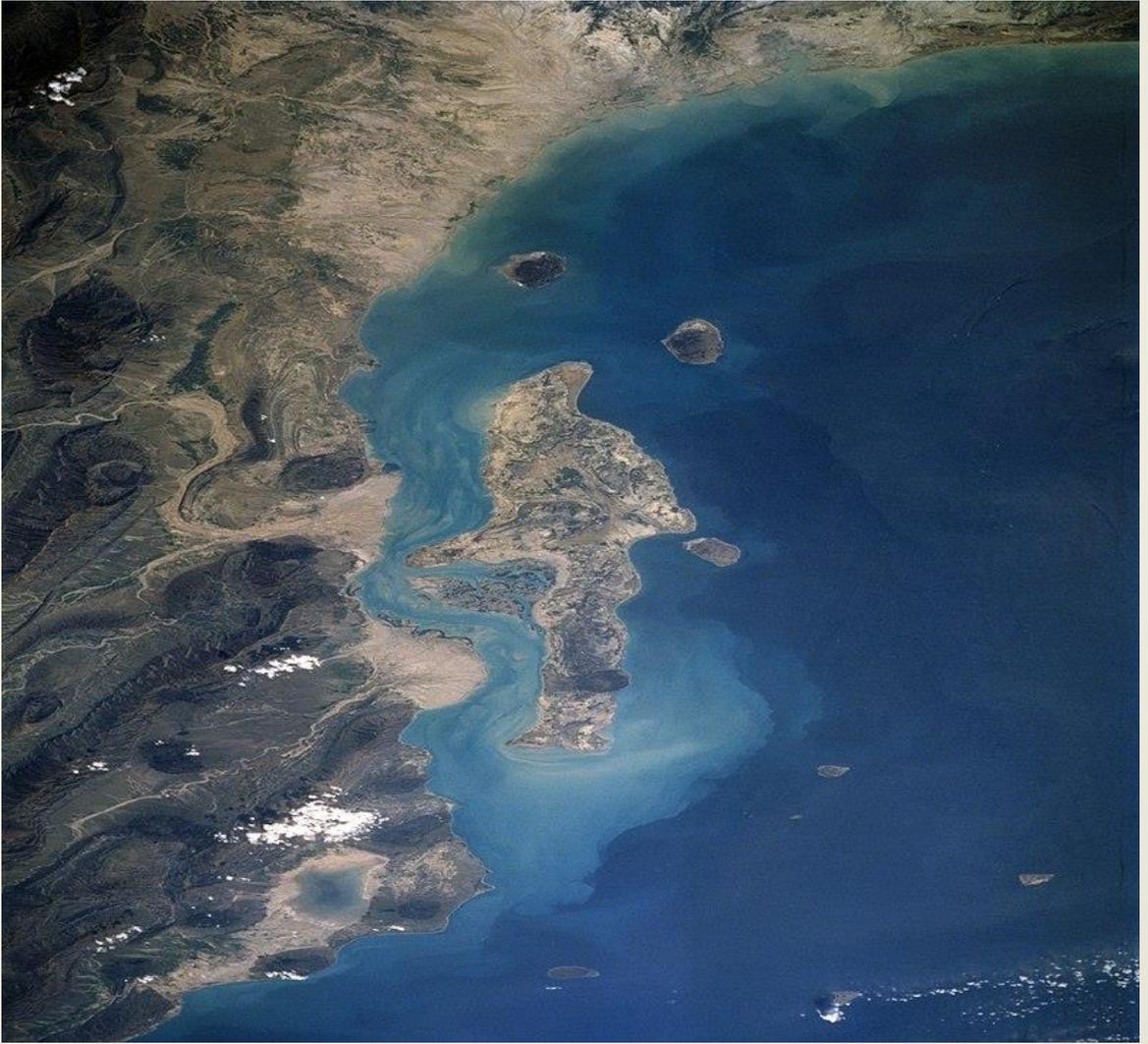
ويبدأ هذا الساحل الشرقي للخليج من رأس البهرجان في الشمال حتى جزيرتي: هرمز ولارك في الجنوب، وبمنظرة جغرافية سريعة على هذا الساحل نجده يختلف بطول امتداده من جهة إلى أخرى، فمثلاً من الرأس الشمالية حتى مدينة (أو ميناء ناباند) (حالة لابند) نجد هذا الساحل يتكون من رمالي منخفضةٍ ما عدا شمال مدينة بوشهر حيث يوجد فيه مستنقعات ، ويبلغ عرض الشاطئ فيه ما بين ١٥-٣٥ ميلاً تورع فيه أشجار النخيل بصورة محدودة ، ويضم هضبتين ساحليتين هما: بندر جلال في الشمال الغربي، وكوهي بانج في الجنوب الشرقي^(١)، ثم نجد هذا الجزء من الساحل متجهًا إلى الشمال الشرقي لمسافة (٣) ٠ ميلاً مكوناً بذلك جون الديلم، ثم ينحني في اتجاه الجنوب الشرقي إلى بند ديلم، ويستمر ٤٠ ميلاً إلى ميناء جناوة، ثم يسير الساحل إلى الجنوب الشرقي قليلاً على بعد ٣٨ ميلاً حيث أشهر موالي الساحل الشرقي هو: (ميناء أو شهر) الذي لا يزال يربط بين ساحلي الخليج العربي في حركات تجارية مستمرة، وفي الطريق من بوشهر إلى ناباند توجد مدينة أثرية هي (رشاهر)، ويعرف هذا الساحل من بوشهر إلى ناباند باسم

(١) سليمان سعدون البدر: منطقة الخليج العربي (ص ٣١) .

تانبستان، ونبانء مباء ساكانه من العرب منذ فجر الإسلام حتى يومنا هذا، وخاصة العرب الذين هاجروا من البحرين ، واستقروا بناباند للتجارة باللؤلؤ، والأغنام، والأسماك. وعلى هذا السهل الساحلي تضغط سلاسل جبال كوهي ذارانج المنحدرة نحو الساحل ، والتي تبعد عنه بضعة أمطار، وتعتبر مرعى للأغنام، ويضيق هذا السهل عند خليج ناباند؛ حيث تقع قرية: عسلوة، وقرية نخل تكي اللتين تشتهر كل منهما بزراعة البصل، والحبوب ، وتجفيف السمك الصغير (المعوم) ، ثم يلي ذلك سهل ساحلي من ناباند إلى لنجة يبلغ طوله ٤٥ ميلاً، ويسير في اتجاه (الموتام)، وقد أقام بهذه المدينة بعد هجرة العرب من العراق عند دخول هولاءكو بغداد رجل من أهل البيت التف الناس حوله؛ لتقواه، وورعه، ثم مات، ودفن بها، وأطلق عليها المقام نسبة إلى إقامة قبره بها، وتسكنها بعض القبائل العربية التي تعمل بالتجارة، والصيد، ثم مدن أخرى أقيمت مثل: (جارك = شارك)، و(موقوه = موجهو)، وأمام هذا السهل الساحلي تقع بعض الجزر عربية الأسماء، والسكان مثل: جزيرة الشيخ شعيب ، وجزيرة (قويص = قيس) ، وكذا هندراي.



ثم يسير الساحل الشرقي للخليج العربي من المواقم في اتجاه الشرق، والجنوب الشرقي حتى رأس قرية صغيرة تسمى: نخيلوة وبعد ذلك ينحني إلى الجنوب الشرقي مكوّنًا خليج جراك، ثم خليج موجهو حتى لنجة التي تتمتع بشاطئ رمليّ منحدر حتى بندر عباس؛ حيث يبلغ طول هذه المسافة نحو ٩٦ ميلًا، ومن أهم موانئ هذه الجزيرة: (ميناء قشم، وياسيدو) ، ويفصلها عن الساحل مضيق كلارنس، ووراء جزيرة قشم تقع جزيرة هنجام التي تتمتع بموقع استراتيجي مهم؛ لقربها من الساحل الغربي، وشرق بندر عباس تقع جزيرة هرمز البالغ طولها ستة أميال، وعرضها خمسة أميال.



الفصل الثاني:

"سكان الخليج العربي وشرق الجزيرة العربية إبان فجر الإسلام"

من أهم معالم الخليج العربي في تلك المرحلة الزمنية (عشية ظهور الإسلام) سيادة الطابع العربي على جميع سواحله، وخاصة الجهات الممتدة منها ببلاد فارس، ذلك أن أشهر القبائل اليمينية المعروفة باسم الأزد انطلقت إلى عمان، والبحرين، وعبرت الخليج زرافات ووحداناً إلى الشاطئ الشرقي (الفارسي)، كما كونت لها هناك كياناً بشرياً، واقتصادياً، وسياسياً، وبدأت قبائل "تنوخ" تنتشر على سواحل الخليج، وعلى امتداد منافذه التجارية، وبخاصة غربي نهر الفرات^(١)، ولم يُعقِّ امتداد العروبة إلى داخل أرض فارس سوى جبال زاغروس التي أصبحت تمثل الحد اللغوي بين العروبة، والبهلوية^(٢).

ولقد أسهمت العوامل الجغرافية السابقة الذكر في تكوين شخصية الخليج العربي وشرق الجزيرة، ومقومات المنطقة، وبالذات في تحديد مكانتها بين طرق التجارة، والملاحة قبل الإسلام، وحتى نهاية الدولة الأموية، يضاف إلى ذلك أن هذه المنطقة باعتبارها امتداداً لشبه الجزيرة العربية وحداً لها، خضعت للظاهرة الجغرافية التي جعلت من تلك البلاد مصدرًا دائمًا للهجرات البشرية التي تغذي ما جاورها من أرجاء.

ويرى علماء الدراسات السامية أن جوف بلاد العرب كان يزدحم على فترات معينة، يفصل الواحد منها عن الأخرى ألف سنة تقريباً، بعدد كبير من السكان يزيد عما تتحملة مواردها الاقتصادية المحدودة، وحملت هذه الظاهرة أولئك السكان على الهجرة إلى المناطق المجاورة لهم، التي تهيئ لهم أسباب العيش، والاستقرار، واتجهت جماعات عديدة من تلك الهجرات إلى بلاد الهلال الخصيب^(٣)؛ لتحظي بنصيب من خيراته، أو إلى شرق الجزيرة العربية، وعالم الخليج العربي تتجول في أرجائه، وبخاصة نحو منافذه التجارية على امتداد دجلة والفرات، وكانت البحرين نقطة تلاقي هذه الموجات البشرية^(٤)، كما كان الخليج مأهولاً بالسكان، بدليل كثرة ما فيه من القرى والعشائر، ويرجع ذلك إلى توفر المياه فيه، وخصوبة

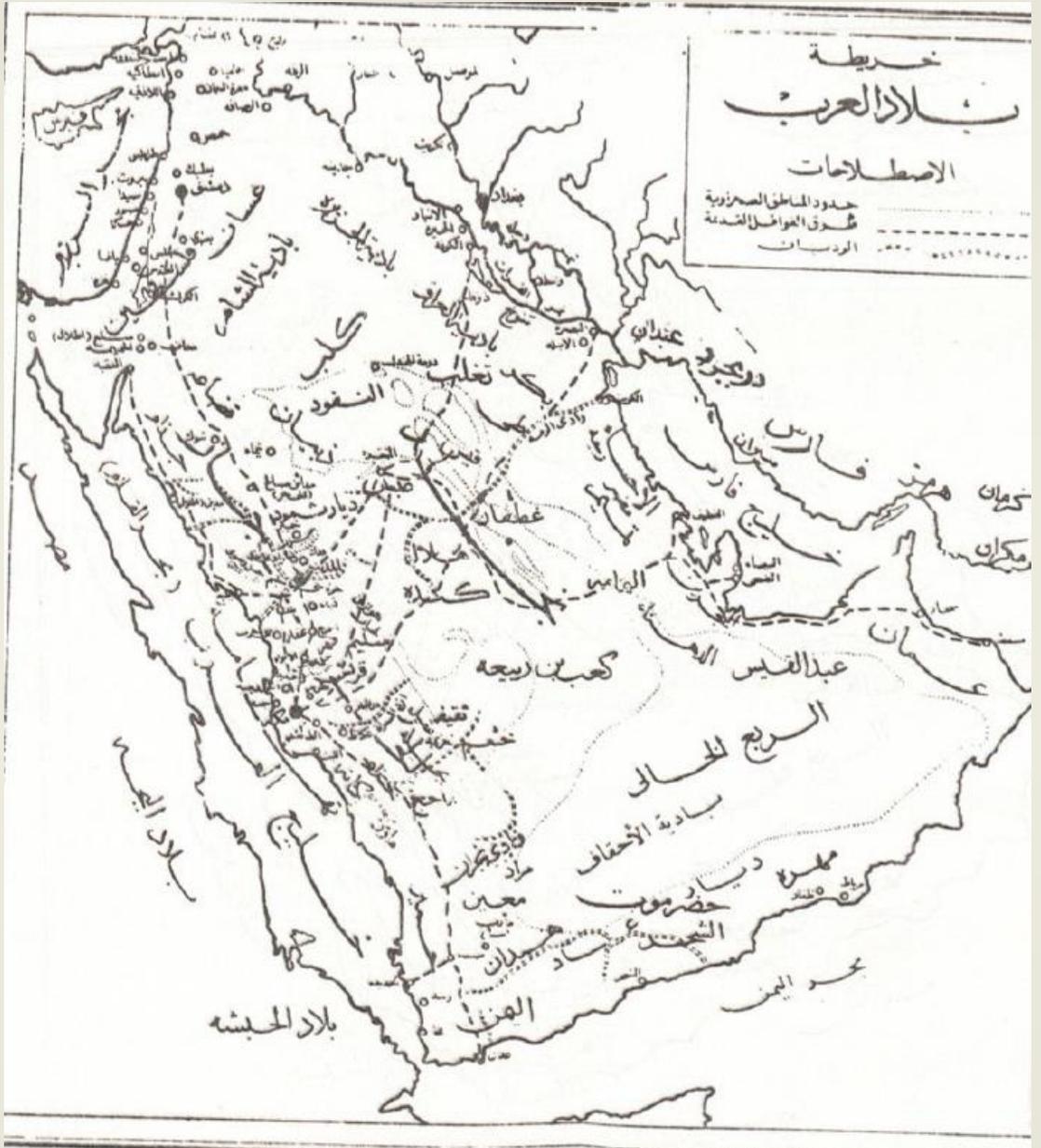
(١) د. محمد جمال الدين سرور: قيام الدولة العربية الإسلامية، (ص ٣١).

(٢) جواد علي: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام (ج ٢، ص ٦٣٣).

(٣) فيليب حتى: تاريخ العرب، مطول، (بيروت الطبعة الرابعة ١٩٦٥ ج ١) وينظر: إبراهيم العدوي، الأمويون والبيزنطيون، القاهرة ١٩٦٣، (ص ٨ - ٩).

(٤) جواد علي: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، بيروت ١٩٦٨م، (١/ ص ٣١ - ٣٢).

أرضه، وطول سواحله على البحر، وكانت في هذه المنطقة عند ظهور الإسلام كل قبائل عبد القيس^(١)، وعشائر من تميم، ومن بكر بن وائل، ومن الأزد، وطوائف أخرى.



(١) ابن حزم: جمهرة أنساب العرب، (ص ٢٩٩)، ومن عشائر عبد القيس عشيرة محارب، وظفر .

عبد القيس: (١)

من عرب الشمال جاءت عبد القيس من ربيعة إلى غرب الخليج من تهامة^(٢)، وقد تغلبت على مَنْ كان قد سَكَنَ قبلها في هذه المنطقة من إياد والأزد^(٣)، وأجلت إيادًا عنها فنزلت جذيمة بن عوف^(٤) الخط، وإفناءها، ونزلت شن بن أقصى. طرفها، وأدناه العراق، ونزلت نكرة بن لكيزة بن أقصى بن عبد القيس وسط القطيف، وما حوله، والشغار، والظهران إلى الرمل، وما بين هجر إلى قطر وبينونة، ونزلت عامر بن الحارث، والعمور، وهم بنو الدليل، ومحارب، وعجل أبناء عمرو بن وديعة بن لكيز ابن أقصى. بن عبد القيس، ومعهم عميرة بن أسد بن ربيعة حلفاء لهم نزلوا الجوف، والعيون والأحساء حذاء طرف الدهناء، كما خالطوا أهل هجر في دارهم^(٥)، أي: أنهم انتشروا في أكثر أجزاء الخليج العربي، وخاصة المناطق الساحلية منها، ونزلوا أهم مدنها .

وقد احتفظت عبد القيس بهذه المواضع حتى ظهور الإسلام^(٦)، وقد ذكرت مناطق أخرى لعبد القيس دون أن تحدّد العشائر التي تسكنها، منها: المشقر، والصفاء^(٧)، وجواثا^(٨)، ومماهيج^(٩)، ومحلم^(١٠)، وعدد آخر من القرى، كما ذكرت المصادر – أيضًا - عددًا من القرى لبني عامر بن الحارث بن أنمار بن عمرو بن وديعة بن لكيز بن أقصى^(١١)،

(١) ينتسبون إلى: عبد القيس بن أقصى بن دمي بن جديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار بن معد بن عدنان.

(٢) البكري: معجم ما استعجم ١٨، ٧٦، ٧٩ - ٨٠ .

(٣) البكري: نفس المصدر ٨٠ - ٨١، وينظر: القلقشندي: صبح الأعشى ١/٣٣٧ .

(٤) جذيمة بن عوف: من العدنانية، وهم: بنو جذيمة بن عوف بن حرب بن خزيمة بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر ابن نزار بن معد بن عدنان. (نهاية الأرب للنويري ج ٢ ص ٣٥٥).

(٥) البكري: معجم ما استعجم، ص ٨١ .

(٦) البكري: نفس المصدر، ص ٨٩ .

(٧) ياقوت: معجم البلدان ٤ / ٥٤١ .

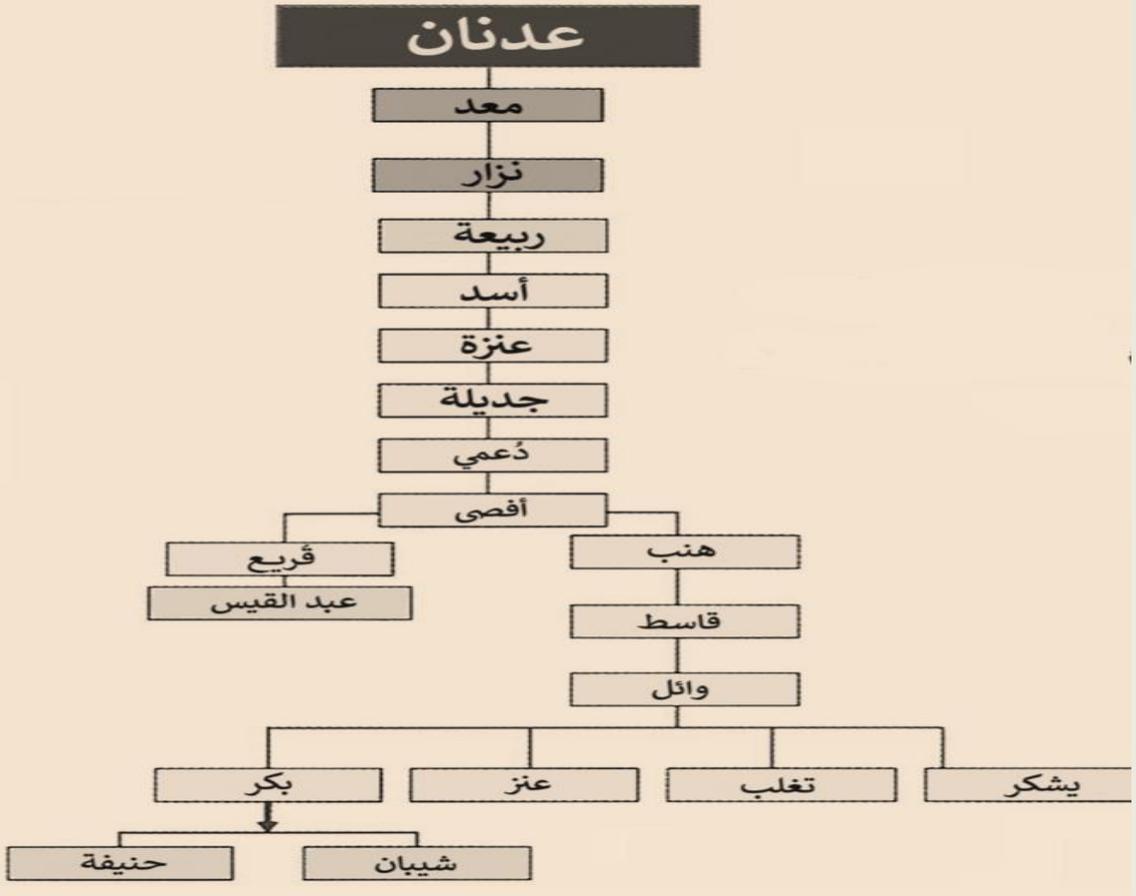
(٨) الزمخشري: الجبال والأمكنة والمياه ٣٦، وياقوت، ٢ / ١٣٦ .

(٩) البكري: معجم ما استعجم ص ٨٢ .

(١٠) ياقوت: معجم البلدان ٤ / ٤٢٨ .

(١١) ينظر: الفصل الأول من المدن والقرى .

وذكر ابن الفقيه أنها أضعاف قرى بني محارب^(١)، كما ذكر من منازلهم قطر^(٢)، وجبلة^(٣).



وذكرت المصادر لبني محارب^(٤) عددًا كبيرًا من القرى والمدن منها: هجر^(٥)، والعقير^(٦)، أما جذيمة بن عوف بن بكر بن عوف بن أنمار بن عمرو بن وديعة بن لكيز بن أقصى بن

(١) ابن الفقيه: مختصر كتاب البلدان ٣٠

(٢) البكري: معجم ما استعجم، ص ٨٨ .

(٣) ياقوت: معجم البلدان ٢٧/٢ .

(٤) محارب بن خصفه بن قيس عيلان بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان، إحدى أشهر القبائل العربية. بنو محارب قبيلة عربية قيسية مضرية. وهي قبيلة كبيرة العدد تنقسم بطونها قديما في نجد والحجاز.

(٥) الهمداني: صفة جزيرة العرب ص ١٣٦ .

(٦) الهمداني: نفس المصدر ص ٣٦ .

عبد القيس،^(١) فمن منازلها البيضاء، وتسمى باسمهم^(٢)، وأحساء خرشاف^(٣)، وقرية أفار لجماعة من كليب بن جذيمة^(٤)، وصلاصل لبني عامر بن جذيمة^(٥)، وأوال لبني مسمار بن جذيمة^(٦).

وقد حدث بعض التبديل في مواطن القبائل بعد الإسلام، فقد أصبحت القطيف من منازل جذيمة بن عبد القيس، وكانت رئاستهم في مسمار^(٧)، وشغار لبني عامر بن الحارث بن عبد القيس^{(٨)(٩)}، وصفوان لبني حفص بن عبد القيس، وكانوا بها عندما دخلها القرامطة سنة (٢٨٧هـ)^(١٠)، ولعل ذلك راجع إلى وقوع الحرب بينهم، فاضطروا إلى ترك منازلهم الأصلية إلى مناطق أخرى، وإلى هجراتهم بعد الإسلام إلى البصرة، والكوفة، والموصل.

لقد استحوذت عبد القيس على معظم الساحل الغربي للخليج العربي ولذلك عدها بعضهم لعبد القيس^(١١) وقال الأحنس بن شهاب التغلبي: (١٢)(١٣)

(١) بنو جذيمة بن عوف بن أنمار بن عمرو بن وداعة بن لكيز بن أقصى بن عبد القيس، ومنازلهم بالبيضاء بناحية الخط من البحرين (معجم قبائل العرب: ١: ١٧٦) والنسبة إليه جذمي وهم بطن كبير له فروع. ومنهم بنو عسر وبنو عامر بن جذيمة وبنو عامر بن الحارث وبنو عدي بن الحارث وبنو فريع وبنو الجارودي الذي هو الجد الأعلى لقبيلة عبوده (٢) الأزهرى: تهذيب اللغة ٨٨/١٢، لسان العرب ١٣٩/١.

(٣) ياقوت: معجم البلدان ٤٢٢/٢.

(٤) مراصد الاطلاع ٧/١، وياقوت ٦٤/١.

(٥) ياقوت: معجم البلدان، ٤١١/٣.

(٦) المسعودي: مروج الذهب ١١٠/١.

(٧) الهمداني: صفة جزيرة العرب ١٣٦، وياقوت ٤٤٣/٤، وبنو مسمار: هم بنو أبي الحسن بن علي بن مسمار بن مدحور بن صعصعة بن مالك بن عمرو بن أبي مخاشن بن معدي بن كليب بن عامر بن سعد بن ثعلبة بن جذيمة، شرح ديوان ابن مقرب نقلاً عن الأحساني: تحفة المستفيد ٢٥٦/١.

ويذكر المسعودي في التنبيه والإشراف ص ٣٣٩ - ٣٤٠ أن بني مسمار كان مركزها القطيف.

(٨) ياقوت: معجم البلدان ٣٠٤/٣ - ٣٠٥.

(٩) بنو عامر بن الحارث، ويسمون في البصرة بني النخل، ومن منازلهم في البحرين: أوجار، المريداء، الجبيلة، العقبسيين، كنوت، الفرضة، نهى، الدبيرة، شفار... (معجم قبائل العرب: ٢: ٧٠٦) ومنهم جد العيونيون عيذ بن مرة بن عامر بن الحارث بن أنمار بن عمرو بن وداعة بن لكيز بن أقصى بن عبد القيس

(١٠) المسعودي: التنبيه والإشراف ٣٩٢.

(١١) ابن الفقيه: مختصر كتاب البلدان ٢٨

(١٢) الهمداني: صفة جزيرة العرب ٢٠٤

(١٣) «توفي ٧٠ ق هـ = ٥٠٠ - نحو ٥٥٥ م) الأحنس بن شهاب بن ثمامة بن أرقم التغلبي: شاعر جاهلي، من أشرف تغلب وشجعانها. وهو صاحب القصيدة المختارة (في المفضليات) وأولها: (لابنة حطان بن عوف منازل، كما رقتش العنوان في الرق كاتب) حضر وقائع حرب البسوس. وله فيها شعر. وتوفي بعدها» «الأعلام للزركلي» (١/ ٢٧٧)

لكل أناس من معد عمارة
عروض يلجأون إليها وجانب
لكيز لها البحرين والسيف كله
وأن يأتيها بأس من الهند كارب

إن كثرة مدن وقرى عبد القيس التي ذكرتها المصادر تظهر مدى انتشارهم، ودورهم، وإن من زعمائهم المشهورين عند ظهور الإسلام: عبد الله بن عوف الأشج من بني عصر الذي تزعم وفد عبد القيس الأول إلى الرسول -صلى الله عليه وسلم- في المدينة، والجارود العبدي الذي رأسهم في الوفادة الثانية^(١)، ومن بطونهم المشهورة نكرة، وقد وصفهم المسعودي بأنهم: أهل البحرين، وفيهم العدو، والشرف^(٢).

بكر بن وائل: (٣)

بكر بن وائل أيضًا مثل عبد القيس بن ربيعة استوطنت غرب الخليج العربي، وشرق الجزيرة قبيل الإسلام، وخاصة بعد (يوم قضة)،^(٤) وهو آخر أيام حرب البسوس، وقد امتدت مساكن بكر إلى اليمامة، وكذلك إلى أطراف العراق الغربية^(٥)، ومن بطون بكر التي استوطنت الخليج العربي بنو قيس بن ثعلبة بن عكابة، وذكرت المصادر من منازلهم هجر^(٦)، والسيدان^(٧)، والشيطان^(٨)، وثاج وعباب^(٩)، وهم لم ينفردوا في سكن هذه

(١) ينظر: الوفادة في فصل دخول المنطقة الإسلام

(٢) المسعودي: التنبيه والإشراف ٣٤٠-٣٤١

(٣) هم بنو بكر بن وائل بن قاسط بن هنب بن أفصى بن دعمي بن جديلة ابن أسد بن ربيعة بن نزار بن معد بن عدنان

(٤) يَوْمٌ تَخْلَقُ اللَّيْمُ أَوْ يَوْمٌ قِضَةُ هُوَ أَحَدُ أَيَّامِ الْعَرَبِ فِي حَرْبِ الْبِسُوسِ، وَفِيهَا أَمَرَ الْحَارِثُ بْنُ عَدَّادٍ قَوْمَهُ أَنْ يَحْلُقُوا

رُؤُوسَهُمْ؛ لِيَعْرِفَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا، فَسُمِّيَ هَذَا الْيَوْمُ حَيْثُهَا يَوْمٌ تَخْلَقُ اللَّيْمُ. وَاللَّيْمُ: مَفْرَدُهَا اللَّيْمَةُ وَهِيَ مَجْتَمَعُ شَعْرِ الرَّأْسِ.

حرب البسوس هي حرب قامت بين قبيلة تغلب بن وائل وأحلافها ضد بني شيبان وأحلافها من قبيلة بكر بن وائل بعد قتل

جساس بن مرة الشيباني البكري لكليب بن ربيعة التغلبي ثارا لخالته البسوس بنت منقذ وهي من قبيلة بني تميم بعد أن قتل

كليب ناقة كانت لجارها سعد بن شمس الجرهمي، ويذكر المكثرون من رواة العرب أن هذه الحرب استمرت أربعين عاما من

سنة ٤٩٤م، ويذكر المقلولون أنها استمرت بضعة وعشرين سنة. أيام العرب في الجاهلية محمد جاد المولى ص ١٤٢

(٥) البكري: معجم ما استعجم ٨٥-٨٦ ذكر الهمداني ديار بكر من اليمامة إلى البحرين إلى سيف كاظمة إلى

البحر، فأطراف سواد العراق فالأبلة (صفة جزيرة العرب ص ١٦٩)

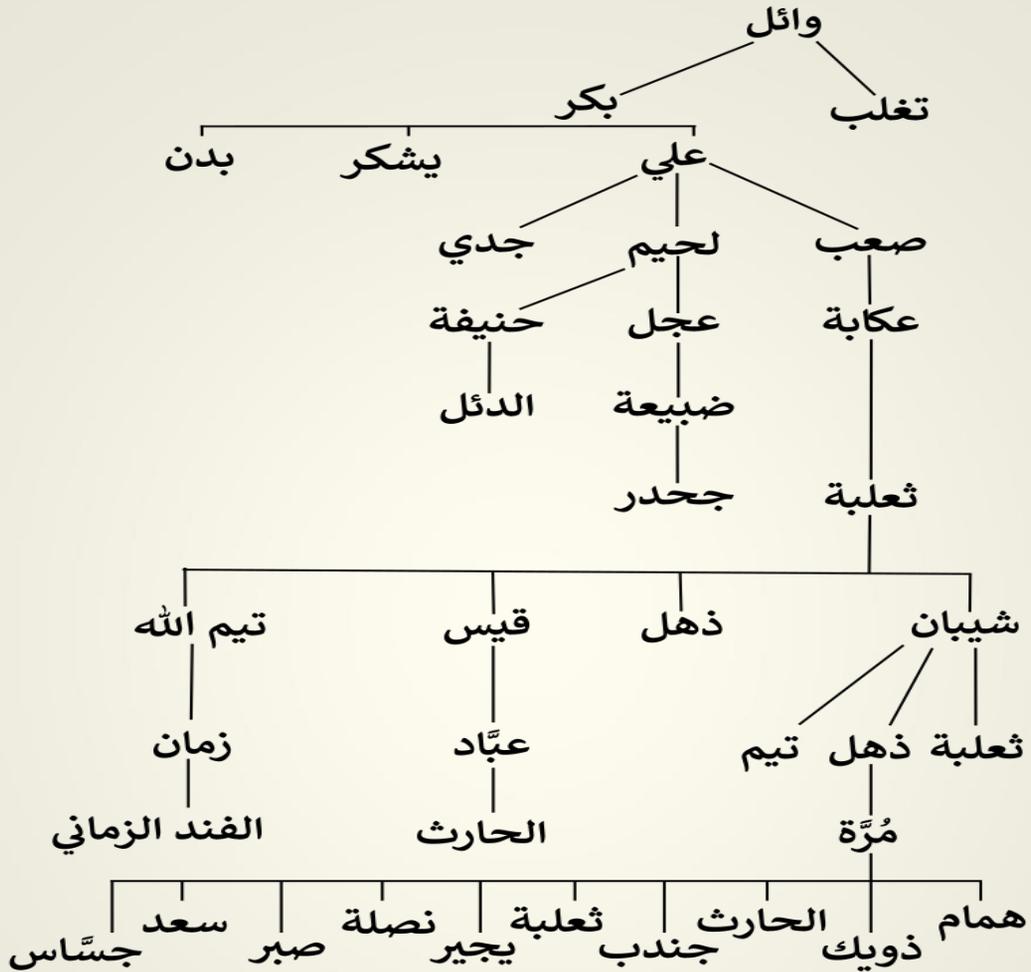
(٦) البلاذري: فتوح البلدان، ج ١، ص ١٠١

(٧) أبو عبيدة: نقانض جرير والفرزدق، ٤٨٢/١

(٨) نفس المصدر، ١٠٢٠/٢-١٠٢٣

(٩) نفس المصدر، ١٣٠/١

الأماكن، وقد حدث تبدل طفيف في مواطن قيس بن ثعلبة بعد الإسلام، فقد أصبحت
ثاج من منازل بني سعد بن زيد مناه تميم التي انتزعوها منهم^(١).



لم تنضم بكر إلى الإسلام في زمن الرسول -صلى الله عليه وسلم- ولم توفد إليه وفوداً،
وقد سعى شريح بن ضبيعة الملقب بالحطم إلى السيطرة السياسية، وتطلب منه ذلك أن
يحارب العشائر التي انضمت إلى الإسلام؛ فكان موقفه لذلك معادياً للإسلام، كما اعتبر

(١) ياقوت: معجم البلدان، ٨١١/٢

من المرتدين ١، لقد استطاعت قبيلة بكر أن تمتد بعض فروعها إلى أقاصي أطراف الخليج العربي حتى أرض الجزيرة، وسكنت الحوض الأعلى لنهر دجلة حتى تل فاكان عند مصب نهر بهتان في دجلة، وانتسبت تلك الجهات إليها، وصارت تعرف باسم (ديار بكر)، واشتهرت هذه الجهات بأنها مركز في الهلال الخصيب يصل بين الخليج العربي، والبحر المتوسط مما يكشف عن مواهب تلك القبائل في انتقاء أماكن استقرارها على امتداد طرق التجارة، وأسواقها^(٢).

وظلت قبيلة بكر نموذجًا لغيرها من قبائل "تنوخ"، وغيرها من القبائل التي تنتهي معها إلى عرب الشمال من معد؛ إذ انتشرت مضارب تلك القبائل، وبطونها بحيث صار لها السيادة على المناطق الممتدة من نجد إلى الساحل العربي للخليج، وامتداده إلى أرض الجزيرة بشمال دجلة والفرات، وتداخلت أحيانًا مضارب تلك القبائل؛ بحيث سيطرت جميعها على طرق تجارة الخليج العربي البحرية منها والبرية، ومن أمثلة ذلك أن قبيلة بكر استطاعت أن تمتد بعض فروعها إلى أقاصي طريق الخليج العربي حتى أرض الجزيرة العربية بعد أن كان استقرارها الأول في البحرين^(٣).

بنو حنيفة: (٤)

قبيلة بني حنيفة تقع في الشمال الشرقي من الجزيرة العربية تقع منطقة اليمامة التي يسكنها بنو حنيفة، وقد دعاهم النبي -صلى الله عليه وسلم- إلى الإسلام، واشترط عليه شيخهم (هوذة بن علي) أن يكون لها الأمر بعد الرسول -صلى الله عليه وسلم-^(٥) شرط الإسلام والنصرة.

(١) البلاذري: فتوح البلدان، ١٠١/١

(٢) ابن حوقل: صورة الأرض، بيروت ص ١٨٩

(٣) ياقوت: معجم البلدان، ج ١، ص ٣٩٥

(٤) تنسب إلى حنيفة بن لجم بن صعيب بن علي بن بكر بن وائل، كانت تقطن نواحي الحجاز ثم هاجرت مع من هاجر من بطون ربيعة واستقرت في إقليم اليمامة في الجزيرة العربية مما يسمى اليوم منطقة الرياض. تاريخ الطبري ج ٢ ص ٥١٨

(٥) د. أمين صالح: العرب والإسلام ص ١٦٠

وكانت بنو حنيفة من أقوى قبائل العرب، وتروي لنا بعض المصادر أن اليمامة موطن بني حنيفة كانت تميم قريش؛ لذا كانت أقوى من قريش في الجاهلية، وتطمع في أن يكون لها منطقة نفوذ في بلاد العرب^(١).



تميم: (٢)

(١) د محمد جمال الدين سرور: الحياة السامية في الدولة العربية الإسلامية، دار الفكر العربي، الطبعة الخامسة، ١٩٧٥، ص ٢٢

(٢) تنتسب إلى: تميم بن مر بن إد بن طابخة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان من ذرية نبي الله إسماعيل. عن ابن عباس رضي الله عنه قال: مات تميم بن مر وأسد بن خزيمة وضبة بن أد على الإسلام فلا تذكرهم إلا بما يذكر به المسلمون. ابن عبد البر: الإنباه على قبائل الرواة ج ١ ص ١٣.
قال فيهم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه «إن بني تميم لم يغيب لهم نجم إلا أطلع لهم آخر وإنهم لم يسبقوا بوغ في جاهلية ولا إسلام وإن لهم بنا رحماً مائة وقرابة خاصة نحن ماجورون على صلتها ومأزورون على قطيعتها» قال في فصاحتهم أمير المؤمنين معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه «لقد أوتيت تميم الحكمة، مع رقة حواشي الكلم» سأل معاوية بن أبي سفيان جررة بنت مرة عن بني تميم فقالت «هم أكثر الناس عدداً وأوسعهم بلداً وأبعدهم أمداً هم الذهب الأحمر والحسب الأفضر فقال صدقت»

قبيلة تميم من أكبر القبائل العربية من قيس من مضر، وقد انتشرت في هضبة نجد من الحجاز إلى الأطراف الشرقية للجزيرة العربية، واستوطنت بعض عشائرها الخليج العربي مع القبائل العربية الأخرى^(١)، ومن بطونهم التي استوطنت الخليج بنو سعد بن زيد مناة تميم^(٢)، وامتدت منازلهم في الجنوب إلى بيرين، وفي الشمال إلى صفوان^(٣)، ففي بيرين نزل بنو عوف بن سعد، وبعض بني عوف بن كعب، وأخلاق سعد^(٤) أما الأحساء فقد نزلها أخلاطهم^(٥)، وتسمر أحساء بني سعد^(٦)، والأجواف^(٧) وبطن عز، ومياهه ثبا آت، وكنهل^(٨)، ووادي الستار. بما فيه من قرى ومياه، لأفناء سعد لامرئ القيس بن زيد^(٩)، والقاعة، وتسمى قاعة بني سعد^(١٠)، والعتيد والطريقة لبني مالك بن سعد التي انتزعوها من بني عوف بن كعب^(١١)، وقريتا ثيتل، والنياج لبني مالك بن سعد^(١٢)، والسيدان^(١٣)، ومياهه الحمانية لبني حمان^(١٤)، والربيعة لبني ربيع بن الحارث^(١٥)، ويشتركون مع بني الحرماز بن مالك^(١٦) في مياه كثيرة منها: مسلحة، والوفراء، وكاظمة^(١)، ومن منازل بني

قال فيهم ابن حزم «هم قاعدة من أكبر قواعد العرب»

قال ابن سلام الجمحي: كان يقال: «إذا كنت من تميم ففاخر بحنظلة، وكاثر بسعد، وحارب بعمر»

(١) الاصلح: مسالك الممالك ٢٢-٢٣، البكري: معجم ما استعجم ٨٧-٨٨

(٢) سعد بن زيد مناة بن تميم، شاعر وفارس جاهلي قديم ولد سنة ٣٦٠م، أي ٢٧٠ سنة قبل الهجرة، فيه قالت النوار زوجة أخيه مالك: أوردتها سعدٌ وسعدٌ مشتمل *** ما هكذا تورّد يا سعد الإبل

(٣) لغدة؛ الحسن بن محمد الأصبهاني: الأصفهاني: بلاد العرب ٣٥١

(٤) لغدة؛ الحسن بن محمد الأصبهاني: نفس المصدر ٣٤٣ د أستوطن بنو سعد تميم أرض البحرين وامتدت منازلهم إلى الجنوب من بيرين، وفي بيرين نزل بنو عوف بن سعد تميم وبنو عوف بن كعب وأخلاق أخرى من سعد". واستخدام المؤرخين المتكرر لعبارة (وأخلاق من سعد) قد يدل على وجود حلفاء مع بني سعد.

(٥) لغدة؛ الحسن بن محمد الأصبهاني: نفس المصدر ٣٤٣، الهمداني: صفة جزيرة العرب ١٢٨-١٢٩

(٦) الأزهرى: تهذيب اللغة ١٦٨/٥

(٧) لغدة؛ الحسن بن محمد الأصبهاني: الأصفهاني: بلاد العرب ٣٤٤

(٨) لغدة؛ الحسن بن محمد الأصبهاني: نفس المصدر ٣٤٤-٣٤٥

(٩) لغدة؛ الحسن بن محمد الأصبهاني: بلاد العرب ٣٤٥-٣٤٦

(١٠) لغدة؛ الحسن بن محمد الأصبهاني: نفس المصدر ٣٤٧

(١١) لغدة؛ الحسن بن محمد الأصبهاني: نفس المصدر ٣٤٧

(١٢) لغدة؛ الحسن بن محمد الأصبهاني: نفس المصدر ٣٤٨، الهمداني، صفة جزيرة العرب ١٣٧

(١٣) النقائض لجرير: ٤٨٢/١

(١٤) لغدة؛ الحسن بن محمد الأصبهاني: نفس المصدر ٣٥٠ وحمان وهو حمان بن عبد العزى بن كعب بن

سعد بن زيد مناة، بن تميم (ابن الكلبي: جمهرة النسب ٧٥

(١٥) كانت قبائل ربيعة وسط وشرق وشمال الجزيرة العربية فسكنت عبد القيس المناطق الشرقية من الجزيرة العربية وتستقر بنو حنيفة في اليمامة واستقرت تغلب في العراق وشرقي الأردن والشام، وروى ابن عساکر في تاريخه بسنده عن قدام أهل الشام وغيرهم وهو يذكر القبائل التي اشتركت في معركة اليرموك "وليس فيها أسد ولا تميم ولا ربيعة ولم يكن دارهم إنما كانت دارهم عراقية فقاتلوا أهل فارس بالعراق".

(١٦) الحرمازي: [نسبة] إلى الحرماز بن مالك بن عمرو بن تميم - سلم الوصول إلى طبقات الفحول - ج ٤ [حاجي خليفة]

سعد بن زيد في شرق الجزيرة، والخليج، والمقر^(٢)، والقليعة^(٣)، وشفيفة^(٤)، والرمانتان^(٥)، ودار^(٦)، وحمص^(٧)، والسلب لبني عطار^(٨).

ومن بطونهم الأخرى بنو دارم بن مالك بن حنظلة بن مالك بن زيد بن منا، ومن منازلهم الصمان لعبد الله، ونهشل ابني دارم، مختلطين بضبة، وكعب بن العنبر^(٩)، ولبني عبد الله بن دارم^(١٠) أيضًا مصنعة الخمسة^(١١)، والقرعاء^(١٢)، ولبني مناف بن دارم الرمادة التي يشاركون فيها بني فقيم بن جرير بن دارم^(١٣)، وماء فنور^(١٤)، وثبرة^(١٥)، وركية في طويلة اللهابة^(١٦)، والقرعاء ولصاف والرمادة، وطويلع، وكانت لبني مالك بن حنظلة، وكعب بن العنبر، ورفع النزاع إلى مروان بن الحكم عامل المدينة، فطلب من أحد الفريقين المتنازعين ترك المياه، فتركها بنو فقيم بن جرير بن دارم لبني كعب^(١٧).

وكانت عشائر تميم المستوطنة في الخليج العربي وشرق الجزيرة بدوًا - فيما يظهر-، فلم يرد من الأخبار ما يدل على مساهمتها في التجارة، أو الصناعة، أو التنظيمات الحضارية، ويبدو مما ذكرته المصادر أنه لم تكن لهم مدن، وأن غالبيتهم كانوا يقيمون في البادية.

(١) لغدة؛ الحسن بن محمد الأصبهاني : نفس المصدر ٣٥٠ - ٣٥١

(٢) أبو عبيدة، النقائض ١٠١٧/٢

(٣) الحربي: المناسك ٦٢١

(٤) الأزهرى: تهذيب اللغة ٤٢٤/١١

(٥) ياقوت: معجم البلدان ٨٢٤/٢

(٦) ياقوت: نفس المصدر ١١٤

(٧) ياقوت: نفس المصدر ٣٣٩/٢

(٨) ياقوت: نفس المصدر، وعطارد وهو بن عوف بن كعب بن سعد بن زيد بن مناة بن تميم (ابن الكلبى):

جمهرة النسب ٧٧

(٩) لغدة؛ الحسن بن محمد الأصبهاني : بلاد العرب ص ٢٩٦

(١٠) ولد عبد الله بن دارم؛ زيد، وأمه حنظلية؛ وأميه؛ ومعاوية؛ وفتة؛ وهب؛ وعبد: أمهم من بنى أسيد بن عمرو بن تميم. فمن بنى أمية بن عبد الله بن دارم: الحصين بن عبد الله بن كيسان بن أمية بن عبد الله بن دارم، حليف بنى مخزوم.

(١١) لغدة؛ الحسن بن محمد الأصبهاني : نفس المصدر، وياقوت ٤٧٢/٢

(١٢) لغدة؛ الحسن بن محمد الأصبهاني : نفس المصدر

(١٣) أبو عبيدة: النقائض ٢١٤/١، ٧٨٠/٢، لغدة؛ الحسن بن محمد الأصبهاني : بلاد العرب ص ٢٩٦

(١٤) لغدة؛ الحسن بن محمد الأصبهاني : مصدر سابق ٣٥٤

(١٥) لغدة؛ الحسن بن محمد الأصبهاني : نفس المصدر ٣٥٤، والبكري: معجم ما استعجم ٣٣٤ - ٣٣٥

(١٦) لغدة؛ الحسن بن محمد الأصبهاني : نفس المصدر ٢٩٧

(١٧) أبو عبيدة: النقائض ٢١٤ / ١

وكان بنو تميم يؤمّون هجر في المواسم للميرة اللقاط^(١)، ولم يخضعوا لسلطة الفرس في المنطقة، بل كانوا يغيرون على قوافل كسرى التي تمر عبر بلادهم مما حمل الفرس على الانتقام منهم، والإيقاع بهم في يوم المشقر المشهور^(٢).

ونزل ناس من بني تميم بعمان، ومنهم آل جذيمة بن خازم، ونزلها ناس من بني النبيت، ومنزلهم عبرى والسليف، وتنعم السرى، ونزلها أناس من بني الحارث بن كعب، ومنزلهم بضنك، كما نزلها أناس من قضاة نحو مائة رجل، وهم بضنك أيضًا، ونزلها أناس من بني رواحة بن قطيعة بن عيس منهم أبو الهيثم^(٣).

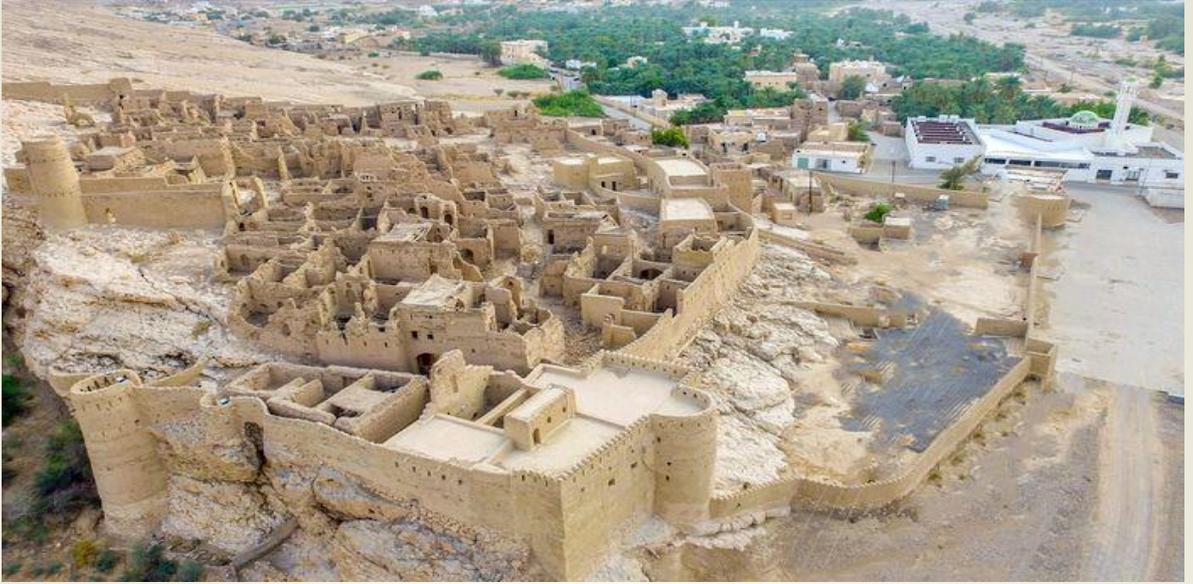


(١) ابن الأثير: الكامل ٤٦٨/١ - ٤٦٩

(٢) انظر فصل الجغرافيا (المدن والقرى - المشقر).

ويرجع نسب بني رواحة إلى بنو رواحة بن قطيعة بن عمرو بن عيس بن بغيض بن ريث بن غطفان بن قيس بن عيلان بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان.

(٣) تاريخ عمان: سرحان بن سعيد الأزكوي العماني، ص ٣٢. ومدينة عبري هي إحدى مدن محافظة الظاهرة وتعتبر أحد المراكز الإقليمية في غرب وتمتدج فيها ثلاث بيئات الحضريه، و البدويه، و الريفيه سلطنة عمان، وتبعد عن مسقط العاصمة بنحو ٢٧٩ كيلومترا. وتتميز مدينة عبري بموقعها الفريد الذي يربط السلطنة بالمناطق الأخرى في الجزيرة العربية ومن ثم كانت معبرا للقوافل التجارية منذ قديم الزمان، كما تضم العديد من المواقع الأثرية كالقلاع والحصون والتي منها قلعة السليف الشهيرة.



قرية السليف بولاية عبري، تتكون من حصن وعدة منازل يحيطها سور به عدة أبراج. وأرض السر يقول أحمد بن علي الناصري باحث في التاريخ العماني: وقد اختير الإمام المحتسب شبيب بن عطية لها لتكون مقرًا لإقامته بعد استشهاد الإمام الجلندي بن مسعود في معركة جلفار في عام ١٣٤ هجريًا.



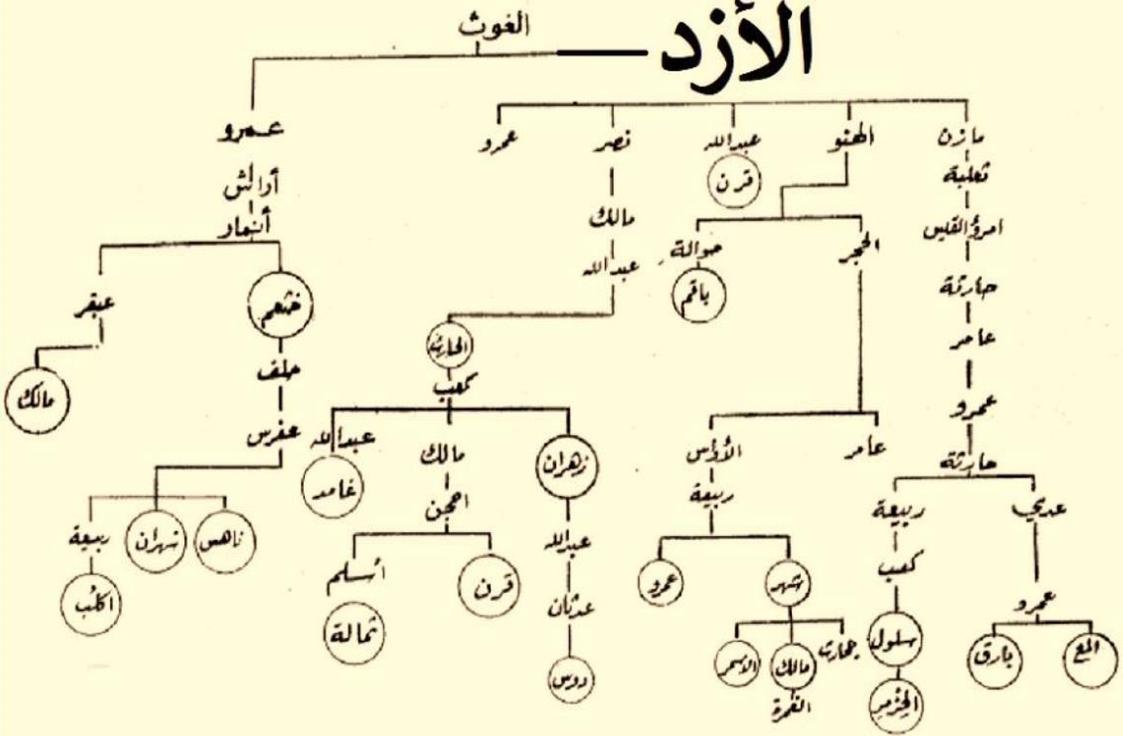
الأزد: وإذا كانت كل من عبد القيس، وبكر بن وائل من ربيعة، وتميم من مضر، وجميعهم من عرب الشمال قد هاجروا إلى تلك المنطقة، فإن هجرة الأزد تعد أقوى الهجرات تمثيلاً لحركة التمازج القبلي، فقد استوطن تلك المنطقة - أيضاً - بعض القبائل اليمنية المشهورة التي خرجت من أرض اليمن عقب انهيار سد مأرب، وتقرفت عشائريهم في بقاع مختلفة وهم الأزد .

فاليقوي يذكر أن قبيلة الأزد خرجت من اليمن بعد هدم، وانهيار سد مأرب حتى وصلت (السراء)، فخرج بعض بطونهم منهم: الربيعة، وعمران، وبنو عمرو بن عدى بن لحارثة بن عمرو بن عامر، وهم بارق، وغالب، ويشكر بن قيس بن صعب بن دهمان، وقوم من عامر، وحواله نحو عمان، فلما صاروا بها انتشروا بالبحرين، وهجر^(١)، أو أنهم ساروا بعد انهيار سد مأرب إلى الحجاز فرقاً، فصار كل فخذٍ منهم إلى بلدٍ؛ فمنهم من نزل السراء، ومنهم من تخلف بمكة، وما حولها، ومنهم من خرج إلى العراق، ومنهم من سار إلى الشام، ومنهم كذلك من رعى قصد عمان، واليمامة، والبحرين، ولحق كثير من ولد نصر بن الأزد بنواحي الشحر، وأطراف بلاد فارس^(٢).

وذكرت المصادر من مناطق سكن الأزد أوال إذ كان فيها بنو معن^(٣)، والقطييف مع عبد القيس^(٤).

(١) اليقوي: التاريخ ٢٣٢/١ - ٢٣٣ .
 (٢) الهمداني: صفة جزيرة العرب ٢٠٦ - ٢١٠، باختصار، انظر د/ شكري فيصل: المجتمعات الإسلامية، ص ٢٧ .
 (٣) المسعودي: مروج الذهب ١ / ١١٠ .
 (٤) ديوان الفرزدق: ٥٤/١، طبعة دمشق، سنة: ١٩٦٥ م .

الأزد



وسوف ترى من خلال هذا البحث لتلك القبائل أدوارًا تاريخية إزاء الدعوة للإسلام كل ذات اتجاهٍ معيّن يظهر في حركة الردة، وكلها سوف تتعاون، وتشترك في حركة الفتح الإسلامي، وهكذا يدخل شرق الجزيرة، والخليج دائرة الضوء في أحداث التاريخ الإسلامي.

وكان لهذه القبائل زعماء، وسادة لهم الكلمة المطاعة في قومهم، ولهم الكلمة العليا في شئون هذه القبائل مثل: الأحنف بن قيس، سيد تميم البصرة، وقد كان الأحنف سيدًا ذا مهابة، أو كما قيل عنه أنه: إذا غضب غضب لنفسه مائة ألف سيف لا يسألونه فيم غضب؟ يدخل بنو تميم الحرب مع من أحب الأحنف، ويكفون إذا كفت، وقد عرف معاوية منزلته في قوم، وسيادته فقرّبه، وأكرمه^(١).

(١) أحمد أمين: فجر الإسلام ص ١٨٦-١٨٧.

كذلك ظهر من سكان شرق الجزيرة عناصر غير عربية عرفت بأسماء: (السيابجة ، والأساورة، والزط)^(١) .

وكان للسيابجة من عنصر فارسي، وأصلهم قوة فارسية كانت عند الساحل الغربي للخليج عند البحرين، والخط، والطفوف^(٢)، ويذكر البلاذري أنهم: كانوا في جند الفرس ممن سبوه، وفرضوا له العطاء^(٣)، وكانت روايتهم ضئيلة جدًا^(٤)، وأنهم كانوا يستأجرون للقيام بحراسة السفن لصد ما تتعرض له من هجمات القرصان ولصوص البحر^(٥) .

ويذكر كيتاني أن السيابجة أصلهم من الهند، وجزر الهند الشرقية، ومما يبدو أن السيابجة كانوا في الأسطول الساساني عند سواحل الخليج العربي، وكان منهم في الخط عند ظهور الإسلام، وقد انضموا إلى المرتدين في البحرين^(٦)، وبعد الردة لا يرد للسيابجة ذكر في حوادث البحرين، كما يبدو أنهم كانوا قد خرجوا منها، وقد أسكنهم أبو موسى الأشعري البصرة^(٧)، ووكل إليهم حراسة المال، والمسجد، والجامع، ودار الإمارة والسجن وبذلك صاروا يقومون بدور الشرطة في المدينة، ولم يشتركوا في الفتوحات الإسلامية غير أنهم أخذوا بعدئذ يخدمون في الأسطول الإسلامي في الخليج العربي^(٨) .

وأما (الزط) فإنهم فئة أخرى من الأعاجم انضمت إلى العرب منذ زمن أبي موسى ، وأخذت العطاء^(٩)، وقد اختلف في أصلهم، وجاء في النقائض أنهم قوم من السند^(١٠)،

(١) جاء في فتوح البلدان - المجلد ١ - الصفحة ٣٦٢ كان سباه الأسواري على مقدمة بزدجرد، ثم أنه بعث به إلى الأهواز فنزل الكلبانية وأبو موسى الأشعري محاصر السوس، فلما رأى ظهور الإسلام وعز أهله وأن السوس قد فتحت والأمداد متتابعة إلى أبي موسى أرسل إليه: إنا قد أحببنا الدخول معكم في دينكم على أن نقاتل عدوكم من العجم معكم وعلى أنه إن وقع بينكم اختلاف لم نقاتل بعضكم مع بعض، وعلى أنه أن قاتلنا العرب منعتمونا منهم وأعنتمونا عليهم، وعلى أن ننزل بحيث شئنا من البلدان ونكون فيمن شئنا منكم، وعلى أن نلحق بشرف العطاء ويعقد لنا بذلك الأمير الذي بعثكم، فقال أبو موسى بل لكم ما لنا وعليكم ما علينا، قالوا لا نرضى، فكتب أبو موسى بذلك إلى عمر فكتب إليه عمر، أن أعطهم جميع ما سألوا، فخرجوا حتى لحقوا بالمسلمين وشهدوا مع أبي موسى حصار تستر فلم يظهر منهم نكاية.

(٢) صالح العلي: التنظيمات الاجتماعية ص ٨٤ .

(٣) البلاذري: فتوح البلدان ٣٧٥ .

(٤) من النارجيل إلى النخيل: للأستاذ قاضي المهر المبارك بوري، في مجلة الثقافة الهندية ، المجلد (١٦) رقم العدد (٣) سنة: ١٩٦٥ م .

(٥) البلاذري: فتوح البلدان ج ٢، ص ٢٩٤ .

(٦) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ٣٦٨/٢ .

(٧) البلاذري: فتوح البلدان ٣٧٥ .

(٨) صالح العلي: التنظيمات الاجتماعية ص ٨٥ .

(٩) صالح العلي: التنظيمات الاجتماعية ص ٨٥ .

(١٠) النقائض: ١١٥/١ .

ويروي المدائني أنهم كانوا في الطفوف (السواحل) يتتبعون الكلاء، أما أعوانه فيذكر أنهم جيل من الهند^(١)، وهم فئة أخرى كانت تنزل الخط من البحرين^(٢)، ويظهر من النصوص أن الزط سلالة هندية الأصل، وأنهم كانوا من سكان بلوخستان، وملتان الديبل، والسند، وما جاورها^(٣)، وقد هاجروا من الهند، وانضم معظمهم إلى الجيش الساساني منذ عهد قباد^(٤).

وكانت مرتبتهم، ومنزلتهم أقل الجند الفارسي^(٥)، ولعلمهم كانوا يتجولون في الخليج العربي قبل الإسلام^(٦)، ويبدو أنهم كانوا قوة عسكرية ساسانية ساحلية في الخط، وقد انضموا إلى المرتدين في البحرين عام (١١١هـ)^(٧)، ثم خرجوا منها بعد الفتح إلى المسلمين عند تقدمهم نحو فارس، وقد أسكنهم أبو موسى الأشعري البصرة^(٨)، وأوكل إليهم أيضًا حراسة دار الإمارة، والمسجد، والجامع السيابجة، وبعضهم عاد إلى الهند^(٩)، وكان لهم رئيس يدعى: (أبو سالمة)^(١٠)، غير أنهم لم يلعبوا دورًا مهمًا في أحداث الخليج من فتوحات، أو ردّة مما يدل على قلة عددهم، كما زاد عدد (الزط، بعدما فتح العربُ السند، وأسروا عددًا منهم فيها، فنقلوه إلى البصرة^(١١)).

- (١) الازهري: تهذيب اللغة ١٥٩/١٣ .
 (٢) الطبري: تاريخ الرسل والملوك، (٤٠٣/٣)، والكامل، لابن الأثير، (٣٦٨/٢) .
 (٣) أظهر المباركيوري: ثقافة الهند، ١٠١/١/١٦ .
 (٤) أظهر المباركيوري: ثقافة الهند، ١٠١/١/١٦ . وقباد بن فيروز أو قباد بن فيروز أو كواد بن فيروز أو قباد الأول أو قباد الأول من الملوك الساسانيين. ملكه ثلاثًا وأربعين سنة (٤٨٨-٥٣١م)
 (٥) أظهر المباركيوري: ثقافة الهند، ١٠٤/١/١٦ .
 (٦) صالح العلي: التنظيمات الاجتماعية، ص ٨٦ .
 (٧) البلاذري، فتوح البلدان، ٣/٣٠٤ .
 (٨) صالح العلي: التنظيمات الاجتماعية، ص ٨٤ .
 (٩) أظهر المباركيوري: ثقافة الهند، ١٠٥/١/١٦ .
 (١٠) صالح العلي: التنظيمات الاجتماعية، ص ٨٦ .
 (١١) صالح العلي: التنظيمات الاجتماعية، ص ٨٦، عنصر السيابجة غير عنصر الأساورة. ينظر ما ورد في البلاذري عن الأساورة والزط فتوح البلدان، (٤٥٩/٢ - ٤٦٣) الأساورة كانوا حامية الأبله، الطبري، (٥٩٤/٣).

الفصل الثالث:

"أهمية الخليج الاقتصادية منذ فجر الإسلام"

تجلى أهمية الخليج العربي الاقتصادية في النشاط التجاري منذ أقدم العصور، ولا يزال شيئاً حيويًا للتجارة؛ لأهمية موقعه؛ كطريق للتجارة العالمية، فهو ذراع بحري للمحيط الهندي يتوغل في الأرض اليابسة ما بين إيران والجزيرة العربية، بحيث يقرب المسافة البرية عبر منطقة الهلال الخصيب بين المحيط الهندي، والبحر المتوسط، وكذلك بين الشرق والغرب.

التجارة في الخليج:

فقد انتعشت التجارة في الخليج قبل الإسلام، وحافظت الفتوحات الإسلامية على ازدهار الأوضاع الاقتصادية، والإدارية في البلاد التي امتدت إليها^(١)، وكذلك ساعدت سياسة المسلمين على استقرار الأوضاع في الخليج العربي، وكان الخليفة عمر بن الخطاب -رضي الله عنه - حريصًا كل الحرص على مراقبة العمال المسلمين في بلاد الخليج العربي؛ ذلك أنها منطقة إغراء للعمال لزيادة ثرواتهم عن طريق التحايل في جمع الأموال من التجار تحت اسم الضرائب، كما بدت هذه الظاهرة جلية في عهد عمر بن الخطاب -رضي الله عنه - إذ بعث إليه أهالي الأهواز شكوى من شطط العمال كتبها أحد الشعراء، وهو: (أبو المختار يزيد بن قيس) والذي قال فيها^(٢) :

يسغون مال الله في الأدم الوفر
فأنى لهم وفرو لنا أولى وفر
وأرسل إلى جزء وأرسل إلى بشر-
من المسك راحت في مفارقهم تجري

فلا تدن أهل الرساتيق والقرى
نؤوب إذا أبوا نغزوا إذا غزوا
فأرسل إلى الحجاج فأعرف حسابه
إذا التاجر الداري جاء بقارة

(١) فيليب حتى: تاريخ العرب العام، (١ / ٣٢٧) .

(٢) البلاذري: فتوح البلدان، ص ٤٧٣. «المعجم الصغير لرواة الإمام ابن جرير الطبري» (٢ / ٦٥٣):
«يزيد بن قيس بن تمام بن مسعود، الهمداني، الخارفي - ويقال: الأرخبي، الكوفي، له إدراك، وكان مع علي رضي الله عنه في حروبه، وولاه شرطته، ثم ولاه بعد ذلك أصبهان، والري، وهمدان.»

وتكشف لنا هذه الشكوى عن نشاط تجار دارين حيث كانت هذه المنطقة من الساحل الغربي تنعم بثناء عظيم^(١).

وعن ثراء الخليج في فجر الإسلام ما يرويه لنا أبو يوسف يعقوب إذ قال: قدم على أبي بكر -رضي الله عنه- مال، فقال: من كان له عند النبي -صلى الله عليه وسلم- عدة فليات، فجاءه جابر بن عبد الله فقال: قال لي رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «لو جاء مال البحرين أعطيتك هكذا وهكذا»، يشير بكفيه، فقال له أبو بكر -رضي الله عنه- «فأخذ بكفيه»^(٢)، كما يذكر أبو يوسف كان أول مال جزية وَرَدَ إلى أبي بكر -رضي الله عنه- الذي بعثه خالد بن الوليد -رضي الله عنه- إلا ما أتاه من مال البحرين.

الحديث عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما يقول: قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم: (لو قد جاء مال البحرين لقد أعطيتك هكذا وهكذا). ثلاثاً، فلم يقدم مال البحرين حتى قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلما قدم على أبي بكر أمر منادياً فنادى: من كان له عند النبي صلى الله عليه وسلم دين أو عدة فلياتني، قال جابر: فجئت أبا بكر فأخبرته: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (لو جاء مال البحرين أعطيتك هكذا وهكذا). ثلاثاً، قال: فأعطاني. قال جابر: فلقيت أبا بكر بعد ذلك فسألته فلم يعطني، ثم أتيت فلم يعطني، ثم أتيت الثالثة فلم يعطني، فقلت له: قد أتيتك فلم تعطني، ثم أتيتك فلم تعطني، ثم أتيتك فلم تعطني، فإما أن تعطيني وإما أن تبخل عني. فقال: أقلت تبخل عني؟ وأي داء أدوأ من البخل، قالها ثلاثاً، ما منعتك من مرة إلا وأنا أريد أن أعطيك.^(٣)

وما يروى أيضًا عن أبي هريرة -رضي الله عنه- في عهد عمر بن الخطاب -رضي الله عنه-، أنه قدم على عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- من البحرين، وكان واليًا عليها قال: «فلقيته في صلاة العشاء الأخيرة، فسلمت عليه، فسألني عن الناس، ثم قال: «ما جئت له»، قلت: جئت بخمسمائة ألف، قال: «ماذا تقول؟» قلت: مائة ألف مائة ألف، وعددت خمسمائة، فقال: إنك ناعس، فارجع إلى أهلِكَ فَنَم، فإذا أصبحت فأُتني، قال أبو هريرة -رضي الله عنه-: -فغدوت إليه، فقال: «ما جئت به»، قلت: خمسمائة ألف: أطيّب؟ قلت: نعم، لا أعلم إلا ذاك فقال للناس: إنه قدم علينا مال كثير، فإن شئتم أن

(١) البلاذري: فتوح البلدان ج ٢، ص ٤٧٣

(٢) أبو يوسف: الخراج ص ٤٥ «مسند أحمد» (٢٢/ ٢٠٤ ط الرسالة):

(٣) «صحيح البخاري» (٤/ ١٥٩٣)

نَعُدَّه لَكُمْ عَدًّا، وَإِنْ شِئْتُمْ أَنْ نَكِيلَهُ لَكُمْ كَيْلًا، فَقَالَ لَهُ: « يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنِّي قَدْ رَأَيْتُ هَؤُلَاءِ الْأَعَاجِمَ، يَدُونُونَ دِيوَانًا يُعْطُونَ النَّاسَ عَلَيْهِ»، قَالَ: فَدَوَّنَ الدِّيوانَ^(١).

وفي رواية أخرى قال أبو يوسف: أن عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- دعا أصحاب رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فقال: « إذا لم تعينوني فمن يعينني؟»، فقالوا: «نحن نعينك»، فقال: يا أبا هريرة أنت البحرين، وهجر أنت العام، فقال: فذهبت فجئته في آخر السنة بغرارتين فيهما خمسمائة ألف، فقال له عمر -رضي الله عنه-: « ما رأيت مألًا مجتمعًا قط أكثر من هذا»^(٢).

الحديث «عن أبي سلمة عن أبي هريرة أنه قدم على عمر من البحرين، قال أبو هريرة: فلقيته في صلاة العشاء الآخرة فسلمت عليه فسألني عن الناس، ثم قال لي: ماذا جئت به؟ قلت: جئت بخمسمائة ألف درهم، قال: هل تدري ما تقول؟ قلت: جئت بخمسمائة ألف درهم، قال: ماذا تقول؟ قال قلت: مائة ألف، مائة ألف، مائة ألف، مائة ألف، حتى عددت خمسا. قال: إنك ناعس فارجع إلى أهلِكَ فإِذَا أَصْبَحْتَ فَأَتْنِي، فقال أبو هريرة: فغدوت إليه، فقال: ماذا جئت به؟ قلت: جئت بخمسمائة ألف درهم، قال عمر: أطيب؟ قلت: نعم لا أعلم إلا ذلك فقال للناس: إنه قد قدم علينا مال كثير فإن شئتم أن نعد لكم عددا وإن شئتم أن نكيله لكم كيلا، فقال له رجل: يا أمير المؤمنين إني قد رأيت هؤلاء الأعاجم يدونون ديوانا يعطون الناس عليه، قال: فدون الديوان وفرض للمهاجرين الأولين في خمسة آلاف خمسة آلاف، وللأنصار في أربعة آلاف أربعة آلاف، ولأزواج النبي، عليه السلام، في اثني عشر ألفا»^(٣).

ولعل أكبر دليل على أن منطقة الخليج العربي كانت في عهد الرسول -صلى الله عليه- وأغنى مناطق الجزيرة العربية أجمعها ما أورده أبو يوسف في كتابه الخراج حيث قال: أول من فرض الخراج رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، وفرضه على أهل هجر «على كل مسلم ذكراً أو أنثى»^(٤).

(١) البلاذري: فتوح البلدان، (٣/ ٥٥٤)، وفي الخراج لأبي يوسف: (ص ٤٩) قال: (يا أمير المؤمنين دَوَّنَ لِلنَّاسِ لِلنَّاسِ دَوَاوِينَ يُعْطُونَ عَلَيْهَا).

(٢) أبو يوسف: الخراج، ص ١٢٣.

(٣) «الطبقات الكبير» (٣/ ٢٧٩ ط الخانجي).

(٤) أبو يوسف: نفس المصدر ص ١٣٩.

« ولم يكن عمر أخذ الجزية من المجوس حتى شهد عبد الرحمن بن عوف: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذها من مجوس أهل هجر. »^(١)

وعندما أرسل الرسول -صلى الله عليه وسلم- عمّاله؛ لأخذ الخراج والصدقة من القبائل اليمنية وغيرها قدم عليه -صلى الله عليه وسلم- بماء البحرين، وهو ثمانون ألف درهمًا (العلاء بن عبد الله بن ضمام الحضرمي)، وهو أول مال حمل إلى المدينة، ففرّقه على الناس^(٢)، وكانت منطقة الخليج أرض عُشْرِ- وليست أرض خراج إذا قال أبو يوسف: وقد ظهر رسول الله -صلى الله عليه وسلم- على غير دار من مشركي العرب، فتركها على حالها، ومن ذلك البحرين (البحرين) واليمامة وغيرها، في حين كانت البصرة أرض خراج.

وعن سليمان بن المغيرة عن حميد بن هلال قال: بعث العلاء بن الحضرمي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بثمانمائة ألف من خراج البحرين، وكان أول خراج قدم به على رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأمر به فنثر على حصير في المسجد، وأذن المؤذن فخرج إلى الصلاة فصلى، ثم جاء إلى المال فمثل عليه قائمًا فلم يعط ساكتا ولم يمنع سائلًا، فجعل الرجل يجيء فيقول: أعطني، فيقول: خذ قبضة، ثم يجيء الرجل فيقول: أعطني، فيقول: خذ قبضتين، ويجيء الرجل فيقول: أعطني، فيقول: خذ ثلاث قبضات، فجاء العباس فقال: يا رسول الله، أعطني من هذا المال، فأني أعطيت فداي وفداء عقيل يوم بدر، ولم يكن لعقيل مال، قال: فأخذ يبسط خميصة كانت عليه، وجعل يحثي من المال، فحثا فيها ثم قام به فلم يطق حمله، فقال: يا رسول الله، احمل علي، فنظر إليه النبي صلى الله عليه وسلم فتبسم حتى بدا ضاحكه، وقال: أنقص من المال وقم بقدر ما تطيق، فلما ولى العباس قال: أما إحدى اللتين وعدنا الله فقد أنجز لنا إحداهما، ونحن ننتظر الأخرى، قوله تعالى: يا أيها النبي قل لمن في أيديكم من الأسرى إن يعلم الله في قلوبكم خيرا إلى آخر الآية، فقد أنجزها الله لنا ونحن ننتظر الأخرى^(٣)

ولا شك أن هذا المقدار من المال يكشف عن ثراء أهل الخليج، والذي اعتمد أساسًا على التجارة الداخلية، والخارجية.

(١) «مصنف عبد الرزاق» (٩/ ٣٦٠ ط التأصيل الثانية)

(٢) المسعودي: التنبيه والإشراف، ص ٢٣٩.

(٣) ابن أبي شيبة - عبد الله بن محمد بن أبي شيبة المصنف ج ٨ ص ٣٣٤

التجارة الداخلية:

أما التجارة الداخلية فهي في محيط الخليج العربي بساحلته الغربي، والشرقي وتتركز في أسواقه، وأشهر هذه الأسواق:

سوق هجر: (١) وهي إحدى أشهر أسواق عرب الخليج السنوية قبل الإسلام (٢)، وكانت تقام في شهر ربيع الآخر من كل سنة (٣)، وكان فيها (المنذر بن ساوي) ملك البحرين، وتأتية القبائل العربية، ومنها قبائل بنو محارب بن عبد القيس .

سوق المشقر: (٤) وهي سوق سنوية تعقد طوال شهر جمادي الأولي، وتؤمها القبائل العربية، وبعض الفرس، ومن القبائل العربية المجاورة لهذا السوق عبد القيس، وتميم (٥).

وهناك سوق صحاري الذي كان يقام في شهر رجب، وفي أول يوم منه، ثم سوق الشحر (شحر مهرة)، ويقوم سوقها تحت ظل الجبل الذي عليه قبر هود النبي، ولم تكن فيه خفارة، وكانت مهرة تقوم بها (٦) (أسواق دارين وغيرها) .

ومن خلال هذه الأسواق الداخلية تتضح لنا صورة التعامل التجاري بين ساحلي الخليج الغربي والشرقي، وبين العرب والفرس، فنجد العرب في شرق الجزيرة، وغرب الخليج يجلبون الميرة من فارس، ويصدّرون إلى فارس التمر، والدّبس، وخاصة من البصرة.

(١) تعقد وزارة السياحة السعودية سنويا مهرجانا ثقافيا تحت مسمى سوق هجر في قصر إبراهيم الأثري بالأحساء . يتضمن المهرجان أنشطة تراثية، واجتماعية، وتسويقية، واستعراضية لتوثيق تاريخ مدينة الجراء القديمة وتقديم تجربة سياحية ثرية، حيث قدمت الوزارة ثلاث دورات سنوية للمهرجان تستعرض فيها تراث المنطقة من خلال تقديم أمسيات للشعر الشعبي والفصحى، واستعراض الحرف والصناعات اليدوية والأزياء التراثية التي كانت سائدة في الأحساء، إضافة إلى مسيرات استعراضية تقدمها فرق الفنون الشعبية. مهرجان سوق هجر.. «ملحمة الحلم» تعيد التاريخ سبعة آلاف سنة". جريدة الرياض.

(٢) الهمداني: صفة جزيرة العرب، ص ١٧٩ - ١٨٠ .

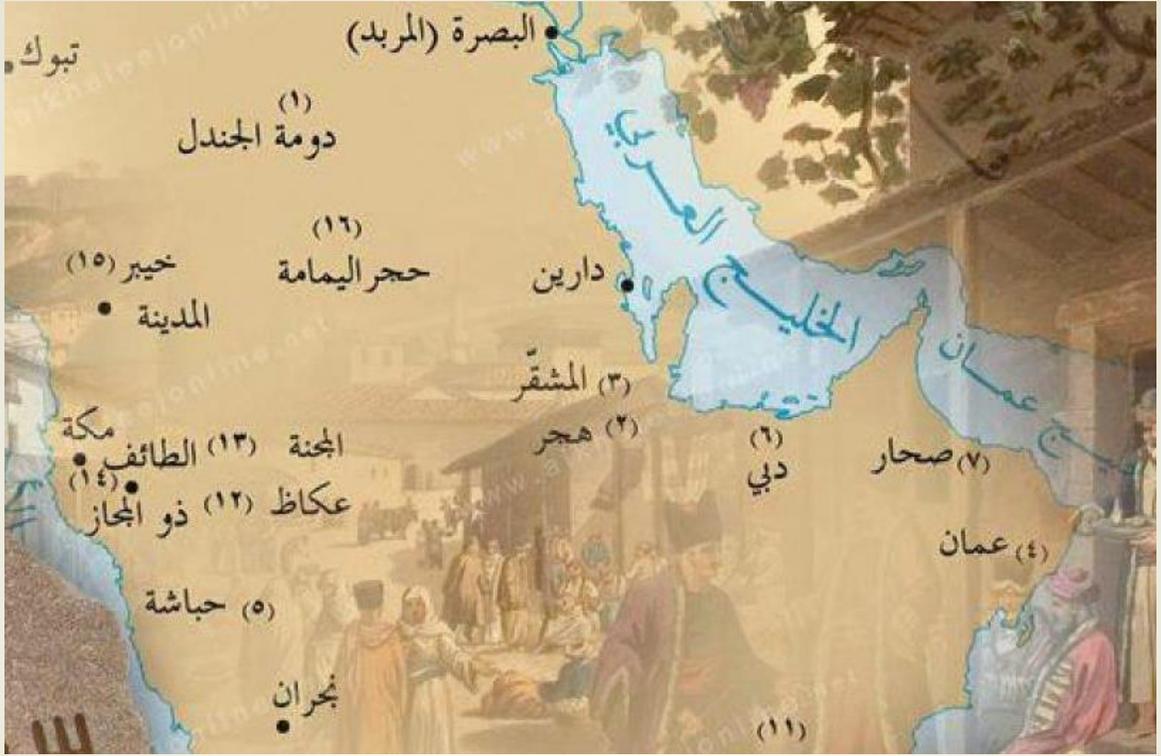
(٣) الأفغاني: أسواق العرب في الجاهلية، ص ٢٥١ .

(٤) ارتاد السوق العديد من المشاهير كالمنذر بن عائد الملقب بالأشج و الجارود بن المعلى بن حنش العبدي و كان شاعراً و خطيباً عارفاً بأخبار الأمم و أحوالها . ومنهم أيضاً المرقش الأكبر الذي كان مقرباً لدى النعمان بن المنذر ، و طرفة بن العبد أحد أصحاب المعلقات. وجاء في الأخبار أن امرؤ القيس أمضى سحابة عمره في ردهات سوق الأشقر وقد تتلمذ على يد الشاعر عمرو بن قميئة الذي يوصف بأنه أقدم من قال الشعر من نزار و لازمه حتى اصطحبه معه في رحلته إلى ملك الروم رغم تقدمه في السن. "موسوعة المملكة العربية السعودية - المنطقة الشرقية « الباب الخامس: الحركة الثقافية » الفصل الأول: مقومات الحركة الثقافية".

(٥) اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، ج ١، ص ٢٧٠ .

(٦) اليعقوبي: نفس المصدر، ج ١، ص ٢٧٠ .

والأحساء ١، وكانت مدينة الخط تستورد الحديد من فارس^(٢)، كما كان التجار الفرس يأتون البحرين، وشرق الجزيرة بتجاراتهم، ويشترون في سوق المشقر^(٣).



التجارة الخارجية:

أما التجارة الخارجية فيعود ازدهارها في شرق الجزيرة، والخليج إلى عدة عوامل منها:

١- **الموقع وسهولة المواصلات:** حيث أدى موقع شرق الجزيرة، والخليج إلى سهولة الاتصال بالعالم بالطرق البحرية بالإضافة إلى الطرق البرية التي تربطها بالجزيرة العربية، وقد ساعد هذا الموقع على جعلها مركزًا تجاريًا مزدهرًا قبل الإسلام، وبعده.

(١) البكري: معجم ما استعجم، ص ٢١٨.

(٢) العلي: التنظيمات الاجتماعية، ص ٢٢٧.

(٣) المرزوقي: الأزمنة والأمكنة، ١٦٢/٢.

٢. وفرة الإنتاج المحلي: تنتج هذه المنطقة محاصيل زراعية متنوعة، وخاصة التمور التي اشتهرت بها هجر، كما يذكر الرازي أن قطيعًا من الغنم كان يقدم إلى صنعاء من اليمامة أيام حماد البربري من (٤٠٠، أو ٥٠٠) شاة، على كل شاة مخلتان في كل مخللة ستة أمدادٍ من تمر اليمامة، فيباع فيها بأرخص الأسعار^(١)، كما كان يوجد بالأحساء مراكز صناعية تنتج أنسجة مختلفة، وقد أدت وفرة المنتجات الزراعية، والصناعية إلى تشجيع التجارة الخارجية، وتصدير تلك السلع إلى الأقطار الأخرى، كما أنها كانت تستورد من تلك الأقطار بعض البضائع الهندية؛ كالسّمك والقنا، ثم تصدّره إلى بقية أنحاء الجزيرة العربية حيث تباع هناك.

وأقدم ما كونه المنطقة من علاقات تجارية هي التي كانت مع سائر أنحاء الجزيرة العربية التي ترتبط بها بصلاتٍ جغرافية، وجنسية، وإدارية خاصة بعد الفتح الإسلامي.

ويمكن تقسيم الطرق في الخليج إلى قسمين:

١. الطرق البرية:

الطرق البرية هي التي تربط أقاليم الخليج عدا جُزُر البحرين، وتستخدم لنقل السلع، ويسلكها الناس للحج، والمناسك، وقد ذكرت المصادر أبعاد الطرق التي كانت تهتم أصحاب القوافل بالدرجة الأولى، ومن أهمها طريق الأحساء بالبصرة (البحرين- البصرة)، وقد اختلف المؤرخون في تحديد هذا الطريق، فيذكر الإصطرخي أن بين الأحساء، والبصرة نحو ١٥ مرحلة^(٢)، ويذكر ابن القيم أن بين الأحساء والبصرة مسيرة ١٥ يومًا على الإبل^(٣)، ويذكر ابن حوقل أن الطريق على الجادة ١١ مرحلة، وعلى الساحل ١٨ مرحلة، ويذكر ناصري خسرو أن بين الأحساء والبصرة ١٥٠ فرسخًا^(٤)، والراجح هو ما ذكره الإصطرخي الذي يقول في وصفه: "أنه في قبائل العرب، ومياهم مسلك غير أنه مخوف"^(٥).

(١) الرازي: تاريخ مدينة صنعاء، ص ١١٠

(٢) الإصطرخي: المسالك والممالك ٢٨ بينهما، ١٨ مرحلة.

(٣) ياقوت: مصدر سبق ذكره ١/ ٥٠٧

(٤) ناصري خسرو: سفر نامه ص ٩٢

(٥) الإصطرخي: المسالك والممالك ٢٨

ومن الطرق البرية المهمة طريق (الإحساء - اليمامة - مكة) لقد لعب هذا الطريق دورًا رئيسًا في ازدهار التجارة بين الخليج، والحجاز فيذكر ابن الفقيه أن بين الإحساء واليمامة مسيرة عشرة أيام^(١).

ويذكر ناصري خسرو أن المسافة من اليمامة إلى الإحساء أربعين فرسخًا^(٢)، في حين يذكر أبو الفدا أن الإحساء، والقطيف شرق اليمامة على نحو أربع مراحل^(٣)، ولا يتيسر الذهاب من اليمامة إلى الإحساء إلا في فصل الشتاء؛ حيث تتجمع مياه الأمطار في برك صغيرة، يشرب الناس منها أثناء سيرهم، أما في الصيف فتتعدم المياه، ومن اليمامة إلى ضربة، ومنها إلى مكة، والضربة ملتقى حاج البصرة والإحساء؛ حيث يفترقون إذا انصرفوا من الحج، ويأخذ حجاج البصرة ذات الشمال، بينما يأخذ حجاج البحرين ذات اليمين^(٤).

وعبر هذا الطريق نشطت التجارة بين الخليج، والإحساء من ناحية، واليمامة من ناحية أخرى، فكانت منطقة الخليج تصدر إلى اليمامة المنسوجات، وخاصة من الإحساء، فيروى (ابن سعد) أن هودذة بن علي الحنفي^(٥) كسا سليط بن عمرو العامري^(٦) أثوابًا من نسج هجر^(٧)، كما كان تجار اليمامة يشترون الأديم من فلج التي كان يجلب إليها من اليمن، ويحملونه إلى الإحساء، حيث يباع هناك^(٨).

ويذكر أبو الفدا أن أهل الإحساء، والقطيف كانوا يجلبون التمر إلى خراج وادي اليمامة، فكانوا يشترون بكل راحلتين من التمر راحلة من الحنطة، ويرجع ذلك إلى أن منطقة شرق الجزيرة، والخليج تنتج كميات كبيرة من التمور، أما اليمامة فكانت تنتج من الحنطة ما

(١) الهمداني: صفة جزيرة العرب، ص ١٣٨.

(٢) ناصر خسرو: سفر نامة، ص ٩٢.

(٣) أبو الفدا: المختصر في أخبار البشر، ص ٩٧.

(٤) ابن رسته: الاعلاق النفيسة، ص ١٨٢.

(٥) هودذة بن علي بن ثمامة بن عمرو الحنفي من بكر بن وائل، ملك اليمامة في نجد، و شاعر بني حنيفة وخطيبها قبيل الإسلام وفي العهد النبوي، كان ملكا نصرانيا حكم إقليم اليمامة النجدي (منطقة الرياض حاليًا) وسيد من أسياد العرب، وزعيم بني حنيفة في الجاهلية، وشاعر ذو قدر عالٍ في قومه، له شرف وذكر، وصاحب تاج ورأي وحيلة أيام العرب في الجاهلية - محمد أبو الفضل إبراهيم، علي محمد البجاوي - الصفحة ١١

(٦) «أسد الغابة في معرفة الصحابة» (٢ / ٤٤٠):

«سليط بن عمرو العامري سليط بن عمرو بن عبد شمس بن عبد ود بن نصر بن مالك بن حسل بن عامر ابن لؤي بن غالب العامري، أخو سهيل والسكران ابني عمرو، قاله ابن منده وأبو نعيم، وروى عن ابن إسحاق فيمن هاجر إلى أرض الحبشة من بني عامر بن لؤي: سليط بن عمرو بن عبد شمس ومعه امرأته ولدت له سليط بن سليط.»

(٧) ابن سعد: الطبقات الكبرى، (١ / ٢٨).

(٨) ناصري خسرو: سفر نامة، ص ٩١.

يزيد على حاجتها، وكانت طريقة البيع والشراء هي "المقايضة"، وربما ذلك بسبب قلة النقود عند السكان .

٢. الطرق البحرية:

إن موقع الخليج العربي اكسبه أهمية كبيرة؛ إذ تمر به أهم الطرق التجارية منذ فجر الإسلام، وقد أدى ذلك إلى اتصال أهل الخليج بالعالم من خلال الطرق البحرية، فهي تصل الطرق التي تربط بفارس والهند، والشرق الأقصى، وسفن الخليج عندما تصل إلى مواني الحجاز غرباً^(١).

ولما كانت الطرق البحرية معرضة لكثير من الأخطار الطبيعية؛ مثل: العواصف، والدوامات، فضلاً عن الحيوانات البحرية المفترسة، أو أخطار البشرية كالقرصنة؛ لذلك كان التجار يتحاشون هذه الطرق بقدر ما استطاعوا، ولكن لأهمية سلع الهند فقد اضطرت التجارة أن تسير بأهلها عبر البحار، فكان التجار يسرون بسفنهم بالقرب من سواحل الخليج، وينزلون السلع في الشاطئ الغربي للخليج، ثم يسرون بها برًا، فبذلك اكتسبت هذه الشواطئ سواء الغربي للخليج، أو الشرقي أهمية خاصة، وقد لعب سكان الشاطئ الغربي خاصة الداريون منهم دورًا مهمًا في هذا النوع من التجارة مع الهند، وكانوا يمتلكون السفن الكثيرة، فقد جاء في معلقة طرفة بن العبد الذي نشأ في الخليج إشارة إلى نوعين من سفن أهل الخليج، فقال:

عدولية أو من سفين ابن يامن يجور بها الملاح طورًا ويهتدي^(٢)

فالعدولية منسوبة إلى (ميناء عدول) في الصومال بمعنى أن سفن الصومال كانت تجوب بحر الخليج بكثرة، أي: أن التجارة مع الصومال كانت نشطة، والأخرى سفن (ابن يامن)، وهو تاجر من هجر يهودي الأصل، ودليل ذلك من اسمه ابن يامن، وكان يمتلك عددًا من السفن التي تبخر في الخليج العربي^(٣).

(١) عرام: جبال تهامة، ٣٩٨/٨ في نوادر المخطوطات لعبد السلام هارون.

(٢) ابن الانباري: شرح القصائد السبع ١٣٧ .

(٣) ابن الانباري: نفس المصدر ١٣٧ .

ويظهر أن معظم أهل الخليج في تلك الفترة كانوا يشتغلون بالتجارة لحسابهم الخاص ، ويقومون بأعمالهم وحدهم، كما هو الحال بالنسبة للجالية الدرينية في المدينة المنورة والراجح أن البعض كانوا ينيبون عنهم وكلاء لشراء البضائع لهم، وبذلك يتمكنون من إنجاز معاملات التجارة الخارجية المعقدة دون أن يكلفوا أنفسهم عناء السفر.

وكانت المعاملات التجارية تقوم على التعامل بالنقود الفارسية في تلك الفترة؛ حيث إن المنطقة لا وجود فيها لدور سَكِّ النقود، كما تفيد المصادر بذلك .

وكانت التجارة مع البصرة في الشمال من الخليج تعتمد على الطرق البحرية، والسفن حيث كانت السفن الآتية من منطقة الخليج، والمتجهة إلى البصرة ترسو في ميناء الأبله في العراق، وهو ميناء رئيس حينذاك، غير أنه بعد إنشاء مدينة البصرة أصبحت أكثر أهمية في حين صارت الأبله مجرد ميناء للتجار البصريين، وكان التجار -وبخاصة الداريون - يغدون على البصرة للمتاجرة بالمسك الداري^(١).

وكانت البصرة تستورد من الخط الرماح الخطية، والمنسوجات الهجرية، والبرود القطرية^(٢)، ولعل بعض سكان البصرة كانت ثيابهم من منسوجات شرق الجزيرة والخليج، وكانت الأحساء تصدر الفوط إلى البصرة^(٣).

وإذا كانت البصرة قاعدة تجارية مهمة في شمال الخليج، فإن أهل عمان ساعدوا على دعم نشاط التجارة في نافذة الخليج الجنوبية؛ إذ اتجهوا إلى البحر حيث يمثل الحاجز الجبلي خلفهم مع صحراء (الربع الخالي) عقبة كبيرة أمام اتصالهم بالداخل؛ لذلك صار نشاط أهل عمان جزءاً مهماً من تجارة الخليج، فضلاً عن ربط الخليج أيضاً ببلاد اليمن بإزاء الساحل الجنوبي لبلاد العرب، وهذه الظاهرة هي التي جعلت الجغرافيين المسلمين يعتبرون حدود الخليج تنتهي غرباً عند عدن .

هذا وقد نشطت الحركة التجارية في الخليج العربي في صدر الإسلام، وكان مركز الرحلات التجارية البحرية التي كانت تبدأ من العراق (سيرا)، وتسير في الخليج العربي إلى الشرق

(١) العلي: التنظيمات الاجتماعية، ط ٢، ص ٢٥٩ .

(٢) العلي: نفس المصدر السابق، ص ٢٤٩ .

(٣) ناصري خسرو: سفر نامه، ص ٩٣ .

الأقصى، وتمكّن العرب في تلك الفترة من الوصول إلى الهند الصينية، والصين ١، كما أن الأمويين قد هيّأت دولتهم بفتوحاتهم الإسلامية، وخاصة لبلاد السند الأسباب أمام أهل الخليج؛ لتوثيق روابط التجارة مع كل من الصين، والهند، وهما من أهم مصادر التجارة الشرقية للخليج، وشرق الجزيرة، فقد بدأت أعداد السفن الفارسية، والعربية تزداد رحلاتها نحو: (الهند والصين)، ولقد أشار إلى ذلك نفر من الأهالي؛ حيث أشاروا إلى انتعاش الملاحة، والتجارة في الخليج العربي في القرن الأول الهجري، فذكر أحد الحجاج الصينيين أنه ركب في بلدة كانتون سفينة فارسية أبحرت إلى سومطرة^(٣)، وتحدث صيني آخر عن رحلات الفرس سنة (١٠٩ هـ / ٧٢٧م) قائلاً: "وهم يبحرون أيضًا في سفن كبيرة إلى الصين قاصدين مباشرة كانتون طلبًا لمنسوجات الحرير، وأمثالها من السلع"^(٣).

صار للفرس نتيجة إحياء الطريق بين الخليج العربي، والصين جالية كبيرة في كانتون وذلك سنة (١٣٠ هـ)^(٤)، وذكر هندي أنه أبحر سنة (٩٩ هـ) من سيلان إلى الصين في قافلة بحرية بحرية ضمن خمس وثلاثين سفينة فارسية^(٥).

التجارة مع الهند:

منذ أقدم الأزمنة كانت العلاقات التجارية بين الهند وبين شرق الجزيرة، والخليج قائمة ، بل واتسع نطاق الرحلات التجارية التي قام بها أبناء الخليج العربي مع بلاد الهند، فهناك الموانئ التجارية التي ترسو فيها السفن التي تتاجر مع الهند، حتى صارت المناطق الساحلية الشمالية، والغربية امتدادًا جغرافيًا لشواطئ الخليج العربي، ومنطقتين من قطر واحد يحيط بمياه بحر الهند^(٦)، وكانت التجارة الهندية تأتي عن طريقين: أولهما: طريق الخليج الغربي حيث كانت عمان نقطة انطلاق سفن الخليج إلى بلاد الهند، وتعود بالبضائع وتفرغها عند (ميناء جرهما)^(٧)، وتنقل منه برًا عبر الخليج إلى العراق، وهو الطريق المفضل؛ وذلك لأنه أقصر الطرق، وأقل تكلفة، وليست فيه جزر مرجانية، غير

- (١) د. محمد جمال الدين سرور: قيام الدولة العربية الإسلامية ١٤٦.
- (٢) جورج حوراني: العرب والملاحة في المحيط الهندي، وفي العصور القديمة وأوائل العصور الوسطى ص ١١٩.
- (٣) نفس المصدر: ص ١٩٢.
- (٤) جورج حوراني: العرب والملاحة في المحيط الهندي ص ١٩٢ - ١٩٤.
- (٥) العدوي: الدولة الإسلامية وامبراطورية الروم ص ١٣٣.
- (٦) أطهر الباركيوري: من النارجيل إلى النخيل (مجلة ثقافة الهند)، عدد أكتوبر سنة: ١٩٦٥، دلهي، ص ٥.
- (٧) بيري فيليب حتي: أنها العقير راجع له تاريخ سوريا ولبنان / ١ - ٢٩٩ - ٣٠٠.

أن تجارة الهند عبر الخليج العربي تناقضت إلى حد ما في العهود الساسانية، وذلك نظرًا لتشجيع خصومهم البيزنطيين التجارة عن طريق البحر الأحمر الذي كان رغم بُعده آمن وأسلم؛ لسبب بعده عن هيمنة الساسانيين حتى جاءت الدولة الإسلامية، فوحدت الشرق، ونشرت الأمن، والاطمئنان فأدى ذلك إلى تحول التجارة إلى الطريق الأول .

ومن أهم مراكز تجارة الهند (الديبل) - وهو جنوب كراتشي- الحالية- وهو ميناء له شهرة تجارية لسيطرته على مصب نهر النيل، وما يحمله من منتجات بلاد البنجاب، وكشمير، وكان هذا الميناء يستقبل سفن الخليج الحربية والتجارية، ووصف ابن حوقل هذا الميناء قائلاً: "والديبل من شرقي نهر مروان على البحر، وهي متجر عظيم، وتجارته من وجوه كثيرة، وهي فرضة هذا البلد، وهو بلد قشق، وإنما مقامتهم للتجارة" (١).

المراكز التجارية:

من المراكز التجارية في الخليج (دارين) ، وكانت من أسواق العرب المشهورة فقال الأعشى يذكر قومًا تجارًا (٢):

يمرون يالدهنا خفافاً عياهم
ويخرجن من دارين بجر الحقائب

وكانت (دارين) في أوائل العصر الإسلامي من المراكز العربية المهمة للتجارة، وخاصة تجارة المسك، حتى لقد سمّي بائع المسك والطيب بـ (الداري) نسبة إلى دارين (٣)، كما نسب إليها الداري صاحب الشراع .

وتردّد ذكر دارين، والمسك كثيرًا في أشعار العرب في الجاهلية والإسلام، فقال الأعشى:

لها أرج في البيت عال كأنما
ألم به من تجر دارين اركب (٤)

وقال الفرزدق يفتخر:

وأني لمن قوم يكون غسولهم
قرى فأرة الداري تضرب في الغسل (١)

(١) ابن حوقل: صورة الأرض، ص ٢٧٩

(٢) الفيروز بادي: القاموس المحيط ٣٢/٢ وينظر المبرد: الكامل في اللغة والأدب ، ١ / ١٥٥ - ١٥٦

(٣) البكري: معجم ما استعجم، ص ٥٠٤ .

(٤) ديوان الأعشى ص ٢٠٣

وقال جرير يمدح عمر بن عبدالعزيز^(٢)

ذكرتنا مسك داري له أَرْجُ وبالحنى خزامى طلها الرهم

كان العودُ من أهمّ البضائع التي جلبها تجارُ الخليج من الهند؛ حيث إن استهلاكه واسعًا في الدولة الإسلامية، وكان هؤلاء التجار على خبرةٍ واسعةٍ بالعودِ من كل نوعٍ، ف قيل: "وأجود العود ما كان صلبًا، وزينا ظاهر الرطوبة كثير المائية، والدهنية الذي له صبر على النار، وغليان، وبقاء في الثياب."^(٣)

(١) جرير والفرزدق: النقائض ١/١٣٢

(٢) نفس المصدر: ديوان ص ٤١٤

(٣) القلقشندي: صبح الأعشى (نسخة ج ٢ ص ١٢٦ مطبعة دار الكتب المصرية ١٣٤٦ - ١٩٢٨)



أما المسك الداري فقد كانت شهرته تفوق العود، كما كان في كافة أنحاء الجزيرة العربية، وكان التجار الداريون يصدرونه إلى البصرة، وإلى مدن شرق الجزيرة، حتى الحجاز حيث كانت الدارين في المدينة المنورة وحدها جالية كبيرة يبلغ عدد أفرادها حوالي (٤٠٠) رجلاً، كما كان التجار الداريون يأتون إلى البصرة للمتاجرة، وكان لإنشاء البصرة أثر كبير في أن دارين أخذت تضعف تدريجيًا بجانب البصرة التي صارت المركز الرئيس لتجارة الهند،

فقد أدى ذلك إلى تضاؤل أهمية دارين^(١)، كما أن الجالية الدارينية في الحجاز اشتركت في (موقعة الحرّة)^(٢) ضد الأمويين، وهو الأمر الذي أغاظ يزيد الأول، ففرض عليهم غرامة ثقيلة تقدر بأربعمئة ألف درهم عقاباً لهم على عملهم^(٣)، ولم تُعد نسمع عنهم شيئاً منذ ذلك الحين في أخبار العصرين: الأموي، والعباسي.

وغدت الرحلات التجارية بين الخليج، والهند نشطةً، كما ازداد نشاط هذه الرحلات حين انضمت إليها سفن الصيد، حيث صارت دائرة التبادل التجاري بين الخليج العربي، وبين بلاد الهند، والهند الصينية تحت إشراف أبناء الخليج العربي، وكان نشاطها رهناً بنشاط رحلاتهم التجارية، وقد اتخذ عرب الخليج (ميناء سيراف موسى) للسفن الصينية التي تعود محملة بالسلع الواردة من البصرة، وعمان، وغيرها من هذه الجهات، وتنقل تجارة العرب والفرس إلى بلاد الصين^(٤).

ولم تقتصر الأهمية الاقتصادية على التجارة، فكان لمجال الزراعة، والصناعة نصيبٌ ملحوظ في هذه البيئة التي تغلب عليها التجارة.



(١) العلي: التنظيمات الاجتماعية ٢٥٨

(٢) وقعة الحرّة كانت بين أهل المدينة ويزيد بن معاوية والأمويين، فطردوا والي يزيد على المدينة عثمان بن محمد بن أبي سفيان ومن معه من بني أمية من المدينة، فأرسل على إثرهم يزيد جيش من الشام وأمر عليهم مسلم بن عقبة المري فوقت بينهم وقعة الحرّة وانتهت بمقتل عدد كبير من الصحابة وأبناء الصحابة والتابعين وكانت سنة ٦٣ هـ.

(٣) البلاذري: أنساب الأشراف ج ٢ ق ٤٣/٢

(٤) حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام ج ٢ ص ٣١٤

الزراعة في الخليج: كانت معظم أراضي الخليج العربي صحراوية، تنبت الأعشاب والنباتات البرية كالغضا والأثل،^(١) ولما كانت المياه الجوفية تتوفر في بعض المناطق، وعلى مقربة من سطح الأرض بالإضافة إلى المياه التي تتجمع في بطون الأودية، وتكفي للزراعة، والاستقرار؛ لذا كانت هناك محاصيل زراعية كالحنطة، والشعير التي تكثر زراعتها في جزيرة أوال^(٢) (البحرين)، وكذلك القطن، والحناء، كما يزرع القطن في هجر^(٣)، وكانت المنسوجات التي تصنع في هجر والإحساء خاصة تعتمد عليه .



شجرة الغضا و نبات الأثل العربي



(١) شَجَرَ مِنَ الْأَثَلِ، حَشْبُهُ صَلْبٌ جَدًّا، وَجَمْرُهُ يَبْقَى زَمَانًا طَوِيلًا لَا يَنْطَوِي، يَكْثُرُ فِي مَنَاطِقِ نَجْدٍ، لِهَذَا أُطْلِقَ عَلَى أَهْلِ نَجْدٍ أَهْلُ الْغُضَا (الاسم العلمي: Haloxylon persicum) تكشف عن شجرة صغيرة مدهشة، فهي تتميز بجذع ثقيل وخشن ولكن لحاءها الإسفنجي يتمتع بالرطوبة. وعلى الرغم من حجمها الصغير، إلا أنها تتمتع بفروع ممتدة وتظل خضراء طوال العام، مما يجعلها تلفت الانتباه بأناقته ونباتاتها.

(٢) ابن حوقل: صورة الأرض، ص ٢٥

(٣) القزويني: آثار البلاد وأخبار العباد، ٢٨٠

ومن المحاصيل الزراعية الأخرى في المنطقة بعض الفواكه مثل: الموز، والأترج، والرمان، والتين، كما تتركز زراعتها في أوال (البحرين)^(١)، أما التمر فتعتبر من المحاصيل التي اشتهرت بها منطقة الخليج، وخاصة في منطقة الساحل الغربي منه (الإحساء وهجر والقطيف) تلك المنطقة التي ضرب بها المثل في وفرة ثمارها ورخصة فقالوا: "كاستبضع التمر إلى هجر"^(٢)، ومما يذكر ناصر خسرو أنه: قد يباع أكثر من ألف منه بدينار واحد^(٣)، وكان بعض أنواعه تستعمل غذاءً للمواشي، كما يعتبر الغذاء الرئيس لأهل الخليج حتى عهد قريب، ثم إن للتمر أنواعًا كثيرة ذكرتها بعض المصادر القديمة^(٤)، منها: التبي، وطال، والبرني، وفي حديثنا عن التمر لا بد أن نذكر منطقة البصرة التي كانت - ولا تزال حتى يومنا هذا- من أشهر مناطق الخليج، بل والعالم بالتمر، وأنواعه الممتازة؛ كالشهرين وهو الغالب على تمر البصرة، ويذكر أبو يوسف أن في البصرة نخلاً، وشجرًا ومزارع، وأن غلة ذلك تبلغ شيئًا كثيرًا في السنة^(٥)، وكانت البصرة مشهورة بجودة برتقالها وليمونها^(٦).

ويعد التمر العراقي من أجود أنواع التمور، والبصرة أهم مركز لزراعة النخيل في العراق^(٧)، وتنتج أنواعًا مختلفة من التمر، ويبلغ من كثرته في شرق الخليج بكرمان أن أهلها لا يرفعون ما يقع من النخيل، وكان الحمّالون يحملون التمر إلى خراسان مقابل أخذهم نصفه^(٨).

- (١) البكري: معجم ما استعجم ٢١٧
 (٢) السيداني: مجمع الأمثال ٩٨/٢، انظر لسان العرب ٢٥٧/٤
 (٣) ناصر خسرو: سفر نامه ٩٤
 (٤) ياقوت: ٤٨٥/٣، البكري: معجم ما استعجم ٢٤٦
 (٥) أبي يوسف: الخراج ص ٢٠٠
 (٦) جمال الجين سرور: تاريخ الحضارة الإسلامية في الشرق ص ١٣١
 (٧) جمال الدين سرور: تاريخ الحضارة الإسلامية ص ١٣٢
 (٨) جمال الدين سرور: نفس المصدر ص ١٣٢



وتزرع الكروم بكميات كبيرة، وخاصة في جزيرة تاروت التي كانت تنتج أنواعًا جيدة من العنب^(١)، وربما كانت الخضرة، وغيرها من المحاصيل البسيطة تزرع في مناطق متفرقة من سواحل الخليج، وهناك مناطق من الخليج تكثر فيها السبخات الملحة، ومناطق تكثر فيها الكثبان المتنقلة الرملية منها، والثابتة وجميعها لا تساعد على نمو النباتات، وعلى ازدهار الحياة النباتية فيها.



(١) أبو الفدا: تقويم البلدان ٨٣

الصناعة في الخليج:

أما عن الصناعة في الخليج فقد قامت في الخليج منذ فجر الإسلام عدة صناعات خاصة ذكرت في المصادر، كما يلي:

١. صناعة المنسوجات:

قامت هذه الصناعة في كلٍّ من: هجر، وقطر، وعمان وكانت المنسوجات تسمى في تلك الفترة باسم: القطر أو البلد، أو الإقليم الذي يُنْسَج فيه، وأشهر هذه المنسوجات ما كان يطلق عليها الثوب الهجري، والثياب البرود القطرية والثياب العمانية، وتذكر لنا المصادر أن أهم الأنسجة معقد البحرين، وهو ضرب من بُرُود هجر، ويروي ابن سعد أن عمر بن سلمة الجرمي كان يؤم قومه في الصلاة، فكسوه قميصًا من معقدة البحرين، وقد فرح بها فرحًا شديدًا^(١)، كما روي عن ابن سيرين أن أبا موسى كَسَا في كفارة اليمين ثوبين من معقد البحرين^(٢).

وهناك الثياب الهجرية: التي تردد ذكرها كثيرًا فيذكر ابن سعد أن هوزة بن علي الحنفي كسا سليطًا بن عمرو العامري أثوابًا من نسج هجر^(٣)، وكانت المنسوجات الهجرية تصدر عند ظهور الإسلام إلى مكة، فيروي عبد الله بن معاذ أن سويد بن قيس جلب هو ومخرمة العبد بَرًا من هجر إلى مكة، فاشترى رسول الله -صلى الله عليه وسلم- منها سراويل^(٤).

وهناك المنسوجات القطرية، وهي أكثر منسوجات المنطقة شهرة، وذكرنا، فقد انتشرت في الحجاز وفي العراق وذاع صيتها عند استعمالها زمن رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، وبعده، وكانت المنسوجات القطرية عبارة عن زر جمع وزار، وِبُرُود وأزدية^٥، هذه أهم الأنواع التي ذكرتها المصادر لنا، ولا نعلم هل كانت متعددة الأنواع؟ أو كانت أقمشة يمكن أن يصنع منها؟ .

(١) ابن سعد: الطبقات ١ ق ٧٠/٢

(٢) الطبري: تفسير الطبري ٢٥/٧

(٣) ابن سعد: الطبقات ج ٢ ص ٢٥

(٤) النووي: رياض الصالحين ٥٢٨، أبو داود: السنن ٢٢٠/٢

(٥) الجاحظ: البيان والتبيين ١٢١/٣

وفي عهد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ثوبان عمانيان، أو قطريان فقالت عائشة - رضي الله عنها- أن هذين الثوبين غليظان^(١)، ومن هذا الحديث يتضح لنا أن الثوبين قطريان، وليسا بعمانيين؛ وذلك لون المنسوجات القطرية تشتهر بالخشونة، كما وصفها ابن الأثير، فقال: "أن الثوب القطري ضرب من البرود فيه حمرة، ولها أعلام فيها بعض الخشونة"^(٢)، كما روي أن السيدة عائشة - رضي الله عنها - أم المؤمنين، وسيدنا عمر بن الخطاب، وعلى بن أبي طالب، وعبد الله بن عمرو بن العاص جميعهم لبسوا الثياب القطرية^(٣)، وقد أهدى أبو العتاهية المأمون هدايا كثيرة منها أردية قطرية^(٤)، مما يدل على ازدهارها حتى العصر العباسي.

وفي الساحل الشرقي للخليج العربي كانت المنطقة على درجة كبيرة من الرقي في المنسوجات، وكان أهم هذه المراكز لهذه الصناعة إقليم خوزستان^(٥)؛ حيث نقلها إليه الساسانيون من بلاد الروم.

ومن مراكز النسيج في الخليج العربي دارين، لكن المصادر لا تذكر لنا أنواع منسوجات دارين، فقد قال جرير^(٦):

فتؤخذ من عند البعيثِ ضريبةً ويترك نساغًا بدارين مسلماً



(١) ابن حنبل: المسند، ٢٤/٥، ١٤٧/٦

(٢) ابن الأثير: النهاية في غريب الحديث، ٢٦٢/٣

(٣) ابن سعد: الطبقات ٤ق ١٢/٢

(٤) الجاحظ: البيان والتبيين ١٢١/٣

(٥) محمد جمال الدين سرور: تاريخ الحضارة الإسلامية ص ١٣٧

(٦) جرير والفرزدق: النقائض ٦٤/١

فصل

الثياب القطرية

ومعلوم أن الثياب القطرية كانت منتشرة جدا أيام الرسول ﷺ والصحابة الكرام والتابعين وكانت أيضا منتشرة لدى الزهاد ، لأنها كانت ثياب غليظة خشنة ، بخلاف الثياب الناعمة التي كانت تحمل من أرض الشام.

بل والثابت أن الرسول ﷺ كان كثير ما كان يلبسها في حياته ، فعندما كان يذهب الي بيت الله الحرام، كان يُحرم في ثيابٍ قطرية.

فعن نافع ، عن ابن عمر رضي الله عنه : أن النبي - صلى الله عليه وسلم - أحرم في ثوبين قطريين .^(١)

وهذا الثياب القطري لم يكن لباس الرسول ﷺ وقت الإحرام فحسب بل، كان لباسه في غالب حياته.

فعن عكرمة، عن عائشة، قالت عائشة: يا رسول الله، إن عليك ثوبين قطريين ثقيلين، فإذا رشقت(من العرق) ثقلا عليك، فلو أخذت ثوبين من فلان، فإنه قد جاءه بز إلى الميسرة،(أي يدفع ثمنه بأجل) فأرسل إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ليرسل إليه ثوبين إلى الميسرة، فقال: قد علمت ما يريد محمد، إنما يريد أن يأخذ ثوبي ولا يعطيني الدراهم، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: كذب، أنا أصدقهم حديثا، وأتقاهم، أو قال: أنا أصدقهم حديثا وأداهم للأمانة»^(٢)

وعن عائشة أم المؤمنين - كان على النبي - صلى الله عليه وسلم - ثوبان قطريان غليظان ، فكان إذا قعدَ فعرق ثقلا عليه ، فقدم بز من الشام لفلان اليهودي ، فقلت : لو

(١) كتاب السنن الكبرى - أبو بكر البيهقي ج ٥ ص ٣٣
(٢) «مسند أحمد» (٧٠ / ٤٢) ط الرسالة: «مسند إسحاق بن راهويه» (٣ / ٦٢٤)

بعثت إليه ، فاشترت منه ثوبين إلى الميسرة ، فأرسل إليه ، فقال (اليهودي) : قد علمت ما يريد ؛ إنما يريد أن يذهب بمالي ، فكذب ! قد علم أي أتقاهم وآداهم للأمانة . (١) (٢)

بل وقد ثبت أيضا أن الرسول ﷺ عندما صلى بالمسلمين آخر صلاة كانت له ، صلاها في هذه الثياب القطرية ،

فعن أنس بن مالك: (أن النبي صلى الله عليه وسلم كان شاكيا (مريض) خرج وهو يتكىء على أسامة بن زيد عليه ثوب قطري قد توشح به فصلى بهم)» (٣) (٤)

وعن الحسن، عن أنس بن مالك ، أن النبي صلى الله عليه وسلم خرج وهو يتكىء على أسامة بن زيد عليه ثوب قطري قد توشح به ، فصلى بهم.

وقال عبد بن حميد: قال محمد بن الفضل: سألي يحيى بن معين عن هذا الحديث أول ما جلس إلي ، فقلت: حدثنا حماد بن سلمة ، فقال: لو كان من كتابك ، فقامت لأخرج كتابي فقبض على ثوبي ثم قال: أمله علي؛ فإني أخاف أن لا ألقاك ، قال: «فألميته عليه ، ثم أخرجت كتابي فقرأت عليه» (٥)

وفي رواية "قد توشح به" ، فجعل طرفيه على عنقه كالوشاح ، وأدخله تحت يده اليمنى ، وألقاه على منكبه الأيسر ، كما يفعله المحرم "فصلى بهم" بأصحابه إماما ، على هذه الهيئة؛ لأن يدها ظاهرتان من الوشاح ، ولم يلتحف بهما التحافا شاملا ، ولم يغط يديه وذراعيه.

وهذا شرف للثياب بأن الله تعالى قد شرفها بأن النبي ﷺ قد لسبها في آخر حياته وصلى بها آخر صلاة ، والواضح من الأدلة والأحاديث بأن النبي ﷺ قد احتضر فيه أيضا.

(١) الألباني صحيح على شرط الشيخين | أخرجه الترمذي (١٢١٣) ، والنسائي (٤٦٢٨) ، وأحمد (٢٥١٤١) باختلاف يسير

(٢) الألباني : صحيح الترمذي الرقم: ١٢١٣ : أخرجه الترمذي (١٢١٣) واللفظ له ، والنسائي (٤٦٢٨) ، وأحمد (٢٥١٤١)

(٣) «الشمائل المحمدية للترمذي ط المكتبة التجارية» (ص ٦٩):

(٤) «شرح السنة لليغوي» (٢٢ / ١٢)

(٥) «الشمائل المحمدية للترمذي ط المكتبة التجارية» (ص ١٢١): إسناده صحيح | أخرجه أحمد (١٣٧٦١) واللفظ له ،

والطبايسي (٢٢٥٤) على الشك في الراوي ، وابن حبان (٢٣٣٥) باختلاف يسير

لأن خروجه **صلى الله عليه وسلم** ذلك كان في مرض موته، **ﷺ** بدليل ما رواه الدارقطني. أنه خرج بين أسامة والفضل وزيد إلى الصلاة في المرض الذي مات فيه،»^(١)

ولقد كان هذا الثياب أيضا لباس الكثير من الصحابة أيضا، وهو الزي الرسمي لأمير المؤمنين عمر بن الخطاب **رضي الله عنه**.

فعن محمد بن السائب بن أبي هندبة عن أبيه قال: رأيت على عمر (ثوبين قطريين).»^(٢)

وعن سويد بن غفلة قال: هبطنا مع عمر بن الخطاب بالجابية فلقينا قوم من أهل الشام عليهم الحرير، فقال عمر: إن **الله** أهلك قوما بلباسكم (هذا، ثم رماهم حتى تفرقوا، ثم أتوه في ثياب قطرية فقال: هذا أعرف ثيابكم)»^(٣).

وكان أيضا ثياب ابنه **عبدالله بن عمر**.

فعن مسروق قال: قلت لعبد **الله بن دينار**: كيف كان طعام ابن عمر؟ قال: " كان يطعمنا ثريدا، فإن لم نشبع زادنا آخر، قال: فقلت: كيف كان لباس ابن عمر؟ فقال: كان يلبس ثوبين، ثمن عشرين درهما، وكان يلبس ثوبين قطريين، ثمن عشرة دراهم"»^(٤)

وعن ميمون بن مهران قال دخلت على ابن عمر فقومت كل شئ في بيته من فراش أو لحاف أو بساط وكل شئ عليه فما وجدته يساوي مائة درهم. وقيل لعبد **الله بن دينار** كيف كان طعام ابن عمر قال كان يطعمنا ثريدا فإن لم نشبع زادنا آخر فقلت فكيف كان لباس ابن عمر قال كان يلبس ثوبين ثمن عشرين درهما وكان يلبس ثوبين قطريين ثمن عشرة دراهم.^{(٥)(٦)}

(١) «منتهى السؤل على وسائل الوصول إلى شمائل الرسول» (١/٤٥٨):

(٢) «مصنف ابن أبي شيبة» (١٣/٥٤٤ ت الشثري)

(٣) جمع الجوامع المعروف بـ «الجامع الكبير» (١٦/٣٨٠)

(٤) «الزهد والرقائق - ابن المبارك - ت الأعظمي» (ص ٢٥٩)

(٥) «تاريخ دمشق لابن عساکر» (٣١/١٥١)

(٦) «مختصر تاريخ دمشق» (١٣/١٦٦):

وهو أيضا لباس سيدنا علي رضي الله عنه عن أبي رزين قال إن أفضل ثوب رأيته على علي رضي الله عنه القميص من قهز وبردين قطريين»^(١)

وعن سعيد بن عبيد، عن علي بن ربيعة، قال: «رأيت علي ثوبين قطريين»^(٢)

وعن مغيرة عن قدامة بن عتاب قال: كان علي ضخم البطن. ضخم مشاشة المنكب. ضخم عضلة الذراع. دقيق مستدقها. ضخم عضلة الساق. دقيق مستدقها. قال رأيته يخطب في يوم من أيام الشتاء. عليه قميص قهز وإزاران قطريان. معتما بسب كتان مما ينسج في سوادكم.»^(٣)

وعن أبي رزين قال: خرج علي بن أبي طالب وعليه قميص من (قهز)، وعليه (بردان قطريان)^(٤)

وجاء أيضا أن سيدنا علي بن أبي طالب كان يلبس هذه الثياب عندما قتل سيدنا عثمان بن عفان رضي الله عنهم جميعا.

فعن علي بن عبد الله بن بعجة، عن أبيه، عن جده قال: كأني أنظر إلى علي بن أبي طالب يوم قتل عثمان مقبلا على بغلة النبي صلى الله عليه وسلم الدلدل. عليه ثوبان قطريان متوشح نفسه، وفي يده قوسه، وعليه عمامة خز، فأتيت حطب المسجد، فخطب على قوسه."»^(٥)

وكانت أيضا هذه الثياب ثياب أم المؤمنين عائشة كانت تلبسها وكانت تعيرها للعرائس يلبسها يوم العرس وفي الأفراح فكانت العروس تستعيه للترين به لعرسها ولكن بعد الفتوحات الإسلامية لم يكن مرغوب فيه لغلظته.

(١) «تاريخ ابن معين - رواية الدوري» (٣٧ / ٤):

(٢) «مصنف ابن أبي شيبة» (١٧٢ / ٥) ت الحوت

(٣) «الطبقات الكبرى - ط العلمية» (١٩ / ٣)

(٤) «مصنف ابن أبي شيبة» (٥٤٣ / ١٣) ت الشثري

(٥) «التاريخ الكبير» للبخاري (١٨٥ / ٦) ت الدباسي والنحال:

قال أيمن الحبشي- المخزومي: دخلت على عائشة وعليها درع قطري ثمن خمسة دراهم»^(١)

والحديث في صحيح البخاري: عن عبد الواحد بن أيمن، قال: حدثني أبي، قال: دخلت على عائشة -رضي الله عنها-، وعليها درع قطر، ثمن خمسة دراهم، فقالت: "ارفع بصرك إلى جاريتي، انظر إليها، فإنها تزهى أن تلبسه في البيت، وقد كان لي منهن درع على عهد رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، فما كانت امرأة تقين بالمدينة، إلا أرسلت إلي تستعيره"

والدرع القطري: أي الثياب القطرية منسوبة إلى قطر، والمراد أنه غليظ خشن، وكان يقدر ثمنه بخمسة دراهم من الفضة، فقالت له عائشة رضي الله عنها لا توجد امرأة في المدينة أرادت أن «تقين» -أي: تزين لعرسها- إلا أرسلت إليها لتستعيره منها.

وكان ثياب عبد الله بن عمرو بن العاص أيضا: فعن سليمان بن الربيع، قال: انطلقت في رهط من نساك أهل البصرة إلى مكة فقلنا لو نظرنا رجلا من أصحاب رسول الله، صلى الله عليه وسلم، فتحدثنا إليه، فدللنا على عبد الله بن عمرو بن العاص فأتينا منزله فإذا قريب من ثلاثمائة راحلة. قال فقلنا: على كل هؤلاء حج عبد الله بن عمرو؟ قالوا: نعم هو ومواليه وأحباؤه. قال: فانطلقنا إلى البيت فإذا نحن برجل أبيض الرأس واللحية بين بردين قطريين عليه عمامة ليس عليه قميص»^(٢)

وعن عقبة بن عمرو بن أوس السدوسي قال: أتينا عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما، وعليه بردان قطريان، وعليه عمامة، وليس عليه سريال -يعني القميص - فقلنا له: إنك قد رويت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، ورويت الكتب، فقال: ممن أنتم؟ قال: فقلنا من أهل العراق، فقال: إنكم يا أهل العراق تكذبون وتكذبون، وتسخرون. قال: فقلت: لا والله، لا نكذبك، ولا نكذب عليك، ولا نسخر منك.....الحديث»^(٣)

وفي رواية، قال: " أتينا عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما، وعليه بردان قطريان، وعليه عمامة، وليس عليه سريال - يعني القميص - فقلنا له: إنك قد

(١) «النهاية في غريب الحديث والأثر» (٤/ ٨٠):

(٢) «الطبقات الكبير» (٥/ ٨٨ ط الخانجي):

(٣) «المستدرک علی الصحیحین» (٩/ ٣٧٣)

رويت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ورويت الكتب، فقال: «ممن أنتم؟» قال: فقلنا من أهل العراق، وهذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه (١)

وكانت هذه الثياب منتشرة في الدولة الإسلامية حتى أنها كان منتشرة في أرض الشام واليمن:

فعن إبراهيم بن هشام قال حدثني أبي عن جدي. قال: بينا عمر بن عبد العزيز يسير يوماً في سوق حمص، فقام إليه رجل عليه بردان قطريان فقال: يا أمير المؤمنين أمرت من كان مظلوماً أن يأتيك؟ قال: نعم، قال: فقد أتاك مظلوم بعيد الدار. فقال له عمر: وأين أهلك؟ قال: (بعدن أبين) (٢). قال: عمر: والله إن أهلك من أهل عمر لبعيد. فنزل عن دابته في موضعه فقال ما ظلامتك؟ قال ضيعة لي وثب عليها واثب فانزعها مني. فكتب إلى عروة بن محمد يأمره أن يسمع من بينته فإن ثبت له حق دفعه إليه وختم كتابه. فلما أراد الرجل القيام قال له عمر: على رسلك انك قد أتينا من بلد بعيد، فكم نفذ لك زاد، أو نفقت لك راحلة؟ وأخلق لك ثوب فحسب ذلك فبلغ أحد عشر ديناراً، فدفعها عمر إليه. (٣)

وكان هذا الثياب ثياب الزهاد أيضاً: كعطاء بن أبي رباح وغيره وهو من التابعين، المشهور عنهم الزهد والعلم.

فعن عبد الله بن عبد الرحمن العنبري، من أهل مصر، قال: ثنا عبد الله بن صالح، عن عثمان [بن] عطاء، قال: كنت مع أبي بفناء الكعبة، إذ مر بنا رجل أصلع، أشرح، أفحج، كأن أنفه بعرة، أشد سواداً من است القدر، عليه ثوبان قطريان، فقلت لأبي من هذا؟ فقال: هذا سيد فقهاء أهل الحجاز، هذا عطاء بن أبي رباح! قال: فجاء إلى باب سليمان بن عبد الملك، فاستأذن الحاجب، فقال له: من أنت؟ فقال: أنا عطاء بن أبي رباح، فصاح سليمان بن عبد الملك من داخل: صدق افتح له، فلما دخل عليه تزحزح له عن مجلسه، فقال: يصلح الله أمير المؤمنين، احفظ وصية رسول الله صلى الله عليه وسلم في أبناء المهاجرين والأنصار. قال: أصنع بهم ماذا؟ قال: تنظر في أرزاقهم وأعطياتهم. ثم

(١) «المستدرک علی الصحیحین» (٤/ ٥٠٦):

(٢) تقع محافظة أبین إلى الجنوب الشرقي للعاصمة صنعاء، وتبعد عنها بمسافة تصل إلى (٤٢٧) كيلو

(٣) «حلیة الأولیاء وطبقات الأصفیاء - ط السعادة» (٥/ ٢٨٠)

قال: احفظ وصية رسول الله صلى الله عليه وسلم في أهل المدينة؟ قال: أصنع بهم ماذا؟ قال تنظر في أرزاقهم وأعطياتهم. قال: ثم ماذا؟ قال: ثم أهل البادية، تفقد أمورهم فإنهم سادة العرب، قال: ثم ماذا؟ قال: ذمة المسلمين، تفقد أمورهم، وخفف عنهم من خراجهم، فإنهم عون لكم على عدو الله وعدوكم. قال ثم ماذا؟ قال: أهل الثغور، تفقد أمورهم، فبهم يدفع الله عن هذه الأمة. ثم قال: يصلح الله أمير المؤمنين، ثم نهض فلما ولى قال سليمان: هذا والله الشرف لا شرفنا، وهذا السؤدد لا سؤددنا، والله لكأنما معه ملكان ما يكلمني في شيء فأقدر أن أرده، ولو سألتني أن أتزحج له عن هذا المجلس لفعلت، أو كما قال.»^(١)

وكان أيضا لباس الخوارج: ولقد جاء في حُطْبَةِ أَبِي حَمْرَةَ الشَّارِيِّ الْمُخْتَارِ بْنِ عَوْفٍ بِمَكَّةَ «الذين خرجوا في زمن مروان بن محمد بن مروان بن الحكم، قالوا: وأقبل أبو حمزة من عرفة حتى صعد المنبر-يعني: بمكة- وعليه ثوبان قطريان، وهو متنكب قوسا عربية، فحمد الله-تعالى-وأثنى عليه بما هو أهله، وصلى على محمد صلى الله عليه وسلم ثم قال: أما بعد، فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان لا يتقدم ولا يتأخر إلا بأمر الله-عز وجل-ووحيه، أنزل عليه كتابا بين له ما يأتي وما يذر، فلم يكن في شك من دينه، ولا على شبهة من أمره، حتى قبضه الله-تعالى-إليه، فصلى الله عليه وسلّم، وقد علم المسلمون معالم دينهم، وولى أبا بكر الصديق-رضي الله عنه-صلاتهم، فعمل أبو بكر-رضي الله عنه-بالكتاب والسنّة، وقتل أهل الردة، ثم مضى- [لسبيله]-يرحمه الله-، وولى عمر بن الخطاب-رضي الله عنه-الأمر بعده، فسار عمر-رضي الله عنه-سيرة صاحبه، جبي الفيء وقسمه بين أهله، وفرض الأعطية، وجمع الناس في قيام شهر رمضان، وغزا العدو في بلادهم، وضرب في الخمر ثمانين، ثم مضى- عمر بن الخطاب-رضي الله عنه-لسبيله-يرحمه الله-وغفر له. ثم ولي عثمان بن عفان-رضي الله عنه-الأمر على الناس من بعده، فسار ست سنين بسيرة صاحبيه، وسار في الست الآخرة بما أحبط سنّيته الأوائل، ثم قام من بعده علي بن أبي طالب رضي الله عنه- فلم يبلغ من الحق قصدا، ولم يرفع له منارا، ثم مضى»^(٢)

وكان أيضا الثياب المفضل للإمام الشافعي رحمه الله:

(١) «أخبار مكة - الفاكهي» (٢/ ٣٤٢ ط ٤):

(٢) «أخبار مكة - الفاكهي» (٣/ ١٤١ ط ٤)

يقول الشافعي كما جاء في كتاب الأم -: «وأحب ما يلبس إليّ البياض ، فإن جاوزه بعصب اليمن والقطري وما أشبهه مما يصبغ غزله ولا يصبغ بعد ما نسج فحسن»^(١)

وكان منها أيضا الثياب ذات القيمة العالية التي تهدي للملوك:

فكان أبو العتاهية أهدى إلى أمير المؤمنين المأمون عصا نبع، وعصا شريان، وعصا آبنوس، وعصا أخرى كريمة العيدان، شريفة الأغصان، وأردية قطرية، (جمع رداء) وركاء يمانية، ونعالا سبتية ، فقبل من ذلك عصا واحدة ورد الباقي.^(٢)

وهكذا مما سبق يتضح أن الثياب القطرية المنسوبة إلى دولة قطر كانت منتشرة جدا وكان لها تواجد قوي في عصر النبوة وعصر الخلفاء الراشدين واستمر تواجدها حتى العصر العباسي.

والثوب القطري منسوب الي دولة قطر: قال العلماء وهو نوع من حلل جياذ يحمل من بلد بالبحرين اسمها قطر- بفتحتين-، فكسرت القاف للنسبة وسكن الطاء على خلاف القياس، وهو ما ذكره شراح كتاب «الشمائل» كالمناوي، وعلي القاري، والباجوري، وغيرهم

قال جلال الدين السيوطي في شرح سنن النسائي - وهو ثوب مصنوع من القطن، وفيه بعض الخشونة، وقيل: هي حلل جياذ، تحمل من قبل البحرين من قرية فيها يقال لها قطر^(٣)

وقال البكراوي: البرود (جمع بردة) القطرية حمر لها أعلام فيها بعض الخشونة، وقال خالد بن جنبة: هي حلل تعمل في مكان لا أدري أين هو، وهي جياذ وقد رأيتها وهي حمر تأتي من قبل البحرين، قال أبو منصور: في أعراض البحرين على سيف الخط بين عمان والعقير

(١) كتاب الأم - الإمام الشافعي - ج ١ - الصفحة ٢٢٦

(٢) كتاب البيان والتبيين [الجاحظ] ج ٣ ص ٨٢

(٣) سنن النسائي - جلال الدين السيوطي - ج ٧ - الصفحة ٢٩٥

قال الجوهري: القطر: ضرب من البرود يقال لها القطرية"

ويذكر ابن الأثير أن الثوب القطري ضرب من البرود فيه حمرة ولها أعلام فيها بعض الخشونة، وقيل هي حلل جياذ تحمل من قبل البحرين من بلد تسمى قطر و«أنه عليه السلام كان متوشحاً بثوب قطري»^(١).

وقال الأزهري: في أعراض البحرين قرية يقال لها: قطر، وأحسب الثياب القطرية نسبت إليها، فكسروا القاف للنسبة وخففوا.^(٢)

و(قَطْرِيَان) مثنى قطري بكسر القاف: ضرب من البرود فيه حمرة، وله أعلام، فيها بعض الخشونة، وقيل: هي حلل جياذ تحمل من قرية في أعراض البحرين يقال لها: قَطْر فكسروا القاف للنسبة وخففوا.^(٣)

يقول ياقوت الحموي: قرية يقال لها قطر وأحسب الثياب القطرية تنسب إليها، ومما يصحح أنها بين عمان والبحرين قول عبدة بن الطيب:

تذكر ساداتنا أهلكم، ... وخافوا عمان وخافوا قطر

وخافوا الرواطي إذا عرضت ... ملاحس أولادهن البقر^(٤)

يقول المحدث المسند السيد: محمد بن علوي المالكي: والمعتمد عندي: وهو أن الثوب القطريّ منسوب إلى قطر بفتحيتين - إقليم بجهة البحرين من الخليج العربيّ، ويقرأ هكذا: ثوب قطريّ؛ بفتح القاف وبفتح الطاء المهملة وكسر الزاء، وآخر ياء، نسبة إلى قطر بفتحيتين -، البلد المعروف في الخليج العربيّ، وهو مشهور بصنع البرود والثياب من قديم الزّمان إلى عصرنا الحاضر، لكن لما كثرت الثّياب المستوردة من الخارج؛ وهي أنضهر وأقلّ ثمنًا؛ آثروها على صنع بلادهم، فقلّت صنعة الثّياب عندهم، وكل ذلك مكيدة من الكفّار لأهل الإسلام، فلا حول ولا قوة إلا باللّهِ العلي العظيم.^(٥)

(١) «النهاية في غريب الحديث والأثر» (٤/ ٨٠):

(٢) «النهاية في غريب الحديث والأثر» (٤/ ٨٠):

(٣) «فقه الإسلام = شرح بلوغ المرام» (٥/ ١٦٧): «مرقاة الصعود إلى سنن أبي داود» (١/ ٢٧٤):

(٤) كتاب معجم البلدان [الحموي، ياقوت] ج ٤ ص ٣٧٣

(٥) «منتهى السؤل على وسائل الوصول إلى شمائل الرسول» (١/ ٤٦٠):

ومن الصناعات الأخرى في منطقة الخليج في عصر الإسلام الرماح، فقد كانت منطقة الخليج تجهز للعرب قبل الإسلام بعض الأسلحة، ومنها: الرماح، وأشهرها الخطية التي تنسب إلى مدينة الخط، التي يجلب قناها من الهند بحرًا، ثم تقوم فيها، ثم تباع في بقية أنحاء الجزيرة العربية^(١)، والرماح الخطية مشهورة عند العرب، ويضرب بها المثل، ومنها الرماح السمهرية، وهي الصلبة الجيدة، وتباع في الخط والرماح الردينية، وتباع أيضًا بالخط، ويقال: إن الرماح السمهرية والردينية سميتًا باسم صانعهما^(٢)، وهناك نوع ثالث اسمه: (الخرصان)، وتباع في قرية: الخرصان^(٣).

وعند التحدث عن أهمية الخليج الاقتصادية في العصر الإسلامي رأينا أن التجارة هي العمود الفقري لهذه النهضة؛ لذا كانت التجارة من أهم الأسباب؛ لتواجد صناعة السفن في الخليج، وقد ساعد على هذه الصناعة بجانب الازدهار التجاري وقوع المنطقة على البحر؛ حيث كانت تمرّ فيها أهم الطرق الموصلة بين الشرق والغرب، وقد عرف سكانها البحر، والملاحة من احتكاكهم بالتجار الهنود، والصينيين، فقد كانت لبعض تجار الخليج أساطيل من السفن تذكر لنا المصادر منها: (سفن ابن يامن)، وهو التاجر اليهودي.

وهناك صناعات أخرى في منطقة الخليج منها: صناعة الخمور، فقد عرفت منطقة الخليج بإنتاج النبيذ^(٤)، وكما قلنا سابقًا: كان العنب يزرع في جزيرة تاروت بكثرة، وكان النبيذ يصنع كذلك من التمور، وقد اشتهر منها بصورة خاصة التمر العراقي النابجي^(٥)، وكانت قطر تعتبر من أشهر مناطق الخليج العربي آنذاك إنتاجًا للخمر^(٦)، كما كانت هجر مركزًا مهمًا لذلك، حيث اشتهرت في هجر حانة ريمان^(٧)، ويروى مسلم أن وفد عبد القيس سأل النبي - **صلى الله عليه وسلم** - عن النبيذ، فنهاهم أن يتنبدوا في الدباء، والنقير

(١) القلقشندي: صبح الأعشى ١٤٠/٢

(٢) ابن الانباري: شرح القصائد السبع ٥٦٨، وانظر: تاريخ العروس ٣/٣٨٠

(٣) ياقوت: معجم البلدان ٤٢٣/٢ الخرصان الأن منطقة سكنية تقع في ولاية الرستاق، التابعة لمحافظة جنوب الباطنة في سلطنة عمان.

(٤) ديوان الهذليين: ١١٤/٢

(٥) ابن خرداذبة: المسالك والممالك ٢١٧

(٦) البكري: معجم ما استعجم ١٠٨٣

(٧) العمري: مسالك الابصار ٣٨٨/١

، والمزقت، والمقير^(١)، وقد خصت هذه الأواني بالنهي؛ وذلك لأن نبيذها يصبح بعد فترة وجيزة مسكراً .

في الصحيحين عن «ابن عباس رضي الله عنهما يقول: قدم وفد عبد القيس، فقالوا: يا رسول الله، إنا هذا الحي من ربيعة، بيننا وبينك كفار مضر، فلسنا نصل إليك إلا في الشهر الحرام، فمرنا بأمر نأخذ به ندعو إليه من وراءنا، قال: (آمركم بأربع، وأنهاكم عن أربع، الإيمان بالله: شهادة أن لا إله إلا الله - وعقد بيده - وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصيام رمضان، وأن تؤدوا لله خمس ما غنمتم. وأنهاكم عن الدباء، والنقير، والحنتم، والمزفت).»

وقول صلى الله عليه وسلم (وأنهاكم عن أربع: عن الدباء، والحنتم، والنقير، والمقير أو المزفت)، وهذه أربعة أشياء يكون التخمر والفساد فيها سريعاً فنهاهم عنها، وإن كان بعد ذلك قد رخص لهم الشرب في جميع الأواني إلا أن يكون محرماً.

قال: (أنهاكم عن الدباء)، الدباء: هو القرع، سواء كان القرع العسلي أو اليبس، فيعمد إلى هذا القرع فيفتح فيه فتحة بسيطة ويأخذ ما بداخله، فيصير كهيئة الإناء، فيطرح فيه النبيذ، والنبيذ: هو الشراب الذي ينبذ فيه التمر أو الزبيب، والنبيذ على وزن فعيل بمعنى مفعول، فهو الشيء المنبوذ الملقى بداخله، فإذا وضع التمر أو الزبيب داخل هذه القرعة أخذ في التخمر والتحول بسرعة كبيرة، فيصير خمراً، فنهاهم صلى الله عليه وسلم عن ذلك.

قال: (والحنتم)، وهو: نوع من أنواع الجرار لها فم في جانبها، وكان لون هذه الجرار أخضر، والحنتم أو الحنتمة شيء واحد، يستعملونها كالأواني فيشربون فيها الخمر، وقد نهاهم النبي صلى الله عليه وسلم عن ذلك سداً للذريعة، ولئلا توسوس لهم أنفسهم بعد ذلك فيشربون الخمر.

ونهاهم كذلك عن: (النقير)، والنقير: مأخوذ من النقرة، وهو أن يأخذ جذعاً ملقى على الأرض فينقر فيه نقرة فيجعله مجوفاً، فيضع فيه النبيذ ويغطيه، فيتخمر سريعاً فيشربه، فنهاهم عن ذلك أيضاً.

(١) النروي: صحيح مسلم ١٥٧٩/٣

ونهاهم كذلك عن: (المزفت أو المقير)، وهو الإناء المطلي بالقار أو الزفت، فعندما يوضع فيه النبيذ يسخن إلى أن يتخمر، وقد نهاهم النبي **صلى الله عليه وسلم** عن ذلك أيضا.^(١)

وإذا كان البترول يمثل - في الوقت الحالي - عصب الحياة، وروح النهضة، فإن ثمة الأهمية في الاقتصاد لمنطقة الخليج العربي، فإن اللؤلؤ في العصور الوسطى كان هو بترول الخليج آنذاك.

كما أن الغوص بحثًا عن اللؤلؤ حتى وقت قريب كان ظاهرة اقتصادية مهمة في الخليج العربي، ومصدرًا رئيسًا من مصادر الرزق في هذه المنطقة.

ومن أهمية الغوص على اللؤلؤ في الخليج العربي في فجر الإسلام كانت الدولة تهتم به كثيرًا، وكان الخليفة يضيف مسئولية الإشراف على الغوص على اللؤلؤ إلى الوالي الذي كان يعينه حاكمًا على مناطق الخليج العربي، ففي خلافة هارون الرشيد تمت تولية (المعلي) - وهو من كبار قادة الرشيد - على البصرة، وفارس، والأهواز، واليمامة، والبحرين، والغوص^(٢)، وهذه الأعمال جمعت كذلك لـ (محمد بن سليمان بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب)^(٣).

وباعتبار ما كان للؤلؤ من أهمية اقتصادية في الخليج العربي قديمًا فقد اهتمت به المصادر العربية على مختلف أنواعها، وهي تعلمنا أن الغوص بحثًا عن اللؤلؤ كان من الموارد المهمة لخراج الدولة، وبخاصة أواخر عصر الأمويين، وفي عصر الرشيد خاصة من العباسيين.

فيذكر ناصري خسرو أثناء كلامه عن البحرين أن السلاطين أخذوا نصف ما يستخرجه الغواصون منه، كما ذكر الإدريسي في كتابه "نزهة المشتاق" أن صاحب "أوال" في الخليج

(١) «صحيح البخاري» (١١٢٨/٣) راجع شرح كتاب الجامع لأحكام الصيام وأعمال رمضان - [أحمد حطبية] ج ١ ص ٦

(٢) الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد (القاهرة ١٩٣١ ج ١ ص ٩٦)

(٣) محمد بن سليمان بن علي بن عبد الله بن عباس ووالي الكوفة والبصرة ومنطقة الخليج العربي لمعظم حياته. قمع تمرد العلويين ودعم أبا عبد الله المهدي لتولية الخلافة. صادر الخليفة هارون الرشيد ثروته الهائلة بعد وفاته.

كان يحتفظ باللؤلؤ النادرة؛ ليرسلها إلى الخليفة، وتباع جميع اللؤلؤ هناك بمعرفة الوالي في يوم يجتمع فيه التجار لذلك الأمر .

أما عن أشهر مناطق صيد اللؤلؤ في الخليج العربي في فجر الإسلام، فهي المناطق الآتية: سواحل الخليج الغربية عند البحرين، وقطر، والإمارات، وكذلك عند سواحل الشرقية عند قرى وبلاد: لنجة، وكلات، وجارك، والمقام، وكذا بجوار جزر الخليج، مثل: قيس، وجارك، وعند رابي، والجسيم، وجزيرة الشيخ شعيب .

وقد جاء ذكر اللؤلؤ في القرآن الكريم، وفي الحديث الشريف، وفي الشعر العربي، ففي القرآن الكريم ذكره الله سبحانه في عدة سور، منها يقول سبحانه: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ﴾ [الحج: ٢٣]

﴿إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ﴾ [الحج ٢٣]

﴿جَنَّاتٌ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ﴾ [٣٣ فاطر] وقال ﴿وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَكْنُونٌ﴾ [٢٤ الطور]

﴿يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللَّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ﴾ [٢٢ الرحمن]

﴿كَأَمْثَالِ اللَّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ﴾ [٢٣ الواقعة]

﴿وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَنثورًا﴾ [١٩ الانسان] (١).

أما في الأحاديث الشريفة فجاء ذكر اللؤلؤ في مواضيع مختلفة منها: عن أبي موسى الأشعري: كما في صحيح البخاري قال النبي عليه الصلاة والسلام: «إِنَّ فِي الْجَنَّةِ حَيْمَةً

(١) كما ورد ذكره في السور الآتية: (سورة النور، الآية: ٣٥)، و(سورة فاطر الآية: ٢٣)، و(سورة الطور الآية: ٢٤)، و(سورة الرحمن، الآية: ٢٢)، و(سورة الواقعة، الآية: ٢٣)، و(سورة الدهر، الآية: ١٩) .

مِنْ لَوْلَاةٍ مُّجَوَّفَةٍ، عَرَضَهَا سِتُّونَ مِیْلًا، فِي كُلِّ رَاوِيَةٍ مِنْهَا أَهْلٌ مَا يَرَوْنَ الْأَخْرِينَ، يَطُوفُ عَلَيْهِمُ الْمُؤْمِنُونَ..»^(١)

وكذا في قول رسول الله -صلى الله عليه وسلم- عن أهل الجنة: «إِنَّ عَلَيْهِمُ التَّيْجَانَ، إِنَّ أَدْنَى لَوْلَاةٍ مِنْهَا لَتُضِيءُ مَا بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ»^(٢).

وكذا في قول رسول الله -صلى الله عليه وسلم- عن الحور العين (يَنْظُرُ إِلَى وَجْهِهِ فِي خَدِّهَا أَصْفَى مِنَ الْمِرَاةِ، وَإِنَّ أَدْنَى لَوْلَاةٍ عَلَيْهَا يُضِيءُ مَا بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ، وَإِنَّهُ لَتَكُونُ عَلَيْهَا سَبْعُونَ ثَوْبًا يَنْفُذُهَا بَصَرُهُ حَتَّى يَرَى مَحَّ سَاقِهَا مِنْ وَرَاءِ ذَلِكَ).^(٣)

أما في الشعر العربي فلقد ورد ذكر اللؤلؤ في شعر الجاهليين، وشعراء صدر الإسلام كما ورد ذكره أيضًا على لسان عدد كبير من شعراء العصر الأموي.

فالشاعر (أسيب بن علي) خال الأعشى- الجاهلي المعروف وصف صاحبتة بجمانة^(٤) البحري في إحدى قصائده، وقد قصد بها الدرّة التي أخرجها الغواص من لجةٍ ذاكراً قصة ذلك الغواص منذ أن رحل في طلب الدرّة، والصعاب التي واجهته، وفرحه وابتهاجه بالعثور عليها، وكيف أنها تشبه المالكية صاحبتة لحظة خروجها من خدرها:

فلتلك شبه المالكية إذ طلعت ببهجتها من الخدر

أما الأعشى- المعروف برحلاته العديدة، فقد كان يروي ما يلاقيه الغواصون في سبيل الحصول على اللؤلؤ، وقد وصف الأعشى- حبيبتة بالدرّة الزهراء التي أخرجها غواص (دارين معرضًا نفسه للغرق، والهلاك في سبيلها، إذ أن هذا الغواص ظل يطلب تلك الدرّة منذ نبت شاربه حتى هرم، وأدركته الشيخوخة دون ملل، أو يأس:

كأنها درّة زهراء أخرجها غواصُ دارين يخشى دُونَهَا الغرق

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه، (٦/ ١٤٥) رقم: «٤٨٧٩» كتاب التفسير، تفسير سورة الرحمن، ومسلم في صحيحه (٢١٨٢/٤) رقم: «٢٨٣٨» كتاب الجنة وصفة نعيمها، باب: في صفة خيام الجنة، وما للمؤمنين فيها من الأهلين.

(٢) أخرجه الترمذي في سننه، (٤/ ٦٩٥) رقم: «٢٥٦٢»، أبواب صفة الجنة، باب: ما جاء ما لأدنى أهل الجنة من الكرامة.

(٣) عن أبي سعيد الخدري | تخريج: شعيب الأرنؤوط | المصدر: تخريج شرح السنة الصفحة: ٢١٨/١٥

(٤) مقال للادبية رعد قناب، بعنوان: (اللؤلؤ في تاريخنا العربي) بمجلة (هنا لندن)، العدد (٢٤)، تاريخ: ٣١/٥/١٩٧٩.

ويعتبر المؤرخ (علي بن حسين المسعودي) الذي عاش في النصف الأول من القرن الرابع الهجري أقدم من كتب عن اللؤلؤ من الجغرافيين كتابة شاملة، وقد قال في مقدمة كتاب (مروج الذهب ومعادن الجوهر): "والغوص على اللؤلؤ في بحر فارس إنما يكون في أول نيسان إلى آخر أيلول، وما عدا ذلك من أشهر السنة، فلا غوص فيها، واللؤلؤ وعلاماته، وحيوانه أخبار عجيبة"^(١).

وفي أثناء الفتوحات الإسلامية في عهد عمر بن الخطاب غمّم المسلمون أثناء فتح المدائن الكثير من ألبيسة الديباج المطعم بالذهب، والمطرز باللؤلؤ، وفي عصر الدولة الأموية شاع استعمال اللؤلؤ في التزيّن، والمباهاة، فمثلاً كان الخليفة الأموي (يزيد بن عبد الملك) من أشد الناس ولعًا باقتناء اللآلئ الفريدة، كما كان يغيّر عقود اللؤلؤ كل يوم، وكان يجمع اللآلئ من كلّ وجهٍ حتى أغلاها في الأسواق، وفي ذات مرة مدّحه أحد الشعراء بقصيدة أعجبهت فأمّر بأن يحسّى فمّه لؤلؤًا .



(١) المسعودي : مروج الذهب: (١ / ١٤٨) .

ومن العلماء العباسيين المولعين باللؤلؤ (المأمون)^(١)، الذي فرش حصيرًا من الذهب عند زواجه بـ(خديجة بنت الحسن بن سهل)^(٢)، وحينما زُفَّت إليه أَمَرَ أن تنثر اللآلئ على النساء المدعوات بكن المدعوات لم تمسّها فقال المأمون لهن: (شرفن أبا محمد وأكرمهن)، أي: خذن من هذه اللآلئ، فأخذت كلُّ واحدةٍ منهن لؤلؤةً واحدةً فقط، وظلت اللآلئ على الحصرير، فقال المأمون: "قاتل الله الحسن بن هاني (أبو نواس) كأنه قد رأى هذه حيث يقول:

كأن صُغْرَى وكبْرَى قفاقفاها حصباءٌ درّ على أرضٍ من الذهبِ

وأكبر لؤلؤة عرّفها العربُ هي: (الدرّة اليتيمة)، وسميت اليتيمة لأنه ليست هناك درة فريدة، فلا تحاكيها مثلها، فهي درة كبيرة حائزة على جميع الصفات المطلوبة، وللدرّة اليتيمة ذكر طويل في الكتب، وهناك اختلاف في الروايات حولها، وما جاء عنها في المصادر العربية القديمة ففي كتاب (الجماهر في معرفة الجواهر)^(٣)، قال: "فأما الدرّة اليتيمة فقد أتى بها (هشام بن عبد الملك)، ويقول: "إن وزنها ثلاثة مثاقيل حائزة جميع محاسن الصفات، مدرجة نقية راقية راطبة من كثرة الماء".

كما قال نصر: "وزنها مثقلان ونصف وثلث، واشترت بسبعين ألف ديناراً"، وفي كتاب (نخب الذخائر في أحوال الجواهر)^(٤) توصف الدرّة اليتيمة بأنها: "أعظم ما وجد من اللؤلؤ، وأنها لعبد الملك بن مروان، وزنها ثلاثة مثاقيل".

وفي كتاب (الذخائر والتحف)^(١)، أن الدرّة اليتيمة كانت لهارون الرشيد، اشتراها من (مسلم بن عبد الله العراقي) أحد من يجهز الغواصين في عمان لطلب اللؤلؤ بمبلغ سبعين ألف ديناراً.

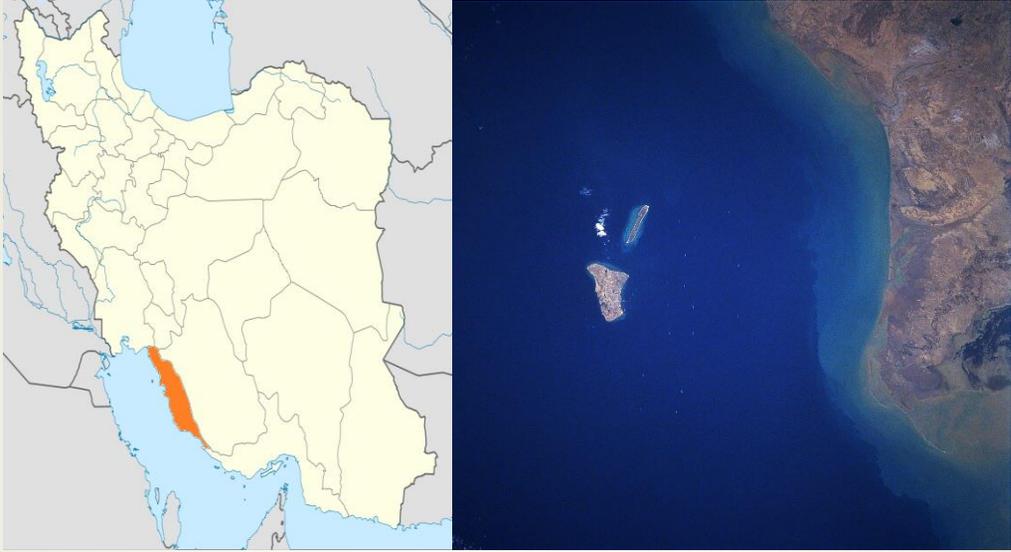
(١) جورج زيدان: تاريخ التمدن الإسلامي، (٥ / ٦٤٥). سابع خلفاء بني العباس، حكم الخلافة العباسية عشرُونَ عامًا، من ٢٥ مُحَرَّم ١٩٨ هـ / حتى وفاته.

(٢) «المستفاد من ذيل تاريخ بغداد» (٢١ / ٢٠٣ ط العلمية): «بوران بنت الحسن بن سهل وزير المأمون: يقال: إن اسمها خديجة. ذكر الطبري أن المأمون تزوجها في سنة اثنتين ومائتين وبني لها في رمضان سنة عشر بقم الصلح، فلما دخل عليها نثرت عليها جديتها ألف درة كانت في صينية ذهب، فأمر المأمون أن تجمع فجمعت كما كانت في الطبق ووضعها في حجر بوران وقال: هذه نحلتك، وسلي حوائجك، فأمسكت [فأمسكت] فقالت لها جدتها: كلمي سيدك واسأليه حوائجك فقد أمرك، فسألته الرضا عن إبراهيم بن المهدي، فقال: فقد فعلت؛»

(٣) البيروني: الجماهر في معرفة الجواهر، (ص ١٥٢).

(٤) ابن الاكفاني: نخب الذخائر في أحوال الجواهر، (ص ٣٤).

وفي كتاب (عجائب الهند)^(١)، قصة عجيبة عن حصول (مسلم بن بشر-) على الدرّة اليتيمة، وأنه باعها إلى هارون الرشيد بسبعين ألف دينارًا، وأورد كيفية الحصول على الدرّة في قصة يطول شرحها، ويقال: إن الدرّة اليتيمة عثر عليها الغواصون في جزيرة (خارك)^(٢) في الخليج العربي، وخارك من مراكز الغوص، وإلى عهد قريب، وهي من الجزر المعروفة لدى العرب قديمًا، وكان هذا اسمها، والتي تسمى الآن (خاري) بالياء بدلًا من الكاف.



ويذكر أبو العباس القلقشندي^(٤) أن الدرّة اليتيمة كانت عند الخلفاء الفاطميين زنتها سبعة دراهم توضع على جبهة الخليفة بين عينيه عند ركوبه في المواكب العظام^(٥).

ومن هذا كله تبين لنا كيف كان للخليج أهمية اقتصادية متنوعة منذ فجر الإسلام تمثلت في نشاط تجاري واسع النطاق، كما تمثلت في بعض ألوان الزراعة سواء كانت محاصيل

(١) الرشيد بن الزبير: الذخائر والتحف: (ص ١٧٧) .

(٢) برزك بن شهريار: عجائب الهند، (ص ١٣٥) .

(٣) جزيرة خارج أو خارك هي جزيرة تابعة الآن الي إيران تقع في الركن الشمالي الشرقي الخليج العربي قبالة مدينة بوشهر الإيرانية حيث تبعد عن السواحل الإيرانية حوالي ٢٥ كم، تتبع الجزيرة لمحافظة بوشهر وتقع إلى الشمال منها جزيرة خويرج، يبلغ عدد سكان جزيرة خرج حوالي ٢٠,٠٠٠ نسمة.

(٤) أبو العباس القلقشندي (٧٥٦ هـ / ١٣٥٥ م - ٨٢١ هـ / ١٤١٨ م)، شهاب الدين أحمد بن علي بن أحمد القلقشندي ثم القاهري الفزاري نسبة إلى قبيلة فزارة الغطفانية العربية، مؤرخ، وأديب، ومؤلف صبح الأعشى.

(٥) القلقشندي: صبح الأعشى، (١/ ١٠٠) .

أم فواكه أم خضروات، كما وضحت أهمية الخليج في ثروته المعدنية المتمثلة في اللآلئ التي حظيت باهتمام شديد وسط الأوساط الحاكمة والشعبية، ولا غرو في ذلك؛ فقد حظي اللؤلؤ بالذكر في القرآن الكريم، وفي الحديث النبوي الشريف، وفي الشعر العربي .

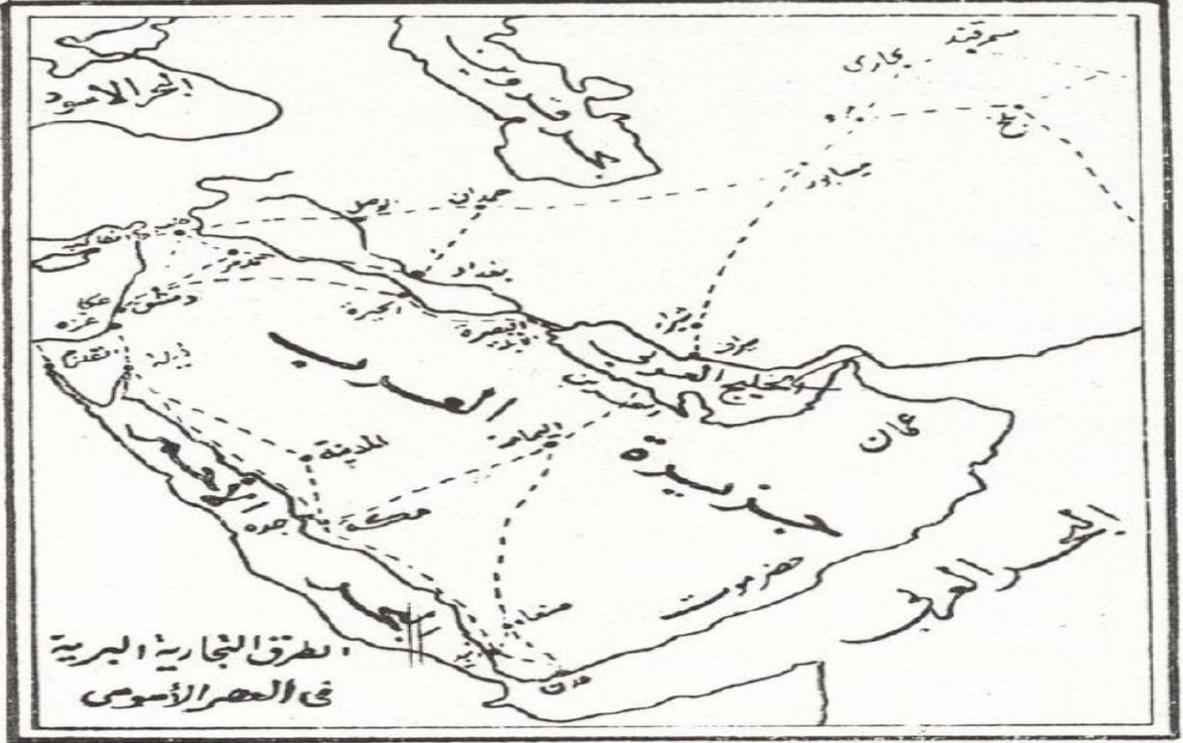
والؤلؤ جمع : لآلئ، من مادة لَأْلَأَ يَلْأَلِي ، لَأْلَأَةً ، فهو مُلْأَلِي ، والمفعول مُلْأَلًا - للمتعدّي ليقال لَأْلَأَ النَّجْمُ : لَمَعَ، أَشْرَقَ ولَأْلَأَ النَّجْمُ أو البرقُ : لَمَعَ في اضطراب، ولَأْلَأَ الدَّمْعُ : حَدَّرَهُ على خَدَّيْهِ مثل اللؤلؤ.

واللؤلؤُ هي : الدَّرُّ؛ وهو يتكوّن في الأصداف من رواسب أو جوامد صُلْبَةٍ لَمَّاعَةٍ مستديرة في بعض الحيوانات المائية الدنيا من الرّخويّات

ومحار اللؤلؤ: أحد الرّخويّات ثنائيتة المصرع يعدّ المصدر التجاريّ الرئيسيّ للؤلؤ

والؤلؤ عبارة عن إفراز صلب كروي يتشكل داخل صدفة بعض أنواع الرخويات والمحار وتصنف من الأحجار الكريمة:





الفصل الرابع:

الحياة الدينية في الخليج وشرق الجزيرة قبل الإسلام.

بحكم مركز الخليج العربي التجاري، وصلته الجغرافية بالأقطار الأخرى التي سبق لنا التحدث عنها، فقد دان أهل هذه المنطقة بعددٍ من الديانات التي دخلته من الخارج، فكان أهم العقائد السائدة فيه، هي: (الوثنية، والمجوسية، وكذا النصرانية واليهودية).

١. الوثنية: وهي عبادة الأصنام، وقد ورد ذكر بعضٍ منها مثل ما يلي:

(ذو اللبا): وكان بالمشقر، وتعبده عبد القيس، وسدنته منهم: (بنو عامر).^(١)

(١) معجم البلدان - الحموي - ج ٥ - الصفحة ٩ وبنو عامر بن صعصعة من القبائل العدنانية من قبيلة هوازن القيسية المضرية وهي جمجمة من جماجم العرب. ديار بني عامر الأصلية في نجد، وشرق الحجاز وانتشرت فروعهم في نواحي نجد وإقليم البحرين والعراق وسلطنة عُمان والمغرب العربي، كما وصلت قبائل عامرية إلى الأهواز ومصر وغيرها.

(أوال): وهو صنم كان لبكر، وتغلب ابني وائل^(١)، وسميت جزيرة أوّل – وهي البحرين حالياً- باسمه حيث كان مقرّه هناك^(٢).



وأول من دعا العرب إلى عبادة (هبل) هو عمرو بن لحي^(٣) قدّم به من هيت^(٤)، وأول من أوقد نارًا بمزدلفة التي يراها مع مَنْ دفع من عرفة (قصي- بن كلاب)^(٥)، وأول من كتب الكتاب من العرب هو (مُحَلِّم بن سُوَيْط الضبي)^(٦).

(١) بكر بن وائل وهي من أشهر قبائل ربيعة على الإطلاق في العصر الجاهلي وصدر الإسلام وفي عصور الخلافة الأموية والعباسية، وتعد من أكبر القبائل العربية عدداً وعدة. وهم أبناء عمومة تغلب وأحد طرفي حرب اليبوس، نقل الهمداني في كتابه صفة جزيرة العرب "وديار بكر بن وائل من اليمامة إلى البحرين إلى سيف كاظمة إلى البحر فأطراف سواد العراق فالأبلة فهيت"، وقد خرج معظمها إلى بلاد العراق، ذكر محمد ابن اسحاق، إجلاء بكر وتغلب من تهامة أن قحطان قصدت لها فأجلتها إلى العراق وسكنت مكانها حكم ابن سعد العشيرة ابن مذحج ولها في ذلك أشعار وروايات، وبلغت في نجتها إلى ديار بكر (في جنوب تركيا حالياً)، وبعد الإسلام دخل الكثير من رجال قبيلة بكر مع الجيوش الإسلامية واشتركت في الفتوحات ومنهم قادة عظام كما برز منهم علماء وهي واحدة من جماجم العرب الكبرى.

راجع عباس العزاوي، عشائر العراق

(٢) ياقوت: معجم البلدان (١/ ٣٩٥).

(٣) عمرو بن لحي الخزاعي ويكنى أبو الأصنام، كان من خزاعة وكان سيد مكة وبالتالي كان من سادات العرب، يعد أول من غير دين إبراهيم الحنيف والذي كان يقوم على توحيد الله، حيث أنه أدخل الأصنام لتعبد من دون الله بالجزيرة العربية. جاء في صحيح البخاري عن أبي هريرة عن النبي قال: «رَأَيْتُ عَمْرَو بْنَ عَامِرِ الْخَزَاعِيِّ يَجْرُ قُصْبَهُ فِي النَّارِ، كَانَ أَوَّلَ مَنْ سَبَّ السُّوَيْبِ». معجم آلهة العرب قبل الإسلام (ط. الثانية). دار الساقية.

(٤) النويري: نهاية الأرب (١/ ١٦٥). وهيت تقع على الضفة الغربية من نهر الفرات إلى الشمال من مدينة الرمادي بمسافة ٧٠ كم، وإلى شمال غرب العاصمة بغداد بمسافة ١٩٠ كم.

(٥) النويري: نفس المصدر (١/ ١٠٩). وهو الجد الرابع للنبي ﷺ. وجعل مكة خاصة لقريش من كنانة. وكانت إليه السدانة والسقاية والرفادة والندوة ولواء الحرب.

(٦) أبو عبيدة: نقائض جرير والفرزدق، (٢/ ٢٢٤).

«محلّم بن سويط الضبي، المعروف بالرئيس الأول، من بني ثعلبة بن سعد ابن ضبة: من كبار فرسان الجاهلية. من أهل نجد. يقال: إنه أول من كتّب الكتاب من العرب. قال ابن حبيب: قاد الزّباب كلها، وهو أول من سار في أرض مضر برياسة، وغزا العراق وبه كسرى، حتى بلغ أحساء الغديب. وأغار في جماعة من بني تميم، مع

أما أهل عمان جنوب الخليج العربي، فكان لهم صنم يقال له: (ناجر) كان يعبداه أهل عمان، وعلى رأسهم (مازن بن غضوبة بن سبيعة بن شماسة بن حياة بن عمرو) علي، وكانوا يسكنون قرية سمايل^(١).

وتشتهر سماءل تاريخياً بأنها أول البلدان العربية التي يدخلها الإسلام الحنيف، على يد الصحابي مازن بن غضوبة، ويوجد مسجد أسسه الصحابي في السنة التاسعة للهجرة النبوية. وهو مسجد مازن بن غضوبة يعرف الآن باسم «مسجد المضمار» وهو مازن بن غضوبة بن سبيعة بن شماسة بن حيان بن أبي بشر بن سعد نبهان بن عمرو بن الغوث بن طيء، وكان من أهل سمايل، قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم عند أول الإسلام بعمان، وأسلم ودعا له النبي صلى الله عليه وسلم، ولأهل عمان بخير. وكان من قصته وخبر إسلامه وقدمه على النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان يسدون صنما له في الجاهلية بأرض عمان بقرية سمايل، يقال له ناجر، تعظمه بنو خطامة وبنو الصامت من طيء. قال مازن: فعترنا عنده ذات يوم عتيرة: يعني الذبيحة، فسمعت صوتا من الصنم يقول:

ظهـر خـير وبطن شر
يدين بدين الآله الأكبر
تسلم من حرس سقر

يا مازن اسمع تسر
بعث نبي من مضر
فدع نحيتم من حجر

قال مازن، إن هذا لعجب، وإنه لخير يراد بي. فبينما نحن كذلك بعد ذلك إذ ورد علينا بأرض سمايل رجل من أهل الحجاز يريد أن ينزل أدما. قال فقلت ما الخبر وراءك. قال: ظهر رجل يقال له محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف، يقول لمن أتاه أجيّبوا داعي الله. فلست بمتكبر ولا جبار، ولا مختال ولا عصاء، أدعوكم إلى الله وترك عبادة الأوثان، وأبشركم بجنة عرضها السموات والأرض، واستنقذكم من تلظى لا يطفأ لهيبها، ولا ينعم ساكنها. قلت: هذا والله نبا ما سمعته من الصنم. فوثبت إليه

الأضبط بن قريع والنمر بن مرة بن حيان، عل أهل اليمن، حتى انتهوا إلى صنعاء، وعرفه " الفرزدق " بالرئيس الأول، من دون أن يسميه: " زيد الفوارس، وابن زيد، منهم، وأبو قبيصة، والرئيس الأول " وهو من الجرارين " من مضر، وقد تقدم أنه لم يكن الرجل يسمى جرارا حتى يرأس ألف شخص «الأعلام للزركلي» (٥/ ٢٩٢):»

(١) سرحان بن سعيد العماني: تاريخ عمان، (ص ٣٩) .

وكسرتة أجدازا، وركبت راحلي حتى قدمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم، فسألته عما بعث به، فشرح لي الإسلام، ونور الله قلبي للهدى، فأسلمت، وقلت:

كسرت ناجر أجدازا وكان لنا ... ربا نظيف به ضلا بتضلال

بالهاشمي هदानا من ضلالتنا ... ولم يكن دينه منى على بال

يا راكبا بلغن عمرا وإخوتها ... إني لمن قال: ربي ناجر قالى

وقوله بلغت عمرا: يعنى يريد بني الصامت، واسمه عمرو بن غنم بن مالك بن سعد بن نبهان بن عمرو بن الغوث بن طيء. وإخوتها: يريد بني خطامة بن سعد بن نبهان بن عمرو بن الغوث بن طيء.

قال مازن: فقلت يا رسول الله صلى الله عليك. ادع الله تعالى لأهل عمان. فقال: اللهم أهدهم وأثبهم. فقلت: زدني يا رسول الله. فقال: اللهم أرزقهم العفاف والكفاف والرضى. بما قدرت لهم، قلت: يا رسول الله، البحر ينضح بجانبنا. ادع الله في ميرتنا وخفنا وظلنا. قال: اللهم وسع لهم وعليهم في ميرتهم، وأكثر خيرهم من بحرهم. قلت زدني، قال: لا تسلط عليهم عدوا من غيرهم، قل يا مازن آمين، فإن آمين يستجاب عنده الدعاء قال: قال: يا رسول الله إني مولع بالطرب، وشرب الخمر، لجوج بالنساء. وقد نفذ أكثر ما لي في هذا. وليس لي ولد فادع الله أن يذهب عني ما أجد، ويهب لي ولدا تقرب به عيني، ويأتينا بالحياء. فقال النبي صلى الله عليه وسلم: اللهم أبدله بالطرب قراءة القرآن، وبالحرمان الحلال، وبالعهرة عفة الفرج، وبالخمر ربا لا إثم فيه، وآتهم بالحياء. وهب له ولدا. قال مازن: فأذهب الله تعالى عني ما كنت أجد من الطرب والنشاط لتلك الأسباب، وحججت حججا، وحفظت شطر القرآن، وتزوجت أربع عقائل العرب، ورزقت ولدا فسميته حيان بن مازن، وأحصبت عمان في تلك السنة وما بعدها، وأقبل عليهم الخف والظلف، وكثر صيد بحرهما، وظهرت الأرباح في التجارات وآمن عدد كبير من أهل عمان، ولمازن في ذلك شعر حيث يقول:

إليك رسول الله خبت مطيتي .. تجوب الفيافي من عمان إلى العرج

لتشفع لي يا خير من وطئ الحصى ... فيغفر لي ربي وأرجع بالفالج^(١)

٢. المجوسية:

من الديانات التي سادت منطقة الخليج العربي، وشرق الجزيرة العربية الديانة المجوسية حيث قد كان للمجوس في الأحساء بيت نار، ولكن لم يحدد موضعه^(٢)، وليس معنى وجود بيتٍ للنار في الأحساء ظهور، أو وجود الديانة المجوسية، لأن النار عند العرب لها تاريخ طويل، ولا ندخل في تفاصيله، ولكن يهمننا أن نشير إليه بعض الإشارة .

فقد عرف العرب النار منذ الجاهلية الأولى، فاعتادوا إيقادها في مناسباتٍ كثيرةٍ منها: الاستسقاء، فيقول النويري: "إذا تتابعت القبائل العربية على الأزمات، واشتد الجذب، واحتاجوا إلى الأمطار يجمعون لها بقراً معلقة في أذناها، وعراقبها السلع والعشر، ويصعدون بها إلى جبلٍ وعري، ثم يشعلون فيها النار، ويضجّون بالدعاء، والتضرع^(٣)، وفي ذلك أشعار ينشدها الوديك الطائي^(٤)، وأميمة بن أبي الصلت^(٥)

ويسوقون باقر السهل للطرد مهمما زيل خشية أن تبورا
عاقدين النهـران في بكسر الأذانب منها لكي تهيج النحورا
سلي وما مثله عشره ما غائل وما وعالت البيقورا^(٦)

ومثل

وجمة قوم قد أتوك ولم تكن لتوقد نارًا خلفها للتندم

(١) كتاب الأنساب للصحاري ص ١٨٨

(٢) أبو يوسف: الخراج ص ١٤٠

(٣) محمد مصطفى هدارة: الندوة العالمية الأولى لدراسات تاريخ الجزيرة العربية (ص ١٦) .

(٤) لا در رجال سعيهم يستمطرون لدى الأزمان بالعشر

أجعل أنت بيقور سلعة ذريعة لك بين الله والمطر

محمد مصطفى هدارة: الندوة العالمية الأولى لدراسات تاريخ الجزيرة العربية ص ١٦

(٥) محمد مصطفى هدارة: الندوة العالمية الأولى لدراسات تاريخ الجزيرة العربية ، (ص ١٦) .

(٦) محمد مصطفى هدارة: الندوة العالمية الأولى لدراسات تاريخ الجزيرة العربية ، (ص ١٦) .

كما كان العرب في الجاهلية إذا لم يحبوا رجوع شخصٍ منهم أوقدوا خلفه نارًا كما حكي ذلك^(١).

وأمثلة النار عند العرب كثيرة، والذي يهمننا هنا بيان أن النار ليست دليلاً واضحاً على وجود الديانة المجوسية في الخليج، وشرق الجزيرة، وإنما دليلنا على وجود المجوسية هو أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- أخذ الجزية من مجوس هجر على أن لا تؤكل ذبائحهم، ولا تنكح نساؤهم^(٢)، فقد قال أبو يوسف: أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قبل من مجوس أهل البحرين الجزية، وأقرهم على مجوسيتهم، وعامل رسول الله -صلى الله عليه وسلم- هو العلاء بن الحضرمي، ثم أقرهم أبو بكر، وأقرهم عمر بعد أبي بكر، ثم أقرهم عثمان بعد عمر.

فعن بجالة رضي الله عنه، قال: كنت كاتباً لجزء بن معاوية عم الأحنف، فأتانا كتاب عمر بن الخطاب، رضي الله عنه، قبل موته بسنة: فرقوا بين كل ذي محرم من المجوس. ولم يكن عمر أخذ الجزية من المجوس حتى شهد عبد الرحمن بن عوف أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذها من مجوس هجر. رواه البخاري.

ولم تنتشر المجوسية بين العرب شرق الجزيرة بسبب أنها ديانة قومية غير تبشيرية^(٣)، ولأن طبيعة المجوسية تتعارض مع أخلاق العرب، وعاداتهم، وتقاليدهم خاصة لما تحله من المحارم.

وقد بقي المجوس في سواحل الخليج العربي الغربية بعد الإسلام يؤدون الجزية، ثم انقرضت المجوسية في تلك المنطقة، ولم نعد نسمع عن بيت النار شيئاً، ذلك أنها ديانة عديمة الجذور في شرق الجزيرة، بل وفي الجزيرة كلها، وأنها غريبة عن السكان، فلم يعتقدوها العرب.

(١) أمية بن أبي الصلت التقي، ويقال له «أبو الحكم»، شاعر جاهلي ومن رؤساء ثقيف، اشتهر بالحنيفية والتوحيد وكان من الدعاة إلى نبذ الأصنام وتوحيد الإله. كما أنه أحد شعراء ثقيف وشرفائها و كان أبوه من قبله أحد زعماء ثقيف بالطائف.

محمد مصطفى هدارة: الندوة العالمية الأولى لدراسات تاريخ الجزيرة العربية (ص ١٦).

(٢) أبو يوسف: الخراج (ص ١٤٢).

(٣) جواد علي: تاريخ العرب قبل الإسلام، (٦/ ٢٨٧).

٣- الأسبذية:

من الديانات التي اعتنقها بعض سكان شرق الجزيرة، والخليج الديانة (الأسبذية) وهي عبادة الخيل.

يقول د. عبد الحميد المعيني في كتابه عن شعراء عبدالقيس: «أما الديانة الأسبذية، والتي عرفت في بني تميم فأغلب الظن أنها ذات المجوسية، إذ لم ترد معلومات مفيدة حول هذه الديانة وتعاليمها، وقد اشتقت اسمها من الأَسب وهو الحصان، وأطلق عليها عبادة الخيل، ويقال: دان بها بنو عبد الله بن دارم من تميم، وفي بعض المصادر أن المنذر بن ساوى كان إسبدياً، ويذكر أبو عبيدة أن أسبذ قائد فارسي لكسرى على البحرين، وأسبذ كذلك قرية في هجر»^(١)

فالديانة الأسبذية واسمها مشتق من الاسبذ، أي: الفرس، أو الحصان يدل على أنها فارسية، وإن كنا لا نعلم تفاصيل هذا الدين، أو ممن أخذ؛ إذ لم يُعرف عن العرب أنهم عبدوا الحصان^(٢)، لكن يشير البلاذري في (فتوح البلدان) إلى أن هناك قومًا كانوا يعبدون الخيل بالبحرين^٣، وكان يدين بها (بنو عبد الله بن دارم) من تميم فنسبوا إليها، ومنهم المنذر بن ساوي، وفي رواية أخرى أنهم نسبوا إلى قرية الأسبذ بهجر (الأحساء)، وكان يطلق على قوم هذه العبادة الأسبذيين^(٤).

وقال أبو عمر الشيباني: أن أسبذ اسم ملك كان من الفرس ملَّكه كسرى على البحرين، فاستعبدهم وأذلهم، واسمه بالفارسية (أسبيدويه)، أي: الأبيض الوجه^(٥)، وقال طرفة بن العبد في هذا الصدد^(٦):

خذوا حذرکم أهل المشقر والصفاء عبید أسبذ والقرض یجزی من القرض

(١) (٢٠٠٢، ص ٩٣). شعراء عبد القيس في العصر الجاهلي د. عبد الحميد المعيني الناشر: مؤسسة جائزة عبد العزيز

سعود البابطين للإبداع الشعري. الطبعة: الأولى ٢٠٠٢ م

(٢) البلاذري: فتوح البلدان، (ص ٩٥)

(٣) نفس المصدر.

(٤) نفس المصدر.

(٥) ياقوت: معجم البلدان، (١/ ٢٣٨).

(٦) نفس المصدر، (١/ ٢٣٨).

ويروى عن ابن عباس أنه قال: جاء رجل من الأسبذيين من أهل البحرين، وهم مجوس هجر، إلى رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فمكث عنده، ثم خرج فسأله ما قضى. الله ورسوله فيكم؟ قال: شراً، قلت: مه؟ قال: الإسلام أو القتل، قال: "وقال عبد الرحمن بن عوف: "قبل منهم الجزية"، قال ابن عباس: وأخذ الناس بقول عبد الرحمن بن عوف، وتركوا ما سمعت أنا من الأسبذي^(١).

والراجح أن الأسبذيين من (بني عبد الله بن دارم)، نسبوا إلى عبادة الفرس، وليس إلى قرية أسبذ؛ لأن مساكنهم ليست أسبذ فقط، وإنما استقروا أيضاً في مناطق أخرى من شرق الجزيرة، والخليج^(٢).

٤. النصرانية:

كان للبعثات التبشيرية المسيحية أثر كبير في تسرب النصرانية إلى الخليج العربي^(٣)، وكان لاتصال الخليج بطريق القوافل البحرية، والبرية في البلاد التي انتشرت فيها النصرانية، ومجى (التجار النصارى، والمبشرين) مع القوافل إلى الخليج أثر انتشارها^(٤)، وأهم طريق دخلت النصرانية منه إلى الخليج هو (العراق)^(٥)، خاصة بعد أن دان بها المناذرة، وكان المذهب النسطوري هو المذهب السائد في الخليج، وقد أخذوه من نصارى الحيرة عن طريق رجال دينهم الذين جاءوا إلى هذه المنطقة للتبشير، فبذروا فيها مذهبهم، ونشروه بين من أقبل على النصرانية من العرب^(٦).

انتشرت النصرانية أول ما انتشرت في (قبيلة ربيعة)، حتى كادت أن تشمل كل بطونها، وفروعها إذ يقول ابن قتيبة في ذلك: "كانت النصرانية في ربيعة، وغسان وبعض قضاة"^(٧)، ومن أشرف النصارى منطقة شرق الجزيرة، والخليج عند ظهور الإسلام،

(١) الجواليقي: العرب (ص ٤٠ - ٤١) .

(٢) الاضطرخي: مسالك الممالك (٢٢-٢٣)، وينظر: البكري: معجم ما استعجم، (٨٧ - ٨٨) .

(٣) العلي: محاضرات في تاريخ العرب، (١ / ١٧٠) .

(٤) جواد علي: تاريخ العرب قبل الإسلام، (٦ / ٥٩ - ٦٠) .

(٥) جواد علي: نفس المصدر، (٦ / ٢١١) .

(٦) نفس المصدر، (٦ / ٢١١) .

(٧) المعارف: (ص ٦٢١)، وينظر: الأعلام الثمينة، (ص ٢١٧) .

(بشر بن عمرو)، المعروف بالجارود ، وكان سيد عبد القيس،^(١) ومن بني تميم بنو امرئ القيس بن زيد، وإلى نصرانيتهم يشير ذو الرمة إذ يقول^(٢):

ولكن أصل امرئ القيس معشر
يُجِلّ لهم لحم الخنازير والخمر

وكانت دولة قطر الحالية مركزًا للنصرانية، ولها مطارنة^(٣)، وكانوا يسمونها بالآرامية (بيت قطرايا)^(٤)، ولقد امتد سلطان هذه المطرنة إلى مساحةٍ أوسع من قطر الآن، وكان بها عدد من الأسقفيات خاضعة لرئيس أساقفة فارس، وكانت الأزمات التي تحدث في فارس تنعكس على بيت قطرايا فما بين سنة (٦٤٩-٦٥٩)، امتدت الاختلافات التي وقعت في بلاد فارس في عهد (يشوعياب الثالث) إلى بيت قطرايا التي كانت حتى ذلك الوقت تتبع أسقفية فارس، ولا سيما تسميته بالأساقفة، وقد شجّع "يشوعياب" الأسقفيتين الفارسية، وبيت قطرايا على التحرر من الحماية حتى أصبحتا تتمتعان بالنفوذ الكامل، ولهما الحرية في تسمية كل واحدة منهما لأساقفتها كالهراقة، وقد أصبحت بيت قطرايا حرة، ولها مطران، وقد ورد اسم قطر في المُجمَع الذي عقده الجائليق "يشوعياب" في سنة (٥٨٥م) للنظر في الشئون الخاصة بنصاري الخليج، ومنها وجوب ترك الأعمال في أيام الأحاد إن أمكنهم، وإلا أعفوهم من ذلك في حالة الضرورة، ويظهر في مَجْمَع نسطوري آخر عقد سنة (٦٧٦م) دَبْر فيه الآباء عدة أمور دينية مما يبيّن أن بلاد الخليج

(١) بشر بن عمرو بن حنش العبدي يعرف عمومًا بالجارود العبدي (؟ - ٦٤١ م / ٢٠ هـ) شاعر عربي وصحابي ومحدث، والجارود لقبه. قدم من إقليم البحرين وافدا على النبي ﷺ سنة ٩ هـ وكان سيد عبد القيس. انتقل إلى البصرة وقتل في خلافة عمر بن الخطاب بأرض فارس غازيا. عبد الحميد المعيني، شعراء عبد القيس وشعرهم في العصرين الإسلامي والأموي.. ص. ١٢٤.

(٢) ديوان ذي الرمة، (ص ٢١٩). «ذو الرّمة، وهو غيلان بن عقبة ابن بهيش بن مسعود بن حارثة بن عمرو بن ربيعة بن ساعدة ابن كعب بن عوف بن ثعلبة بن ربيعة بن ملكان.» «جمهرة النسب - ابن الكلبي» (ص ٢٨٤):

(٣) العلي: محاضرات في تاريخ العرب ١/ (١٧٠).

(٤) شيخو: النصرانية وأدائها بين عرب الجاهلية (١/ ٧١). «بيت قطرايا» والتي تشمل جغرافية دولة قطر حالياً وتمتد عبر الساحل الغربي للخليج العربي. يذكر أن دولة قطر الحالية، عرفت قديماً بـ«بيت قطرايا أو قطراية» وكانت تضم دولة قطر وما جاورها وهذه المنطقة معروفة في تاريخ الكنيسة النسطورية وكانت أسقفيتها تابعة لمنطقة «ريف اردشير»، ولكنها استقلت وكونت أسقفية مستقلة في وسط ونهاية القرن السابع الميلادي، ودخلتها المسيحية قبل سنة ٢٢٥. وقد سجلت المجمع النسطورية عدداً من أساقفتها الذين حضروا المجمع النسطورية، ومنها رجال دين لاقوا شهرة عظيمة مثل إسحق القطري، وداديشوع القطري، وجبريل القطري، وإبراهيم برليني، وتوماس القطري، وأيوب المفسر، وجبرائيل الطقساني، ومعظم من كان ينتهي اسمه باسم قطر ينسب إلى بيت قطرايا. مقال نشر نُشر: ١٥-٢٣-٢٢ مايو ٢٠٢٣ م - ٠٣ ذو القعدة ١٤٤٤ هـ جريدة الشرق الأوسط

العربي كانت حافلة بالكنائس، والأديرة^(١)، ودعاة الدين النصراني، وكان إذ ذاك على قطر أسقف اسمه (توماس)^(٢).

وفي نفس العام (٦٧٦م) قد اجتمع الجائليق (جرجس الأول) مع رئيس الأساقفة توماس كما اجتمع بأساقفة دارين، ومزون (عمان) وهجر، والخط، وقد دون مشرعو الكنيسة كابن الطيب، واديشو قوائم في المتنصبين، وحددوا كذلك الجلسات الافتتاحية للهيئات.

ويفيد توماس أسقف المرج بأن الجائليق جرجس الأول قد نزل في بيت قطرايا؛ ليجتمع بالأهالي الذين خرجوا عن الطاعة، وتمردوا على أسقف روي أردشير في فارس، ويتضح من النص أن بيت قطرايا قد حصلت على استقلالها عن فارس، وأن أحد أساقفتها - وهو توماس - قد اغتصب لقب المطران، ولا نعلم فيما إذا كان هناك شخص آخر قد حصل على هذا اللقب الرسمي بعد توماس أو لا، وكانت هذه الحوادث في بداية القرن التاسع، وهذا وإن آخر ذكر للمسيحية كان في عهد الجائليق أواتبس الثالث (٨٩٣ - ٨٩٩م)، وتجدر الإشارة إلى أنه قد عامل أبو سعيد الجنابي القرمطي المسيحيين معاملة حسنة^(٣).

وفي منطقة الخليج العربي لا نجد في قائمة المطارنة التي دونها إلا (elie) لا نجد أي أسقف ما عدا (أسماهيح) في شمال شرق البحرين الحالية، وهذا بعيد الاحتمال، وأما صلوات رسومات المطارنة التي ألفها أبو حليم (١١٧٦ - ٢٢١٩٠) فإنها تحتوي على صلوات خاصة برسامة أساقفة بيت قطرايا^(٤).

ويظهر أن أقدم أسقفية وأول أسقفية وجدت في بيت قطرايا هي (أسقفية سماهيح)، وقد تولى تدبير شؤونها الأسقف "باطاي" وقد عزله المجمع الكنيسي الذي عقد سنة (٤١٠)، وعين مكانه الأسقف (elie).

ومن أسقفيتها أيضًا (سركيس: serkes) سنة (٥٧٦م)، وبين سنة (٦٤٩ - ٦٥٩م)، كان الأسقف إبراهيم أحد رؤساء المتمردين في بيت قطرايا ضد (أشوايا الثالث) الذي كان

(١) نفس المصدر السابق.

(٢) نفس المصدر، وانظر جواد علي: تاريخ العرب قبل الإسلام (٦/ ٢١٢).

(٣) Fiey Fr .J.m Memorial Mgr .P.210 >212

(٤) Ob Cit P. 212

يحكم سماهيج غير أنه كان منذ زمن قريب من أسمى الأساقفة، ولم يحضر المجمع النسطوري الذي دعا إلى عقده جرجس الأول في دارين عام (٦٧٦م) ^(١).

وكان في دارين أسقفية تأسست عام (٤١٠م)، وكان (بول) أول أسقف لها ^(٢)، وقد وردت أسماء أساقفة من النساطرة تولوا رعاية شئون طائفهم في دارين، وهم يعقوب سنة (٥٨٥م)، ويشوعياب سنة (٦٧٦م) ^(٣).

وفي سنة (٦٧٦م) دعا جرجس الأول إلى عقد مجمع نسطوري؛ وذلك ليضع حدًا للنزاع القائم في بيت قطرايا على عرش البطيركية، كما كان يشوعياب يومئذ أسقفًا على دارين، وفي مجمع الأساقفة ورد ذكر موضع (Toduru) مع دارين، والتي يعتقد أنها (جزيرة تاروت) ^(٤).

والنصرانية في الأحساء ورد ذكر أسقفيتها لأول مرة في المجمع النسطوري الذي عقد سنة: (٥٧٦م)، وقد حضره إسحاق أسقف هجر، والخط (بيت أزدشير) ^(٥)، كما ذكر اسم أسقف يدعى "فوسي" اشترك في مجمع (٦٧٦م)، وكان أسقفًا على هجر، أما أسقفية الخط فإنها تأسست بين سنة (٥٧٦-٦٧٦م)، وقد أدمجت في البداية مع أسقفية هجر تحت رئاسة أسقف واحد، هو إسحاق كما مرَّ سابقًا، وفي مجمع جرجس الأول عام (٦٧٦م) نجد إلى جانب أسقف هجر (شاهين) أسقف الخط ^(٦).

ومما لا شك فيه أن ورود أسماء هؤلاء الأساقفة في مجتمع الكنيسة النسطورية، ووجود الكنائس يدل على اتباع لهذه المذاهب في المناطق الأنفة الذكر، كما يدل أيضًا على أن النصرانية قد بقيت في شرق الجزيرة، والخليج بعد الإسلام، وأنهم لا زالوا يزاولون طقوسهم، ويديرون أمورهم الدينية بحريّة تامة في ظل حكم دولة الإسلام.

٥. الديانة اليهودية:

(١) شيخو: النصرانية وآدابها بين عرب الجاهلية، (١/ ٧١).

(٢) Fiey p.213

(٣) شيخو: النصرانية وآدابها بين عرب الجاهلية (١/ ٧١)، وينظر: جواد علي: تاريخ العرب قبل الإسلام، (٦/ ٦٧ - ٢١٢).

(٤) Fiey p.214

(٥) جواد علي: تاريخ العرب قبل الإسلام (٦/ ٦٧ - ٢١٢).

(٦) شيخو: النصرانية وآدابها بين عرب الجاهلية، (١/ ٧١).

قد تسرّبت الديانة اليهودية إلى الخليج وشرق الجزيرة من الخارج عن طريق التجارة، والهجرة^(١)، لكننا بالتحديد لا نعلم زمن دخول هذه الديانة، أو تطورها، وإن اليهودية ديانة قومية، وليست كالنصرانية تبشيرية وصلبة شديدة الطقوس^(٢)، ولكنها لم تنتشر بين العرب إلا في نطاق ضيق جدًا ولقد بقي بعض اليهود مقيمون في شرق الجزيرة، والخليج يدفعون الجزية^(٣)، عندما أجلاهم وأخرجهم أمير المؤمنين عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - من قلب الجزيرة العربية، وغربها^(٤)، ويذكر (بنيامين التطيلي) في رحلته عام (٥٦٩م)، أن في القطيف نحو خمسة آلاف يهودي^(٥)، لكننا نرى أن هذا العدد مبالغ فيه مبالغة كبيرة؛ حيث إن شرق الجزيرة العربية لم يكن لليهودية فيه أثر واضح، فلم يتجاوز نشاطهم محيط التجارة، والاتجار، ومن أشهرهم (ابن يامن)، وهو من يهود هجر، الذي كان يمتلك عددًا من السفن يتجر في الخليج العربي كما مرّ بنا، كما كان يمتلك أيضًا النخيل^(٦)، أما بعد الإسلام فيبدو أن اليهود ظلوا يعملون في التجارة والزراعة.

ويتبين للباحث من هذا العرض ما سبق الإسلام من معتقدات أنه لم تحط عقيدة من العقائد باقتناع العرب كلهم في هذه المناطق مما أحدث لونا من القلق، أو الخواء الوجداني، كان علاجه الحاسم في عقيدة الإسلام.

-
- (١) جواد علي: تاريخ العرب قبل الإسلام (٥٥ / ٦) .
 (٢) العلي: محاضرات في تاريخ العرب (١٧١ / ١) .
 (٣) البلاذري: فتوح البلدان، (٩٦ / ١) .
 (٤) البكري: معجم ما استعجم ١٢، البلاذري: فتوح البلدان، (٩٥ / ١) .
 (٥) بنيامين التطليمي: الرحلة، (ص ١٦٤) .
 (٦) ابن الانباري: شرح القصائد السبع (ص ١٣٧) .
 (٧) ديوان امرئ القيس: (ص ٥٧)، الأصمعي .

الباب الثاني

ظهور الإسلام في شرق الجزيرة والخليج العربي

وفيه أربعة فصول، هي كما يلي:

الفصل الأول: اعتناق عرب شرق الجزيرة والخليج للإسلام .

الفصل الثاني: ارتداد أهل المنطقة عن الإسلام وأسباب الردة .

الفصل الثالث: اشتراك عرب المنطقة في الفتوحات الإسلامية .

الفصل الرابع: الإدارة الإسلامية في شرق الجزيرة والخليج العربي وولاتها المسلمون.

الفصل الأول:

"اعتناق عرب شرق الجزيرة والخليج للإسلام"

لم يكن الإسلام دينًا قاصرًا على العرب فقط بل هو دعوة عالمية كُف الرسول - **صلى الله عليه وسلم** - تبليغها لسائر البشرية على وجه الأرض حسب آيات صريحة في القرآن الكريم مثل قوله تعالى: ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا قُلُوبُ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ﴾ [سورة الأعراف الآية: ١٥٨]، وقوله تعالى: ﴿ تَبَارَكَ الَّذِي أَنْزَلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا ﴾ [سورة الفرقان الآية ١]، "وأوحى إليّ هذا القرآن لأنذركم به ومن بلغ" (الأنعام: ١٩). وقوله تعالى: "وقرآنًا فرقناه لتقرأه على الناس على مكث ونزلناه تنزيلاً" (الإسراء: ١٠٦). وقوله تعالى: "وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم ولعلهم يتفكرون" (النحل: ٤٤). وقوله تعالى: "إن هو إلا ذكرى للعالمين" (يوسف: ١٠٤)

ولقوله **صلى الله عليه وسلم**: " عن جابر بن عبد الله، قال: قال رسول الله **صلى الله عليه وسلم**: ((أعطيت خمسًا لم يعطهن أحد قبلي: نصرت بالرعب مسيرة شهر، وجُعِلت لي الأرض مسجدًا وطهورًا، فأينما أدرك الرجل من أمتي الصلاة يُصلي، وأعطيتُ الشفاعة ولم يعط نبي قبلي، وبعثتُ إلى الناس كافةً، وكان النبي يبعث إلى قومه خاصةً)) [رواه البخاري وعده السيوطي من الأحاديث المتواترة].

قال أبو هريرة: قال رسول الله **صلى الله عليه وسلم**: ((والذي نفسي بيده لا يسمع بي رجل من هذه الأمة ولا يهودي ولا نصراني ثم لم يؤمن بي إلا كان من أهل النار)) [أخرجه مسلم].

قال الإمام ابن أبي العزّ: وهذا معلوم من الدين بالضرورة؛ أي: إن عموم بعثته إلى جميع العالمين مسألة مجمع عليها بين المسلمين، وهي معلومة من الدين بالضرورة؛ أي: إن فيها المعرفة البديهية التي يجدها الإنسان في نفسه ضرورة دون حاجة إلى استدلال ولا بحث ولا نظر، فكل مسلم يعلم ضرورة من نفسه أن محمدًا **صلى الله عليه وسلم** هو رسول الله إلى العالمين أجمعين، ولم يخالف فيها إلا طائفتان من غير المسلمين. ^(١)

(١) شرح الطحاوي لسفر الحوالي (صفحة ١٧١٥)

فقد وجد العرب عامة، وعرب الخليج خاصة في الدعوة الإسلامية ليس فقط سبباً لهدايتهم في الحياة الدنيا فحسب، لكن خير طريق لجمع كلمتهم، وتوحيد صفوفهم، واسترداد سلطانهم الذي سبق للفرس انتزاعه منهم نتيجة التفرقة في قبائلهم، وإماراتهم؛ لذا كان عرب الخليج من أسرع جهات بلاد العرب استجابة للكتب التي بعث بها الرسول - **صلى الله عليه وسلم** - إليهم .

سلم رسول الله - **صلى الله عليه وسلم** - في بادئ الأمر طريق الاتصال بأفراد القبائل المختلفة التي تزور مكة أثناء موسم الحج، كما عرض دعوته عليها، ويذكر ابن إسحاق أن أبا لهب كان يتبع الرسول - **صلى الله عليه وسلم** - أثناء جولته هذه، فما كاد يفرغ من شرع أصول الإسلام، ويبين أهم تعاليم الدين الجديد حتى يقف أبو لهب فيقول للناس "يا بني فلان، إن هذا إنما يدعوكم أن تسلخوا اللات والعزى من أعناقكم... إلى ما جاء به من البدعة والضلالة، ولا تسمعوا منه" (١) .

ثم شهدت الأربع أو الخمس سنوات الأخيرة من عصر النبوة نشاطاً سياسياً مكثفاً واسعاً منذ أن بعث رسول الله - **صلى الله عليه وسلم** - مبعوثيه إلى مختلف أقطار الأرض بالدعوة إلى الإسلام، ولقد اختلفت ردود الفعل لدى الشيوخ، والرؤساء باختلاف التفرقات بين إجابات سلمية، وأخرى عدائية، ويهمننا في هذا المجال القبائل العربية التي كانت تسكن شرق الجزيرة العربية، والخليج في: (اليمامة، والبحرين، وعمان)؛ وذلك لتتبع إسلام قبائل تميم من مضر، وعبد القيس، وبكر بن وائل، وبني حنيفة من ربيعة، والأزد اليمنية في عمان .

أولاً: وفد بني حنيفة من ربيعة:

فهنا من وضع شروطاً لقبول دعوة الإسلام مثل: (هوذة بن علي) (٢) شيخ بني حنيفة، وملك اليمامة، وقد جاءه سليط بن عمرو العامري (١) بكتاب رسول الله - **صلى الله عليه**

(١) نبيل عاقل: تاريخ العرب القديم وعصر الرسول، دار الفكر العربي، (ص ٤٢١)، سنة: ١٩٧٥ .

(٢) «هوذة بن علي بن ثمامة بن عمرو الحنفي، من بني حنيفة، من بكر بن وائل: صاحب اليمامة (بنجد) وشاعر بني حنيفة وخطيبها قبيل الإسلام وفي العهد النبوي. وفيه يقول الأعشى (ميمون) قصيدته التي أولها: "بانث سعاد وأمسي حبلها انقطعاً" ومنها: "من يلق هوذة يسجد غير متنب... إذا تعصب فوق التاج أو وضعاً" وهو من أهل "قران" بضم القاف وتشديد الراء، من قرى "اليمامة"

وسلم- فبعث هودّة إلى الرسول -**صلى الله عليه وسلم**- بدوره وفدًا أو ردًّا، يشترط أن يجعل الأمر له بعده في نظير مساعدته، ونصرته، والقصد حربه^{(٢)(٣)}، ورفض رسول الله -**صلى الله عليه وسلم**- بالطبع مثل هذه الشروط، ومع ذلك فقد أسلم رجلان من وفد بني حنيفة هما: مجاعة بن مرارة،^(٤) والرجال بن عنفوه،^(٥) وأقام الرجال عند رسول الله -**صلى الله عليه وسلم**- يقرأ القرآن، ويتفقه في الدين.

وبعد فتح مكة، ودخول قريش في الإسلام جاء وفد بني حنيفة إلى الرسول -**صلى الله عليه وسلم**- في بضعة عشر رجلاً يبايع الرسول -**صلى الله عليه وسلم**- على الإسلام، وقد

(٢) قال البكري: وأهل قرآن أفصح بني حنيفة. وكان ممن يزور كسرى في المهمات. ويقال له " ذو التاج " واختلف الرواة في " تاجه " قال ابن الأثير: " دخل على كسرى، فأعجب به ودعا بعقد من در، فعقد على رأسه، فسمي ذا التاج » (ت - ٨ هـ) «الأعلام للزركلي» (٨ / ١٠٢):

(١) هو سليل بن عمرو القرشي العامري، كان من المهاجرين الأولين ممن هاجر الهجرتين، وهو الذي بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى هودّة بن عليّ الحنفي ملك اليمامة، وذلك سنة ست أو سبع من الهجرة. انظر أسد الغاية (٢ / ٣٦٦).

(٢) ابن سعد: الطبقات الكبرى (٢ / ٢٦ - ٢٧)، وأيضًا ابن الأثير: الكامل في التاريخ، (٢ / ١٤٣ - ١٤٦) ..

(٣) ابن سعد: الطبقات الكبرى (٢ / ٨٠ - ٨١) .

(٤) مجاعة بن مرارة بن سلمى، ويقال: ابن سليم الحنفي قال ابن حبان في "كتاب الصحابة": استقطع النبي صلى الله عليه وسلم فأقطعه الفوره وعرانة من العرنة والجبل بناحية اليمن، حديثه عند أولاده، زاد ابن قانع: ثم أتيت أبا بكر فأقطعتني، ثم عمر فأقطعتني، ثم أتيت عثمان فأقطعتني.

وفي كتاب العسكري: ولأه أبو بكر رضي الله عنه اليمامة، وله أخ أكبر منه يقال له: مجاعة، ولما طلب دية أخيه من النبي صلى الله عليه وسلم قال: "لَوْ كُنْتُ جَاعِلًا لِمُشْرِكٍ دِيَّةً جَعَلْتُهَا لِأَخِيكَ، وَلَكِنْ سَأَعْطِيكَ مِنْهُ عَقْبِي"؛ فَكَتَبَ لَهُ بِمَانَةِ مِنَ الْإِبِلِ، مِنْ أَوْلِ خُمْسِ يَخْرُجُ مِنْ مُشْرِكِي بَنِي ذَهَلٍ. وفي كتاب أبي نعيم: وفد هو وأبوه على النبي صلى الله عليه وسلم. «إكمال تهذيب الكمال - ط العلمية» (٦ / ١٥٩)

(٥) الرجال بن عنفوة بن نهشل الحنفي البكري (١١ هـ / ٦٣٣ م) من رجال بني حنيفة من بكر بن وائل من أهل اليمامة، والرجال لقبه وأسمه نهار بن عنفوة، وهو من الذين إرتدوا عن الإسلام وأتبعوا مسيلمة الكذاب وقاتل معه ضد المسلمين في معركة الحديقة وقُتل فيها وكان من أكابر أصحاب مسيلمة الكذاب قال ابن كثير الدمشقي: «جعل مسيلمة الكذاب الرجال بن عنفوة على ميسرة جيشه في معركة الحديقة». وقال ابن الأثير الجزري: «وقُتل الرجال بن عنفوة في معركة اليمامة على يد زيد بن الخطاب».

أنزلوا دار (الرملة بنت الحارث)^{(١)(٢)}، وأجريت عليهم الضيافة ثم أعاده الرسول -صلى الله عليه وسلم- بالجوائز خمس أواق لكل رجل^(٣).

وللباحث بعض الملاحظات على هذه الوفاة:

أولاً: وردت أخبار عن أحد أفراد هذا الوفد، وهو: (مسيلمة بن حبيب) الذي ادعى النبوة فيما بعد، فرواية تقول^(٤): إن الوفد أتوا به مستورًا بالثياب إلى الرسول -صلى الله عليه وسلم- الذي كان جالسًا بين أصحابه، وفي يده "عسيب من عسبان نخل في رأسه خوصات" وتكلم مسيلمة، وقد سأل، أي: طلب شيئًا - لم تذكره المصادر - فردَّ عليه رسول الله -صلى الله عليه وسلم- "لو سألتني هذا العسيب ما أعطيتك لك"، ورواية أخرى تقول: إن مسيلمة لم يقابل الرسول -صلى الله عليه وسلم- ولم يتحدث إليه، إنما كان الوفد قد استبقوه في رحالهم، وتوجهوا بدونه لمقابلة رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، وأنهم أسلموا، فأعطاهم الجوائز، كما هي عادة العرب في إكرام الرجال والضيوفان، فذكروا للرسول -صلى الله عليه وسلم- أنهم خلفوا أحدهم في رحالهم، فأمر له الرسول -صلى الله عليه وسلم- - بمثل ما أعطى لكل منهم وقال يجامله "أما إنه ليس بشركم مكانًا" وقصد الرسول -صلى الله عليه وسلم- - بهذا أنه يحفظ صنيعه أصحابه^(٥).

ثانيًا: إن مسيلمة بعد عودته إلى بلاده فسّر- لقومه قول رسول الله -صلى الله عليه وسلم- - تفسيرًا آخر أقنعهم به بقوله، ألم يقل لكم حين ذكرتموني له، أما أنه ليس بشركم مكانًا؟ ما ذاك إلا لما كان يعلم أني قد أشركت في الأمر معه^(٦)، أو كما كان يزعم أن الأمر له من بعده^(٧)، فهو يزعم أنه شريك لرسول الله -صلى الله عليه وسلم- - في النبوة، وكأنه يريد أن يقول: لماذا لا يكون هو نبيّ بني حنيفة مثلما كان محمد نبي قريش؟ وهذا بالطبع

(١) رملة بنت الحارث بن ثعلبة بن الحارث بن زيد الأنصارية النجارية. ذكرها ابن حبيب في المبايعات، وذكر ابن إسحاق في السيرة النبوية - أن بني قريظة لما حكم فيهم سعد بن معاذ حبسوا في دار رملة بنت الحارث امرأة من الأنصار من بني النجار. الواقدي فيقول: رملة بنت الحارث، بفتح الدال المهملة بغير ألف قبلها. وقال ابن سعد: رملة بنت الحارث، وهو الحارث بن ثعلبة بن زيد بن ثعلبة بن غنم بن مالك بن النجار، تكنى أم ثابت، وأما كيشة بنت ثابت بن النعمان بن حرام، وزوجها معاذ بن الحارث بن رفاعة.

(٢) ابن سعد: الطبقات الكبرى (٢/ ٨٠-٨١).

(٣) ابن هشام: السيرة النبوية (٤/ ١٦٨-١٦٩).

(٤) الطبري: تاريخ الرسل والملوك، (٣/ ١٣٧).

(٥) ابن سعد: الطبقات، ٨١/٢، الطبري: تاريخ الرسل والملوك، (٢/ ١٣٨).

(٦) الطبري: تاريخ الرسل والملوك، (٢/ ١٣٨).

(٧) ابن سعد: الطبقات، (٢/ ٥٩).

يُرِضِي العصبية القبليّة؛ لأن القبائل كانت تحقد على قريش؛ لذا فقد وافقوه على ما ادعاه.

ثالثًا: أرسل مسيلمة في أواخر عام (١٠) هجرية رجلين يحملان رسالة يطلب فيها اعتراف النبي - **صلى الله عليه وسلم** - به كما يعترف هو بنبوته يقول فيها: "من مسيلمة رسول الله إلى محمد رسول الله سلام عليك، أما بعد، فأني قد أشركت في الأمر معك، وإن لنا نصف الأرض، ولقريش نصف الأرض، ولكن قريش قوم يعتدون، فسأل رسول الله - **صلى الله عليه وسلم** - الرجلين: "فما تقولان أنتما؟ فأجابا: "نقول كما قال" فردّ رسول الله - **صلى الله عليه وسلم** -: "أما والله لولا الرسل لا تقتل لضربت أعناقكما"، ثم أمر فكتب: "بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد رسول الله إلى مسيلمة الكذاب سلام على من اتبع الهدى أما بعد، فإن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده، والعاقبة للمتقين^(١) .

رابعًا: أعاد رسول الله - **صلى الله عليه وسلم** - إلى اليمامة (الرجال بن عنفوه الحنفي)، الذي كان قد بقي مبايعًا بالمدينة يقرأ القرآن، ويتفقه في الدين؛ لكي يشد من عزائم المسلمين ضد مسيلمة غير أن (الرجال) كان أعظم فتنة على بني حنيفة من مسيلمة نفسه، هو لم يلبث حين رأى السواد يتبعه أن أقرّ بنبوته مسيلمة، وشهد له بالاشتراك مع محمد في الرسالة، وهكذا استغلظ أمر مسيلمة. هذا عن بني حنيفة من ربيعة .

ثانيًا: وفد قبيلة تميم:

أما عن قبيلة (تميم) من مضر التي كانت تسكن وسط نجد حتى الأطراف الشرقية للجزيرة العربية، واستوطنت بعض عشائهم البحرين مع القبائل العربية الأخرى^(٢)، فإنه لم يأتهم كتاب للدعوة للإسلام، إنما جاء وفدُهم إلى المدينة لسبب آخر هو اعتداءهم على (بسر بن سفيان)^(٣) عامل رسول الله - **صلى الله عليه وسلم** - على صدقات بني كعب من خزاعة، فبعث إليهم رسول الله - **صلى الله عليه وسلم** - سرية من خمسين فارسًا بقيادة

(١) الطبري: تاريخ الرسل والملوك، (١٣٨ / ٢). وينظر: الطبقات لابن سعد (٢ / ٣٧ - ٣٨) . السيرة النبوية (ابن هشام) ج ٢ ص ٦٠١

(٢) الاضطريحي: مسالك الممالك، (٢٢ - ٢٣) .

(٣) بسر بن سفيان بن عمرو بن عويمر الخزاعي أسلم سنة ست من الهجرة، وبعثه النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عينًا إلى قريش إلى مكة، وشهد الحديبية، وهو المذكور في حديث الحديبية من رواية الزهري عن عروة عن المسور ومروان قوله: حتى إذا كنا بغدير الأشطاط لقيه عينه الخزاعي، فأخبره خبر قريش وجمعهم. ابن عبد البر - الاستيعاب في معرفة الصحابة

(عيننة بن بدر الفزاري)، فأغار عليهم، وأسّر منهم أحد عشر رجلاً، وإحدى عشرة امرأة، وثلاثين صبيًا، وأتى بهم إلى المدينة المنورة^(١)؛ لذلك قدم وفد بني تميم من بني سعد، وبني حنظلة في وفدٍ عظيمٍ يضم سبعةً من أشرافهم عليهم (عطار بن حاجب، وفيهم الأقرع بن حابس، والحنّات بن يزيد، والزبرقان بن بدر، وعمرو بن الاهتم، وقيس بن عاصم، ونعيم بن سعد)^{(٢) (٣)}.

(١) ابن سعد: الطبقات، ٢/ ٥٩.

(٢) نفس المصدر السابق، (٢/ ٥٩)، والطبري، (٣/ ١١٥).

(٣) الثلاثة الأولون من بني دارم بن مالك بن حنظلة، والزبرقان من بني عوف بن كعب، وأما الأخيران من بني الحارث بن كعب. ينظر: السيرة النبوية، لابن هشام، (٤/ ١٥٤).

عطار بن حاجب بن زرارة التميمي: خطيب، من سراة بني تميم. قيل: وفد على كسرى في الجاهلية وطلب منه قوس أبيه، فردها عليه وكساه حلية ديباج. ولما ظهر الإسلام وفد على النبي صلى الله عليه وسلم فكان خطيبه، واستعمله على صدقات بني تميم. وارتد بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم وتبع سجاح. ثم عاد إلى الإسلام.

«و الأقرع بن حابس بن عقاب بن محمد بن سفيان بن مجاشع بن درام بن مالك بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم التميمي. شهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فتح مكة، وحنيناً، وحصار الطائف، وشهد مع خالد بن الوليد فتح العراق والأنبار، وكان على مقدمي خالد. قال ابن دريد: اسم الأقرع فراس، ولقب الأقرع بقرع كان في رأسه، وكان شريفاً في الجاهلية والإسلام، واستعمله عبد الله بن عامر على جيش بعثه إلى خراسان، فأصيب بالجوزجان هو والجيش، رضى الله عنهم.» «تهذيب الأسماء واللغات» (١/ ١٢٤):

عَيْنِنَةُ بن حصن بن حذيفة بن بدر كنيته أبو مالك الفزاري وقد قيل كنيته أبو عبد الله كانت منه هنة في أيام أبي بكر ثم اصلحها الله ومات في آخر خلافة عثمان وله عقب كثير وكان ينزل الحمات موضع في البادية وهي أرض عذرة وبلى (ابن حبان - الثقات)

أبو مُنَازِل الحنّات بن يزيد بن علقمة بن حوي المجاشعي الدارمي التميمي صحابي من أشراف العرب وساداتهم وفد إلى النبي محمد ﷺ مع قومه بني تميم وأسلموا، وأخى النبي صلى الله عليه وسلم بينه وبين معاوية بن أبي سفيان. قال المدائني: «كان الحنّات مع معاوية في حروبه، فوفد عليه في خلافته في الشام وأقام عنده حتى مات.» وقال ابن عبد البر: «كان للحنّات بن يزيد أبناء منهم: عبد الله، وعبد الملك، ومُنَازِل بنو الحنّات وقد ولوا الولايات لبني أمية»

ابن الأَهمّ (٥٧ هـ) عمرو بن سنان بن سمي التميمي المنقري، أبو ربعي: أحد السادات الشعراء الخطباء في الجاهلية والإسلام. من أهل نجد. كان يدعى "المكحل" لجماله في شبابه. ووفد على النبي صلى الله عليه وسلم فأسلم، ولقي إكراماً وحفاوة. ولما تكلم بين يدي النبي أعجبه كلامه فقال: إن من البيان لسحرا. وشعره جيد، وفي البيان والتبيين: كان شعره في مجالس الملوك حلا منتشرة تأخذ منه ما شاءت، ولم يكن في بادية العرب في زمانه أخطب منه. وهو صاحب البيت المشهور: "لعمري ما ضاقت بلاد بأهلها ... ولكن أخلاق الرجال تضيق"

ولقب أبوه بالأهم لأن تنيته هتمت يوم الكلاب «الأعلام للزركلي» (٥/ ٧٨)

«الزبرقان بن بدر التميمي السعدي: صحابي، من رؤساء قومه. قيل اسمه الحصين ولقب بالزبرقان (وهو من أسماء القمر) لحسن وجهه. ولاه رسول الله صلى الله عليه وسلم صدقات قومه فثبت إلى زمن عمر، وكف بصره في آخر عمره. وتوفي في أيام معاوية. وكان فصيحا شاعرا، فيه جفاء الأعراب. قال ابن حزم: وله عقب بطليبرة Talavera لهم بها تقدم، وكانوا أول نزولهم بالأندلس نزلوا بقرية ضخمة سميت (الزبارقة) نسبة إليهم، ثم غلب الإفرنج عليها، فانتقلوا إلى طليبرة، ويُنسب إليه قول النابغة: (تعدو الذئاب على من لا كلاب له).» «الأعلام للزركلي» (٣/ ٤١):

وللباحث على هذه الوفادة عدة ملاحظات:

أولاً: أن وفد بني تميم أظهر بداوةً ملحوظةً حين دخول المسجد، فأدوا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بأن نادوه من وراء حجراته: أن اخرج إلينا يا محمد، وفيهم نزلت الآية الكريمة: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ [الحجرات الآية: ٤].

عن زيد بن أرقم، قال: جاء أناس من العرب إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فقال بعضهم لبعض: انطلقوا بنا إلى هذا الرجل؛ فإن يكن نبياً فنحن أسعد الناس به، وإن يكن ملكاً نعش في جناحه. قال: فأتيت النبي صلى الله عليه وسلم فأخبرته بذلك. قال: ثم جاءوا إلى حجر النبي صلى الله عليه وسلم، فجعلوا ينادونه: يا محمد، يا محمد. فأنزل الله عز وجل على نبيه صلى الله عليه وسلم: {إِنَّ الَّذِينَ ينادونك من وراء الحجرات أكثرهم لا يعقلون}.

وعن مجاهد قال: فأخذ النبي صلى الله عليه وسلم بأذني فمدها، فجعل يقول: "قد صدق الله قولك يا زيد، قد صدق الله قولك يا زيد" «قوله تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ ينادونك من وراء الحجرات}». قال: أعراب بني تميم. (١)

ثانياً: أن الوفد أعلن أن تميم جاءت تفاخر، وحدثت المفاخرة مع المسلمين نثرًا وشعرًا (٢)، شهد بعدها (الأقرع بن حابس) "إن هذا الرجل - يعني النبي ﷺ - لمؤتي له " لخطيبه أقوى من خطيبنا، ولشاعره أشعر من شاعرنا، وأصواتهم أعلى من أصواتنا؛ ولذلك فهم يشهدون للإسلام، فأسلموا وأجازهم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أحسن الجوائز (٣)، ورد عليهم الأسرى، والسبي (٤).

«قَيْسُ بْنُ عَاصِمِ بْنِ سَنَانِ بْنِ خَالِدِ بْنِ مَنْقَرِ بْنِ عُبَيْدِ بْنِ مِقَاعِسَ، وَاسْمُهُ الْحَارِثُ، وَاسْمُ مِقَاعِسَ لِقَاعِسَ عَنْ حَلْفِ بَنِي سَعْدٍ، وَهُوَ الْحَارِثُ بْنُ عَمْرِو بْنِ كَعْبِ بْنِ سَعْدِ بْنِ زَيْدِ مَنَاةَ بْنِ تَمِيمِ التَّمِيمِيِّ السَّعْدِيِّ، أَبُو عَلِيٍّ، وَيُقَالُ: أَبُو قَيْبِصَةَ، وَيُقَالُ: أَبُو طَلْحَةَ الْمَنْقَرِيُّ. وَفَدَّ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي وَفْدِ بَنِي تَمِيمٍ سَنَةَ تَسْعٍ فَأَسْلَمَ.»

وَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "هَذَا سَيِّدُ أَهْلِ الْوَبْرِ." «تهذيب الكمال في أسماء الرجال» (٤٨ / ٢٤):

(١) «تفسير الطبري» (٣٤٧ / ٢١): تفسير مجاهد ص ٦١٠، ومن طريقه البيهقي في الشعب (١٥١٦)، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٨٧ / ٦ إلى عبيد بن حميد.

(٢) انظر الخطيبين والقصيدتين في الطبري، وابن هشام.

(٣) الطبري: تاريخ الرسل والملوك (١١٩ / ٣).

(٤) ابن سعد: الطبقات (٦٠ / ٢).

حيث قالوا: «يا محمد جنناك نفاخرك، فأذن لشاعرنا وخطيبنا»؛ قال: «قد أذنت لخطيبكم فليقل». فقام عطار بن حاجب فقال:

«الحمد لله الذي له علينا الفضل والمن، وهو أهله الذي جعلنا ملوكاً، ووهب لنا أموالاً عظاماً، نفعل فيها المعروف، وجعلنا أعز أهل المشرق، وأكثره عدداً، وأسيره عدة، فمن مثلنا في الناس وأولي فضلهم؟ فمن فاخرنا فليعدد مثل ما عددنا، ولو نشاء لأكثرنا الكلام، ولكننا نحيا من الإكثار فيما أعطانا، وإننا نعرف بذلك. أقول هذا لأن تأتوا بمثل قولنا، وأمر أفضل من أمرنا»

ثم جلس فقال رسول الله ﷺ لثابت بن قيس بن الشماس الخزرجي: «قم فأجب الرجل في خطبته»، فقام ثابت، فقال:

«الحمد لله الذي السماوات والأرض خلقه، قضى فيهن أمره، ووسع كرسيه علمه، ولم يك شيء قط إلا من فضله، ثم كان من قدرته أن جعلنا ملوكاً، واصطفى من خير خلقه رسولاً، أكرمه نسباً، وأصدق حديثاً، وأفضله حسباً، فأنزل عليه كتابه، واثمنه على خلقه، فكان خيرة الله من العالمين، ثم دعا الناس إلى الإيمان به، فأمن برسول الله المهاجرون من قومه وذوو رحمته، أكرم الناس حسباً وأحسن الناس وجوهاً، وخير الناس فعلاً. ثم كان أول الخلق إجابة، واستجاب لله حين دعاه رسول الله صلى الله عليه وسلم نحن، فنحن أنصار الله ووزراء رسوله، نقاتل الناس حتى يؤمنوا بالله، فمن آمن بالله ورسوله منع منا ماله ودمه، ومن كفر جاهدناه في الله أبداً، وكان قتله علينا يسيراً. أقول قولي هذا واستغفر الله لي وللمؤمنين والمؤمنات، والسلام عليكم.

فقام الزبرقان بن بدر فقال:

منا الملوك وفينا تنصب البيع
عند النهاب وفضل العز يتبع
من الشواء إذا لم يؤنس القزع
من كل أرض هويها ثم تصطنع
للنازلين إذا ما أنزلوا شبعوا
إلا استفادوا فكانوا الرأس يقطع
فيرجع القوم والأخبار تستمع
إننا كذلك عند الفخر نرتفع

نحن الكرام فلا حي يعادلنا
وكم قسرنا من الأحياء كلهم
ونحن نطعم عند القحط مطعمنا
بما ترى الناس تأتينا سراتهم
فننحر الكوم عبطاً في أرومتنا
فلا ترانا إلى حي نفاخرهم
فمن يفاخرنا في ذاك نعرفه
إننا أبينا ولا يأبى لنا أحد

وكان حسان بن ثابت الخزرجي شاعر النبي محمد غائباً فبعث إليه فخرج إلى النبي ﷺ وهو يقول :

وجاه الملوك واحتمال العظام
على أنف راض من معد وراغم
بجابية الجولان وسط الأعاجم
بأسيافنا من كل باغ وظالم
وطبنا له نفسا بفيء المغانم
على دينه بالمرهفات الصوارم
ولدنا نبي الخير من آل هاشم
يعود وبالا عند ذكر المكارم
لنا خول ما بين ظئر وخادم
وأموالكم أن تقسموا في المقاسم
ولا تلبسوا زيا كزي الأعاجم

هل المجد إلا السودد والندى
نصرنا وأوينا النبي محمدا
بحي حريد أصله وثورأوه
نصرناه لما حل وسط ديارنا
جعلنا بنينا دونه وبناتنا والندى
ونحن ضرينا الناس حتى تتابعوا
ونحن ولدنا من قريش عظيمها
بني دارم لا تفخروا إن فخركم
هبلتم علينا تفخرون وأنتم
فإن كنتم جئتم لحقن دمائكم
فلا تجعلوا لله ندا وأسلموا

فلما انتهى إلى رسول الله ﷺ، قال رسول الله ﷺ لحسان بن ثابت: « قم يا حسان، فأجب الرجل فيما قال »، فقام حسان بن ثابت فقال أبيات منها:

إن الذوائب من فھر وأخوتهم
يرضى بهم كل من كانت سيرته
قوم إذا حاربوا ضروا عدوهم
فإن في حربهم فاترك عدوتهم
أكرم بقوم رسول الله شيعتهم
أهدى لهم مدحتي قلب يؤزره
فإنهم أفضل الأحياء كلهم
قد بينوا سنة للناس تتبع
تقوى الإله وكل الخير يصطنع
أو حاولوا النفع في أشياعهم نفعوا
شرا يخاض عليه السم والسلع
إذا تفاوتت الأهواء والشيع
فيما أحب لسان حائك صنع
إن جد بالناس جد القول أو شمعو

فلما فرغ حسان بن ثابت من قوله، قال الأقرع بن حابس: «وأبي، إن هذا الرجل لمؤتى له، لخطيبه أخطب من خطيبنا، ولشاعره أشعر من شاعرنا، ولأصواتهم أحلى من أصواتنا»، فلما فرغ القوم أسلموا، وجوزهم رسول الله ﷺ فأحسن جوائزهم. (١)

ثالثاً: إن بعض بني تميم من خواصهم وعوامهم قد أسلموا قبل ذلك، فإن (الأقرع بن حابس) الذي حضر هذا الوفد، كان قد شهد مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فتح مكة، وغزوة حنين، وحصار الطائف، وأخذ عطاء المؤلفة قلوبهم من غنيمة هوازن، كما تجمع المصادر (٢)، وتلك نزعة فردية نسجها على ما سيحدث من مثلها من نزعات مماثلة، وخطيرة بعد ذلك.

رابعاً: أن رجلاً مسلماً آخر من عامة بني تميم يقال له: (ذو الخويصرة) (٣) كان متواجداً في هذه الغزوة، فقال لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - "لم أرك عدلت، فهو يتهم الرسول - صلى الله عليه وسلم - علانية بعدم العدل بشكلٍ أغضبه حتى صاح في وجهه" ويحك إذا لم يكن العدل عندي فعند من يكون؟ (٤)، تلك هي: (البدواة الجافة) التي سوف تظهر في اعتراضات مماثلة، وأخطرها في (حادثة تحكيم القرآن) (٥)، وأشار إليه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بنبوءة حين أجاب على عمر بن الخطاب الذي استأذن في قتل ذلك الرجل إذ قال: "دعوه ستكون له شيعة يتعمقون في الدين حتى يخرجوا منه كما يخرج السهم من الرمية، ينظر في النصل فلا يوجد شيء، ثم في القدح فلا يوجد شيء ثم في الفوق فلا يوجد شيء، سبق الغرس والدم، ومنهم (الخوارج) الذين بلغ تعمقهم في الدين بعد حادثة تحكيم القرآن درجة لا يكاد أن يصدق بها من يقرأ أخبارهم، كما سنوردها فيما بعد .

(١) «حرقوص بن زهير بن السعدي، الملقب بذو الخويصرة: صحابي، من بني تميم. خاصم الزبير فأمر النبي صلى الله عليه وسلم باستيفاء حقه منه. وأمره عمر بن الخطاب بقتال (الهرمزان) فاستولى على سوق الأهواز ونزل بها. ثم شهد صفين مع علي. وبعد الحكمين صار من أشد الخوارج على علي، فقتل فيمن قتل بالنهروان. وفي سيرته اضطراب.» (الأعلام للزركلي) (٢/ ١٧٣).

(٢) ابن هشام: السيرة النبوية (٤/ ٩٥-٩٦)، والطبري: (٣/ ١١٥).

(٣)

(٤) ابن هشام نفس المصدر ٩٦/٤، والطبري: تاريخ الرسل والملوك، (٣/ ٩٢).

(٥) أمين صالح: العرب والإسلام، (ص ١٠٧).

(٦) الطبري: تاريخ الرسل والملوك، (٣/ ٩٢)، وابن هشام: السيرة النبوية (٤/ ٩١).

خامسًا: إن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ولي بعض أشرف بني تميم على صدقات عشائريهم، فإن (الاقرع بن حابس) تولى صدقات بني دارم، و(الزبرقان بن بدر) تولى صدقات بني عوف بن كعب، و(قيس بن عاصم) تولى صدقات بني الحارث بن كعب، وكانت تعليمات رسول الله -صلى الله عليه وسلم- لدى جميع عمال الصدقات في سائر العشائر، والبطون والقبائل هي أن تؤخذ من أغنيائهم؛ لترد على فقرائهم، وسوف تتخذ عشائر تميم مواقف متباينة بشأن هذه الصدقات بامتناع بعضها عن الأداء، لتدخل في نظام حركة الردة .

يتضح للباحث أن قبائل بني حنيفة من ربيعة، وبني تميم من مضر كانت تسري فيهم ردّة مبكرة ظهرت أولاً في حركة الخروج على الدين، والدولة في أواخر عهد رسول الله -صلى الله عليه وسلم- تزعمتها بنو حنيفة التي تعتبر نفسها أقوى من قريش في الجاهلية، كما تمثلت في (حركة الخروج على الدولة)، فقط في أواخر عهد الراشدين التي تزعمها بنو تميم في (نشأة الخوارج)، وتلك جزور الحركات السياسية التي هبت ريح عاصفة على الدولة العربية الإسلامية .

ثالثًا: قبائل أخرى:

هناك من القبائل من قبل الإسلام دينًا، مثل: (بكر بن وائل، وعبد القيس) بالبحرين، والأزد في عمان، وبيائها كما يلي:

قبيلة بكر بن وائل:

قد جاء إلى بكر بن وائل مبعوث رسول الله -صلى الله عليه وسلم- (ظبيان بن مرثد السدوسي) يحمل كتابًا هذا نصه: "أما بعد فأسلموا تسلموا"^(١)، واستجابت بكر بن وائل لدعوة الإسلام، وظهر ذلك في وفادات بعض الرجال من عشائريهم المختلفة من سدوس، وشيبان وغيرهم، وكان في أحد هذه الوفود (بشر بن الخصاصية، وعبد الله بن

(١) الطبقات الكبرى ٤٦/٢ لم تجد بكر بن وائل رجلاً يقرأ تلك الرسالة حتى جاءهم رجل من بني ضبيعة بن ربيعة فقرأها لهم لذلك يسمون بني الكاتب.

مرقد، وحسان ابن حوط)١، ومعهم عبد الله بن أسود من سدوس)٢، ووفادة أخرى كان فيها (حريث ابن حسان الشيباني)، وصحبته امرأة تدعى: قبيلة بنت مخزومة جاءت تريد صحبة رسول الله - صلى الله عليه وسلم)٣ .

قبيلة عبد القيس: أما عبد القيس سكان البحرين فقد جاءهم (العلاء بن الحضرمي) مبعوث الرسول - صلى الله عليه وسلم-، ومعه أبو هريرة إلى (المنذر بن ساوي العبدي) شيخ قبيلة عبد القيس يحملان دعوة رسول الله - صلى الله عليه وسلم- إليه للإسلام، وقد جاء فيها: "بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله إلى المنذر بن ساوي سلام على من اتبع الهدى، أما بعد، فإني أدعوك إلى الإسلام فأسلم تسلم، أسلم يجعل الله لك ما تحت يدك، واعلم أن ديني سيظهر إلى منتهى الخف والحافر"٤، وقيل المنذر بن ساوي دعوة الإسلام دون قيد، أو شرط، وأسلم معه بعض قومه دون البعض الآخر، وبعث كتابًا بإسلامه إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم- هذا نصه: "وإني قرأت كتابك على أهل هجر، فمنهم من أحب الإسلام، وأعجبه ودخل فيه، ومنهم من كرهه، وبأرضي مجوس، ويهود فأحدث إلي في أمرك"٥ .

وسارع رسول الله - صلى الله عليه وسلم- بالرد على المنذر بن ساوي العبدي في تشريع يحدد فيه موقف الإسلام بالنسبة لليهود، والمجوس على مبدأ التسامح الديني، أو الحرية الدينية مع دفع الجزية بقوله: "إن مهما تصلح فلن نعزلك عن عملك، ومن أقام على يهودية، أو مجوسية فعليهِ الجزية"٦، وفي نص آخر أورده أبو يوسف حدّد فيه قيمة هذه الجزية، وفيها: "من محمد رسول الله إلى المنذر بن ساوي سلام الله عليك، فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو، أما بعد، فمن استقبل قبلتنا، وأكل ذبيحتنا فذلك

(١) قال رجل من بني حسان: أنا ابن حسان وابن حوط وكان أبي...رسول بكر كلها إلى النبي (ابن سعد ٢/٨٠)

(٢) ابن سعد: الطبقات ٢/٧٩ - ٨٠.

كان عبد الله بن أسود ينزل اليمامة فباع ما كان له باليمامة وهاجر إلى رسول الله بجواب (مكيال قدره أربعة أفضرة من تمر):

(٣) ابن سعد: الطبقات ٢/٨٢، انظر قصة هذه المرأة في نفس المصدر.

(٤) الزيلعي: نصب الراية لأحاديث الهداية ٤/١٩٩ - ٤٢٠.

(٥) ابن سعد: الطبقات ٢/٢٧.

(٦) ابن سعد: الطبقات ٢/٢٨.

المسلم الذي له ما لنا وعليه ما علينا، ومن لم يفعل فعليه دينارٌ من قيمةِ المعافري، والسلام عليكم ورحمة الله يغفر الله لك" (١) .

وبالتالي عقد العلاء بن الحضري مبعوث رسول الله - صلى الله عليه وسلم - المقيم بالخليج العهد، أو الصلح مع أهل البحرين خاصة، وهذا نصه: "بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما صلح عليه العلاء بن الحضري أهل البحرين، صالحهم على أن يكفونا العمل، ويقاسمونا التمر، فمن لم يف بهذا فعليه لعنة الله، والملائكة، والناس أجمعين" (٢) .

ومع كل فلم يكن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ليغفل أمر بعض شيوخ العرب، أو رؤسائهم بنواحي الخليج مثل: كتابه إلى الهلال والي سيخت (٣)، وقد أورد ابن سعد نص الرسالتين دون أن يذكر المبعوثين إلا أن نص رسالة سيخت تنبئ عن سبق إسلامه هو، وقومه، وتظهر مبادرته بالكتابة لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقد جاء فيها: "إني قد جاءني الأقرع (٤) بكتابك، وشفاعتك لقومك، وأني قد شفعت وصدقا رسولك الأقرع في قومك، فأبشر- فيما سألتني، وطلبتني بالذي تحب، ولكني نظرت أن أعلمه، وتلقاني فإن تجئنا أكرمك، وإن تقعد أكرمك، أما بعد فإني لا أستهدي أحداً، وإذا تُهدي إلي أقبل هديتك، وقد حمد عمالي مكانك، وأوصيك بأحسن الذي أنت عليه من الصلاة، والزكاة، وقراءة المؤمنين، وإني قد سميت قومك بني عبد الله فمرهم بالصلاة، وبأحسن العمل، وأبشر، والسلام عليك وعلى قومك المؤمنين." (٥)

واتبع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كتابه الخاص إلى سيخت بن عبد الله بكتاب آخر عام إلى أهل هجر: "أما بعد فإني أوصيكم بالله وبأنفسيكم، ألا تضلوا بعد أن هديتم، ولا تغروا بعد أن رشدتم، أما بعد، فقد جاءني وفدكم فلم آت إليهم إلا ما سرهم، ولو أني اجتهدت فيكم جهدي كله أخرجتكم من هجر، فشفعت غائبكم، وأفضلت على شاهدكم،

(١) أبو يوسف: الخراج ١٤١.

(٢) البلاذري: فتح البلدان ٩٥/١

(٣) أورد ابن سعد اسم الهلال دون أن يفصح عن نسبه وكذلك سيخت وقال عن الأولى أنه صاحب البحرين والثاني صاحب هجر (ابن سعد: الطبقات ٣٩/٢

(٤) ربما هو الأقرع بن حابس التميمي أحد أشرف بني حنظلة أسلم وشهد مع الرسول - صلى الله عليه وسلم - فتح مكة وغزوة حنين وحاصر الطائف وأخذ عطاء المؤلفة قلوبهم من غنيمة هوازن

(٥) ابن سعد: الطبقات ٣٩/٢-٤٠.

فذكروا نعمة الله عليكم، أما بعد، فإنه قد أتاني ما صنعتكم على أمر الله، وفي سبيله، وأنه من يعمل منكم صالحًا فلن يضيع عند الله، ولا عندي (١).

ويلاحظ أنه لم يرد ذكر أنساب كل من الهلال وسيبخت المذكورين في الرسائل السابقة مثل عادة العرب في ذكر أسمائهم مقرونة بأنسابهم حتى إن الرسول -صلى الله عليه وسلم- سمى قوم سيبخت ب(بني عبد الله) مما يجعلنا نرجح أنهم ليسوا من العرب، وقد أبان البلاذري عن جنسية سيبخت الفارسية، فذكر أنه: (مرزيان هجر) (٢)، بينما لم يرد تعريف عن جنسية الهلال، والمرجح أنه من رؤساء الأجانب من الهنود، أو الفرس الذين يأتون أسواق البحرين؛ لأغراض، وخاصة التجارة الشرقية بالخليج العربي، فاستقر هناك، وصار من أهل البحرين.

والمعروف أن (المجوسية) كانت متواجدة بين أهل الخليج، وبخاصة في هجر، فوجهت إليهم عدة كتب بالدعوة إلى الإسلام، فمن أسلم قبل منه، ومن لم يسلم ضريت عليه الجزية (٣)، والمعروف أن الجزية تشريع قرآني صريح لقوله تعالى: ﴿ قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ ﴾ [سورة التوبة: الآية: ٢٩]،

وهذا حكم صريح أخذ الجزية من اليهود، والنصارى من رعايا الدولة الإسلامية، ثم أخذت من مجوس البحرين بأمر رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، فالجزية مأخوذة من أهل الكتاب بالقرآن ومن المجوس بالسنة؛ ولذلك بعث رسول الله -صلى الله عليه وسلم- أبا عبيدة بن الجراح إلى البحرين يأتيه بخراجها (٤)، كما كتب إلى العلاء بن الحضرمي يقول: "أما بعد فإني قد بعثت إلى المنذر بن ساوي من يقبض منه ما اجتمع عنده من الجزية فعجله بها، وابعث معها ما تجتمع عندك من الصدقة، والعشور، والسلام (٥).

(١) ابن سعد: الطبقات وأيضًا العقبي (٨٨ / ٢)، وفتوح البلدان، (٩٦ - ٩٧)، وابن الأثير، الكامل، (١٨٣ / ٢)
 (٢) البلاذري، فتوح البلدان (٩٥ / ١)، أنساب الأشراف، (ص ٣٨٥).
 (٣) فتوح البلدان: (٩٧ - ٩٨)، وأبو يوسف: الخراج (ص ١٤٠ - ١٤١).
 (٤) أبو عبيد: الأموال (ص ٣٣)، وفي رواية أنه: (بعث أبا هريرة وقدامة) ينظر: ابن سعد الطبقات (٤٠ / ٢).
 (٥) ابن سعد: الطبقات، (٤١ / ٢).

ومهما يكون من أمرٍ فإن الشواهد تؤكد انتشار الإسلام تدريجيًا بين عبد القيس، وعجم البحرين بفضل جهود أبي هريرة الذي بعثه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بصحبة العلاء بن الحضرمي، وأوصاه به خيرًا^(١)، وظلّ العلاء مقيمًا هناك معيّنًا، ومرشدًا للمنذر بن ساوى شيخ عبد القيس البحرين، أو كما يقول ابن هشام: "أميرًا لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - على البحرين".

وظهر ذلك في وفادة عبد القيس للنبي - صلى الله عليه وسلم - بالمدينة تبايعه على الإسلام إذ وفد منهم عشرون، وعلى رأسهم (عبد الله بن عوف الأشج) من بني عسيرة، وفيهم ابن أخته (منقذ بن حيان)^(٢)، و(الجارود بن عمر بن المعلى)، كما ذكر بن سعد^(٣)، بينما ذكر ابن هشام الجارود ابن بشر بن المعلى بمفرده، دون غيره في وفد عبد القيس^(٤)، وفي حين ذكر اليعقوبي وفادتين؛ الأولى برئاسة الأشج، والثانية وفادة الجارود^(٥). ومهما يكن فقد تحدث رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إلى عبد الله الأشج بقوله: "فيك خصلتان يحبهما الله"، فسأله الأشج؛ وما هما؟ قال: "الحلم والأناة"، فسأل ثانيًا أشياء حدثت، أم جبلت عليه؟، "بل جبلت عليه"^(٦)، بينما كان الجارود نصرانيًا عرض عليه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - الإسلام فأسلم، وأسلم أصحابه^(٧)، هذا، وقد نزل وفد من عبد القيس في ضيافة الرسول - صلى الله عليه وسلم - عشرة أيام يسأل خلالها عبد الله الأشج رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عن الفقه والقرآن، ثم أعادهم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بالجواز، وفصّل عليهم عبد الله الأشج، فأعطاه اثنتي عشرة أوقية^(٨)، ومسح الرسول - صلى الله عليه وسلم - وجه منقذ بن حيان.

(١) ابن سعد: الطبقات، (٢/ ٢٨).

(٢) ابن هشام: السيرة، (٤/ ٦٧).

(٣) ذكر عن منقذ هذا أنه كان يأتي يثرب بقصد التجارة، فالتقى هناك مع رسول الله ثم أسلم، وعاد إلى هجر، ومعه كتاب من النبي إلى جماعة من عبد القيس، وكتب منقذ الكتاب، ثم أخبر به والد زوجته الأشج، فأسلم، وأخذ الكتاب فقرأه على قومه من بني عسيرة، فأسلموا ثم ترأس وفد إلى الرسول - صلى الله عليه وسلم - ينظر: صحيح مسلم بشرح الإمام النووي، (١/ ١٨١)، وصحيح مسلم بشرح الكرمانلي، (١/ ٢١١).

(٤) ابن سعد، الطبقات الكبرى: ٧٨/٢.

(٥) ابن هشام: (٤/ ١٦٧).

(٦) ابن سعد: الطبقات (٢/ ٥٩).

(٧) ابن هشام: (٤/ ١٦٧).

(٨) ابن سعد: الطبقات، (٢/ ٥٩).

وكانوا حينما قدموا على النبي ﷺ، لم يتمالكوا حينما وصلوا المدينة، فانطلقوا إلى رسول الله ﷺ تاركين دوابهم، ولم يغيروا ملابس السفر، ولم يتهيئوا؛ لفرط شوقهم لرؤية رسول الله ﷺ، أما الأشج فبقي في رحالهم، وعقل راحلته، وغير ثيابه، وتهيأ للقاء رسول الله ﷺ، ثم جاء إليه، فأكرمه النبي ﷺ وقربه.

لما دخل وفد عبد القيس انكبوا يقبلون يديه ورجليه ﷺ ولا يُعرف هذا لوفد دخل على النبي ﷺ سوى هذا الوفد.

وعروة بن الزبير، قال: كتب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أهل البحرين أن يقدم عليه عشرون رجلاً منهم، فقدم عليه عشرون رجلاً رأسهم عبد الله بن عوف الأشج، وفيهم الجارود ومنقذ بن حيان، وهو ابن أخت الأشج، وكان قدومهم عام الفتح، فقيل: يا رسول الله هؤلاء وفد عبد القيس: قال: «مرحباً بهم! نعم القوم عبد القيس».

قال: ونظر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الأفق صبيحة ليلة قدموا، وقال: «ليأتين ركب من المشركين لم يُكروهوا على الإسلام، وقد أنضوا الركاب وأفنوا الزاد، بصاحبهم علامة، اللهم اغفر لعبد القيس، أتوني لا يسألوني مالاً، هم خير أهل المشرق»، قال: فجاؤوا في ثيابهم، ورسول الله صلى الله عليه وسلم في المسجد، فسلموا عليه، وسألهم رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أيكم عبد الله الأشج؟» قال: أنا يا رسول الله؟ وكان رجلاً دميماً، فنظر إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: إنه لا يستسقي في مسوك الرجال إنما يُحتاج من الرجل إلى أصغريه لسانه وقلبه، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «فيك خصلتان يحبهما الله» فقال عبد الله: وما هما؟ قال: (الحلم والأناة)!! قال: أشيء حدث أم جبلت عليه؟ قال: «بل جبلت عليه» فقال: الحمد لله الذي جبلي على خلقين يحبهما الله.

وإن تعددت الروايات، واختلافها حول عدد وفد عبد القيس إلى الرسول -صلى الله عليه وسلم- يجعل تحديد الوفادة أمراً صعباً إضافة إلى احتمال التزوير، أو الاختلاق طالما يترتب على الوفادة مجد ومفاخرة، وأرى كون أن (٤٠) شخصاً بعيد عن الصحة؛ إذ كيف يتسع بيت واحد لهذا العدد الضخم؟، كما أن ضيافته تكون عسيرة، والراجح أن عدد الوفد بين (١٠، و٢٠) شخصاً.

وتحتم علينا أن نتعرف على العوامل التي دفعت عبد القيس من أهل البحرين إلى قبول دعوة الإسلام، والدخول في طاعة الدين، وسلطان الدولة الإسلامية الناهضة على عهد رسول الله - صلى الله عليه وسلم- وفي هذا المنحى تبرز أماننا عوامل دينية، وتجارية، وسياسية .

فقد كان الأشج صديقاً لراهبٍ يلقاه كل عامٍ ب(دارين)، فيحدثه الراهب عن نبيِّ سوف يخرج بمكة يأكل الهدايا، ولا يأكل الصدقة، بين كتفيه علامة يظهر على الأديان، ولم يلبث أن سمع الأشج - مثل سائر العرب - بأخبار ذلك النبي الذي بُعث بالدين الجديد بمكة، وأنه ذاعت أخباره فيما يتداوله العرب حين قدموا في مواسم الحج، والتجارة؛ لذلك بعث الأشج ابن أختٍ له من عصر يدعى: (عمرو بن قيس) مع قافلة تحمل التمور إلى مكة للتجارة، وطلب منه التحري عن أخبار ذلك النبي، وكان أن تقابل عمرو بن قيس مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم- وعاد عمر إلى خاله بدعوة رسول الله - صلى الله عليه وسلم- له للإسلام، فأسلم هو الآخر، وكنتم إسلامه، ثم وَقَدَ بعد ذلك مع نفرٍ من أهل هجر إلى المدينة يبايع رسول الله - صلى الله عليه وسلم- على الإسلام^(١) .

فهذه الرواية تشير إلى حالة القلق الفكري لدى بعض القوم في شرق الجزيرة العربية، وتأثير نبوءات أولي العلم من أهل الكتاب، عن قرب ظهور نبيٍّ مبعثه أرض العرب، كما تشير إلى الصلة التجارية بين شرق الجزيرة وغربها، وهي بلا شك عوامل مهمة تلقي الضوء على الإسلام المبكر لعشائر عبد القيس.

ولقد ذكر أهل السيرة قصة (منقذ بن حيان)، مع أهله وقت إسلامه، فقد كانت تجارته إلى يثرب في الجاهلية، فشخص إلى يثرب بملاحف وتمر من هجر بعد هجرة النبي - صلى الله عليه وسلم - فبينما هو قاعد إذ مرَّ به النبي - صلى الله عليه وسلم - فنهض منقذُ إليه، فقال النبي - صلى الله عليه وسلم -: (أمنقذ بن حيان، كيف جميع هيئتكم وقومك؟)، ثم سأله عن أشرفهم رجلاً رجلاً يسميهم بأسمائهم، فأسلم منقذ وتعلم سورة الفاتحة و"اقرأ باسم ربك"، ثم رحل قبل هجر، فكتب النبي - صلى الله عليه وسلم - معه إلى جماعة عبد القيس كتاباً فذهب به وكنمه أياماً، ثم أطلعت عليه امرأته، وهي

(١) ابن سعد: الطبقات الكبرى، (٧٨ - ٧٩) .

بنت المنذر بن عائد بن الحارث (والمنذر هو الأشج، سماه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - به؛ لأثر كان في وجهه).

وكان منقذ - رضي الله عنه - يصلي ويقرأ، فنكرت امرأته ذلك، فذكرته لأبيها المنذر، فقالت: أنكرت بعلي (زوجي) منذ قدم من يثرب أنه يغسل أطرافه، ويستقبل الجهة؛ تعني: القبلة، فيحني ظهره مرة، ويضع جبينه مرة، ذلك ديدنه منذ قدم، فتلاقيا فتجاريا ذلك، فوقع الإسلام في قلبه، ثم ثار الأشج إلى قومه بكتاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقرأه عليهم، فوقع الإسلام في قلوبهم وأجمعوا على السير إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم. (١)

إسلام أهل عمان:

أما إسلام أهل عمان فقبل إن أول من أسلم من أهل عمان هو: (مازن بن عضوية بن سبيعة بن شماسة بن حيان بن مر بن حيان بن أبي بشر بن خطامة بن سعد بن نيهان بن عمرو بن الغوث بن طي)، وكان يسكن قرية سمايل، وقيل: إنه وجد سعيد أبو علي، وكان يعبد صنماً يقال له (ناجر)، فبينما هو كذلك إذ ورد عليه رجل من أهل الحجاز يريد دباً فسأله ما الخبر وراءك؟ قال: إنه ظهر رجلٌ يقال له: محمد بن عبد الله بن عبدالمطلب بن هاشم بن عبد مناف يقول لمن جاءه أجيبوا داعي الله، فليست بمستكبر، ولا جهار، ولا محتالٍ أدعوكم إلى الله، وترك عبادة الأوثان، وأبشركم بجنة عرضها السموات والأرض، واستنقذكم من نار تلتظي لهيبها لا يطفأ من سكنها (٢).

قال مازن: هذا والله نبا ما سمعته من الصنم فوثبت عليه، وكسرتة جذاداً، ثم ركبت راحلي قاصداً نحو رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فلما قدمت عليه سألته عما يدعو إليه فشرح لي رسول الله - صلى الله عليه وسلم - الإسلام، فأسلمت ونور الله قلبي .

ثم قلت للنبي - صلى الله عليه وسلم -: ادع الله لأهل عمان، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: "اللهم ارزقهم العفاف والكفاف والرضى بما قدرت لهم"، قال مازن: "يا رسول الله البحر ينضح بجانبنا، فادع الله في ميرتنا وخفنا وظلفنا" قال: "اللهم وسع عليهم في ميرتهم، وأكثر خيرهم من بحرهم، فقلت: زدني، فقال: "اللهم لا تسلط عليهم

(١) شرح مسلم - النووي - ج ١ - الصفحة ١٨١

(٢) سرحان بن سعيد: تاريخ عمان، (ص ٤٠).

عدوًا من غيرهم"، وقال لمازن: "قل يا مازن آمين فإنه يستجيب عند الدعاء"، فقال مازن: آمين^(١).

ثم قال: يا رسول الله إني مولع بالطرب، وبشرب الخمر، ولجوج بالنساء، وليس لي ولد فادع الله أن يذهب عني ما أجد، ويرزقني ولدًا تقر به عيني، ويأتينا بالحيا، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم-^(٢): "اللهم أبدله بالطرب قراءة القرآن، وبالحرمان حلالاً، وبالعهرة عفة الفرج، وبالخمر رياءً لا إثم فيه، وآتهم بالحياه، وهب له ولدًا تقر به عينه"، قال مازن: فأذهب عني ما كنت أجد من الطرب، وحجته حجًا، وحفظت شرطًا من القرآن، وتزوجت أربع عوائل من العرب، ورزقت ولدًا، وسميته: "حيان بن مازن".

ويروي مازن بن غضوبة عن نفسه: فقال كنت أسدن صنما يقال له باحر بسماثل قرية بعمان، فعترتنا ذات يوم عنده عتيرة وهي الذبيحة، فسمعت صوتًا من الصنم يقول:

يا مازن اسمع تسر- ظهر خير وبطن شر

بعث نبي من مضر- بدين الله الأكبر

فدع نحيتا من حجر تسلم من حرسقر

قال: ففزعت لذلك، وقلت: إن هذا لعجب، ثم عترت بعد أيام عتيرة، فسمعت صوتًا من الصنم يقول:

أقبل إلي أقبل تسلم ما لا تجهل

(١) سرحان بن سعيد: نفس المصدر، (ص ٤٢٠).

(٢) سرحان بن سعيد: نفس المصدر.

ولمازن شعر منه:

تجوب الفيافي من عمان إلى العرج
فتغفر لي ذنبي فارجع بالفلج
فلا رأيهم رأيي ولا شرحهم شرحي
شبابي إلى أذن الجسم بالنهج
وبالعهر إحصانا فأحصن لي فرجي
فلله ما صومي ولله ما حجي

إليك يا رسول الله خبت مطيتي
لنتشفع يا خير من وطئ الثرى
إلى معشر خالفت في الله دينهم
وكننت امرء باللهو والخمر مولعا
فبدلني بالخمر أمانا وخشية
فأصبحت همي بالجهاد ونيتي
*العرج: موضع قرب المدينة المنورة.

هَذَا نَبِيٌّ مَرْسَلٌ جَاءَ بِحَقِّ مَنْزَلٍ
فَأَمَّنَ بِهِ كِي تَعْدَلُ عَنْ حَرْنَارٍ تَشْتَعَلُ
وَقُودَهُ هَا بِالْجَنَّةِ دَلُّ

فقلت: إن هذا لعجب، وإنه لخير يراد بنا، فبينما نحن كذلك إذ قدم رجل من الحجاز، فقلنا: ما الخبر وراءك؟ قال: ظهر رجل يقال له أحمد، يقول لمن أتاه: «أجيبوا داعي الله» قلت: هذا نبأ ما قد سمعت، فسرت إلى الصنم فكسرتة أجزاذا، وركبت راحلتي فقدمت على رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، فشرح لي الإسلام فأسلمت. (١)



حصن سمائل العمانية (٢)

ويذكر ابن سعد (١)، أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- بعث إلى أهل عمان (العلاء بن الخضرعي)؛ ليعلمهم شرائع الإسلام، وكان على أهل الريف منهم عبد وجيفر ابنا

(١) المعجم الكبير، الطبراني، الجزء ٢٥، ص ٣٢٢

(٢) تعتبر ولاية سمائل إحدى ولايات محافظة الداخلية وهي إحدى واحاتها الخضراء واشتهرت سمائل باسم (الفيحاء)

الجلندي، وكان أبوهما الجلندي قد مات في ذلك العصر، وكان نصّ كتابه - **صلى الله عليه وسلم**:- "من محمد رسول الله إلى أهل عمان، وأما بعد، اقرؤا بشهادة أن لا إله إلا الله، وأني رسول الله، وأقيموا الصلاة، وأدوا الزكاة، واعمرؤا المساجد، وإلا غزوتكم".

كما كتب أن رسول الله - **صلى الله عليه وسلم** - إلى عبد وجيفر: "من محمد رسول الله إلى جيفر وعبد ابني الجلندي، أما بعد، فإني أدعوكم بدعوة الإسلام، أسلما تسلما، فإني رسول الله إلى الناس كافة؛ لأنذر من كان حيا ويحق القول على الكافرين، فإن أسلمتما وليتكنما، وإن أبيتما فإن ملككما زائل عنكما، وخيلي تطأ ساحتكما، وتظهر نبوتي على ملككما".

وكان الكاتب لهذا الكتاب هو (أبي بن كعب)^(٢)، والرسول - **صلى الله عليه وسلم** - المملي عليه، وقد طوي الصحيفة، وختمها بخاتمه - **صلى الله عليه وسلم** - وبعث بها مع أبي زيد الأنصاري، فقدم بها إلى عبد وجيفر، وكان أول موضع نزل به بعمان هو: (دستجرد)، وهي مدينة بصحارٍ بنتها العجم، فنزل بها وقت الظهر، وبعث إلى ابني الجلندي، وهما ببادية عمان، فأول من لقيه (عبد) وهو أحلم الرجلين، وأحسنهما خلقًا، فأوصل أبا زيد إلى أخيه جيفر، ودفع إليه الكتاب مختومًا ففضّ ختامه، وقرأه، ثم دفعه إلى عبد فقرأه، ثم التفت إلى أبي زيد، فقال: "إن هذا الذي تدعو إليه من وجهة صاحبك أمرٌ ليس بصغيرٍ، وأنا أعيدُ فكري فيه، وأعلمُك".

"من محمد رسول الله إلى أهل عمان، أما بعد فأقرؤا أن لا إله إلا الله، وأني محمد رسول الله، وأدوا الزكاة، واعمرؤا المساجد، وإلا غزوتُكم، وكتب إلى عبد وجيفر بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله إلى جيفر وعبد ابني الجلندي، أما بعد، فإني أدعوكم بدعاية الإسلام؛ أسلما تسلما فإني رسول الله إلى الناس كافة؛ لأنذر من كان حيا ويحق القول على الكافرين، فإن أسلمتما وليتكنما وإن أبيتما، فإن ملككما زائل عنكما، وخيلي تطأ ساحتكما، وتظهر نبوتي على ملككما" والكاتب لهذا الكتاب هو أبي بن كعب، ورسول الله - **صلى الله عليه وسلم** - يملي عليه، وطوى الصحيفة، وختمها بخاتمه، وبعث بها عمرو

(١) ابن سعد: الطبقات، (٢/ ١١٤). جيفر بن الجلندي سيد بني زهران من الأزدي في زمن النبي محمد. كان جيفر وأخوه عبد سيدا قومهما في عُمان. أسلم هو وأخوه على يدي عمرو بن العاص لما بعثه النبي محمد إلى عُمان لدعوة أهلها إلى الإسلام، ولم يقدموا على النبي ولم يرياها.

(٢) سرحان بن سعيد: تاريخ عمان ص ٤١

بن العاص، ثم استحضره جماعة من الأزد وبعثوا إلى (كعب بن برشه العودي) فسأله عن أمر رسول الله - صلى الله عليه وسلم- فقال: "إنه نبي، وقد عرفتُ صفته وأنه سيظهر على العرب والعجم، وأسلم كعب وعبد وجيفر، وبعثوا إلى وجوه الناس، فبايعوهم للنبي -صلى الله عليه وسلم- ودخلوا في دينه^(١)، وألزمهم تسليم الصدقة، وأمروا عمرو بقبضها، فقبضها منهم على الجهة التي أمره بها رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، ثم بعث جيفر إلى (مهرة والشحر)، ونواحيهما، فدعاهم إلى الإسلام، فأسلموا، وبعث إلى (دبا وما يليها) إلى آخر عمان فما ورد رسول على أحدٍ إلا أسلم، وأجاب دعوته إلا الفرس الذين كانوا بعمان فحين أبوا عن الإسلام اجتمعت الأزد إلى جيفر، وقالوا: لا تجاورنا العجم بعد هذا اليوم، وأجمعوا على إخراج عاملِ الفرس "مسكان" ومن معه من الفرس، فدعا جيفر بالأساورة والمرازبة، فقال لهم: "إنه قد بعث نبي من العرب، فاختراروا منا إحدى حالتين، إما أن تسلموا، وتدخلوا فيما دخلنا، وإما أن تخرجوا عنا بأنفسكم"، فأبوا أن يسلموا، وقالوا: لسنا نخرج.

فعند ذلك اجتمعت الأزد فقاتلوهم قتالاً شديداً، وقتل مسكان، وكثير من أصحابه وقواده، ثم تحصن بقبيتهم في مدينة (دستجرد)، فحاصروهم أشد الحصار، فلما طال عليهم الحصار طلبوا الصلح، فصالحوهم على أن يتركوا كل صفراء، وبيضاء، وحلقة، وكراع، فأجابوا إلى ذلك، وخرجوا من عمان، وبقيت أموالهم، وهذه هي (الصوافي)^(٢).

ومكث معهم عمرو، وهم له طائعون، ولقوله (سامعون) إلى أن بلغته وفاة رسول الله - صلى الله عليه وسلم- فأراد الرجوع إلى المدينة فصحبه (عبد بن الجلندي، وجعفر بن جشم العتيكي، وأبو صفرة سارف بن ظالم) في جماعة من الأزد، فقدموا مع عمرو بن العاص إلى أبي بكر -رضي الله عنه- فلما دخل عليه قام سارف بن ظالم، وقال يا خليفة رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، ويا معشر قريش هذه أمانة كانت في أيدينا، وفي ذمتنا، ووديعة لرسول الله -صلى الله عليه وسلم- فقد برئنا إليكم منها، فقال أبو بكر: "جزاكم الله خيراً"، وقام الخطباء بالثناء عليهم، والمدح، فقالوا: كفاكم عاشر الأزد قول رسول

(١) سرحان بن سعيد: تاريخ عمان، ص ٤٢

وانظر ابن الأثير: الكامل في التاريخ ١٥٨٠١٥٧/٢

(٢) الصوافي: هي الأملاك والأرض التي جلا عنها أهلها، أو ماتوا، ولا وارث لها، واحتتها (صافية)، وقيل للضياع التي يستخلصها السلطان لخاصته. ينظر: سرحان بن سعيد: تاريخ عمان، (ص ٤٢).

الله - صلى الله عليه وسلم-، وثناؤه عليكم، وقام عمرو بن العاص فلم يدع شيئاً من المدح والثناء إلا قاله في الأزد .

وجاءت وجوه الأنصار من الأزد، وغيرهم مسلمين على يد عبد، ومن معه فلما كان من الغداء أمر أبو بكر، فجمع الناس من المهاجرين والأنصار، وقام أبو بكر خطيباً، فحمد **الله** وأثنى عليه، وذكر رسول **الله - صلى الله عليه وسلم-** فصلى عليه وقال: "معاشر أهل عمان إنكم أسلمتم طوعاً لم يظاً رسول **الله** ساحتكم بخفّ، ولا حافر، ولا عصيتموه، كما عصيه غيركم من العرب، ولم ترموا بفرقةٍ ولا تشئت شمل، فجمع **الله** على الخير شملكم، ثم بعث إليكم عمرو بن العاص بلا جيش، ولا سلاح، فأجبتموه إذا دعاكم على بُعد داركم، وأطعتموه إذ أمركم على كثرة عدديكم، وعُدتكم فأبي فضلٍ أبرّ من فضلكم؟ وأي فعلٍ أشرفٍ من فعلكم؟ كفاكم قوله عليه السلام شرقاً إلى يوم القيامة، بإسلام عبد وجيفر ابنيّ الجلندي، وأعرّكم **الله** به، وأعرّه بكم، وقد كنتم على خير حتى أتتكم وفاة رسول **الله - صلى الله عليه وسلم-**، فأظهرتم ما يضاف إلى فضلكم، وقيمتكم مقاماً حمدناكم فيه، وشاركتكم بالنفس والمال، فيثبت **الله** به أسنتكم، ويهدي به قلوبكم، وللناس جولة، فكونوا عند حسن ظنيّ بكم، ولست أخاف عليكم أن تغلبوا على بلادكم، ولا أن ترجعوا عن دينكم جزاكم **الله** خيراً، ثم سكت" (١).

ثم إن أبا بكر كتب كتاباً إلى أهل عمان يشكرهم، ويثني عليهم، وأقر جيفر، وأخاه عبداً على ملكهما، وجعل لهما أخذ الصدقات من أهلها، وحملها إليه، وانصرف عنه، ومن معه شاكرًا لعبدٍ وجيفرٍ من المآثر، والمناقب ما يضيق بها الكتاب، وقد أوردنا لمحة من أخبارهم ولم يزلوا في عمان متقدمين إلى أن ماتا، وخلفا من بعدهما (عباد بن عبد بن الجلندي)، في زمن عثمان، وعلي **رضي الله عنهما** .

ويظهر للباحث أن هناك دافعاً سياسياً وراء انتشار الإسلام في شرق الجزيرة العربية نراه في الأوضاع السياسية، والاقتصادية في كل من (البحرين وعمان) اللتين تطلان على الخليج، فقد سيطر عليهما النفوذ الفارسي لأغراض تجارية تعود إلى احتكار الفرس للتجارة الشرقية التي اتخذت في هذه الفترة عند ظهور الإسلام الخليج العربي طريقاً إلى مصب الفرات، كما اتخذت من المدن الواقعة على الساحل أسواقاً للبضائع الشرقية مثل: (دُبا،

(١) سرحان بن سعيد: تاريخ عمان، (ص ٤٣) .

وهجر، ودارين، وجواثا، والأبلة، وصحار، وغيرها)، وقد جاء إلى تلك المناطق تجار، كما سكنها كثير من الفرس الذين استقروا فيها جيلاً بعد جيل، وصاروا من أهل البلاد بجانب العرب .

ثم إن الفرس أعطوا الأشراف العرب هناك سلطة الحكم في قبائلهم، وعشائرتهم، وتلك سياسة تقليدية للفرس إزاء المناطق التي يسودها العرب في أطراف الدولة، وعلى مشارف الصحراء مثل: ما كان عليه الحال مع المناذرة في الحيرة جنوب العراق، وهكذا أيضاً كان وضع (المنذر بن ساوي) في عبد القيس بالبحرين، وجيفر، وعبد ابني الجلندي بعمان، وهؤلاء استجابوا مع عشائرتهم لدعوة الإسلام رغبة في التخلص من الحكم الفارسي، أو التبعية الفارسية، فأقبلوا على الإسلام ديناً، واستظلوا بدولته حكماً، ونفوذاً، وتلك شيمة العرب في عشق الحرية، وحياة الاستقلال في نطاق القبيلة؛ وذلك لأن الإسلام قد حقق لهم تلك الحرية مع بقاء الحكام السابقين في مناصبهم .

ولا شك أن هذه النزعة العربية نحو التحرر أغضبت (كسرى فارس) أشد الغضب؛ لذا نراه يمزق كتاب رسول الله -صلى الله عليه وسلم- بالدعوة إلى الإسلام، ويبعث إلى عامله على اليمن يطلب القضاء على ذلك النبي، كما تذكر المصادر، ثم هو لا شك أيضاً لن يرضى عن جباية نفوذه السياسي على مناطق الخليج، فلا يزال هناك بعض العرب ممن ظلوا على دينهم السابق، ويحتفظون بالولاء، أو يخافون بطش الفرس، ولا بأس أن يعتمد كسرى على مثل تلك العناصر في استعادة نفوذه المفقود في نواحي (البحرين، وعمان) في مواجهة الإسلام، وهو ما حدث بالفعل كي تدخل بهذا الشكل في نطاق الردة على الدين، والدولة تستعد للانفجار عن وشك .

وعندما مُزق كتاب النبي صلى الله عليه وسلم قال النبي صلى الله عليه وسلم حين بلغه ذلك منه " اللهم مزق ملكه كل ممزق " . فلم يفلح كسرى بعد دعوة النبي صلى الله عليه وسلم فسلط الله عليه ابنه شيرويه، فقتله .

ثم ان شيرويه كتب إلى باذان مرزبانه إلى عمان، ويقال بل يقال فستحان. وكان مرزبانه وعامله إلى عمان: ابعث من قبلك رجلا عربيا فارسيا صدوقا مأمونا - وقد قرأ الكتب - إلى الحجاز يأتيك بخبر هذا الرجل العربي، الذي يزعم أنه نبي، ليأتيك بخبره. وعني بقوله عربيا فارسيا، أي قد يتكلم بالعربية والفارسية ويعرفهما، وهو عذره.

فبعث باذان ويقال الفستحان رجلا من طاحية يقال له كعب بن برشه الطاحي. وكان قد تنصر وقرأ الكتاب. فقدم المدينة، وأتى النبي **صلى الله عليه وسلم** فكلمه فرأى فيه الصفات التي يجدها في الكتب. فعرف انه نبي مرسل فعرض عليه النبي **صلى الله عليه وسلم** الاسلام فأسلم كعب.

فرجع إلى عمان، فأتى باذان ويقال له الفستحان، وهو بعمان. فأخبره أن النبي **صلى الله عليه وسلم** نبي مرسل. فقال باذان ويقال الفستحان: هذا امر أريد أن اشافه فيه الملك. فاستخلف على أصحابه الذين بعمان رجلا من أصحابه يقال له مسكان. وخرج باذان إلى الملك كسرى بفارس. ثم ان رسول **الله صلى الله عليه وسلم** كتب إلى أهل عمان. وكان الملك في ذلك العهد بعمان الجلندي بن المستكبر. وأرسل اليه يدعوه، ومن معه إلى الاسلام. فأجاب وارسل إلى الفرس الذين بعمان، - وكانوا مجوسا - يدعوهم إلى التدين بهذا الدين، والاجابة إلى دعوة محمد **صلى الله عليه وسلم** فأبوا، فأخرجهم الجلندي قهر وصغرا من عمان." (١)

الفصل الثاني:

ارتداد أهل المنطقة عن الإسلام وأسباب الردة.

لقد أحدثت وفاة رسول **الله - صلى الله عليه وسلم -** عام (١١هـ) هزة عنيفة في قلوب من رسخ الإيمان في قلوبهم، من المهاجرين والأنصار بالمدينة، كما أحدثت ردةً كبرى عن الإسلام من جانب العرب جميعاً حديثي العهد بالإسلام في سائر أنحاء الجزيرة العربية، كما وأخذت مظهرين؛ أولهما: ادعاء النبوة من جانب بعض الكهان، واستجابت لهم القبيلة بدافع العصبية؛ لترتفع مكانتها بين القبائل، مثلما ارتفعت مكانة قريش بنبوة محمد -**صلى الله عليه وسلم -**. أما المظهر الثاني فهو: الامتناع عن دفع الصدقات، فيعتبرها رجال القبائل بمثابة (إتاوة) قبلوا دفعها سابقاً لنبي الإسلام، ولا حاجة لهم الآن إلى دفعها بعد وفاته .

(١) كتاب الأنساب للصحاري ص ٢٥٧

وإذا كان هذا هو الشكل العام الذي نفهمه من المصادر المختلفة عن حركة الردة عن الإسلام، فإن الدراسة التفصيلية لتلك الحركة بين عرب شرق الجزيرة تنبئ عن نزعاتٍ، واتجاهاتٍ مختلفة .

موقف بني تميم من الردة:

بالنسبة لبني تميم من مضر، سبق لنا الإشارة إلى ما ظهر منهم عند وفادتهم لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - للبيعة على الإسلام من بداوة عندما نادوه من وراء الحجرات ، ووصفهم القرآن بأنهم ﴿ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴾ [الحجرات: ٤]، فلا عجب أن تختلف عشائرتهم وبطونهم فيما بينها حول قضية واحدة هي دفع الصدقات أو منعها، وبعبارة أخرى التمسك بالإسلام من عدمه.

فقد قدمت (بنو عمرو) صدقاتها إلى أبي بكر بالمدينة^(١)، أما (بنو سعد)، فقد قدمت بعض عشائرتهم الصدقة، وتوقفت أخرى^(٢)، بينما امتنع (بنو حنظلة) جميعاً عن أداء الصدقة؛ لذا انقسمت بطون تميم، ووقفت إزاء بعضها البعض: المسلمون من (الرباب، وعوف، والأبناء) ضد المرتدين من مقاعس والبطون، كما وقف المسلمون من بني عمرو ضد المرتدين من بني حنظلة^(٣)، وبينما تميم في هذا الاختلاف جاءتهم امرأة تدعى (سجاح بنت الحارث التميمية) كانت تقيم عند أحوالها (بني تغلب) بالجزيرة،

قال ابن الأثير: « سجاح بنت الحارث بن سويد بن علفان التميمية، قد أقبلت من الجزيرة وادعت النبوة وكانت ورهطها في أحوالها من تغلب»، وقال سيف بن عمر: «وكانت سجاح بنت الحارث بن سويد بن علفان - هي وبنو أبيها علفان - في بني تغلب»، وقال البلاذري: «سجاح بنت الحارث بن علفان بن سويد بن خالد بن أسامة. تكهنت، فأتبعها قوم من بني تميم وقوم من أحوالها بني تغلب»^(٤)

(١) قدم صفوان بن صفوان بصدقات بهدض، وخضم من بني عمرو، وبقي سيرة بن عمرو في قومه خضم لحدث ان ناب القوم. د. أمين صالح: العرب والإسلام (ص ١٥٦) .

(٢) قدم الزبيرقان ابن بدر بصدقات الرباب وعوف والأبناء بينما توقف قيس بن عاصم بصدقات مقاعس والبطون، د. أمين صالح: العرب والإسلام (ص ١٥٧) .

(٣) الطبري: (٢٦٨ - ٢٦٩)، تشمل بنو حنظلة بني مالك، وبني يربوع .

(٤) فتوح البلدان - البلاذري - ج ١ - الصفحة ١١٨. التاريخ - الطبري - ج ٢ - الصفحة ٢٩٤. لكامل في التاريخ - ابن الأثير - ج ٢ - الصفحة ٣٥٤.

قال الجاحظ: «لم نعلم أحدا قط ادعى أن الله أرسله إلى قوم وآمنوا به ثم زعم أنه كاذب سوى طليحة وسجاح، فإنهما تنبأ ثم أظهرتا التوبة وجلسا يحدثان من كان مؤمنا بهما وصدقهما ويخبرانهم بأنهما كانا فيما يدعيان مبطلين كاذبين وإذا لم تستح فاصنع ما شئت»، وتوفيت سجاح في خلافة معاوية بن أبي سفيان وصلى عليها سمرة بن جندب والي البصرة. قال الزركلي: «أما خبر حوارها مع مسيلمة، حين اجتماعهما، فمن مجون القصاصين، للتشنيع عليهما».^(١)

أقبلت سجاح بجموع كبيرة منهم وهي تدعي النبوة، وتريد غزو المدينة، فنصحها (مالك بن نويرة) سيد بني يربوع من بني حنظلة بالعدول عن ذلك، وحرَّضها على قتال من اختلف معه من عشائر تميم، ولتقف بجانب المرتدين ضد المسلمين منهم، فقبلت النصيحة، وجمعت بني حنظلة حولها، وبعد المداولة قرَّروا البدء ب(الرباب) من (بني سعد)، وسجعت لهم سجاح: "أعدّوا الركاب، واستعدوا للنهائ، ثم أغيروا على الرباب، فليس دونه حجاب". ونشب القتال، فهزمت سجاح، وبنو حنظلة، ومع كل فقد أطلقت الرباب الأسرى، وردّوا القتلى، كما تعرّضت سجاح، وجنودها من بني تغلب إلى هزيمة أخرى على يد (بني عمرو)، ثم تحاجزوا على أن يتبادلوا الأسرى^(٢).

كل هذا يدور في تميم بينما كان لواء (خالد بن الوليد) يحرِّر انتصاراته قريبا منهم في البزاحة، ويبدأ الاستعداد للتوجه نحو البطاح، لقتال (مالك بن نويرة)، ومن على هواه في منع الصدقات، وهي المهمة الثالثة المكلف بها لواءه^(٣)، ولا شك أن سجاح علمت باستعدادات خالد، فأثرت الإنسحاب إلى (مسيلمة) باليامة فقالت لهم سجعا: "عليكم باليامة، ودفوا دَيفَ الحمّامة، فإنها غزوة صرامة، ولا يلحقكم بعدها ملامة"، تاركة (مالك بن نويرة) للخطر الشديد، فاضطر هذا بدوره أن يعود إلى رشده، وقد بلغه تحرك خالد نحو البطاح، فأمر قومه (بني يربوع) بالتفرق في الديار فلم يلق خالد عند وصوله تجمعا، فبعث الجنود في الديار يأتونه بكل من لم يجب دعوة الإسلام حسب

(١) الأعلام: قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين. ٣، ص. ٧٨، ثمار القلوب - التعلبي - الصفحة ٣١٦.

(٢) الطبري: (٣/ ٢٦٩- ٢٧١)، وابن الأثير، الكامل، (٢/ ٢٤٠).

(٣) يذكر المؤرخون أن التوجه إلى تميم بالبزاحة أمر رآه خالد، وليس بعهد من الخليفة؛ لذا عارضه الأنصار من جيشه فلم يكرههم خالد، ولم يسه الأنصار بعد التفكير إلا اللحاق بالجيش احتياطيا لكافة الاحتمالات. ينظر: د. أمين صالح: العرب والإسلام، (ص ١٥٧).

تعليمات أبي بكر أن يؤذن جند المسلمين إذا نزلوا منزلًا، فإن أجاب القوم كفوا عنهم، وسألوهم الزكاة، وإلا يكون القتال^(١).

وكان أمرًا طبيعيًا أن تحدثت المقابلة بين قائد المسلمين، وشيخ بني يربوع مع بعض قومه الذين أقرروا بالإسلام، وأداء الزكاة، وما حدث أن خالدًا أمر بحبسهم، ثم قتلوا، وأثار هذا العمل المشاكل، واختلفت فيه الروايات والأسباب.

فرواية تقول: إن جماعة من جند المسلمين شهدوا أمام خالد أن مالگًا، وجماعته أقرروا بالإسلام وأداء الزكاة وجماعة أخرى تنكر ذلك؛ لهذا أمر خالد بحبسهم للنظر في أمره، ثم إن خالدًا دعا (مالك بن نويرة) للمناظرة ليقضي- في هذا الخلاف بالإقرار بالإسلام من عدمه، وفيما هما يتناظران قال مالك: ما أخال صاحبكم إلا وقد كان يقول: كذا وكذا، فأجابه خالد: أو ما تعده لك صاحبًا؟ فأمر بقتله، وأصحابه^(٢).

ومهما يكن الاختلاف في أمر الحبس فإن نتيجة المناظرة لم تكن تستوجب القتل، فقد كان الأحرى بخالد أن يبعث (مالك بن نويرة) مأسورًا إلى المدينة، ليقضي أبو بكر في أمره مثل ما فعل من قبل مع شيخ (بني فزارة، وبني عامر، وغيرهم)، ويبدو أن هذا هو ما اعترم عليه خالد فضلًا هؤلاء في الحبس، وجاءت ليلة شديدة البرودة، فأخذت خالد الشفقة بالمحبوسين فأمر فنأدى: "دافئوا أسراكم"، وهذه العبارة في لغة كنانة معناها: القتل، وكان الحراس من بني كنانة فما سمعوا النداء حتى نفذوا القتل في المحبوسين، وسمع خالد، فخرج، وقد فرغوا منهم فقال: (إذا أراد الله أمرًا أصابه)^(٣).

(١) الطبري: (٣/ ٢٧٧-٢٧٨)، و(٣/ ٢٧٩)، وينظر: ابن الأثير: الكامل، (٢/ ٢٤٢).
 (٢) الطبري: (٣/ ٢٨٠) وينظر: بعض تفصيل للحوار بين خالد ومالك في (وفيات الأعيان)، وكذا تفسيرات لسبب الخلاف في الحوار بأقوال من يعذر خالد، ومن لا يعذره في الأغاني.
 (٣) الطبري: (٣/ ٢٧٨)، ابن الأثير: الكامل، (٢/ ٢٤٢).



ومهما يكن في أمر الخلاف في القتل بعد المناظرة، أو في الليل، فقد سبب هذا العمل مشكلةً جاءت في زواج (خالد بن الوليد) من (ليلى امرأة مالك بنت سنان .)، وقبل أن يجفّ التراب دمه مخالفاً بذلك تقاليد العرب، فقد ربط المؤرخون بين هذا الزواج، وبين سبب القتل، قيل: إن خالد شاهد (ليلى) امرأة مالك، وكانت معه أثناء المناظرة، فأعجبته، وقال: "والله ما نلت ما في مثابتيك حتى أقتلك"^(١)، ولا ندرى كيف تروى أقوال

(١) تاريخ اليعقوبي: (٢/ ١٣١) أنشد متمم بن نويرة أخو مالك الشعر في أخيه مالك (نفسه).

هي نوايا قد تجيش بالصدر؟!، وقيل أيضًا: كما يروى في الأغاني أن خالد كان يهوى ليلي في الجاهلية، وكانت ذات جمالٍ، فقتل الآن رجلها؛ ليتزوجها^(١).

ومهما يكن فإن من الثابت أن (ليلى) أعجبت خالد فأمسكها، ولم يسرّحها، وإنما تزوجها وجرّ عليه هذا الزواج المتاعب، فقد وصلت الأخبار إلى أبي بكر عن طريق (قتادة الأنصاري) -أحد جنود خالد-؛ إذ غضب عليه لقتل مالك، وزواج امرأته معتقداً، أو ظاناً أن عبارة "دافئوا أسراكم"، كانت حيلةً من حيل خالد، فذهب إليه معاتباً يقول: "هذا عمك"، فزجره خالد، فغضب وجاء المدينة يقص الخبر على أبي بكر، وعمر^(٢).

وإذا كان أبو بكر معجباً بخالد، وانتصاراته، وينكر على أبي قتادة أن يقول في (سيف الله) ما قال، فإن عمر كان يرى صنّع خالد شيئاً نُكراً، فتحدّث مع أبي بكر بأن في سيف الله خالد رهقاً، واستمر يلح على أبي بكر الذي أمر باستدعاء خالد للسؤال والمحاکمة، وأقبل خالد من الميدان، ودخل مسجد المدينة مرتدياً عدة الحرب، وقد عَزَزَ في عمامته أسهمًا، فقام إليه (عمر)، ونزع الأسهم، وحطمها، وهو يقول: قتلت امرأة مسلماً، ثم نزوت على امرأته، والله لأرجمنك بالأحجار، ولم يتكلم خالد، وإنما مضى إلى الخليفة الذي تجاوز عن مسألة القتل، ولكنه عنّفه على النزوح على امرأة لم يجف دُم زوجها بعد، وكانت العرب تكره النساء في الحرب، وترى الاتصال بهن عارًا، ورأى أبو بكر الصفح عن تلك الفعلة، وأمر بإعادة خالد إلى لوائه مكلفًا إياه بمهمة خطيرة بالسير إلى اليمامة، ولقاء مسيلمة.

وفي الحقيقة أن الصحابي الجليل خالد بن الوليد قد تعرض لحملات من الطعن والتشويه والكذب والأباطيل حيث قام بعض المستشرقين الذين يعتمدون على روايات غير صحيحة وكذلك طوائف من الشيعة حقداً وغيظاً منهم على هذا الصحابي الجليل

(١) الأصفهاني: الأغاني (١٥/ ٣٠٣ - ٣٠٤)، يذكرون رواية هي صورة من فنون الأدب، وليس من واقع التاريخ أن (ليلى) كانت مع زوجها أثناء المناظرة، وعندما سمعت خالد يقول له: (إني قاتلك، والله لأقتلنك) ألقت بنفسها على قدمي خالد تلتمس منه العفو، وقد انسدل شعرها على كتفها، وبلل الدمع عينين زانها الحور فزادها سحرًا، ونظر خالد إلى وجهها الرائع، وهي ترنو إليه مسترجمة، نظرة هوى، وأعجب فصاح مالك: (إني مقتول لا محالة)، وأجاب خالد: (ما لهذا والله، وإنما قضى عليك كفرك)، وأمر بضرب عنقه .
(٢) تاريخ اليعقوبي: (٢/ ١٣١ - ١٣٢)، وابن الأثير (٢/ ٢٤٢).

فَعَنْ عَمْرٍو بن العَاصِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : (مَا عَدَلَ بِي رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَبِخَالِدِ بنِ الْوَلِيدِ أَحَدًا مِنْ أَصْحَابِهِ مُنْذُ أُسْلِمْنَا)^(١)

وعن أنس رضي الله عنه : أن النبي صلى الله عليه وسلم نعى زيدا وجعفرًا وابن راحة للناس قبل أن يأتيهم خبرهم فقال : (أَخَذَ الرَّايَةَ رَيْدًا فَأَصِيبَ ، ثُمَّ أَخَذَ جَعْفَرًا فَأَصِيبَ ، ثُمَّ أَخَذَ ابْنَ رَوَاحَةَ فَأَصِيبَ) وَعَيْنَاهُ تَذْرِفَانِ (حَتَّى أَخَذَ الرَّايَةَ سَيْفٌ مِنْ سُيُوفِ اللهِ حَتَّى فَتَحَ اللهُ عَلَيْهِمْ) رواه البخاري^(٢)

يقول ابن تيمية: "مالك بن نويرة لا يعرف أنه كان معصوم الدم، وغاية ما يقال: في قصة مالك بن نويرة: إنه كان معصوم الدم، وإن خالدًا قتله بتأويل، وهذا لا يبيح قتل خالد... ومعلوم أن خالدًا قتل مالك بن نويرة؛ لأنه رآه مرتدًا... وبالجملة: فنحن لم نعلم أن القضية وقعت على وجه لا يسوغ فيها الاجتهاد، والطعن بمثل ذلك من قول من يتكلم بلا علم، وهذا مما حرمه الله ورسوله. اهـ

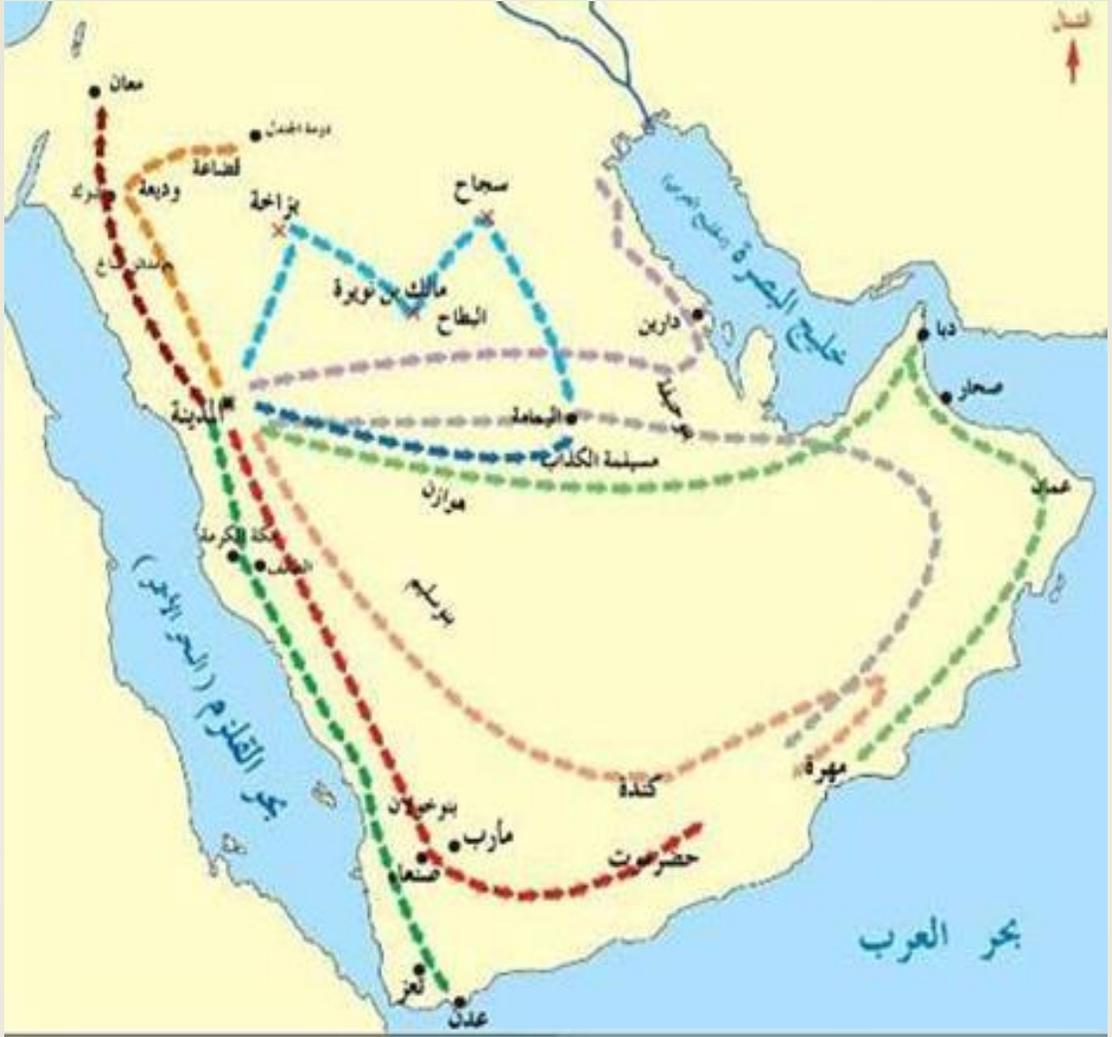
و يقول ابن كثير في «البداية والنهاية»: «فيقال: إن الأسارى باتوا في كبولهم في ليلة باردة شديدة البرد، فنادى منادى خالد أن دافئوا أسراكم. فظن القوم أنه أراد القتل، فقتلوهم، وقتل ضرار بن الأزور مالك بن نويرة، فلما سمع خالد الواعية خرج وقد فرغوا منهم، فقال: إذا أراد الله أمرا أصابه. واصطفى خالد امرأة مالك بن نويرة، وهي أم تميم ابنة المنهال، وكانت جميلة، فلما حلت بنى بها. ويقال: بل استدعى خالد مالك بن نويرة فأنبه على ما صدر منه من متابعة سجاح، وعلى منعه الزكاة، وقال: ألم تعلم أنها قرينة الصلاة؟ فقال مالك: إن صاحبكم كان يزعم ذلك. فقال: أهو صاحبنا وليس بصاحبك؟ ! يا ضرار، اضرب عنقه. فاضرب عنقه، وأمر برأسه فجعل مع حجرين، وطبخ على الثلاثة قدرا، فأكل منها خالد تلك الليلة ليرهب بذلك الأعراب من المرتدة وغيرهم. ويقال: إن شعر مالك جعلت النار تعمل فيه إلى أن نضج لحم القدر، ولم يفرغ الشعر لكثرتة. وقد تكلم أبو قتادة مع خالد فيما صنع، وتقاولا في ذلك، حتى ذهب أبو قتادة فشكاه إلى الصديق، وتكلم عمر مع أبي قتادة في خالد، وقال للصديق: اعزله، فإن في سيفه رهقا. فقال أبو بكر: لا أشيم سيفا سله الله على الكفار. وجاء متمم بن نويرة فجعل يشكو إلى

(١) رواه الحاكم في "المستدرک" (٥١٥/٣) وأبو يعلى في "المسند" (٢٧٤/١٣) وقال الهيثمي في "مجمع الزوائد"

(٣٥٠/٩) : ورجاله ثقات .

(٢) . رواه البخاري (٤٢٦٢)

الصديق خالدا، وعمر يساعده وينشد الصديق ما قال في أخيه من المرثي، فوداه الصديق من عنده. (١)



موقف بني حنيفة من الردة:

أما عن (بني حنيفة) فقد أرسل إليهم أبو بكر لوائين الأول: بقيادة عكرمة بن أبي جهل ، وشرحبيل بن حسنّة، ويظهر عكرمة بن أبي جهل أراد أن ينفردَ بشرفِ الانتصارِ، فأسرع

(١) ابن كثير. البداية والنهاية . (٣٢٢/٦) وابن تيمية رحمه الله في "منهاج السنة" (٥١٨/٥) :

بالاشتباك قبل أن ينضم إليه لواء سُرحبيل، فتعرض للهزيمة، والتراجع، ووقف شرحبيل في الطريق^(١).

وجاءت أخبار هزيمة عكرمة إلى مركز القيادة العليا بالمدينة، فأصدر الخليفة تعليماته إلى عكرمة يأمره بعد التأنيب الشديد بالتوجه بلوائه مددًا لجيش المسلمين الموجه إلى عمان، ثم المضي إلى حضرموت، واليمن، كما طلب من شرحبيل الانتظار مكانه حتى يصدر إليه تعليمات جديدة غير أنه تعجّل أيضًا في الاشتباك مع بني حنيفة، وتعرض لمثل هزيمة عكرمة.

ولا شك أن أبا بكر كان يعتزم أمرًا حين استدعى خالد بن الوليد إلى المدينة لتلك المسألة، بشأن بني يربوع، وارتأى أبو بكر - كما ذكرنا - التجاوز عن فعلة خالد؛ ليصلت سيف الله على بني حنيفة، فكان أن كلفه بقتال مسيلمة، كما ضمّ لواء شرحبيل إلى لواء خالد، وأيضًا جهّز جيشًا ثالثًا من شجعان المهاجرين الأنصار، وبعض العرب.

وكما سبقت الإشارة كان بنو حنيفة يحقدون على قريش؛ وذلك لأن فيها النبوة، والسيادة، كما حاول (هودة بن علي) أن يقاسم النبي السلطة، كما حاول مسيلمة، لكن كان ردّ الرسول عليه حاسمًا وزاجرًا؛ لذا فقد سعى مسيلمة إلى تأليب بني حنيفة ضد الإسلام، وتجميعهم حوله، فأطاعه بعضهم، وعصيه بعضهم، وبينما هو في انتظار جيوش المسلمين أتته (سجاع) بجيوشها لكنه سيطر عليها بذكائه، فتحالفا وتزوجا، ورجعت بعد اتفاق كسب فيه بعض ثروة اليمامة، وأمن مسيلمة جانبها؛ ليتفرغ للمسلمين سواء من كانوا ضده من بني حنيفة، أو من سيأتون من عاصمة الإسلام.

(١) الطبري: (٢/ ٢٤٩)، ابن الأثير: (٢/ ٢٤٣ - ٢٤٤).



وتلاقى خالد ومسيلمة في (عقرباء) - وهي على طرف اليمامة-، وكان أول المعركة قاسياً على المسلمين، إذ هاجم بنو حنيفة بشراسةٍ، وحميةٍ؛ وذلك ليذودوا عن ديارهم، ونساءهم حتى دخلوا فسطاط خالد، وبه زوجته، وأحد أسراه من زعمائهم^(١)، لكن عقيدة الإسلام ما لبثت أن شحذت النفوسَ، وجددت العزائمَ، واستطاع خالد، وأبطال المسلمين مثل: (البراء بن مالك) أن يحاصروا بني حنيفة حتى أدخلوهم حديقة يحتمون بها، لكنهم هزموا فيها، وقتل مسيلمة .

ثم عقد خالد الصلح مع زعماء بني حنيفة، وفي مقدمتهم (مجاعة بن مرارة)، الذي احتال على خالد حيث تظاهر بأن بني حنيفة ما زالت بهم قوة، تهدد جيش خالد، واشترط من خالد شروطاً سهلة، فجعل نصيب المسلمين من غلات بني حنيفة هو الربع بدلاً من النصف، كما أبقى على الباقيين منهم قبل أن تصل تعليماتُ أبي بكرٍ بقتل مَنْ جرت عليه المواشي من بني حنيفة، وهكذا أنقذ (مجاعة بن مرارة) بني حنيفة من الفناء، ومع ذلك كان الانتصار حاسماً، وكان الصلحُ ضرورياً؛ لأن الكثير من المسلمين استشهدوا، وكان الباقيون في حاجة شديدة إلى الراحة، وتضميد الجروح .

وبمقتل مسيلمة، وعودة بني حنيفة إلى حظيرة الإسلام تنتهي الحركة الخطيرة في الردة الحاقدة على قريش المنكرة أن تكون النبوة فيها^(٢) .

ونترك جيش خالد بن الوليد الذي انتصر باليمامة؛ لنتابع جيوش المسلمين في قتال المرتدين في (البحرين)، وبها قبائل عبد القيس، وبكر بن وائل من ربيعة، وقد رأينا سابقاً إسلام معظم العرب هناك بعد وفادتهم على النبي -صلى الله عليه وسلم-، وجاءهم (العلاء ابن الحضرمي) مبعوثاً لرسول الله بجوار (المنذر بن ساوي العبدي) حاكم البحرين، كما أشرنا إلى تبعية تلك البلاد إلى دولة الفرس وقتذاك، الأمر الذي دفع العرب هناك إلى التخلص من هذه التبعية بالانضمام إلى دولة الإسلام، وتوقعنا عدم استقرار الأحوال هناك بالنسبة لما ينتظر أن تقوم به دولة الفرس من محاولة استعادة نفوذها

(١) مجاعة بن مرارة الحنفي هو الذي أبقاه خالد بن الوليد على قيد الحياة كرهينة عنده بعد أن قتل جميع أتباعه أثناء هجومه على جبيلة، وقد لعب هذا الرجل دوراً مهماً في صلح خالد مع بني حنيفة، فاستخلص لبني حنيفة شروطاً سهلة من خالد حافظ على مَنْ بقي فيهم من رجالٍ ومالٍ كما سيأتي. ينظر: الطبري: (٣/ ٢٧٩ - ٢٨٠) .
(٢) د. محمد أمين صالح: العرب والإسلام، (ص ١٦٦) .

المفقود في الخليج العربي، وخاصة ساحله الغربي في شكل ردةٍ عن الإسلام، وانفصال عن الدولة الإسلامية الناشئة، وبعبارة أخرى (خروج عن الدين والدولة) .

وقد جاءت الفرصة المنتظرة للمتربصين من العرب، والفرس على السواء بوفاة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وكذلك وفاة (المنذر بن ساوي العبدي) في نفس الشهر^(١) .

وشغَرَ بذلك منصب الحاكم، فارتدت (عبد القيس، وبكر بن وائل)، وكانت عبد القيس تقول: لو كان محمدٌ نبياً ما مات فخطبهم (الجارود بن بشر المعلي)، وأقنعهم بأن محمداً مات كما مات الأنبياء السابقون، وأعلن ثباته على الإسلام، فتابعته كلٌّ من (عبد القيس) التي فاءت إلى الإسلام^(٢)، بينما ظلت (بكر بن وائل) على ردتهم تجتمع إليهم المجوس، واليهود، والنصارى من أهل البلد ممن لم يسلموا من قبل، وتزعمهم (الحطم) - وهو شريح بن ضبيعة-، يريدون جعل ملك البحرين في يد (المنذر بن النعمان بن المنذر)^(٣) الملقب بالغرور، وتلقى الحركة - كما نرى - تأييداً فارسياً؛ بغية إعادة نفوذهم المفقود .

وهكذا انقسم عربُ البحرين بين متمسكٍ بالإسلامٍ ممثلاً في (عبد القيس)، وبين ردةٍ في (بكر بن وائل) كما يذكر الطبري أن عبد القيس فاءت، وأما بكر فبقيت على ردتها^(٤)، وسيطرت على القطيف وهجر، وكذا الخط ودارين، كما حاصرت المسلمين من عبد القيس في جواتها، فاشتد عليهم الحصارُ حتى كادوا يهلكون جوعاًه إلى أن جاءتهم النجدةُ.

وقد كانت الألوية الأحد عشر- التي عقدها أبو بكر، وسيَّرها إلى مناطق الردة المختلفة موجهاً أحدها إلى الخليج بقيادة العلاء بن الحضرمي، وتضاعف عددُ هذا اللواء بمن انضم إليه من بعض رجالات العرب من تميم، وعلى رأسهم قيس بن عاصم^(٥)، ومن بني حنيفة، وعليهم (ثمامة بن أثال)^(٦)، فسلك بهم صحراء الدهناء، حتى وصل إلى البحرين، وبادر العلاء إلى نجدة المسلمين المحصورين في جواتها، ثم نزل على هجر^(٧)، ويبدو أن جموع

(١) الطبري: تاريخ الرسل والملوك، (٣/ ٢٠٢ - ٢٠٣) .

(٢) الطبري: تاريخ الرسل والملوك، (٣/ ٣٠٢ - ٣٠٣) .

(٣) الطبري: نفس المرجع (٣/ ٣٠٢) .

(٤) الطبري: نفس المرجع (٣/ ٣٥٤) .

(٥) الطبري: نفس المرجع (٣/ ٣٠٤) .

(٦) الطبري: نفس المرجع (٣/ ٢٦٨-٣٠٥) .

(٧) الطبري: نفس المرجع (٣/ ٢٦٨، و٣٠٥) .

(٨) الطبري: نفس المرجع (٣/ ٣٠٧-٣٠٨)، ابن الأثير: (٢/ ٢٥٠) .

المرتدين كانت أكثر بكثير من عدد المسلمين، فتحزر العلاء بن الحضرمي من معركة فاصلة تجنباً للهزيمة، لذلك فإنه أرسل إلى الخليفة؛ يطلب المدد^(١)، ولجأ إلى حفر خندق حول معسكر المسلمين، وبالمثل فقد خندق المرتدون، فكانوا يقتتلون، ويرجعون إلى خندقهم، وظلوا هكذا نحو شهر إلى أن سمع المسلمون ذات ليلة ضوضاء شديدة في معسكر المرتدين، فاستكشفوا الأمر، وعلموا أن القوم سكارى، ففاجأهم المسلمون بالهجوم، وأعملوا فيهم السيوف، وانتابهم الدهشة، فإذا بهم بين مقتول، أو مأسور، أو هارب، وقتل (الحطم بن ضبيعة) زعيم العصيان، وأسر الملك الغرور الذي قال حين أسلم، وأسلم الناس الذين معه قال: لست بالغرور، ولكن الملك الغرور، وبقي بعدها في هجر، أما الهاربون فقد سدّت عليهم المنافذ؛ فمنهم من أناب، ومنهم من أبى، فعبروا البحر إلى جزيرة دارين^(٢).

ولم يلبث أن جاء البحرين خالد بن الوليد من اليمامة بناء على تكليف الخليفة له بنجدة العلاء، فاشترك معه في حصار (الخط)، وقتالها إلى أن وجّهه أبو بكر إلى الفتح في أرض السواد، أما العلاء فقد استمر في قتال بقايا المرتدين في الزارة، والسابون والغابة، ففرض عليهم جميعاً، وغنم الزراري والأموال^(٣)، وعاد العلاء إلى هجر متولياً أمرها؛ وذلك ليقوم بدور آخر في حركة الفتوح، كما سنذكر في الفصل القادم.

وكما توقعنا عدم استقرار الأحوال في البحرين بالنسبة لما ينتظر أن تقوم به دولة الفرس من محاولة استعادة نفوذها المفقود عن طريق بعض القرى العربية الموالية، أو الطامعة في السلطان، كذلك حدث في عمان، فقد لاحت الفرصة هناك أيضاً للمتريصين من الفرس، والعرب بوفاة رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، وعودة عمرو بن العاص إلى الحجاز، فظهر بعمان ذو التاج (لقيط بن مالك) أحد أشرف الأزد مثل: الجلندي ويسامية، وكان يطمع في تولي حكم عمان دون أبنائه، فادعى النبوة، وغلب علي عمان^(٤)، وبتأييد، أو تشجيع من الفرس، واضطر الحاكم السابقان إلى الاعتصام بالجبال.

(١) فتوح البلدان: (١٠٣ - ١٠٨).

(٢) الطبري: (٣/ ٣٠٩ - ٣١٨)، وابن الأثير: الكامل، (٢/ ٢٥٠).

(٣) فتوح البلدان: (١/ ١٩).

(٤) الطبري: (٣/ ٣١٤)، ابن الأثير: الكامل، (٢/ ٢٥٢).



حروب الردة عام ١١ هـ

وهذا هو خامس المتنبيين لدى القبائل العربية المختلفة، ثلاثة منهم في أواخر عهد النبي -صلى الله عليه وسلم-، ثم (الأسود العنسي) في مذبح باليمن، و(طليحة بن خويلد) في بني أسد في نجد، و(مسيلمة بن حبيب) في بني حنيفة باليمامة، و(سجاح التميمية)، ثم التاج (لقيط بن مالك) في أزد عمان، وإذا كانت القبائل العربية قد أيدت متبئياً بدافع العصبية القبلية، - كما أشرنا - فإننا نرى ذلك الحال يتكرر في هذه النبوة الأخيرة في عمان، وإن لم يرد نص صريح بذلك كما لم ترد نصوص تفصح عن ماهية هذه النبوة التي لم تخرج عن الكهانة التي مارسها هؤلاء الأعداء، وعرفها العرب، وألفوها في الجاهلية .

وصلت أخبار الردة في عمان إلى أبي بكر مثل ما وصلته أنباء الردة في مناطق الجزيرة العربية المختلفة، وأراد الخليفة أن يعيد سلطان دولة الإسلام في هذا القطاع الجنوبي الشرقي من الجزيرة العربية، فوجه ثلاثة أولوية من جيوش المسلمين، الأول: وكان بقيادة (حذيفة بن محسن الغلفاني) ووجهته عمان، ويعمل معه اللواء الثاني: الذي كان بقيادة (عرجة بن هرثمة البارقي) في عمان، ثم يمضيان إلى مهرة، وتكون القيادة بينهما بالتبادل

كل في ميدانه^(١)، وما كاد هذان الجيشان يقتربان من عمان حتى لحقهما اللواء الثالث: وكان بقيادة (عكرمة بن أبي جهل) للعمل في عمان، ومهرة، ثم المضيّ إلى حضرموت في بلاد اليمن^(٢)، وهكذا اجتمعت ثلاثة ألوية ضد المرتدين من الأزد الذين ناصروا ذا التاج لقيط الأزدي في عمان .

وحسب تعليمات الخليفة بالاستعانة بمن ثبت على الإسلام بنواحي عمان، فقد تمت الاتصالات مع (جيفر وعباد) في ملاذهما بالجبال، وتم الاتفاق على اللقاء، فاجتمعت الجيوش بمسلي الأزدي (صحار)، بينما عسكر النبي المزعوم، وأنصاره في (دُبا)^(٣)، وهي مصر، والسوق العظمى، ولم يشأ قواد المسلمين بدء المعركة إلا بعد أن يضعفوا من قوة ذي التاج، فراسلوا بعض شيوخ الأزدي من أتباعه، فأجابهم سيد بني جديد، وتخلي عن لقيط، وقد يمكننا تقدير مدى قوة هذه الردة في عمان من عنف القتال، وانتصار قوات ذي التاج لقيط في أول المعركة عند دُبا، على قوات ثلاثة ألوية مجتمعة بالإضافة إلى من انضم إليهم من أنصار (ابني الجلندي)، أو من انحاز إليهم من بني جديد، وأوشك المرتدون على الظفر لولا قدوم نجدة كبيرة من بني ناجية، وعليهم (الخريت بن راشد) من عبد القيس، وعليهم (سليمان بن صوحان)، واشتراكهم على الفور في المعركة بجانب المسلمين، حتى انتصروا النصر الحاسم^(٤) .

وظل حذيفة بن محصن يحكم في عمان، ويوطد نفوذ الدين والدولة، ويدعو العرب من الأزدي، أو غيرهم المقيمين حول عمان إلى الإقامة في تلك الأراضي التي غنمها المسلمون بينما عاد (عرفجة بن هرثمة) إلى الخليفة بالمدينة بأنباء النصر وخمس المغانم، والسبي^(٥)، وذلك في الوقت الذي مضى القائد الثالث (عكرمة بن أبي جهل) إلى مهمته التالية نحو مهرة، وقد التحقت بجيشه أعداد كبيرة من بني ناجية، والأزد، وعبد القيس، وغيرهم حتى اقتحم بهم بلاد المهرة، وحضرموت في جنوب الجزيرة العربية .

(١) الطبري: (٣/ ٢٤٩ - ٣١٤)، وابن الأثير، الكامل، (٢/ ٢٥٢) .

(٢) قرية صغيرة على خليج عمان تتبع إمارة الشارقة حالياً .

(٣) الطبري: (كان عكرمة قد هزم في أول لقاء مع بني حنيفة، فوجه أبو بكر إلى ميادين الجنوب) .

(٤) الطبري: (٣/ ٣١٥)، وابن الأثير، (٢/ ٢٥٢) .

(٥) الطبري: (٣/ ٣١٦)، الخريت بن راشد من بني ناجية جاء على وفد بني سامة، وقابل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بين مكة والمدينة، وأنزلهم على قوم من قرين. ينظر: أسد الغابة، (٢/ ١٢٨) .

(٦) بلغ خمس السبي من الغنيمة (٨٠٠) رأس فكان جملة الأسرى أربعة آلاف، والقُتل نحو (عشرة آلاف) من بني حنيفة. ينظر: الطبري: تاريخ الرسل والملوك، (٣/ ٣١٦) .

قصة ثمامة بن أثال نذكرها لجمالها:

انطلقت سرية للصحابي محمد بن مسلمة وكانت أول سرية بعد غزوة الأحزاب وبني وقريظة، وكانت - في شهر المحرم من العام السادس للهجرة ضد بني القرطاء في أرض نجد، وفي عودتهم ، أسروا سيد بني حنيفة ثمامة بن أثال الحنفي ، وكانوا لا يعرفونه، فقدموا به المدينة وربطوه بسارية من سواري المسجد، فلما خرج إليهم الرسول ﷺ قال: «أَتَدْرُونَ مَنْ أَخَذْتُمْ؟ هَذَا ثُمَامَةُ بْنُ أَثَالِ الْحَنْفِيِّ، أَحْسِنُوا إِسَارَهُ» ورجع الرسول إلى أهله، فقال لهم: «اجْمَعُوا مَا كَانَ عِنْدَكُمْ مِنْ طَعَامٍ فَأَبْعَثُوا بِهِ إِلَيْهِ».. وقد أمر النبي بِلِفْحَتِهِ - أي ناقته - أَنْ يَشْرِبَ ثُمَامَةَ مِنْ حَلِيبِهَا. ولا زال الرسول يتردد عليه، ويدعوه إلى الإسلام،

فخرج إليه النبي صلى الله عليه وسلم فقال: " ما عندك يا ثمامة ؟" قال عندي خير، يا محمد إن تقتلني تقتل ذا دم ، وإن تنعم تنعم على شاكرك، وإن كنت تريد المال فسل منه ما شئت ، فتركه حتى كان الغد، ثم قال له: " ما عندك يا ثمامة) ؟ فقال: عندي ما قلت لك إن تنعم تنعم على شاكرك، فتركه حتى بعد الغد فقال: " ما عندك يا ثمامة ؟" فقال عندي ما قلت لك ، فقال: " أطلقوا ثمامة " فانطلق إلى نخل قريب من المسجد، فاغتسل ثم دخل المسجد فقال: أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، يا محمد والله ما كان على وجه الأرض وجه أبغض إلي من وجهك، فقد أصبح وجهك أحب الوجوه إلي، والله ما كان دین أبغض إلي من دينك فأصبح دينك بأحب الدين إلي، والله ما كان من بلد أبغض إلي من بلدك، فأصبح بلدك أحب البلاد إلي، وإن خيلك أخذتني، وأنا أريد العمرة فماذا ترى؟ فبشره رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمره أن يعتمر

وكان رحمه الله أول معتمر في الإسلام:

استأذن ثمامة الرسول ان يؤدي العمرة فكان أول مسلم في الدنيا يدخل مكة ملبياً، وكانت مكة، لا تزال فيها الأصنام. حتى إذا بلغ بطن مكة وقف يرفع بصوته بالتلبية، قائلاً: لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك، إن الحمد والنعمة لك والملك، لا شريك لك، لا شريك لك فلما سمعت قريش صوت التلبية، فهبوا رافعين ومستلين سيوفهم من أعمادها، واتجهوا نحو الصوت فلما أقبلوا على ثمامة، رفع صوته بالتلبية أكثر ما كان ، فهمّ فتى من فتیان قريش أن يرميه بسهم، فأخذوا على يديه، وقالوا: ويحك

أتعلم من هذا؟ إنه ثمامة بن أثال، ملك اليمامة، والله إن أصبتموه بسوءٍ لقطع قومه عنا الميرة، وأماتونا جوعاً،

ثم أقبل القوم على ثمامة فقالوا له أصبوت؟ قال: لا! ولكن أسلمت مع محمد صلى الله عليه وسلم ولا والله لا تأتیکم من اليمامة حبة حنطة حتى يأذن فيها النبي صلى الله عليه وسلم

الحصار الاقتصادي الذي قام به على مكة:

عندما انتهى ثمامة بن أثال من عمرته، وعاد إلى بلاده أمر قومه بأن يحبسوا الميرة عن قريش، فاستجابوا لأمره، فرتفعت الأسعار في مكة، وجاعوا وأشدت بهم الكرب حتى خافوا على أنفسهم وذريتهم من الهلاك. فكتبوا إلى الرسول ﷺ يقولون: نسألك بالرحم. إن ثمامة بن أثال قد قطع عنا ميرتنا وأضر بنا. فإن رأيت أن تكتب إليه أن يبعث بما نحتاج إليه فافعل. فكتب عليه الصلاة والسلام إلى ثمامة بأن يطلق لهم ميرتهم فأطلقها.

ثباته على الإسلام وقت الفتن:

لما ظهر مسيلمة وادعى النبوة قام ثمامة بن أثال في قومه فوعظهم وذكرهم وقال: إنه لا يجتمع نبيان بأمر واحد! وإن محمداً رسول الله لا نبي بعده ولا نبي يشرك معه. وقرأ عليهم: «حم تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ذي الطول لا إله إلا هو إليه المصير» غافر: ١-٣

قال سيدنا ثمامة هذا كلام الله. أين هذا من يا ضفدع سورة الضفدع (قال أخزاه الله): يا ضفدع بنت ضفدعين، نقي ما تنقين، نصفك في الماء ونصفك في الطين، لا الماء تكدرين، ولا الشراب تمنعين والله إنكم لترون أن هذا كلام ما خرج من إل (١). فلما قدم خالد بن الوليد اليمامة شكر ذلك له وعرف به صحة إسلامه. (٢)

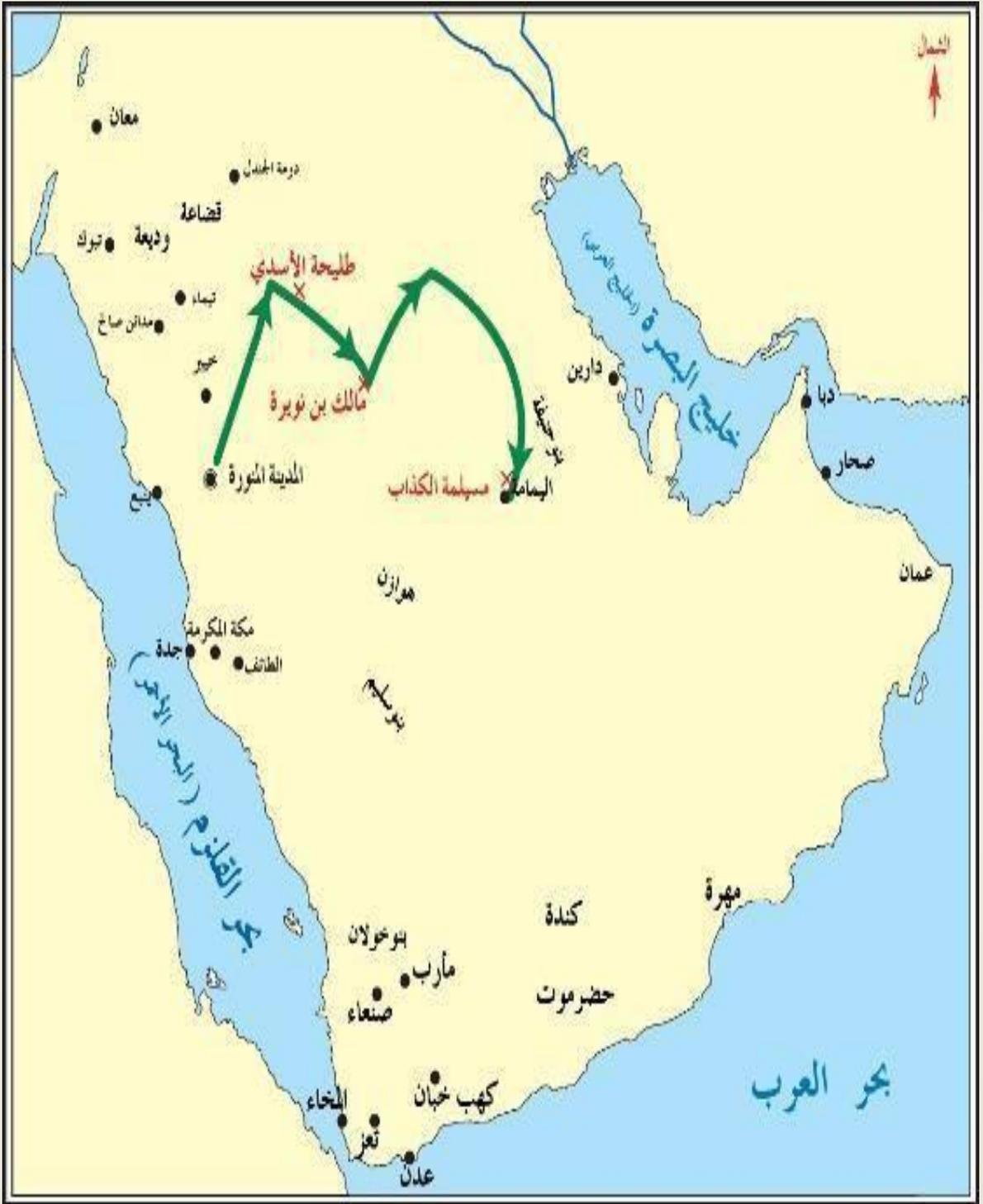
(١) من إل " قيل: " الإل " بالكسر هو الله - تعالى - وقيل: " الإل " بالأصل: الجيد. أي لم يجرئ من الأصل الذي جاء منه القرآن.

٢ الطبقات الكبرى ط العلمية (٦/ ٧٦) - سيرة ابن هشام (٢/ ٦٣٨)

معرفة الصحابة لأبي نعيم (١/ ٥٠٦) - الاستيعاب في معرفة الأصحاب (٢/ ٦٤٦)

الإصابة في تمييز الصحابة (١/ ٥٢٥) - الأعلام للزركلي (٢/ ١٠١)

البداية والنهاية ط إحياء التراث (٥/ ٥٩) - كتاب الاستيعاب في معرفة الأصحاب [ابن عبد البر] ج ٣ ص ٩١٨



الفصل الثالث:

اشترك عرب المنطقة في الفتوحات الإسلامية.

لا يسع الباحث في حركة الفتوح الإسلامية إلا أن يقرر حقيقة جوهرية، ألا وهي أن مقدمات تلك الحركة كانت بالعراق قبل أن تبدأ بالشام، وأن عرب شرق الجزيرة قاموا بها بطريقة تلقائية مندفعين؛ ليردوا الصاع صاعين لدولة فارس، فهم قد تحملوا طويلاً وطأة النفوذ الفارسي في تلك المنطقة الممتدة من الحيرة شمالاً، حتى عمان جنوباً؛ لذا كانت (موقعة ذي قار) قبل الإسلام تمثل أول يوم انتصر فيه العرب على الفرس، كما علّق رسول الله -صلى الله عليه وسلم-^(١)، حيث إنهم تلقفوا دعوة الإسلام، ودخلوا في طاعة الدولة العربية الإسلامية الناشئة كي ينفضوا عن كاهلهم عبء هذه السيطرة الفارسية، ولعل هذا يفسر سبب تمسك غالبية عرب شرق الجزيرة بالإسلام في وجه محاولات الردّة من جانب عملاء تلك الدولة، وبسبب تشجيع منها، كما عرضنا سابقاً حتى إذا تمّ القضاء عليها اندفع العرب من بعد بهذا الحماس الديني، وبذلك الشعور بالنفس، والثقة في نصر الله تعالى، لجهاد الفرس أعدائهم الألداء

وتُظهر المصادر أن هناك رجالاً من سائر العشائر، وبطون (بكر بن وائل) من ربيعة كانوا وقتذاك يغيرون في نواحي السواد من أهل العراق شمالي الخليج، ووصلت أخبار بعضهم مثل: (المثنى بن حارثة الشيباني) الذي كان يغيّر بناحية الحيرة، ومثل أخبار (قطبة بن قتادة السدوسي) الذي كان يغيّر بناحية الخريبة من البصرة^(٢).

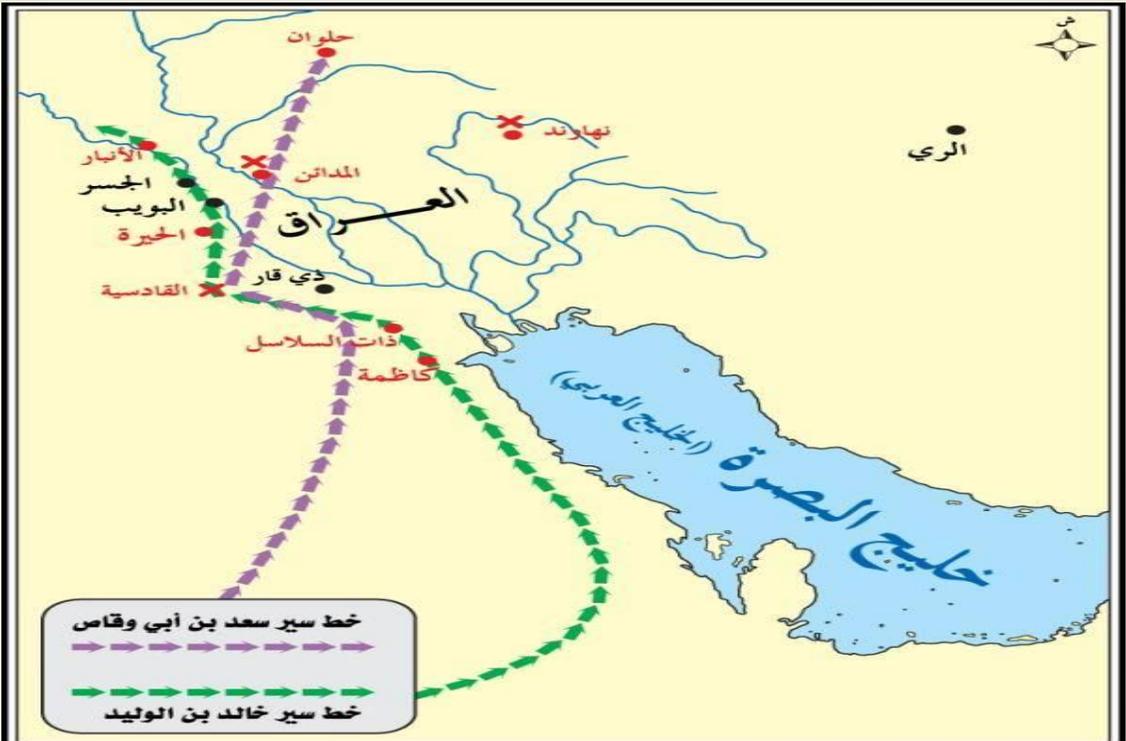
لقد صلت أخبار هؤلاء إلى أبي بكر خليفة رسول الله، والقائد الأعلى في معارك الردّة في سائر أنحاء الجزيرة العربية، بما كان يسير من جيوش، ويعقد القيادات، ويوجه التعليمات.

ووضحت عبقرية الصديق في الإفادة من هذا الشعور العربي، وكان لا بد من تعبئته، وتوجيهه تحت قيادة واحدة لضمان النصر، فكان أن أصدر أمره إلى (خالد بن الوليد) الذي كان قد فرغ من حرب الردة في بني حنيفة باليمامة بالتوجه نحو السواد؛ ليتولّى

(١) الطبري: تاريخ الرسل والملوك (١٩٣ / ٢)، مروج الذهب، المسعودي: (١ / ٢٧٨).

(٢) الطبري: (٣ / ٣٤٥) (٣ / ٥٩٣)، فتوح البلدان (ص ٣٩٥).

القيادة هناك، فكتب خالد بدوره إلى الرجال من أمثال: (المثنى بن حارثة الشيباني، وحرملة، وسلمي، ومدعور بن عدي العجلي) يدعوهم إلى الاحتشاد بالجند عند الحفير، فقَدِمَ خالد في عدة آلاف على ثمانية آلاف كانوا مع القواد الأربعة^(١) الذين خاضوا معه عام (١٢ هـ) وهي معارك ظافرة أولها هزيمة القائد الفارسي هرمز (الذي كان أسوأ أمراء ذلك الفرج جوارًا للعرب)، فقتل في موقعة (ذات السلاسل)، وعسكر بعدها خالد في موضع الجسر الأعظم من البصرة، وبعث المثنى، ومعه المعنى في أعقاب المهزومين، فاستوليا على بعض الحصون على نهر المرأة^(٢).



(١) الطبري: تاريخ الرسل والملوك، (٣/ ٣٤٥)، و(٣/ ٣٤٧).

(٢) الطبري: (٣/ ٣٤٢ - ٣٤٩) تقول الرواية أن المثنى خرج حتى نزل إلى نهر المرأة، وانتهى إلى الحصن الذي فيه المرأة، فحلف المعنى عليه، فحاصرها في قصرها، ومضى المثنى إلى الرجل، فحاصره، وفتحته عنوة، وأنه لما بلغ ذلك المرأة صالحت المثنى، وأسلمت وتزوجها المثنى ينظر: الطبري: تاريخ الرسل والملوك، (٣/ ٣٥٠).

وجاء فلول المهزومين من (ذات السلاسل) مدد فارس بقيادة (قارن) مرزبان المدائن ، وكان آتيا في الطريق مددًا لهرمز، فكان النصر العربي الثاني في موقعة المذار، وقتل ذلك المرزبان^(١) .

ولم يلبث أن بلغ خالدًا أنباء تجمعاتٍ فارسيةٍ جديدة بقيادة (الأندرزغر)، وقد نزلت عند الولجة، فسار إليهم خالد بجيشه المظفر؛ ليحرز عليهم نصرًا ثالثًا مؤزرًا^(٢)، وغنم المسلمون في تلك المعارك الثلاث غنائم وفيرة كان يصير تقسيمها بين المقاتلين، ويبعث بالأخماس والفاء إلى المدينة، وخطب خالد الناس يرغبهم في بلاد العجم، ويضهدهم في بلاد العرب بقوله: (ألا ترون إلى الطعام كرفع التراب، وبالله لو لم يلزمنا الجهاد في الله، والدعاء إلى الله - عز وجل -، ولو لم يكن إلا المعاش لكان الرأي أن نقارع على هذا الريف، حتى نكون أولى به)^(٣) .

وكان ذلك التجمع الفارسي الأخير يضم العرب والفرس ما بين الحيرة، وكسكر الذين هزموا عند الولجة، فغضبت نصارى العرب من بني عجل^(٤)، وتميم اللات، وضبيعة^(٥)، وعرب الضاحية من أهل الحيرة، فاجتمعوا عند أليس، وعليهم (عبد الله الأسود العجلي، وجابر بن جبير)، "فكاتبوا الأعاجم وكاتبهم الأعاجم" .

وأحنق خالد ذلك الموقف من جانب تلك العناصر العربية التي لا زالت تتقبل نفوذ الفرس ، ولا تدين بالإسلام، ولا تدخل في الذمة، فنهد لهم، وليست لهم همة إلا من تجمع ضده منهم حتى وصلوا أليس، حيث وجد جيشًا فارسيًا يضم جند المسالح التي كانت على الحدود العربية الفارسية بقيادة (حابان)^(٦)، فأنشب خالد القتال على الفور،

(١) الطبري: (٣ / ٣٥١ - ٣٥٢) .

(٢) الطبري: (٣ / ٣٥٣ - ٣٥٤) .

(٣) الطبري: (٣ / ٣٥٤) .

(٤) وتنسب إلى عجل وحنيفة أبناء لجيم بن صععب بن علي بن بكر بن وائل بن قاسط بن هنب بن أفصى بن دمي بن جديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار بن معد بن عدنان. وأقرب القبائل نسباً لبنو عجل وحنيفة أقرب القبائل العراقية نسباً لقبيلة بنو عجل وحنيفة هي قبيلة بنو شيبان، وقبيلة ربيعة
(٥) قبيلة ضبيعة بن قيس بن ثعلبة بن عكابة بن صععب بن بكر بن وائل والتي تعود إلى ربيعة أحد فرعي قبيلة معد العدنانية والأخر مضر. اشتهر منها الفارس الحارث بن عباد بن ضبيعة، صاحب الفرس النعامة أشهر خيول ربيعة.
(٦) وكان هذا الجيش بقيادة بهمن جاذوية الذي نزل جابان على القيادة وذهب إلى اردشير كسرى فارس للمشاركة. ينظر: الطبري: (٣ / ٣٥٥) .

وأحرز النصر- بعد معركةٍ حاميةٍ، وأسَرَ، وقتل الكثير حتى أجزى النهر بدمائهم^(١)، وتوج خالدُ النصر- بالاستيلاء على (أليس)، وكذا (أمغيشيا) التي أمر خالدٌ بهدمها، وكانت أمغيشيا مِصْرًا؛ كالحيرة ينتهي إليها فراتٌ بادي، وكانت أليس من مسالحتها^(٢)، كما صالح خالدُ أهلَ أليس على أن يكونوا عيونًا للمسلمين على الفرس، وأدلاءً وأعوأنا^(٣).

وهكذا كانت بدايات فتح تلك المنطقة من الأرض العربية من شمالي الخليج إلى الحيرة لإدخال عرب تلك الجهات في دولة العرب، وما كان الأزابدة؛ (مرزبان الحيرة) بغافل عن مشروعات القائد العربي، فاستعد للقتال بأن أرسل لابنه إلى فمِ الفراتِ (باد قلي)؛ ليسد مجري النهر؛ وليعوق جريان تلك السفن التي أجازها خالدٌ في الفراتِ، تحملُ الرجالَ، والأثقالَ، فأفسد خالدٌ تلك المحاولة، ثم واصل الزحف صوب الحيرة؛ ليعسكر فيها بين الخورنق، والنجف، ولم يشأ الأزابدة القتالَ، والتعرض للهزيمة، وإنما فضل الانسحاب هربًا من غير قتالٍ^(٤)، فنزل خالدٌ معسكر الفرس السابق فيما بين الغريين، والقصر- الأبيض، ثم أدخل فرسانه في الحيرة، ووكل إلى بعض قواده حصار الحصون يعرضون الإسلامَ، أو الجزية، أو القتالَ، ثم أمهلهم يومًا واحدًا، وما لبث أن طلب المحاصرون الصلحَ، فأجابهم خالدٌ^(٥)، فصالحوه على (١٩٠) ألفًا، وأهدوا له هدايا^(٦)، أو كما يقول البلاذري على (١٠٠ ألف) درهم كل عام، وعلى أن يكونوا عيونًا للمسلمين على أهل فارس، وأن لا يهدم لهم بيعةً، ولا قصر^(٧).

وإذا كان خالد بن الوليد قد واصل القتالَ في نواحي الأنبار، وكالواذي ثم عين التمر، فهي تخرج عن نطاق هذا البحثِ، وإنما يهمنا أن نذكر أنه قد تمَّ تحرير أحدِ جانبي السوادِ من أرض العراق يأتي إلى خالدٍ خراجُه بضمنِ رؤوسِ الرساتيق، كما كلف قواده بالغارة إلى شاطئ دجلة شرقًا^(٨).

(١) الطبري: (٣/ ٣٥٥ - ٣٧٥).

(٢) الطبري: (٣/ ٣٥٨).

(٣) فتوح البلدان: (ص ٢٩٧).

(٤) قيل في انسحاب الازابدة ما بلغه من موت أزدشير ومصاب ابنه الطبري: (٣/ ٣٦٠).

(٥) الطبري: تاريخ الرسل والملوك، (٣/ ٣٥٩ - ٣٦٠)، والبلاذري: فتوح البلدان: (ص ٢٩٨).

(٦) الطبري: (٣/ ٣٦٢).

(٧) فتوح البلدان: (ص ٢٩٧).

(٨) الطبري: (٣/ ٣٦٩ - ٣٧٠).

ثم تطلّب الموقف العسكريّ في الشام تواجدَ القائد المظفر خالد بن الوليد إذ وصلته أوامر أبي بكر بالتوجه إلى الشام، فسار بنصف الجيش، وترك النصف الثاني تحت قيادة (المثنى ابن حارثة الشيباني) الذي شيعه حتى قراقر، وعاد إلى الحيرة، وأقام في سلطانه، وأعاد توزيع قيادة المسالِح، وأثبت المثنى بن حارثة الشيباني جدارته في القيادة بانتصاره عند بابل على محاولةٍ فارسيةٍ بقيادة هرمز جاذويه، واحتفظ المثنى بكلّ فتوحاتِ خالدٍ في المنطقة^(١).

وتشاغل الفرسُ بنزاعٍ داخلي حول العرش وقتًا سمحَ للمثنى بن حارثة أن يذهبَ إلى المدينة ويعود، فقد أراد المثنى أن يعطيَ صورةً عن الموقفِ العسكريّ هناك، ويستأذن الخليفة في الاستعانةِ بمن ظهرتْ توبئته بعد الردة، ويريد الغزو، وأيضًا يطلبُ مددًا من المهاجرين والأنصار، وقد أتى المثنى أبا بكر، وهو في مرضه الأخير، وقد عقد الخليفة من بعده إلى عمر، فكلف أبو بكر عمر بن الخطاب أن يندبَ الناسَ مع المثنى^(٢)؛ ولذلك كان أول عملٍ قام به عمر بن الخطاب بعد توليته الخلافة هو أن يندبَ الناسَ مع المثنى بن حارثة، وعاد المثنى إلى الحيرة ينتظر وصولَ الإمدادات التي تواتت عليه سريعًا.



(١) الطبري: (٣/ ٤١٢ - ٤١٣).
 (٢) الطبري: (٣/ ٤١٣ - ٤١٤).

فقد بدأت حركة تعبئة عامة للعرب جميعاً بدأت بجيش يضم نحو: (ألف رجل) من أهل المدينة، وما حولها بقيادة (أبي عبيد بن مسعود الثقفي) ، وله القيادة العامة ثم من قبائل العرب المختلفة مثل: بجيلة بني ضبة والأزد، وتميم، وخشعم، وعبد القيس الذين قدموا بزعامة شيوخهم ، كما أبلوا جميعاً في المعارك الشديدة مع الفرس عند النمارق، وكسكر بتثبيت أقدام المسلمين فيما سيطروا عليه من نصف أرض السواد إلى أن تعرّض جيش المسلمين إلى هزيمة في (معركة الجسر-)، التي قتل فيها أبو عبيد، وجرح المثني، غير أن المسلمين استردوا النصر في (معركة البويب) .

ومع كل فإن عمر بن الخطاب لم يفتّر عن إمداد جيش العراق، وذهب سعد بن أبي وقاص على القيادة العامة، وزوّده برجال القبائل من النخع، ومذحج، وأسد، وتميم، وقيس ، وعيلان الذين احتشدوا عند شراف يواصلون المعارك الظافرة في القادسية وغيرها .

والذي يعيننا الآن من ذكر تلك القبائل هو اشتراك عرب شرق الجزيرة العربية من الأزد ، وعبد القيس، وتميم، وسبقتهم بكر بن وائل - كما أشرنا -، وهي التي سوف تستقر في أول مصر إسلامي ينشأ شمال الخليج ، فقد نزل (عتبة بن غزوان المزني) في ربيع الأول، أو أهل تلك الجهات من إمداد الفرس على المسلمين^(١)، وأنزل عتبة بن غزوان من كان معه من العرب ما بين (٣٠٠ - ٥٠٠) أرض البصرة، وكان على إنزالهم أبو الجرباء (عاصم بن دلف) ذلك أحد رجال تميم^(٢) .

ولم تكن هذه هي المحاولة الأولى لتلك الخطة العسكرية بقطع إمدادات أهل فارس، كما لم تكن هي البداية لحركة المد الإسلامي شمالي الخليج في اتجاه الشرق، ففي أعقاب حروب الردة أن قطبة بن قتادة السدوسي من بكر بن وائل يغير بناحية الخريبة من أرض البصرة ، حتى خافه الأعاجم هناك خاصة بعد موقعة خالد بنهر المرأة، ثم جاء قطبة بناء على طلبه مدداً من أمير المؤمنين عمر بن الخطاب بقيادة (شريح بن عامر) أحد بني

(١) الطبري: تاريخ الرسل والملوك: (٣/ ٥٩٠ - ٥٩١) .

(٢) المرجع السابق: (٣/ ٥٩١ - ٥٩٣) . وبنو دلف أو الإمارة العجلية بنو دلف بطن من بكر بن وائل من العدنانية، وهم بنو دلف بن جشم بن قيس بن سعد بن عجل بن لحي بن صعيب بن علي بن بكر ، أسسوا إمارة لهم في الكرج زمن الخلافة العباسية، كما يطلق عليهم اسم بنو عجل أيضاً نسبة إلى جدهم عجل بن لحي.

سعد بن بكر الذي وصل البصرة، فترك بها قرطبة، ثم تقدم هو نحو الأهواز، فاصطدم بمسلحة للفرس عند دارين حيث قتل، فبعث الخليفة (عتبة بن غزوان)؛ لينزل أقصى البر من أرض العرب أدنى الريف من أرض العجم؛ ليؤسس مدينة البصرة، وكان هو أول والٍ عليها. (١)

ثم سارت فرقة من الفرسان بقيادة عتبة بن غزوان، ومعه قطبة بن قتادة السدوسي، واقتحموا الأبلّة، وأجبروا حاميتها من الأساورة، وعددهم نحو (٥٠٠) على الخروج منها بما خفّ حملهُ، وكان فتح الأبلّة في رجب أو شعبان عام (١٤هـ) (٢).

عن قطبة بن قتادة السدوسي، قال: قلت: "يا رسول الله ابسط يدك أبايعك على نفسي، وعلى ابنتي الحويصلة، ولو كذبت على الله خدعك"، قال: وحمل علينا خالد بن الوليد في خيله، فقلنا: إنا مسلمون، فتركنا، وغزونا معه الأبلّة، فقسمنها فملأنا أيدينا. (٣)

وتجرأ العرب فزحفوا صوب تجمع فارسيّ من أهل (دستميّسان) (٤) بالأهواز، فانقضوا عليهم، وأسروا مرزبان تلك البلدة، وبعث عتبة إلى الخليفة يبشّر بالفتح، ويسلم الخمس، وأجاب مبعوثه على سؤال الخليفة له: كيف المسلمون؟ فأجاب بأن الدنيا انثالت عليهم، فهم يهيئون الذهب والفضة فرغب الناس في البصرة، وأتوها، لمواصلة الفتح في الأقاليم حول الخليج العربي ماّراً بالأهواز، ثم فارس.

(١) «عتبة بن غزوان المازني بدري جليل أسلم بعد ستة رجال وكان من الرماة المذكورين وهو الذي اختط البصرة مات على المشهور في سنة ١٧ وله سبع وخمسون سنة روى عنه خالد بن عمير وجماعة» «الكاشف» (١/ ٦٩٧):
 (٢) تذكر بعض الروايات أن فتح الأبلّة عام (١٢ هـ) زمن أبي بكر الصديق بعد انتصار خالد على الفرس في موقعة (ذات السلاسل) لكن الصحيح كما قال الطبري أن ذلك كان على يد (عتبة بن غزوان) عام (١٤هـ) الطبري تاريخ الرسل والملوك: (٣/ ٣٤٧ - ٣٤٨)، وينظر: (٣/ ٣٥٠ - ٥٩٤).
 (٣) المعجم الكبير، أبو القاسم سليمان بن أحمد المعروف (الطبراني)، قطبة بن قتادة السدوسي ص ٢٠ هو قطبة بن قتادة بن جرير السدوسي أبو الحويصلة من بني ثعلبة بن سدوس شيبان بن ذهل بن ثعلبة بن عكابة بن صعّب بن علي بن بكر بن وائل.

(٤) دست ميسان منطقة في العراق، كانت من أراضي مملكة ميسان.

(٥) الطبري: تاريخ الرسل والملوك: (٣/ ٥٩٤ - ٥٩٥).

فلم يكن (الهرمزان) ^(١) حاكم الأهواز يرضى عن تقدم المسلمين نحو (ميسان) ^(٢) ^(٣) فيأخذ
يغير على المسلمين من طريق «مَنَازِرُ» ^(٤)، و«نَهْرُ تِيرَى» ^(٥).



فكان أن طلبت عتبة بن غزوان المدد من سعد بن أبي وقاص بطل القادسية، فأمدّه بكلّ
من (نعيم بن مقرن، ونعيم بن مسعود)، وأراد عتبة أن يسدّ على الهرمزان غاراته من
هذين الطريقين، فبعث فرقة بقيادة: (نعيم بن مقرن، ونعيم بن مسعود) إلى نهر تيري،
وبعث فرقة أخرى بقيادة: (سلمى بن القين، وحرملة بن مريطة) إلى منازر، وهذان

(١) هُرْمَزَانُ هو أحد قادة الفرس إبّان الفتح الإسلامي، وكان قائد الجيش الفارسي في معركة القادسية. (قتل في عام ٢٣ للهجرة)

(٢) يُعتقد بأن الاسم كان في الأصل مملكة ميشان ومن ثم تغير إلى ميسان. تقع على بعد حوالي ٣٢٠ كيلومتراً جنوب شرق العاصمة بغداد و حوالي ١٨٠ كيلومتراً عن البصرة. يبلغ عدد سكان المحافظة حوالي ١,٥ مليون ونصف حسب إحصاء عام ٢٠١٤.

(٣) ميسان: كورة واسعة بين البصرة، وواسط قصبته ميسان، وكان الناسُ يسمّون هذه المدن الأربع ميسان، دستميسان، وأبرقاد يسمونها ميسان. ينظر: البلاذري: فتوح البلدان: (ص ٤٢٢).

(٤) إحدى كور الأهواز. ينظر: ياقوت: معجم البلدان: (١٩٩ / ٥).

(٥) نهر تيري: بمنطقة الأهواز ينظر: ياقوت: معجم البلدان: (٣١٩ / ٥). نهر تيري يقع غرب مدينة الأهواز

وفي شرق نهر دجلة قديماً يعرف هذا المكان بميسان أو الحميدية والخفاجية والحويزة والبسيتين الحالية. قال الحموي نهر تيري بكسر التاء المثناة من فوقها وياء ساكنة وراء مفتوحة مقصور: بينما يذهب الكثير من الباحثين منهم الدكتور مصطفى عبد اللطيف أستاذ تاريخ الأدب العربي قبل الإسلام إن إسما هؤلاء الملوك قد تكون صيغاً يونانية معدلة من أعلام عربية قديمة. فمثلاً تيري أو تيرايس قد يكون طير إياس أو ثور إياس العربي. منذر عبد الكريم ص ٢٦

الأخيران من بني العدوية من تميم، دعا إليهما بني العمّ إحدى عشائر تميم، فجاءهما (غالب الوائلي، وكليب بن وائل)، وقد تواعد الجميلا، ونازلوا الهرمزان فيما بين دلث، ونهر تيري حيث هزم، واضطر إلى الانسحاب إلى سوق الأهواز، وصار نهر دجيل فاصلاً بينه وبين القواد المسلمين، وخلص للعرب نهر تيري، ومناذر من كسور الأهواز، ولم يجد الهرمزان مفرّاً غير طلب الصلح، فصالح عتبة على الأهواز كلها ما عدا ما استولى عليه العرب من سوق الأهواز، ونهر تيري، ومناذر، وأقام المسلمون المسالّح هناك بقيادة الرجال من بني العمّ من تميم^(١).

ولم يكن هذا الصلح مع الهرمزان سوى هدنة مؤقتة؛ إذ سرعان ما عاد الخلاف بين الطرفين حول الحدود، ونقض الهرمزان الصلح، وجاء المسلمين مددً بقيادة (حرقوص ابن زهير السعدي)، كما ضم إليهم (سلمي، وحرملة، وغالب، وكليب)، فقاتلوا الهرمزان على جسر سوق الأهواز، وأجبروا على الانسحاب نحو (رامهرمز)، وهكذا فتحت سوق الأهواز، وعسكر بها المسلمون، ونزل حرقوص من زهير جبل الأهواز، ودانت له سوق الأهواز إلى (تستر)، كما كتب بالفتح، والأخماس إلى أمير المؤمنين بالمدينة^(٢).

واستمرت مطاردة الهرمزان في اتجاه رامهرمز، حتى اضطر إلى طلب الصلح، فدارت المفاوضات، وتبذلت المكاتبات بين الهرمزان، وبين عتبة بن غزوان، وأمير المؤمنين الذي وافق على طلب الصلح بشرط تسليم بقية كور الأهواز، (رامهرمز، وتستر، والسوس)، وتولى القواد المسلمين حكم الأهواز، وأقام الهرمزان على جباية الأموال من تلك البلاد في حماية المسلمين^(٣). ومرة ثانية يبلغ القواد المسلمين نقض الهرمزان هذا الصلح الأخير بعد أن وثق من تعاون أهل فارس مع أهل الأهواز ضدّ العرب، وجاءت الأوامر من أمير المؤمنين بتجميع جيش كبير من البصرة والكوفة، وكان انتصار العرب كاسحاً بالاستيلاء على (رامهرمز، ثم تستر، ثم السوس)، كما أسير الهرمزان، وحمل إلى عمر بن الخطاب بالمدينة^(٤)، وهكذا تم فتح مدن الأهواز جميعاً عام (١٧هـ)، وقيل عام (٢٠هـ)^(٥)، حتى خلصت للعرب والمسلمين.

(١) الطبري: تاريخ الرسل والملوك: (٧٣-٧٤/٤).

(٢) الطبري: (٧٦/٤).

(٣) الطبري: (٧٧-٧٨/٤).

(٤) الطبري: (٨٣-٩٣/٤).

(٥) الطبري: تاريخ الرسل والملوك: (٩٤/٤).



وجاء إذن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب بالاندماج في بلاد فارس، كما عيّن القيادات، والجيوش من أهل البصرة، والكوفة، وبعث لهم بالألوية، وفيما يخص هذا البحث، ونقصد فارس على ضفة الخليج الشرقية نرى لواءً أزدشير خره، وسابور إلى مجاشع بن مسعود السلمي، ولواء فساردار بجردي سارية بن زعيم الكناني، ولواء اصطخر إلى عثمان بن أبي العاص الثقفي، ولواء كرمان مع سهل بن عدي، كما عسّرت تلك الألوية المتجهة إلى فارس، وغيرها من أقاليم إيران أواخر عام (١٧هـ)^(١)، حتى تقضي تمامًا على يزيدجرد الثالث الذي كان يثير الحرب ضد المسلمين كل عام .

وقبل أن نتابع تحركات تلك الألوية إلى كور فارس نودّ أن نشير إلى أن هناك محاولات عربية سابقة لفتح فارس أتت مقدمتها من عرب البحرين، فيذكر البلاذري أن (العلاء بن الحضرمي) والي البحرين قد وجّه قوة بقيادة (هرثمة بن عرفجة البارقي) فتح جزيرة في البحر مما يلي فارس، ثم أرسل له مددًا بقيادة (عتبة بن فرقد السلمي) بناء على تعليمات أمير المؤمنين عمر بن الخطاب^(٢)، ولم يذكر البلاذري اسم تلك الجزيرة، وقد تكون (هرمز، أو قيس)، ومع كلّ فإن الخليفة نهى العلاء عن ركوب البحر، إذ كان الخليفة لا يأذن لأحدٍ في ركوبه خوفًا على المسلمين^(٣) .

ويظهر أن رغبة العلاء في استعادة شهرته منذ حروب الردة تلك التي فاقتها انتصارات سعد بن أبي وقاص في القادسية تلاقت مع حماس عبد القيس سكان البحرين لجهاد أعدائهم الفرس، فما أن ندبهم (العلاء) إلى فارس حتى تسرّعوا في ذلك^(٤)، وخرجت من البحرين عام (١٧هـ) حملة بحرية عبرت الخليج مشتملة على ثلاثة جيوش بقيادة كل من الجارود بن المعلي، والسوار بن همام، وخليد بن المنذر بن ساوي، ونزلوا جميعًا بساحل فارس تجاه اصطخر، كما استولوا على (مدينة توج)^(٥) .

ودبّر الهرمز مرزبان فارس خطته الحربية أولاً بقطع طريق عودة المسلمين إلى البحر لإحراق سفنهم، ثم قتال المسلمين فدارت معركة شديدة في موضع من الأرض يدعى (طاووس) قتل فيها كل من: الجارود، والسوار، كما حوَصر الجيش الثالث بقيادة: (خويلد

(١) الطبري: (٤٩ / ٤) .

(٢) فتوح البلدان: (ص ٤٧٦) .

(٣) الطبري: (٧٩ - ٨٠ / ٤) .

(٤) الطبري: (٧٩ / ٤) .

(٥) الطبري: تاريخ الرسل والملوك: (١٧٤ / ٤) .

بن المنذر) بأن قطع عليه طريق الانسحاب إلى البصرة، كما استصخب أهل اصطخر أهل فارس جميعاً، وتعرضت تلك الفئة من المسلمين إلى الإبادة، لولا النجدة الكبيرة السريعة التي سيرها (عتبة بن غزوان) من شباب البصرة بناءً على تعليمات الخليفة بقيادة (أبي سيرة بن أبي رهم) ^(١) وزحف أبو سيرة إلى فارس بطريق الساحل، ونشبت معركة ثانية، وقد توافقت للمسلمين إمدادهم بقيادة أبي سيرة، وأهل فارس إمدادهم بقيادة (شهرك)، حتى انتصر المسلمون، وعاد جيش الإنفاذ إلى البصرة بعد أن أدّى مهمته بنجاح، ومعه بقية جيش العلاء الذين أعيدوا إلى ديارهم في هجر، والبحرين ^(٢).

أما عن جهاد تلك الألوية الموجهة الذين وجّهوا إلى فارس، فقد استولى (مجاحع بن مسعود السلمي) على مدينة توج، كما فتح (عثمان بن أبي العاص) مدينتي: جور، واصطخر، كما فتح (سارية بن زعيم) ^(٣)، فساود رابجرد، كذلك فتح (سبيل بن عدي) مدينة جيرفت قسبة كرمان، وكان في عقب كل انتصار أحرزه المسلمون يَفدُ إلى الخليفة بالمدينة من يبشّر بتلك الفتوح حاملاً خُمس الغنائم، وكانت الرسل يجازون، وتُقضى لهم حوائجهم لسنةٍ جرّت بذلك من رسول الله - صلى الله عليه وسلم ^(٤).

(١) أبو سيرة بن أبي رهم العامري صحابي من السابقين إلى الإسلام، وابن عمّة النبي ﷺ. هاجر إلى الحبشة ثم إلى يثرب، وشهد مع النبي ﷺ المشاهد كلها. وبعد وفاة النبي ﷺ شارك أبو سيرة في الفتح الإسلامي لفارس، واختاره الخليفة عمر بن الخطاب لقيادة الجيش الذي فتح تستر والسوس وجنديسابور. انتقل أبو سيرة في أواخر حياته للإقامة في مكة حتى توفي في خلافة عثمان بن عفان..

(٢) الطبري: تاريخ الرسل والملوك: (٤ / ٧٩ - ٨٢).

(٣) «سارية بن زعيم بن عبد الله بن جابر الكناني الدنلي: صحابي، من الشعراء، القادة، الفاتحين. كان في الجاهلية لصاً، كثير الغارات، يسبق الفرس عدواً على رجليه. ولما ظهر الإسلام أسلم. وجعله عمر أميراً على جيش، وسيره إلى بلاد فارس سنة ٢٣ هـ ففتح بلاداً، منها أصبهان»، «الأعلام للزركلي» (٣ / ٦٩):

(٤) الطبري: تاريخ الرسل والملوك: (٤ / ١٧٥ - ١٧٩)، ابن الأثير (٣ / ١٩).

الفصل الرابع:

الإدارة الإسلامية في شرق الجزيرة والخليج العربي وولاتها المسلمون.

كان دستور الدولة العربية الإسلامية قائمًا على أسسٍ أربعةٍ هي: (القرآن، والسنة، والإجماع، والقياس)، أي: الاجتهاد^(١).

ف عند المحدثين السنة هي: «كل ما أضيف إلى النبي ﷺ من قول أو فعل أو تقرير». أو صفة خلقية أو خلقية، سواء أكان ذلك قبل البعثة أم بعدها.

وعند علماء أصول الفقه؛ هي الحكم التكليفي المندوب غير الفرض.

وعند الفقهاء السنة هي: «ما دل عليه الشرع من غير افتراض ولا وجوب» أو «ما يثاب فاعله ولا يعاقب تاركه».

عند علماء العقيدة؛ السنة هي: «هدي النبي ﷺ في أصول الدين، وما كان عليه من العلم والعمل والهدى، وما شرعه أو أقره مقابل البدع والمحدثات في الدين». وقد تطلق السنة أيضا بمعنى الدين كله.

أما القرآن، فهو المصدر الأول للتشريعات في الدولة ممثلة في كل ما أوتي به من أوامر ونواهٍ، سواء فهم ذلك من صريح صيغته، أو من طريق الإشارة، أو الأدلة، أو الاقتضاء، وهو خير الدساتير في العالم في كل مكان، وزمان، والقرآن هو حجة الله البالغة على عباده إلى يوم القيامة^(٢). وكلمة القرآن مشتقة من مادة الفعل قرأ بمعنى القرء؛ أي الضم

(١) د. علي حسني الخربوطلي: فجر الدولة الإسلامية (ص ١٠١).

(٢) ينكر بعض المؤرخين الغربيين أن الإسلام قد قصد به مؤسسة في بادئ الأمر أن يكون دينًا عالميًا برغم هذه الآيات البينات، ومن بين هؤلاء المؤرخين (وليم ميور: William Meur) إذ يقول: إن فكر عموم الرسالة جاءت فيما بعد، وأن هذه الفكرة على الرغم من كثرة الآيات، والأحاديث التي تؤيدها لم يفكر فيها محمد نفسه، وعلى فرض أنه فكر فيها، كان تفكيره غامضًا فإن علمه الذي كان يفكر فيه إنما كان بلاد العرب، كما أن هذا الدين الجديد لم يهيا إلا لها، وأن محمدًا لم يوجه دعوته منذ بعث إلى أن مات إلا للعرب دون غيرهم، وهكذا نرى أن نواة العالمية الإسلامية قد غرست، ولكنها إذا كانت قد اختتمت، ونمت بعد ذلك، فإنما يرجع هذا إلى الظروف، والأحوال أكثر منه إلى الخطط، والمناهج.

وللباحث أن يستغرب في أن يشكك (وليم ميور) في صحة دعوى عموم الرسالة، وأن يبني هذا المؤرخ شكه هذا على أن محمدًا ما كان يعرف غير الجزيرة، فهل خفيت على ذلك المؤرخ صلة قريش بدول العهد؟ وهل تجاهل دور التجارة في تلك الفترة، وتقلات الرسول - صلى الله عليه وسلم - في تجارته من الشمال إلى الجنوب، ومن الشام إلى اليمن .

والجمع، ومنه القول: قرأت الشيء؛ فهو قرآن؛ أي ألفت بينه، وجمعت بعضه إلى بعض، ويقول الإمام أبو عبيدة -رحمه الله تعالى-: أطلق اسم القرآن على كتاب الله -تعالى-؛ لأنه يؤلف بين السور، ويضم بعضها إلى بعض. و القرآن الكريم هو كلام الله -تعالى-، المنزل على نبيه محمد -صلى الله عليه وسلم-، المعجز بلفظه، المتعبد بتلاوته، المفتتح بسورة الفاتحة، والمُنتهي بسورة الناس، المكتوب في المصاحف، والمنقول إلينا بالتواتر.

وأما السنة: فهي كل حديث صحيح قاله رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وكل فعلٍ فعله، أو قول قاله، أو تقرير عمل قام به غيره، فأقره النبي عليه.

والحديث النبوي هو بمثابة القرآن في التشريع من حيث كونه وحياً أو حاه الله للنبي، والحديث والسنة مرادفان للقرآن في الحجية ووجوب العمل بهما، حيث يستمد منهما أصول العقيدة والأحكام المتعلقة بالعبادات والمعاملات بالإضافة إلى نظم الحياة من أخلاق وآداب وتربية.^(١)

وأما الإجماع: فهو اتفاق أغلبية أهل الحل والعقد، والثقات من مجتهدي المسلمين على رأي من الآراء في شؤون الدين، والدنيا، ومصالح المسلمين، فيصبح بذلك قانوناً شرعياً لجميع المسلمين.

والتعريف المختار أن الإجماع هو: اتفاق مجتهدي الأمة، بعد وفاة الرسول -صلى الله عليه وسلم- في عصر على أي أمر كان.^(٢)

وأما القياس: فهو إلحاق الفرع بأصله لعلّةٍ مشتركةٍ بينهما.^(٣)

والقياس لغةً: هو التمثيل ويأتي بمعنى: التقدير؛ نقول: قاس الثوب إذا قدر طولَه وعرضه.

وفي اصطلاح الأصوليين: هو ردُّ واقعةٍ غير منصوصٍ عليها إلى واقعةٍ منصوصٍ عليها؛ لاتفاقهما في العلة، والحكم.

(١) تبسيط العقائد الإسلامية - حسن محمد أيوب

(٢) انظر جمع الجوامع ١٧٦/١ مطبوع مع حاشية البناني

(٣) راجع: محمد أبو زهرة في كتابه عن (الأئمة الأربعة).

ولقد كان شرق الجزيرة والخليج العربي عند ظهور الإسلام تابعًا للدولة الساسانية^(١)، كما أن (الدولة البيزنطية) هي الدولة الكبيرة التي كانت تقف حينذاك حيال الساسانيين، وتهددهم، فبجانب أملاكها في شمال إفريقيا، وأوربا كانت تحكم آسيا الصغرى، وبلاد الشام، أي أنها تقع في الأطراف الشمالية الغربية من الدولة الساسانية، وكانت هناك مصادر أخرى تهدد الساسانيين، ألا وهي الأقوام الساكنة في أواسط آسيا؛ لذلك وجّه الساسانيون اهتمامهم إلى المناطق الشمالية، والشرقية لمواجهة الروم في الشمال، والأتراك في الشرق، فكانت قواتهم موجّهة إلى تلك المناطق في حين أن الخليج العربي لم يكن معرّضًا لأيّ أخطارٍ تهدده؛ ولذلك اعتمد الساسانيون على قواتٍ رمزية فيه، وخاصة عندما بدأت عوامل الضعف، والتفكك تسري في إمبراطورية الساسانيين بعد موت كسرى أبرويز عام (٥٦هـ)، حيث كثرت محاولات الاغتصاب للعرش من قوادٍ لم يكونوا من الأسرة الحاكمة، كما استقلّ بعض حكام الولايات بولاياتهم عن السلطة المركزية^(٢)، ومن المعروف في النظام الساساني أن المروبان (الوالي) كان حاكمًا على المناطق الواقعة على الحدود، وتحت إمرته قوة عسكرية كبيرة، وهو يمارس السلطتين: (المدنية، والعسكرية)^(٣) غير أن أحوال الخليج مع الدولة الساسانية بعد وفاة كسرى - كما أشرت سابقًا - أدت إلى أن تكون القوة العسكرية التي يستند عليها مرزبان الخليج رمزية ضعيفة، فهو يُشرف على كلّ ما يتعلّق بمصالح الدولة الفارسية، ويتصل بها، أما سلطته على العرب فقد كانت ضعيفةً محدودة .

جاء في فتوح البلدان - البلاذري " وكانت أرض البحرين من مملكة الفرس، وكان بها خلق كثير من العرب من عبد القيس وبكر بن وائل وتميم مقيمين في بدايتها. وكان على العرب بها من قبل الفرس على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم المنذر ابن ساوى أحد بنى عبد الله بن زيد بن عبد الله بن دارم بن مالك بن حنظلة - وعبد الله بن زيد هذا هو الأسبذي، نسب إلى قرية بهجر يقال لها الأسبذ، ويقال إنه نسب إلى الأسبذيين، وهم قوم كانوا يعبدون الخيل بالبحرين - فلما كانت سنة ثمان وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم العلاء بن عبد الله بن عماد الحضرمي، حليف بنى عبد شمس، إلى البحرين ليدعو أهلها إلى الاسلام أو الجزية، وكتب معه إلى المنذر بن ساوى وإلى سيخت مرزبان هجر

(١) البلاذري: فتوح البلدان (ص٩٥) وينظر: ابن الأثير: الكامل (٢/ ٢١٥) .

(٢) كويستنس: ايران في عهد الساسانيين، (ص٤١٨) ترجمة: يحيى الخشاب وعزام سنة: ١٩٥٧ م .

(٣) المسعودي: مروج الذهب (١/ ٢٤٦) .

يدعوها إلى الإسلام أو الجزية. فأسلما وأسلم معهما جميع العرب هناك وبعض العجم. فأما أهل الأرض من المجوس واليهود والنصارى فإنهم صالحوا العلاء، وكتب بينه وبينهم كتابا نسخته: (١)

وذكرت المصادر الإسلامية أن مرزبان الخليج عند ظهور الإسلام هو: (سيبخت بن عبد الله) (٢)، ومركزه في (هجر) بإقليم الأحساء، فقد كتب إليه النبي -صلى الله عليه وسلم- عندما كتب إلى الأمير العربي (المنذر بن ساوي) يدعو إلى الإسلام، أو الجزية، ومن كتاب النبي -صلى الله عليه وسلم- إلى سيبخت كما يورده ابن سعد يتبين للباحث أنه ليس بالكتاب الأول، بل سبقته كتبٌ، ومراسلات (٣)، ويذكر البلاذري أن سيبخت أسلم على أثر الكتاب (٤)، غير أننا نرجح أن سيبخت لم يسلم بدليل عدم إشارة المصادر الإسلامية إلى دور قام به في حرب المرتدين الذين نشطوا في الخليج بعد وفاة رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، وأنه في نفس الوقت لم يقم بعملٍ فعّالٍ ضد الإسلام، وليس في المصادر إشارة إلى أن سيبخت غير مراسلة الرسول له، فربما عزل لغضبِ الفرس عليه تجاه موقفه من الإسلام بدليل أن المصادر الإسلامية ذكرت أن (المكعبير فيروز بن حشيش) كان مرزباناً على الخليج، وهو قائد للقوات الساسانية في الخليج (٥)، ومن الصعب القول بأن الساسانيين عيّنوا مرزبانين على الخليج في وقتٍ واحدٍ بدليل أن المؤرخ المسعودي يذكر في مراتب رجال الدولة الساسانية أنه كانت لأربعة من أصحاب تدبير الملك، ولكل واحد منهم مرزبان واحد (٦)؛ لذا نرجح أن (فيروز ابن حشيش) كان مرزباناً على الخليج، وكان مقره الزارة (٧).

المكاتبات بين الرسول صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم و سيبخت:

- (١) فتوح البلدان - البلاذري - ج ١ - الصفحة ٩٥
- (٢) ابن سعد: الطبقات، (٣٩ / ٢) . سيبخت (أسيبخت) مرزبان هجر. معنى اسمه : واختلف في ضبط لفظ اسمه كثيرا . وقال بعض الأفاضل : (الأصح بالخاء المعجمة وبخت كلمة كانت تدخل في أعلام أهل الكتاب وفيهم صهار بخت أي چهار بخت وبختيشوع وسبخت مركب من بخت وسه بمعنى الثلاثة) و هو يعني المحظوظ ثلاثا او المحظوظ بالثلاث (الوافر و الكثير الحظ). المصدر : التوحيد للشيخ الصدوق ، هامش كتبه محقق النسخة السيد هاشم الحسيني الطهراني .
- (٣) ابن سعد: الطبقات، (٣٩ / ٢) .
- (٤) البلاذري: فتوح البلدان، (ص ١٠٣) .
- (٥) البلاذري: فتوح البلدان، (ص ١٠٣) .
- (٦) المسعودي: مروج الذهب، (١ / ٢٤٦) .
- (٧) البلاذري: فتوح البلدان، (ص ١٠٣) .

إلى أَسْبِيحَتْ بن عبد الله صاحب هَجَرَ: بِسْمِ اللَّهِ الرحمن الرحيم إنه قد جاءني الأقرع بكتابك وشفاعتك لقومك، وإني قد شفعتك، وصدقتُ رسولك الأقرع في قومك، فأبشر. فيما سألتني وطلبتني بالذي تُحبّ. ولكي نظرتُ أن أعلمه وتلقاني، فإن تجئنا أكرمك، وإن تقعد أكرمك.

أما بعد: فإني لا أستهدي أحداً، فإن تُهدِ إليّ أقبل هديّتك، وقد حمّد عمالي مكانك، وأوصيك بأحسن الذي أنت عليه من الصلاة والزكاة وقرابة المؤمنين. وإني قد سمّيتُ قومك (بني عبد الله) فَمُرهم بالصلاة، وبأحسن العمل، وأبشر. والسلام عليك وعلى قومك.

ولقد اختار فيروز بن حشيش مرزبان الخليج الإقامة في الزارة^(١) بدلاً من هجر؛ لكونها قاعدة أمنة للأسطول الساساني حيث تقع على الساحل، ويرسو بها الأسطول الساساني، والقوات المساندة له، في حين أن (هجر) قد سيطر عليها المسلمون في هذا الوقت، فلم تعد أمنة للساسانيين فضلاً عن أن موقعها داخلي يعرض الحاكم الساساني إلى خطر التطويق لكن فيروز سرعان ما قتل، وهو يقاوم الإسلام سنة (١٣ هـ)^(٢).

اعتمد الساسانيون في تأمين حدودهم الغربية -وهي شرق الجزيرة-، وضبط القبائل العربية على العرب أنفسهم، ففي أطراف العراق ساندوا المناذرة الذين اتخذوا من الحيرة مركزاً لهم، كما استطاعوا أن يبسطوا سلطانهم على معظم القبائل في شرق الجزيرة، وامتد نفوذهم إلى أطراف الخليج.

أما في الخليج العربي على ساحله الغربي، فقد اتبع الساسانيون سياسة الاعتماد على العرب، والاستفادة بهم في الإدارة، وتعويضاً لهم عن ضعف قواتهم العسكرية في الخليج، كما كان العرب يتبعون في إدارتهم الأسلوب القبليّ، فكان رؤوسائهم، وشيوخهم يشغلون مراكزهم عن طريق اختيار أبناء القبيلة لهم دون فرض من الفرس، كما أن الوضع في

(١) يقول محمد سعيد المسلم، عنها أنها: «مدينة مشهورة في التاريخ الإسلامي وكانت حاضرة القطيف وكانت تقع بالقرب من العوامية، وقد خربها أبو سعيد الجنابي نكاية بأهل القطيف المعارضين لحكمه ومبادئه». برز اسم الزارة ضمن مجموعة من الأحداث البارزة في التاريخ الإسلام، كحركتي الردّة والقرامطة. ونقل المؤرخون أن الزارة تعرضت إلى عدوان انتقامي شنه القرامطة، حيث نقل أنها: «دمرت تماماً وبقيت خراباً، ثم صارت نخيلاً وأشجاراً وأنهاراً تبعاً للعوامية»

(٢) البلاذري: فتوح البلدان، (ص ١٠٤) الطبقات الكبير لمحمد بن سعد بن منيع البصري الزهري - الجزء الأول

الخليج نتيجة لضعف الساسانيين والروح القبلية أدى إلى أن انقسمت قبائله، وزادت خلافاتهم ، وكان وجود المدن الكبيرة في الخليج، وازدهار التجارة فيها يتطلب إيجاد تنظيمات إدارية خاصة تسيّر تسيير الأمور، فاعتمد الفرس في هذه الإدارة على العرب مع أن هذه التنظيمات، كما كان لابد لها أن تختلف عن التنظيمات التي عند القبائل .

كان والي الخليج عند ظهور الإسلام هو: (المنذر بن ساوي التميمي)^(١)، وهو من بني تميم، وهم ملوك سوق المشقر بهجر، وكان ملوك الفرس تستعملهم عليها، كما يستعملون بني نصر- على الحيرة، وبني المستكبر على عمان، وكانوا يحكمونها، ويسيرون فيها بسيرة الملوك في (دومة الجندل)، ويعاشرونهم^(٢)، يقول البلاذري: "وكانت أرض البحرين من مملكة الفرس، وكان بها خلق كثير من العرب من عبد القيس وبكر بن وائل وتميم مقيمون في باديتها، وكان على العرب بها من قبل الفرس على عهد رسول الله -صلى الله عليه وسلم- المنذر بن ساوي أحد بني عبد الله بن زيد بن عبد الله بن دارم بن مالك بن حنظلة، وعبد الله بن زيد هذا هو الاسبذي، ونسب إلى قرية هجر يقال لها (الاسبذ)، ويقال: إنه نسب إلى الاسبذيين، وهم قوم يعبدون الخيل بالبحرين^(٣) .

ويذكر الطبري أنه (صاحب البحرين)^(٤)، كما يذكر ابن حزم أنه (صاحب هجر)^(٥)، وكذلك يذكر ابن إسحاق أنه (عامل البحرين)^(٦)، وكان يرتبط بالعاصمة الساسانية .

والراجح أن للمنذر (تبعية اسمية) للساسانيين، وأن سلطته كانت واسعة على أهل المدن ، وأن له سلطة محدودة ضيقة على أهل القبائل، كما أن نفوذه لم يشمل ساحل الخليج العربي كله، والدليل على ذلك أن النبي -صلى الله عليه وسلم- أرسل عدة كتب منها إلى مجموعة معينة، وإلى عددٍ من كبار رجالات المنطقة .

وبعد انتشار الإسلام في منطقة شرق الجزيرة، والخليج في زمن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- بقي المنذر، ورؤساء القبائل على ما كانوا عليه، وبعد القضاء على الردة ،

(١) يشير البلاذري إلى أن المنذر من تميم بينما تشير مصادر أخرى أنه من عبد القيس ينظر: ابن هشام: السيرة النبوية: (١٦٤ /٤) .
 (٢) ياقوت: معجم البلدان (١ / ٥٠٨) .
 (٣) البلاذري: فتوح البلدان (ص١٠٣) .
 (٤) الطبري: تاريخ الرسل والملوك (٣ / ٣٠٢) .
 (٥) ابن حزم: جمهرة أنساب العرب (ص٢٣٢) .
 (٦) ابن هشام: السيرة النبوية: (١٦٤ /٤) .

واستقرار دولة الإسلام، وهيمنتها على كل جزيرة العرب، وأصبحت منطقة شرق الجزيرة جزءاً من دولة الإسلام، تابعة في إدارتها للحجاز^(١)، وفي زمن الخليفة عثمان بن عفان - رضي الله عنه-، وقد أحقت منطقة شرق الجزيرة، والخليج بالبصرة عندما أصبحت الأخيرة قاعدة لفتوح فارس، وجنوب إيران^(٢).

فصار ولاة شرق الخليج تابعين لأمير البصرة^(٣)، مما عزز صلة البصرة بشرق الجزيرة، والخليج ووثقها، وكان ذلك من عوامل هجرة عبد القيس، والأزد إلى البصرة^(٤)، وسوف يتضح لنا ذلك فيما بعد عند تناولنا بالبحث لحروب الخوارج.

وقد ظلت منطقة شرق الخليج مرتبطة في العصر الأموي بالبصرة التي كان أميرها يشرف - أيضاً - على إدارة العراق، والمشرق بما في ذلك خراسان، وكافة الأقاليم الواقعة على الخليج العربي^(٥)، ومع ذلك فكان لمنطقة شرق الخليج والخاص، وقد ذكرت قائمة بأسماء ولاة المنطقة، ولا بد أن عملهم كان يشبه عمل معظم الولاة في العهود الأولى حيث كان للوالي السلطة العليا في إدارة ولايته، وكان من أهم واجباته: الإشراف على جباية الأموال^(٦).

والقيام بحفظ الأمن، والنظام، وقد أشارت المصادر إلى وجود الشرطة في الخليج حيث يذكر (المدائني) أن أبا البهاء كان على شرطة القطيف في عام (٨٠هـ)^(٧).

ولا بد أن للأماكن الأخرى شرطة غير أن المصادر لا تذكرها، وللوالي أيضاً حق النظر، والحكم في القضايا التي تظهر بين الناس، وقيادة الجيوش التي في ولايته، كما أنه يعين الولاة على المراكز الصغرى الداخلة ضمن ولايته.

(١) ابن عبد ربه: العقد الفريد (٨/٥).

(٢) العلي: التنظيمات الاجتماعية والاقتصادية في البصرة في القرن الأول الهجري (ص ٤٢).

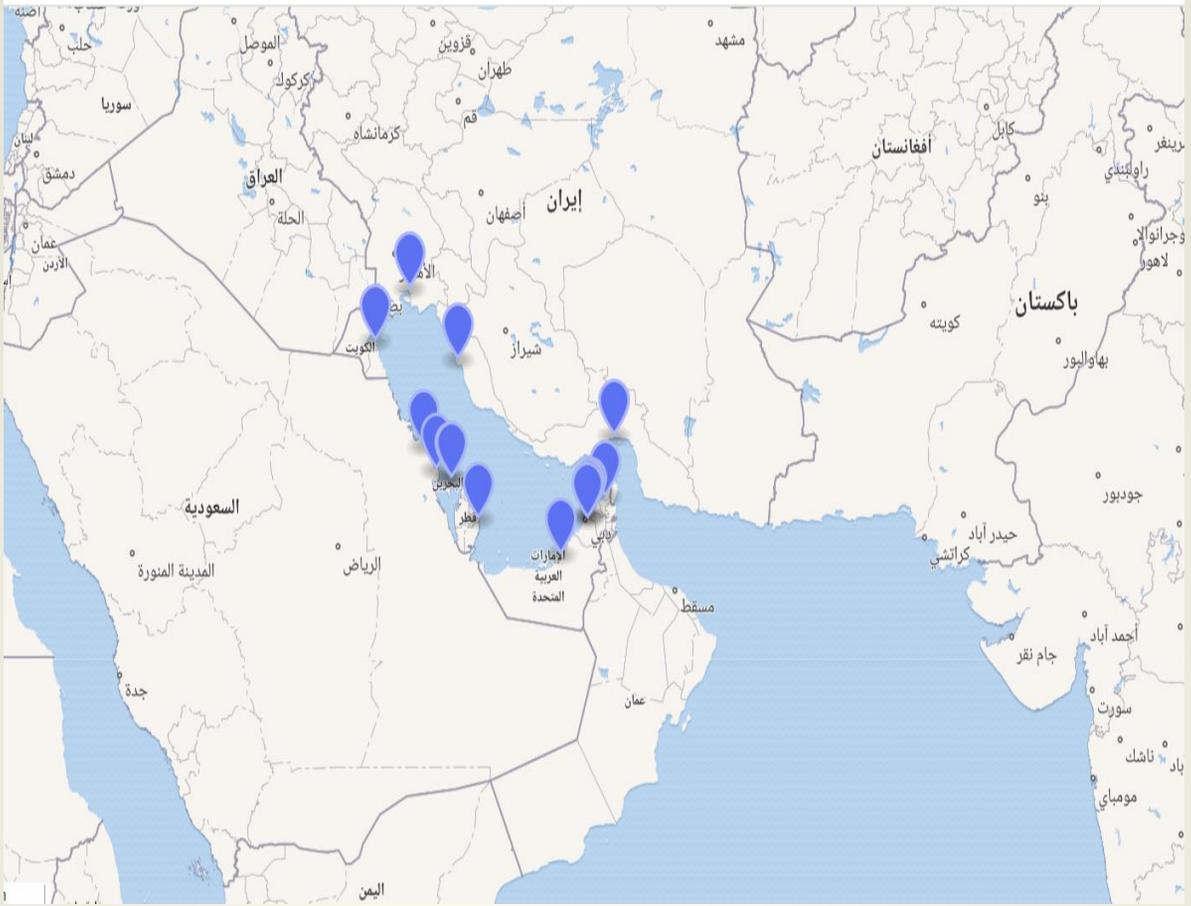
(٣) ابن الأثير: الكامل (١٠٠/٣).

(٤) العلي: التنظيمات الاجتماعية (ص ١٤١ - ١٤٢).

(٥) الطبري: تاريخ الرسل والملوك ٢/٧٣١، ياقوت (١/٥٠٧).

(٦) انظر قائمة الولاة في الملحق الثاني من الرسالة.

(٧) أنساب الأشراف (ج ١ / ورقة ٤٢).



الوالي:

كان الوالي في الخليج هو صاحب السلطة الذي يمثل الخليفة، وإليه ترجع أمور الإدارة غير أن اتساع البلاد قضى- بإيجاد تقسيمات إدارية فرعية، حيث ذكر بعض جغرافي القرنين: (الثالث، والرابع الهجريين) تقسيمات الخليج الإدارية، ولا شك أن كلامهم ينطبق على أحوال الزمن الذي عاشوا فيه، كما أنهم استمدوا معلوماتهم من الدواوين، وسجلاتها في بغداد، أو مما سمعوه عن أحوال الخليج، ومن الراجح أن هذه التقسيمات، أو معظمها يرجع تاريخها إلى القرن الأول الهجري، إن لم يكن إلى ما قبل ذلك، ويذكر (ابن خردادبة) في كتابه المسالك والممالك قائمة بأقسام الخليج الإدارية، فيذكر أن قوى الساحل الغربي للخليج هي (الخط، والزارة، وهجر، والفروق، وبينونة، والمشقر، وجوانا،

وسابور، ودارين، والغابة والشئون^(١)، كما نقلها ابن الفقيه، ولكنه حذف (الفروق، والشئون) ثم أضاف بدلاً منهما: (الصفاء والشعبان)، كما نقلها ابن جعفر، ولكنه حذف (الزارة وهجر والفروق وبينونة والشئون) وأضاف بدلا منها: (الرميلة، والسوم)، أما الهمداني فلم يذكر من قرى الخليج غربًا إلا (هجر والقطيف) وأضاف العقير والأحساء^(٢)، في حين أن ابن حوقل أضاف إلى قائمة الهمداني (أوال)^(٣)، ولعل هذه الخلافات تعود إلى نقصٍ في أصول الكتب المطبوعة، وأخطاء في الطبع، أو إلى تبدل أحوال المنطقة .

ولقد اقتصرَت المصادرُ على تعدادِ الأماكنِ دون الإشارةِ إلى أصنافِ الإدارةِ بها ما عدا المقدسي الذي يذكر أن الأحساء قسبة هجر^(٤) .



- (١) ابن خرداذبة: المسالك والممالك (١٥٢) .
- (٢) الهمداني: صفة جزيرة العرب (ص ١٦٨) .
- (٣) الهمداني: صفة جزيرة العرب (ص ١٦٨) .
- (٤) المقدسي: أحسن التقاسيم (ص ٧١) .

المواضع التي يقيم بها الإدارة:

تذكر بعض المصادر أن الساحل العربي توجد فيه منابر كثيرة، والمقصود بالمنابر هي: (الأماكن التي تقام فيها الجمعة)، فقد اتفق الفقهاء على أن من شريطة وجود المنبر وجود مجتمع مقيم ذي عددٍ كافٍ، ويروي البعض ضرورة إقامة الوالي بالمنبر^(١).

فيذكر الحربي أنه كان بهجر منبران عظيمان بينهما فراسخ أحدهما في مملكة (ابن عياش بن عبد القيس)، والمنبر الآخر في مملكة موسى بن عمران ابن الرجاف، وهو بجهلة، وسكنها عبد القيس^(٢)، وبالعقير منبر لبني الرجاف، وفي ثاج منبر، وفي القليعة منبر، وفي بيرين منبران، وفي القطيف منبر، وإن معنى وجود هذه المنابر هو وجود وحداتٍ إداريةٍ كل واحدةٍ تتبع الوحدة التي هي أكبر منها، وذلك لوجود (هجر، والقطيف، وثاج، ويرين)، والجميع تتبع القصبة "هجر"^(٣).

ومن التعابير الإدارية التي استعملتها بعض المصادر التي قد تدل على التقسيمات الإدارية: "المسجد الجامع"، حيث يقول ابن الفقيه: "والمسجد الجامع في المشقر"^(٤)، وروي عن ابن عباس أنه قال: "أول جمعة جمعت بعد جمعة جمعت في مسجد رسول الله - صلى الله عليه وسلم- في مسجد عبد القيس بجواثا من الأحساء"^(٥).

(١) العلي: إدارة الحجاز: محاضرات القيت على طلبة الماجستير التاريخ الإسلامي (ص ٦٨-٦٩).

(٢) الحربي: المناسك (ص ٦٢١).

(٣) أثبت الباحث عبد الخالق الجنبي في كتابه « أن مدينة "جزءه" [جرهاء]، المدينة الأسطورية المفقودة، هي مدينة هجر بعينها. وأن مدينة هجر كانت تقع عند الركن الشمالي الغربي من جبل القارة وأن بقايا آثارها لا زالت تشاهد حتى الآن بالقرب من مغارة كبيرة تُعرف باسم مغارة العيد والمكان معروف إلى الآن باسم الكوارج».

(٤) ابن الفقيه: مختصر كتاب البلدان (ص ٣٠)، وياقوت: معجم البلدان (٤/ ٥٤١).

(٥) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٣/ ١٦٥)، وأبو داود في سننه (١/ ٢٦٤).

مسجد جواثا التاريخي، أو جواثي، هو مسجد تاريخي يقع في محافظة الأحساء بالمنطقة الشرقية في المملكة العربية السعودية، وبعد ثاني مسجد صليت فيه صلاة الجمعة في الإسلام بعد مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأحد أقدم المساجد التاريخية في العالم الإسلامي، إذ بُني في العام الهجري السابع.

بناء مسجد جواثا التاريخي

بُني أول مرة في عهد الرسول محمد صلى الله عليه وسلم، حيث بناه بنو عبد القيس، وهم قبيلة سكنت الأحساء في تلك الفترة، إذ كان لهم السبق في اعتناق الإسلام، فبعد هجرة النبي صلى الله عليه وسلم إلى المدينة وظهور الإسلام أرسل زعيم عبد القيس المنذر بن عائد الملقب بالأشج رسولاً إلى مكة للتحقق من الأمر، وحين وصل بالعلم اليقين أسلم وأسلم جميع أفراد قبيلته، وبنى حينها مسجد جواثا.



ذكرت المصادر أسماء ولاية شرق الجزيرة والخليج العربي، وقد جمعتها في ملحقٍ خاصٍّ غير أنني لم أعثر { على أسماء ولاية الأقسام الإدارية، وأعتقد أن سلطات هؤلاء كانت محدودة، وأنهم كانوا يرتبطون بوالي هجر، ويخضعون له، إذا كان يتولّى أمر تعيينهم، كما أنه لم يرذ في الأخبار شيء عن تنظيمات البدو العشائر، كما أعتقد أن ذلك مردود لعدم استقرارهم، ويبدو كذلك أنهم احتفظوا بتنظيماتهم القبلية، وأنهم كانوا يخضعون لشيخوهم، ورؤسائهم، وأن سلطة الوالي عليهم كانت ضعيفة محدودة .

لَمَّا اُفترقت الأمة، وصار المُلْكُ إلى (معاوية) لم يكن لمعاوية في عمان سلطان حتى صار الملك إلى (عبد الملك بن مروان)، واستعمل الحجاج على أرض العراق، وكان ذلك في زمن (سليمان، وسعيد ابني عباد بن عبد بن الجندني)^(١) وهما القيمان في عمان، فقد

(١) قبيلة بنو الجندني او الجنداني هي قبيلة ازدية عربية يتواجدون اليوم في عمان ولديهم فروع كثيرة في دول عربية وغير عربية عدة لا تحمل اسم الجندني ولكنها تُنسب اليه حيث غالبا ما يُعتبر الجندني اليوم نسب وليس قبيلة.

كان الحجاج يغزوهما بجيوشٍ عظيمةٍ، وهما يفضّان جموعه، ويبدّدان عساكره في مواطنٍ كثيرةٍ .

وكان كلما أخرج إليهما جيشاً هزّماه، واستوليا على سوايه إلى أن حنّج عليهما (القاسم ابن شعوة المزني) ^(١) في جمع كثيرٍ، وخميس جرّار، فخرج القاسم بجيشه حتى انتهى إلى عمان في سفن كثيرة، فأرسي سفنه في ساحل قريةٍ من قرى عمان يقال لها (حطاط) ^(٢)، فسار إليه سليمان بن عباد بالأزد فاقتتلوا قتالاً شديداً، فكانت الهزيمة على أصحاب الحجاج، وقتل القاسم، وكثير من أصحابه، وقواده، واستولى سليمان على سوادهم، فبلغ ذلك الحجاج، فأصابه أمر هائل، ثم استدعى (مجاعة بن شعوة) أخ القاسم، وأمره أن يندب الناس، ويستصرخهم، وينادي في (قبائل نزار) ^(٣) حيث كانوا يستعينون بهم، ويستنجد بهم، وأظهر الحجاج من نفسه غضباً، وحميةً وأنفة، وكتب إلى (عبد الملك بن مروان)، كما أبعده وجود الأزد الذين كانوا بالبصرة عن النصرة لسلمان بن عباد، فوجدت أن العساكر التي جمعها الحجاج، وأخرجها إلى عمان كانت (أربعين ألفاً)؛ فأخرج من جانب البحر عشرين ألفاً، فأنتهى الذين خرجوا من البر، فسار إليهم سليمان بساير فرسان الأزد، وكانوا (ثلاثة آلاف فارس)، وأصحاب النجائب (ثلاثة آلاف وخمسمائة)، فالتقى بهم عند الماء الذي دون البلقعة بخمس مراحل، وقيل بثلاث مراحل، وهو الماء الذي يقرب قرية بوشر يقال له اليوم (البلقعين)، فاقتتلوا قتالاً شديداً، فانهزم أصحاب الحجاج، فأمعن

(١) "القاسم بن شعوة المزني" قائد أموي كلفه الحجاج بن يوسف الثقفي بحملة عسكرية من أجل إخضاع عمان للسيطرة الأموية لكن حملته فشلت في إخضاع عمان بسبب المقاومة الضاربة التي أبدتها العمانيون تحت قيادة الملكين سليمان وسعيد ابنا عباد بن عبد الجندى وقتل القاسم مع كثير من اصحابه وقادته. جاء في كتاب إسعاف الأعيان في أنساب أهل عمان [سالم السيابي] والقاسم بن شعوة هو الذي أخرجه الحجاج إلى عمان في جمع كثير وخميس جرار، فخرج بجيشه حتى انتهى إلى عمان في سفن كثيرة، فأرسي مراكبه في قرية من قرى عمان يقال لها حطاط، لحرب سليمان بن عباد بن عبد بن الجندى العماني ج ١ ص ٧٤

(٢) لا يعرف الآن موضع هذه الجزيرة . توجد في قطر جزيرة الأسطاط تقع تحديداً في الجزء الجنوبي الشرقي منها، تبلغ مساحة أراضيها ٦ كيلو متراً تقريباً، وتمتاز بإحاطتها بالجروف المنحوتة من الأمواج، وبوجود صخرتين منفصلتين تطلّان على خور العديد من الجهة الشمالية الشرقية، تخلو الجزيرة من النباتات ولا يعيش بها إلا بعض الطيور البحرية. (لعلها هي الجزيرة المقصودة كما توجد أحطاط في محافظة أبين اليمنية تقع في الجنوب الشرقي للعاصمة صنعاء (٣) نزار بن معد، الجد الثامن عشر للنبي محمد بن عبد الله. قال ابن جرير الطبري: قيل إن نزاراً كان يكنى أبا إياد، وقيل بل كان يكنى أبا ربيعة. قال البلاذري: نزار بن معد يكنى أبا حيدة. (٤) سرحان بن سعيد: تاريخ عمان (ص ٤٤) .

سليمان في طلبهم، وهو لا يعلم شيئاً عن عسكر البحر حتى انتهى عسكر البحر بالبونانة من (جلفار)^(١).

فلقبهم رجل فأعلمهم بخروج سليمان بساير العسكر، فواصل مجاعة سير الليل بالهار، حتى وصل بركا، فنزل إليهم سعيد، فقاتلهم قتالاً شديداً حتى حجز بينهم الليل، وتأمل سعيد عسكره، فإذا هم في عسكر مجاعة، كالشعرة البيضاء في الثور الأسود، وقد قتل منهم من قتل، فاعتزل من ليلته، وعمد إلى زراري أخيه، فاعتزل بهم إلى الجبل الأكبر، وهو جبل بني ريام، ويقال له: (الجبل الأخضر)، كما يقال له: (رُضوان) بضم الراء، ولحقه القوم فلم يزلوا محصورين حتى وافى سليمان، وكان مجاعة أرسى سفنه ب(بندر مسكت) ٢، وكانت ثلاثمائة سفينة فمضى- إليها سليمان، فأحرق منها نيفاً وخمسين سفينة، وانفلت الباقيون في لجح البحر، ثم مضى- يريد عسكر مجاعة، فتصور أن لا طاقة له بسليمان، فخرج يريد البحر، فالتقى هو وسليمان بقرية سمايل، فوقعت بينهم صكة عظيمة، فانهزم مجاعة، ولحق بسفنه فركبها، ومضى إلى جلفار.

وكتبَ الحجاج فأخرج له من طريق البر (عبد الرحمن بن سليمان) في خمسة آلاف فارس من بادية الشام، وكان فيهم رجل من الأزد، ولا يعلمون به أنه من الأزد، فهرب في الليل حتى نزل على سليمان، وسعيد، فأعلمهما بذلك، فاستشعروا العجزَ فحملاً ذراريهما، وسوادهما، ومن خرج معهما من قومهما، ولحقا ببلدٍ من بلدان الزنج حتى ماتا هناك .

(١) جلفار هي بلدة رأس الخيمة الحالية، أما اليونانة، فموضع قربها إلا أنه غير معروف على وجه الضبط ينظر: سرحان بن سعيد: تاريخ عمان (ص ٤٥) .
(٢) بندر مسكت هو ميناء مسقط .



ودخل مجاعة وعبد الرحمن بالعسكر إلى عمان ففعلًا فيها غير الجميل، ونعيها نعوذ بالله من ذلك .

واستعمل الحجاج بن يوسف الثقفي على أهل عمان (الخيار بين سيرة المجاشعي)، فلما مات (عبد الملك) تولى من بعده (الوليد بن عبد الملك)، ولما مات الحجاج استعمل الوليد على العراق (يزيد بن أبي مسلم) فبعث يزيد بن سيف الهاني الهمداني عاملاً على عمان ، ولما مات الوليد بن عبد الملك، وولي أخوه (سليمان بن عبد الملك) عزل العمّال الذين كانوا على عمان، كما استعمل عليها صالح بن عبد الرحمن بن قيس الليثي، ثم إنّه رأى أن يكون عمّال عمان على ما كانوا عليه فردّهم، وجعل (صالح بن عبد الرحمن) مشرفاً عليهم قم ولي يزيد بن المهلب العراق، وخراسان، فاستعمل يزيد أخاه زياداً على عمان، فلم يزل عاملاً عليها محسناً إلى أهلها حتى مات (سليمان بن عبد الملك) (١) .

ولمّا تولى (عمر بن عبد العزيز) الخلافة استعمل (عدي بن أرطاة الغزالي) على العراق ، ثم استعمل عدي على عمان عمالاً أساءوا السيرة، فكتبوا إلى عمر بن عبد العزيز، فاستعمل عليهم (عمر بن عبد الله بن صبيحة الأنصاري)، فأحسن السيرة فيهم، فلم يزل والياً على عمان مكرماً بين أهلها يستوفي الصدقات منهم عن طيب أنفسهم حتى مات عمر ابن عبد العزيز، فقال عمر بن عبد الله بن زياد بن المهلب: "هذه البلاد بلاد قومك،

(١) سرحان بن سعيد: تاريخ عمان (ص ٤٥) .

فشأنك بها"، وخرج عمر بن عبد الله من عمان، وقام زياد بن المهلب في عمان حتى ظهر (أبو العباس السفاح)، حتى صار مُلك بني أمية إليه ^(١).



(١) سرحان بن سعيد الأزكوي العماني: كتاب تاريخ عمان، (ص ٤٦).

الباب الثالث:

"النشاط السياسي لعرب الخليج وشرق الجزيرة في القرن الأول الهجري"

وفيه ثلاثة فصول، هي كما يلي:

الفصل الأول: الفتن والحروب الداخلية (موقعة الجمل القلاقل في البصرة بعد صفين).

الفصل الثاني: ظهور الخوارج وثوراتهم الأولى. انقسام الخوارج.

الفصل الثالث: حروب الخوارج:

١. النجدات في غرب الخليج.

٢. الأزارقة في شرق الخليج.

الفصل الأول:

الفتن والحروب الداخلية (موقعة الجمل - القلاقل في البصرة بعد صفين) .

١. موقعة الجمل:

إذا كانت تلك الانتصارات العربية المجيدة بدافع العروبة والإسلام الذي وُحِدَ عربَ شرق الجزيرة، وأنهى دولة الأكاسرة في العراق، وإيران، وكذا حرّر الشام، ومصر. من أغلال دولة الروم، فأقاموا دولة عربية فتية بفضل الوحدة التي شَمَلَتْ - ولأول مرة - تاريخهم، فإن العرب ما لبثوا أن انقسموا في تيار الفتنة التي أودت بحياة الخليفة الراشد الثالث (عثمان بن عفان) بحصاره بالمدينة، ثم قتله الثوار، وبمقتل عثمان في المدينة توقفت قوة الدفع الإسلامي، فالضغينة التقليدية بين الأمويين والهاشميين أصبحت ثأراً دموياً، وتحول العرب من مقاتلة أعدائهم إلى محاربة بعضهم بعضاً، فشاهدت أرض البصرة أول حرب أهلية بين العرب المسلمين في (يوم الجمل) .

وجاءت المقدمات من ردود فعلٍ مختلفة لمقتل خليفة المسلمين بدأ بتجمع كل من: (طلحة بن عبيد الله، والزيير بن العوام) مع السيدة عائشة بمكة حيث جاءتهم بنو أمية، ثم الولاة المعزولون بأمر الخليفة الجديد (علي بن أبي طالب) يقدمون المشورة، والأموال، ويطالبون القصاص لعثمان .

فكانوا على نية الذهاب إلى الشام فنصّحهم (عبد الله بن عامر) والي البصرة السابق بالتوجه إلى البصرة " فقال ابن عامر: «قد كفاكم معاوية الشام، فأتوا البصرة، فإن لي بها صنائع، ولهم في طلحة هوى» ، فاستقام الأمر على البصرة^(١)، وخرجت السيدة عائشة، وطلحة، والزيير من مكة في ألف، وقيل في تسعمائة من أهل الحجاز، ولحقهم الناس، فساروا في ثلاثة آلاف، وكان لا بد من تمهيدٍ لدخول هذا التجمع مدينة البصرة؛ لهذا كلف (عبد الله بن عامر) بالتوجه إلى هناك ليندس بين الناس، كما كتبت السيدة عائشة إلى

(١) ابن الأثير: (٣/ ١٠٦) .

بعض رجال البصرة، وبخاصة (الأحنف بن قيس بن سيد بني تميم، وصبرة بن شيمان سيد الأزدي، وأمثالهم^(١) .

وأثمرت تلك الاتصالات، فأوقعت عثمان بن حنيف والي البصرة^(٢) من قبل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب في مأزق شديد "فقد قَدِّمت جماعة السيدة عائشة، ونزلت في مربد البصرة ناحية اليمين منه، وجاءهما من استجاب لدعواهما، كما خرج الوالي مع رجاله، ونزل ميسرة المربد، فتحدث أولاً كلٌّ من: (طلحة والزبير) يدعوان إلى الطلبِ بدمِ عثمان، فاستجابت الميمنة، وقالت صدقاً وبراً، بينما أعرَضَ من في الميسرة، وقالوا: فجراً وغدراً وأمراً بالباطل، تحاصِبَ الناسُ فتحدثتُ السيدةُ عائشةُ، واستطاعت التأثير في أصحابِ الوالي، فانضم إليها فريقٌ منهم، وظل الباكون بجانبِ الوالي يعارضون^(٣) .

ولم يكن ثمة بدٌّ من قتالٍ، فقد تصدَّى (حكيم بن جبلة العبدي)^(٤) على رأس فرقةٍ من الفرسان من أنصارِ الوالي يمنع دخول جماعة السيدة عائشة البصرة، واكتفى لأصحابِ

(١) ابن الأثير: (١٠٧/٣) . و الأحنف بن قيس بن معاوية بن حصين المرّي السعدي المنقري التميمي، أبو بحر: سيد تميم، وأحد العظماء الدهاء الفصحاء الشجعان الفاتحين. يضرب له المثل في الحلم. ولد في البصرة وأدرك النبي صلى الله عليه وسلم. ولم يره. ووفد على عمر، حين آلت الخلافة إليه، في المدينة، فاستبقاه عمر، فمكث عامًا، وأذن له فعاد إلى البصرة، فكتب عمر إلى أبي موسى الأشعري: أما بعد فأذن الأحنف وشاوره واسمع منه إلخ. وشهد الفتوح في خراسان واعتزل يوم الجمل، ثم شهد صفين مع عليّ. ولما انتظم الأمر لمعاوية عاتبه، فأغلظ له الأحنف في الجواب، فسئل معاوية عن صبره عليه، فقال: هذا الذي إذا غضب غضب له مئة ألف لا يدرون فيم غضب. وولي خراسان. وكان صديقاً لمصعب بن الزبير (أمير العراق) فوجد عليه بالكوفة فتوفي فيها وهو عنده. أخبار كثيرة جداً، وخطبه وكلماته متفرقة في كتب التاريخ والأدب والبلدان، حرية بالجمع. قال رجل ليحيى البرمكي: أنت والله أحلم من الأحنف «(٣ ق هـ - ٧٢ هـ = ٦١٩ - ٦٩١ م)» «الأعلام للزركلي» (١/ ٢٧٦):

(٢) «عثمان بن حنيف بن وهب الأنصاري الأوسي، أبو عمرو: وال، من الصحابة. شهد أحداً وما بعدها. وولاه عمر السواد، ثم ولاه على البصرة. ولما نشبت فتنة الجمل (بين عائشة وعليّ) دعاه أنصار عائشة إلى الخروج معهم على عليّ، فامتنع، فنتفوا شعر رأسه ولحيته وحاجبيه، واستأذنوا به عائشة فأمرتهم بإطلاقه، فلحق بعليّ وحضر معه الوقعة. ثم سكي الكوفة، وتوفي في خلافة معاوية «الأعلام للزركلي» (٤/ ٢٠٥) .

(٣) ابن الأثير: الكامل في التاريخ (١٠٨-١٠٩) .
وصبرة بن شيمان الأزدي ثم الزهراني ثم الحداني (٢٠ ق هـ - ٤١ هـ) صحابي من الأشراف، رأس الأزدي في أيامه. شهد الفتوحات العربية لتحرير العراق، وكان رأس شنوءة في الفتوح زمن عمر بن الخطاب، نزل هو وقومه البصرة، وكان لهم جامع، وهو الجامع الذي نزلته السيدة عائشة يوم الجمل. وكان من الفصحاء البلغاء، مهابةً مسموع الكلمة من أشراف العرب

(٤) حكيم بن جبلة العبدي، من بني عبد القيس: صحابي، كان شريفاً مطاعاً، من أشجع الناس. ولده عثمان إمرة السند، ولم يستطع دخولها فعاد إلى البصرة. واشترك في الفتنة أيام عثمان. ولما كان يوم الجمل (بين عليّ وعائشة) أقبل في ثلاث مئة من بني عبد القيس وربيعة، فقاتل مع أصحاب عليّ، وقطعت رجله فأخذها وضرب بها الذي قطعها، فقتله بها، وبقي يقاتل على واحدة وفاته «٣٦ هـ» «الأعلام للزركلي» (٢/ ٢٦٨):

السيدة عائشة بالدفاع إلى أن حَجَرَ بينهم الليل، ورجع عثمان إلى القصر-^(١)، وجدّد (حكيم بن جبلة) القتال طوال اليوم التالي في ساحة دار الرزق بالبصرة، فكثرت القتل بينهم، والجراح بين الفريقين حتى تداعى القوم للمواعدة، والاتفاق على إرسال أحد أشراف البصرة مندوباً إلى المدينة يسأل أهلها عما إذا كانت بيعة كلٍّ من (طلحة والزبير) كرهاً أم لا؟ فإن كانت كرهاً يخرج والي البصرة، وإن كان العكس يخرج طلحة والزبير .

وعاد (كعب بن سور الأزدي) من وفادته إلى المدينة بأنهما (طلحة والزبير) بايعا مكرهين^(٢)، كما جاء في بعض الروايات، فطلبوا من عثمان بن حنيف إخلاء البصرة، فرفض، واحتج بكتاب وصله من الخليفة يقول فيه: **والله** ما أكرها على فرقة، ولقد أكرها على جماعة، وفصل بأن كان يريدان الخليفة، فلا عذر لهما"، وأضاف هذا الوالي بأن هذا أمر آخر غير ما كانوا فيه^(٣)، ولم يغنِ رفض الوالي، أو احتجاجه شيئاً، وهو في قلة من أنصاره، فلم يستطع دفاعاً أمام هجوم (طلحة والزبير)، والاستيلاء على أمر البصرة تماماً، وأخرج منها (عثمان بن حنيف)، مقهوراً مهاناً^(٤).

كما جاء في بعض الروايات أنهم نتفوا شعر لحية وحاجبه وأشفار عينيه ، والحقيقة أن هذه الروايات غير ثابتة وتحتاج إلى تحقيق لأن الثابت أن السيدة عائشة فقالت: "خلوا سبيله وليذهب حيث شاء)

قال أبو عبد الله الذهبي في (صدق النبأ في بيان حقيقة عبد الله بن سبأ): لم يثبت من طريق صحيح يمكن أن يعول عليه، أنهم ضربوه ونتفوا شعر وجهه **رضي الله عنه**. والصحابة الكرام **رضي الله عنهم** يتزهون عن مثل هذه المثلة القبيحة. وهذه من روايات أبي مخنف الكذاب. اهـ.

(١) ابن الأثير: (٣ / ١٠٩) .

(٢) سمع ذلك من أسامة بن زيد ابن الأثير: (٣ / ١١٠) .

(٣) ابن الأثير: (٣ / ١١٠) .

(٤) ابن الأثير: (٣ / ١١١) .



ويظهر لنا من استقراء تلك الأحداث ما يلي:

أولاً: أن أكثرية عرب البصرة كانت عثمانية الهوى، وإن كانت فيهم أقلية مؤثرة تميل إلى لزوم الطاعة لسلطان الخليفة .

ثانياً: أن (طلحة والزبير) انتقما ممن جاء المدينة من عرب البصرة تحاصر عثمان ، وتدعو لخلعه، واشتركت في دمه .

ثالثاً: كانت النتيجة أن عشائر عرب البصرة تحزبت لأبنائها الذين حل بهم انتقام جماعة السيدة عائشة؛ فمنهم من كان عثمانياً، فاعتزل مثل: (بني سعد) الذين نالهم ضررٌ شديد

لمنعهم (حرقوص بن زهير)^(١)، ومنهم من استمرَّ على ولائه لسلطان الخلافة القائمة ، وغضبوا لمن قتل منهم أو حين منعوهم من فضول الأموال مثل: (عبد القيس، وبكر بن وائل)، فخرجوا من البصرة على الطريق ينتظرون قدوم علي بن أبي طالب الذي كانت تأتيه أخبار تلك الأحداث الداخلية في البصرة حتى وصل إلى (ذي قار)، فقال عبد القيس خير ربيعة، وفي كل ربيعة خير^(٢) .

هذه هي بدايات النشاط السياسي للخليج، وشرق الجزيرة العربية لما تعرّضت له مدينة البصرة مركز الإقليم من تيارات سياسية في مسار التاريخ الإسلامي بما يظهر من نوازع مختلفة لدى قبائل العرب، من مضر، وربيعة، واليمن التي انتشرت في المنطقة تلك التي بيّنا بعض مظاهرها منذ فجر الإسلام، وفي تحليل سابقٍ عن كل منها، ومن ثم حفل تاريخ الخليج العربي بالأحداث السياسية المهمة .

فها هي (جماعة السيدة عائشة) تسيطر على البصرة، "ومعهم بيت المال، والناس"، إلا أن عرب البصرة لم يكونوا جميعًا قلبًا واحدًا، إنما وجدنا - كما ذكرنا - عبد القيس بأسرها ، وبكر بن وائل من ربيعة من عرب الشمال تتخذ موقفًا مخالفًا، فقد انضمت إلى علي بن طالب الذي وصل (ذي قار)^(٣)، وعسكر ينتظر دخول الكوفة - المَصْرَ الثاني للعراق - في مواجهة البصرة، ولم يلبث أن أتاه اثنا عشر- ألفًا من سكان الكوفة من ربيعة، ومضر واليمن من بطونها، أو عشائرها المختلفة .

(١) ابن الأثير: (١١٢ / ٣) . «حرقوص بن زهير بن السعدي، الملقب بذي الخويصرة: صحابي، من بني تميم.

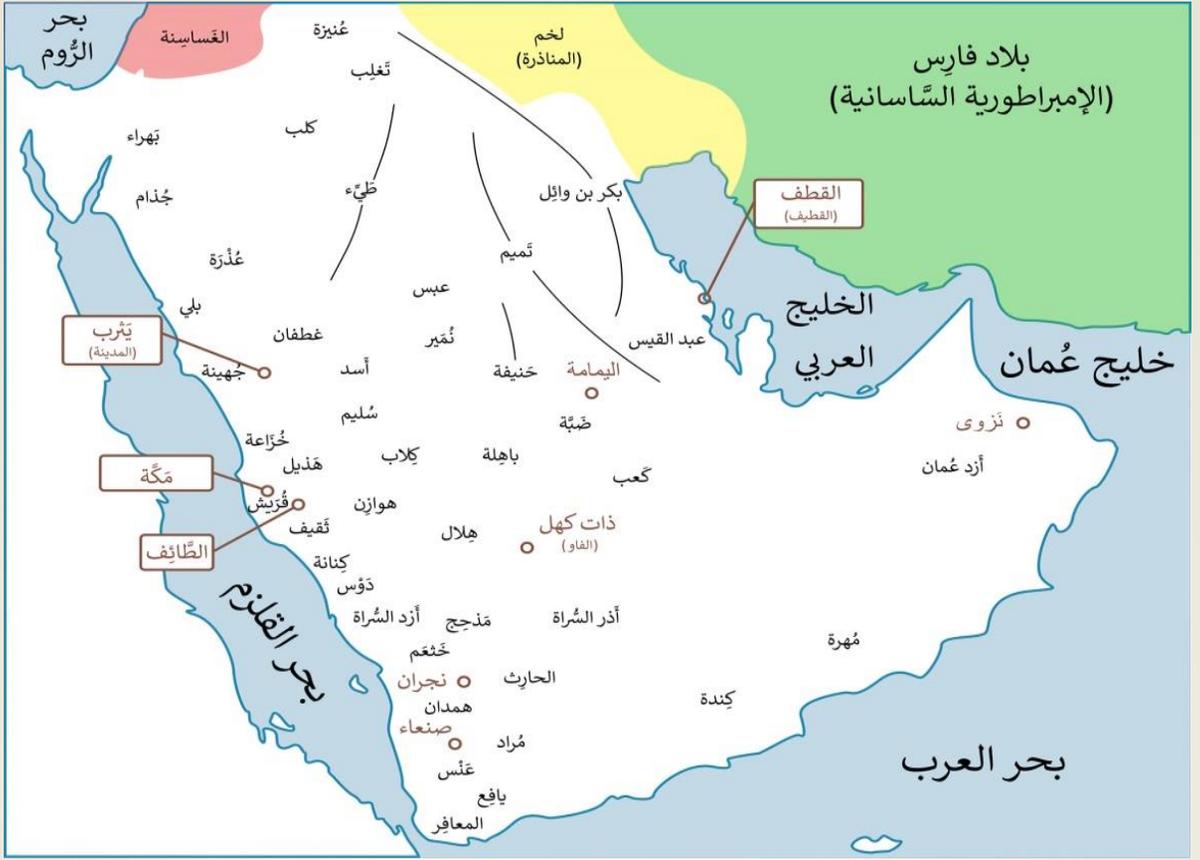
خاصم الزبير فأمر النبي صلى الله عليه وسلم باستيفاء حقه منه. وأمره عمر بن الخطاب بقتال (الهرمزان) فاستولى على سوق الأهواز ونزل بها. ثم شهد صفين مع عليّ. وبعد الحكمين صار من أشد الخوارج على علي، فقتل فيمن قتل بالنهروان. وفي سيرته اضطراب. «الأعلام للزركلي» (١٧٣ / ٢).

(٢) ابن الأثير: (١١٦ / ٣) .

(٣) بلغ علي بن أبي طالب خبر خروج السيدة عائشة مع طلحة والزبير من مكة قاصدين البصرة فخرج من المدينة بقوة سريعة ليقطع عليهم الطريق غير أنهم سبقوه فظل واقفًا عند الربرة لتجميع قواته (ابن الأثير: الكامل (٣ / ١١٤) ، وقد علق أحد الباحثين أنه فات الخليفة أن يسير بتلك القوة السريعة فتسبقت إلى البصرة وتقوي موقف الوالي عثمان بن حنيف في وجه القادمين وتحمي البصرة (أمين صالح (ص ٢٣٦) ، إنما أتاه هذا الوالي إلى معسكره (ذي قار)، وليس في وجه شعره فقال للخليفة بعثتني ذات لحية وجنتك أمرًا (ابن الأثير: الكامل: (١١٦ / ٣) .



وصار (الجدل السياسي والديني) يدور حول قضية عثمان، أو دم عثمان، أو البيعة لعلي ابن أبي طالب من جانب الأطراف المعنية جميعًا ما لم تفلح المفاوضات في التوفيق، والصلح، والتقى جيش الكوفة من (ربيعة، ومضر، واليمن)، مع جيش البصرة من (ربيعة، ومضر، واليمن) أيضًا في موضعٍ خارجِ البصرة .



وفي منتصف جمادي الآخرة عام (٣٦هـ) نزلت القبائل في مواجهة نظائرها (مضر- إلى مضر-)، و(ربيعة إلى ربيعة)، و(اليمن إلى اليمن)، يخرج بعضهم إلى بعض، ولا ينوون إلا الصلح الذي سعى إليه الخليفة جدياً غير أن (جماعة السبئية) عملت على تعكير هذا الاتجاه إلى الصلح الذي يعتبرونه شراً عليهم، وهلاكاً لهم، فهو يعطي الخليفة الفرصة للتنكيل بهم، فأخذوا يتآمرون على قطع هذا المناخ السامي الذي يعمل عليه الفريقان باتصالاتٍ، واتفاقات بينهما على أن لا ينشب القتال إلا إذا بدأه أيُّهما، فيكون عليه وزر الحق، فكان أن تسلَّتْ خلايا (السبئية) في غلس الليل من جيش الكوفة؛ لتهاجم جيش البصرة^(١)، وأفلح المتآمرون بأن هب الفريقان، ووقفوا على التعبئة الكاملة، وضاعت الثقة بينهما .

(١) الطبري: تاريخ الرسل والملوك (٤/ ٥٠٦-٥٠٧) .

ومع ذلك فقد قام الخليفة بآخر محاولة؛ لتجنب القتال بعرض المصحف، والدعوة إلى ما في كتاب الله، حمله فتى من أهل الكوفة، فكان قتله إغدارًا للخليفة، وإيدانًا بالحرب^(١)

ورغم اعتزال (الزبير بن العوام) المعركة، واغتياله خارجها^(٢)، ورغم مقتل طلحة بن عبيد الله في ساحتها، وانهزام أهل البصرة في منتصف النهار، فقد الناس بالسيدة عائشة التي جلست في هودج مصفح بالحديد يحمله الجمل عسكر، ويقوده (كعب بن سور الأزدي)^(٣)، وكلفته السيدة عائشة بدورها بمهمة حمل المصحف، والدعوة إليه غير أن (السبئية) في مقدمة جيش الكوفة قد أفضلوا هذه المحاولة بأن رموا كعب بن سور، وأردوه قتيلاً، كذلك رموا السيدة عائشة في هودجها، واستمرّ الرمي رغم ارتفاع صوت أم المؤمنين تحدّتهم، وتدعو الناس إلى لعن قتلة عثمان، وأشياعهم، كما صاح أهل البصرة بالدعاء، وجاوبهم أهل الكوفة بنفس الدعاء بأمر الخليفة، والتهب القتال من جديد حتى آخر النهار، والتف جيش البصرة حول جمل السيدة عائشة، وكأنه لواءهم يذودون عنه، واستمرّ القتل فيهم حتى صرخ الخليفة بأعلى صوته، أعقروا هذا الجمل فإنه شيطان، أعقروه، وإلا فنيت العرب، فما أن عُقرَ الجمل، وسَقَطَ، وهو يعج عجيجًا لم يسمع بمثله حتى انفضَّ مَنْ حوله من الرجال^(٤)، وخلص الهودج، وكأنه قنفذ من كثرة ما رُمي به من النبال، وبلغ عدد القتلى يوم الجمل (عشرة آلاف) مناصفة بين الفريقين مع اختلاف الروايات، والتقدير .

أما السيدة عائشة فقد دخلت البصرة في إحدى دورها، ثم أعيدت إلى المدينة^(٥)، كذلك أوقف الخليفة مطاردة المهزيمين من أهل البصرة، وصيانة جرحاهم مع تحريم أموالهم

(١) د. أمين صالح: العرب والإسلام (ص ٢٣٨)، ذكر اسم الفتى المسلم .
 (٢) تقدم علي بن أبي طالب إلى الزبير بن العوام يذكره بما قال له الرسول - صلى الله عليه وسلم - ذات يوم حين مرَّ عليهما بأنك تقاتل عليًا وأنت له ظالم، فاسترجع الزبير نفسه واعتزم الرجوع عن القتال، فغيره ابنه عبد الله بالخذلان، فما كان أن جال جولة ثم خرج من أرض المعركة فقتله أحد العرب عند (وادي السباح) عاد برأسه، وصلبه إلى قومه ينظر: أمين صالح: العرب والإسلام، (ص ٢٣٨) .
 (٣) كان كعب بن سور الأزدي قاضي البصرة لعمر بن الخطاب - وهو سيد اليمن بالبصرة - واستماله طلحة والزبير، كما استمالا معه رؤساء ربيعة ومضر ينظر: أمين صالح: العرب والإسلام (ص ٢٣٩) .
 (٤) الطبري: تاريخ الرسل والملوك (٤/ ٥٣٩ - ٥٤٥) . كعب بن سور بن بكر بن الأزدي، من أهل اليمن
 (٥) بعث الخليفة في حرائثها أربعين امرأة ألبسهن ملابس الرجال، ويحملن السيوف، فحلت السيدة عائشة تقول في الطريق (فعل الله في ابن أبي طالب، وفعل، بعث معي الرجال فلما قدم من المدينة، ووضع العمام والسيوف، ودخلن عليها، فقالت جزى الله بن أبي طالب)، أمين صالح: العرب والإسلام (ص ٢٢٩) .

كغنيمة، وأغاص أهل الكوفة عنها بما فرقه عليهم أكثر من ستمائة ألف درهم؛ كغنيمةٍ رصيد بيت المال بالبصرة وردّ رغبتهم في مثلها زيادة في أعطياتهم إن هم ظفروا من بعد بالشام^(١).

ويأسف دارسُ التاريخ لهذه (الحرب الأهلية) بين العرب المسلمين، كما يتعجب لتصرفاتٍ صدرت من جانب صحابيين جليلين: (الزبير بن العوام، وطلحة بن عبيد الله)، ولعل الدارس يسأل؟ هل كانا يريدان الخلافة؟ فتتوزع الرئاسة بين البيوت القرشية دون بني هاشم؛ كراهة أن تجتمع لهم: (النبوة، والخلافة)، كما عبّر عن ذلك عمر بن الخطاب من قبل^(٢)، هل كانا يريدان الإمارة؟ تدكر إحدى الروايات أنهما طلبا من عليّ ولايئ: (الكوفة والبصرة)، فرفض الخليفة بحجة بقائهما مستشارين له بالمدينة^(٣)، وأخيراً هل كانا يريدان القصاص لعثمان؟ مع وجود بعض الروايات تثبت أنهما كانا أكثر تحاملاً على عثمان، وكذلك الحال بالنسبة للسيدة عائشة^(٤).

والحقيقة أن هؤلاء الصحابة الكرام، لم تكن لهم أطماع دينوية، ولم تكن الدنيا أبداً غايتهم، ويكفيهم شرفاً أن النبي صلى عليه وسلم شهد لهم بالجنة، فعن عبد الرحمن بن عوف عن النبي - صلى الله عليه وسلم - «أَبُو بَكْرٍ فِي الْجَنَّةِ، وَعَمَرُ فِي الْجَنَّةِ، وَعُثْمَانُ فِي الْجَنَّةِ، وَعَلِيٌّ فِي الْجَنَّةِ، وَطَلْحَةُ فِي الْجَنَّةِ وَالزُّبَيْرُ فِي الْجَنَّةِ، وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بُنُّ

(١) الطبري: تاريخ الرسل والملك، (٤ / ٥٤١).

(٢) الطبري نفس المصدر، وابن الأثير (٣ / ٣٤).

(٣) الطبري: (٤ / ٤٢٦)، أمين صالح: العرب والإسلام، (ص ٢٤٠).

(٤) ومن جملة هذه الروايات المكذوبة، كتب سعد بن أبي وقاص إلى عمرو بن العاص يقول: "إنك سألتني من قتل عثمان؟ وإنني أخبرك أنه قتل بسيف عائشة، وصفله طلحة وسمه بن أبي طالب، وسكت الزبير، وأشار بيده "ابن قتيبة: الإمامة والسياسة (١ / ٤٨)، وهو بهذا يشير إلى نوع المعارضة التي كانت تقوم من أهل المدينة لسياسة عثمان، وبالنسبة للسيدة عائشة كانت هناك منافرة بينها، وبين عثمان؛ لأنه أنقص عطاياها، وجعلها مساوية لغيرها من أمهات المؤمنين، فأخرجت السيدة عائشة يوماً قميص رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ونادت، وعثمان يخطب في المسجد: يا معشر المسلمين" هذا جلاب رسول الله لم يبل، وقد ألبى عثمان سنته، فقال عثمان: ((رب اصرف عني كيدهن إن كيدهن عظيم)) "تاريخ يعقوبي، (٢ / ١٧٥). والحقيقة أن هذه الروايات روايات لم تصح بسبب جهالة الإسناد أو أنها جاءت من قبل رواة معروف عنهم الكذب، والصحيح الثابت أن السيدة عائشة كانت حزينة علي قتل عثمان، عن عائشة قالت حين قتل عثمان: "تركتموه كالثوب النقي من الدنس ثم قربتموه تذبوحونه كما يذبح الكبش". فقال لها مسروق: هذا عمك، أنت كتبت إلى الناس تأمرينهم بالخروج إليه، قال: فقالت عائشة: لا والذي أمن به المؤمنون وكفر به الكافرون. ما كتبت إليهم بسوءاء في بيضاء حتى جلست مجلسي هذا. قالت عائشة: غضبت لكم من السوط، ولا أغضب لعثمان من السيف؟ استعبتموه حتى إذا تركتموه كالقلب المصفي قتلتموه) خليفة بن خياط (التاريخ ١٧٥ - ١٧٦). وقد روى البخاري في "الأدب المفرد" (٨٢٨) عنها رضي الله عنها أنها قالت: "من سب ابن عفان فعليه لعنة الله".

عَوْفٍ فِي الْجَنَّةِ، وَسَعْدُ فِي الْجَنَّةِ، وَسَعِيدُ فِي الْجَنَّةِ، وَأَبُو عَبِيدَةَ بَنُ الْجَرَّاحِ فِي الْجَنَّةِ. « - رواه الترمذي وأحمد بإسناد صحيح.

ولا ننسى- قول الله تعالى فيهم ﴿وَالسَّابِقُونَ الْأُولُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ (التوبة: ١٠٠)

ثم أنهم بايعوا سيدنا علي طائعين غير مكرهين وهذا ما قاله الأشتر النخعي -أحد رؤوس الفتنة- قال أنه رأى طلحة و الزبير بايع عليا طائعين غير مكرهين وثبت أن عليا قال : ((إن طلحة و الزبير بايعا طائعين غير مكرهين) والحقيقة أن مجموعة الروايات التي ذكرت أن الصحابين طلحة و الزبير تخلفا عن بيعة علي ،و في بعضها تخلف الزبير فقط كلها روايات ضعيفة غير ثابتة.

ولقد نص علماء التاريخ علي أن خروجهم كان للمطالبة لدم عثمان ، فقد ذكر الإمام أحمد في مسنده أن الصحابين طلحة و الزبير -رضي الله عنهما-خرجوا إلى البصرة طلبا لدم عثمان-رضي الله عنه-و روى الطبري أن طلحة بن عبيد الله ،و الزبير بن العوام ، و عائشة أم المؤمنين -رضي الله عنهم- ذهبوا إلى البصرة للمطالبة بدم عثمان المقتول ظلما.و ذكر الذهبي أن طلحة و الزبير خرجا من المدينة ليطلبوا دم عثمان ،و يأخذان بثأره من قتلته.^(١)

ولقد اختار الذهبي فقال أن سبب خروج طلحة و الزبير إلى مكة و البصرة ، يعود إلى ندمهما و الرغبة في المطالبة بدم عثمان تكفيرا عما صدر منهما تجاه عثمان من ناحية التقصير في الدفاع عنه فقال الذهبي- عن طلحة : انه حصل له في حق عثمان ((تمغفل و تأليب ، فعله عن اجتهاد ، ثم تغير عندما شاهد مصرع عثمان ، فندم على ترك نصرته ، رضي الله عنه) ، ثم ذكر قولاً لطلحة قال فيه : (كان مني شيء في أمر عثمان ، مما أرى كفرته إلا سفك دمي و طلب دمه) إسناده جيد

فالذي يتبين أن خروجهما كان لله خالصا دفاعا عن حد من حدود الله قد انتهك ، وهو قتل الخليفة الثالث. رضي الله عن الجميع.

(١) المسند ، مصر ، مؤسسة قرطبة ، دت ، ج ١ ص: ١٦٥. تاريخ الطبري ، ج ٣ ص: ٣٤-٣٥.

وقد يقتضي الأمر الآن وقفة خاصة مع (جماعة السبئية) فإنهم جماعة دعت إلى إمامة علي بن أبي طالب باعتبارها حقًا خاصًا، أو وصية مستندة إلى دعوة دينية بما قالوا عن (مبدأ الوصاية)، كما نجحوا لأسبابٍ مختلفة ترجع إلى سياسة عثمان بن عفان أدت إلى اغتياله على يد جماعاتٍ منهم، ثم ساقوا الخلافة إلى علي بن أبي طالب تحقيقًا لهدفهم، غير أنهم حملوا أماتهم تركة ثقيلة، وهي: (دم عثمان)، الذي تفرّق بينهم، فتعذر القصاص من قاتليه، وهم في نفس الوقت يخافون على أنفسهم من أن يقتصّ الخليفة منهم، فأضاعوا (فُرَصَ السلام) فُبيل موقعة الجمل، ثم بدأوا يطعنون عليه سياسته في تولية الأقارب اليمن ل(عبيد الله) ^(١)، والحجاز ل(قثم) ^(٢)، والبصرة ل(عبد الله) ^(٣)، والثلاثة أولاد العباس بن عبد المطلب، فالولاة الجُدد من أقارب الخليفة الحالي، كما كان الولاة السابقون من أقارب الخليفة السابق، حتى علّق أحدهم - وهو الأشتر - قال:

علام قتلنا الشيخ؟ ^(٤). (يقصد عثمان)

ثم: لماذا هو يُجل دماء قوم الجمل، ويُحرّم أموالهم كغنيمية؟ وتلك أخرى تعلّوا بها على الخليفة .

كذلك: ما مدى حرية الخليفة في التصرف في أموال المسلمين؟ فقد كان عثمان يعطي منها كثيرًا لأقاربه، ويعطي الآن على أنصاره مما وجده في بيت مال البصرة .

هذه هي الأسباب التي طعن بها (السبئية) من جديد في الخلافة التي أقاموها كما يروى الطبري، وابن الأثير "مَنْ وَرَاءَ وَرَاءَ" يقول الطبري: (ولما فرغ علي من بيعة أهل البصرة نظر في بيت المال فإذا فيه ستمائة ألف وزيادة، فقسمها على من شهد معه الوقعه، فأصاب كل رجل منهم خمسمائة خمسمائة، وَقَالَ: لَكُمْ إِنْ أَظْفَرَكُمْ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِالشَّامِ مثلها إلى أعطياتكم] وخاض في ذلك السبئية، وطعنوا على علي من وراء وراء)

(١) عبيد الله بن العباس بن عبد المطلب القرشي الهاشمي، هو ابن عم النبي، وابن العباس بن عبد المطلب، يُكنى أبا محمّد، أمه أم الفضل لبابة الكبرى، من أصحاب علي والحسن والحسين، وكان رجلاً تاجرًا.
(٢) قثم بن العباس بن عبد المطلب، ابن عم النبي ﷺ، كان أشبه الناس برسول الله، تولى نيابة مكة في أيام علي، وشهد فتح سمرقند فاستشهد ودفن بها، وما زال ضريحه قائما فيها. يقال أنه أحدث الناس عهدا بالرسول.
(٣) أبو العباس عبد الله بن عباس بن عبد المطلب الهاشمي، (٣ ق هـ - ٦٨ هـ هو صحابي محدث وفتيه وحافظ ومُفسّر، وابن عم النبي، وأحد المكثرين لرواية الحديث، حيث روى ١٦٦٠ حديثًا عن النبي.
(٤) الطبري: (٤٩٢ / ٤) .

بل إنهم انفصلوا عنه، وارتحلوا بغير إذنه من البصرة إلى الكوفة، كما اضطر الخليفة إلى اللحاق بهم؛ كي لا يعطيهم فرصة التصرف، والتدبير^(١)، ولم نسمع عن (السبئية) منذئذٍ بنشاطٍ سياسيٍّ ربما؛ لتواجد الخليفة، واتخاذها (الكوفة) عاصمةً للخلافة دون الحجاز، وهذا أولاً: يرضي العرب، وبخاصة اليمينية من أهل العراق الذين نَقَمُوا من قبلُ على قريشٍ استئنأها بالزعامة، والأموال كما ثانيًا: يخفف من أسباب التذمر ضد النظام في الخلافة، فتلك إذن (جمهورية تقدمية) كانت من أولى المشكلات السياسية التي واجهت نظام الخلافة على عهد الراشدين، ثم انتهت إلى ظهور (جماعة الخوارج)، بين عرب العراق في صَفَيْن، تزعمتها قبائل من ربيعة، أعطت على الفور أولى تنظيماتها تلك المسحة الجمهورية، وكان لها تأثيرٌ ضخم في التاريخ الإسلامي في العصر الأموي، والعباسي أيضًا^(٢).

٢. القلاقل في البصرة بعد صفين:

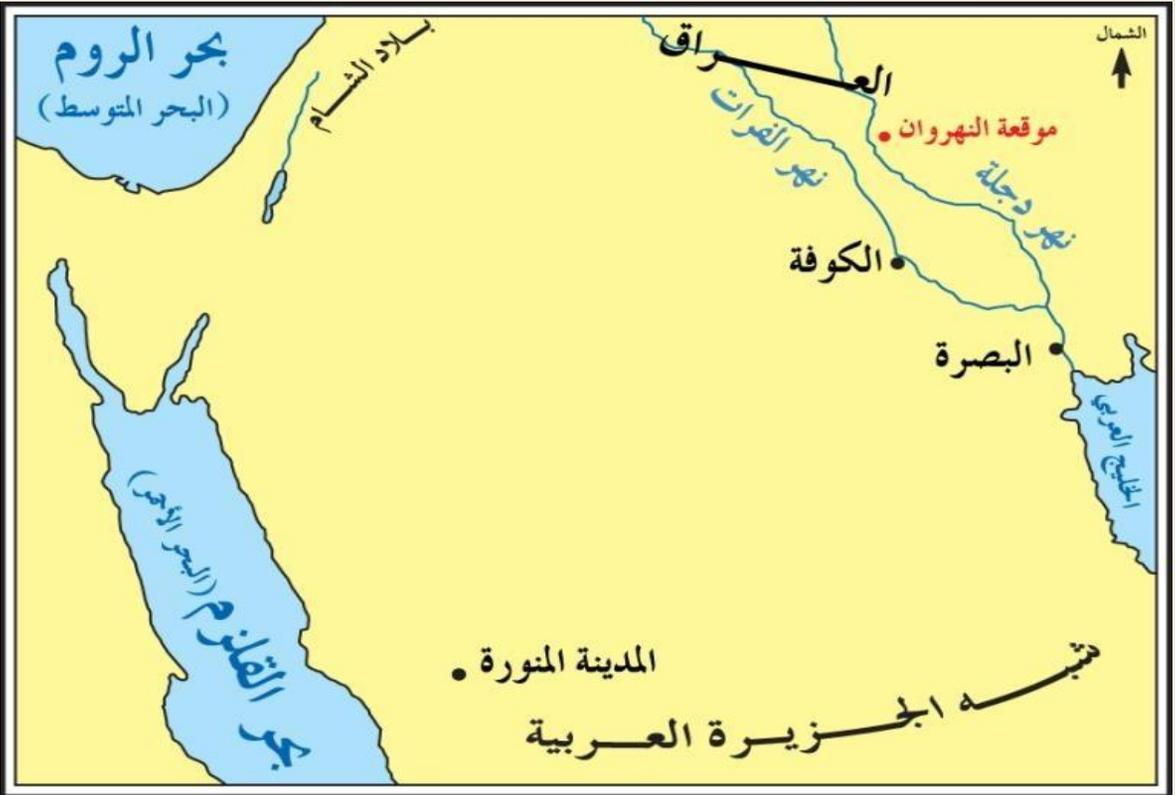
ولا شك أن الإمام عليّ قد استطاع أن يعيد البصرة تحت سلطان الخلافة، وتوحيد العراق تحت لوائه، وكان ذلك أمرًا ضروريًا لما يلوح في الأفق من توقعات الصدام الحربي مع الشام، في معركة ثانية في (سلسلة الحرب الأهلية) التي عصفت بالعرب المسلمين.

ففي (صفين) تقابل عرب العراق تحت لواء أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، وعرب الشام الذين يناصرون معاوية بن أبي سفيان، وكاد النصر يتحقق للخليفة لولا فكرة عمرو بن العاص برفع المصاحف على أسنة الرماح طالبًا (تحكيم القرآن)؛ لتجنب الهزيمة الحربية، وأدت تلك المسألة إلى نتائج بعيدة أكثر مما هدف إليه (عمرو بن العاص) نفسه، ثم كان أمر التحكيم منذ بدايته شرًا على الخلافة، كما سنبين فيما يأتي.

فقد ظهرت كفة معاوية بن أبي سفيان راجحةً بالسلام عليه بإمارة المؤمنين بعد التحكيم، واجتماع أهل الشام جميعًا على حكمه سواء مع افتراق أهل العراق شيعًا، وكذا بالمبادأة في الحركة لانتقاص سلطان الخليفة، وإضعافه على الدولة مع نكوص أهل العراق عن نصرة الخلافة.

(١) الطبري: (٤ / ٥٤١)، ابن الأثير: (٣ / ١٣٢).

(٢) الطبري: تاريخ الرسل والملوك: (٤ / ٥٤٣ - ٥٤٤)، ابن الأثير: الكامل: (٣ / ١٣٣).



ففي مصر كان (محمد بن أبي بكر)^(١) يواجه تحركات (شيعة عثمان) بها، واضطرّ الخليفة إزاء تدهور الأحوال إلى استبداله بالأشتر النخعي، وخشي معاوية من وجود قويّ في مصر؛ حيث نشط ليمنع وصول الأشتر إليها، فكان أن دبّر من يترصد في الطريق، وعند (القلزم) توفّي الأشتر من شربة عسلٍ مسموم، وعلّق عمرو بن العاص على مصرع الأشتر بقوله: "إن لله جنودًا من عسل"^(٢).

وظل (محمد بن أبي بكر) في مصر، وما لبث أن جاءه عمرو بن العاص بجيش كبير لفتح مصر- للمرة الثانية، وكان الاستيلاء على مصر- عام (٣٨ هـ) نصرًا كبيرًا لمعاوية، ونتيجة حتمية لتعاسف جند الخليفة عن تقديم المساعدة السريعة إلى والي مصر، فكانت

(١) محمد بن أبي بكر التيمي القرشي (١٠ هـ - ٣٨ هـ) هو ابن خليفة المسلمين أبو بكر الصديق وأمه أسماء بنت عميس وأخته أم المؤمنين السيدة عائشة بنت أبي بكر، وولاه علي بن أبي طالب على مصر.
(٢) الطبري: تاريخ الرسل والملوك (٤/ ٥٥٣)، وينظر: المسعودي: مروج الذهب (٢/ ٤٢٠ - ٤٢١). ومالك بن الحارث النخعي المشهور بالأشتر (٣٧ هـ). كوفي من مقاتلي العرب الأشداء

هزيمته، ثم القبضُ عليه، وقيامُ زعيمِ شيعةِ عثمان بمصر- (معاوية بن حديج السكوني) ^(١) بإحراقه في جوف حمارٍ، وهكذا خرجتُ مصرٌ من سلطانِ الخلافةِ، وتولاها (عمرو بن العاص) من قبل معاوية حسبِ اتفاقهما .

كذلك لم يسلمَ علي بن أبي طالب من أحداثِ معاوية انقلاب ضد الخليفة في البصرة ^(٢)، المصر- الثاني في العراق، فإنه بعد الاستيلاء على مصر- أُرْسِلَ معاويةُ بن أبي سفيان إلى البصرة (عبد الله بن الحضرمي) ^(٣)، وصوّر معاوية في تعليماته إلى ابن الحضرمي ما عليه ضمائِر الناسِ من أهلها بأن جَلَّ أهلها عثمانية، وعليه أن يستغلَّ الحنقَ في نفوسهم إزاء هزيمتهم، ومن قَتَلَ منهم في الطلب بدمِ عثمان يوم الجمل، كي يتزعمَهُم في حركة انقلابٍ بنعرةِ الجاهلية، وهي الأخذ بالثأر .

ومرّت البصرةُ بفترةٍ من الفوضى الداخلية بانقسام أهلها حيث العرب من: عبد القيس، وبني تميم، وبكر بن وائل من ربيعة، والأزد من اليمنية إلى فريقين متنافرين، ولم يأت في صورةٍ تكتل ربيعة كلها في جانبٍ، والأزد في جانبٍ آخر، إنما كان بينَ الفريقين بعض الزعامات الفردية تميل إلى هذا الجانب، أو ذاك في النزاعِ حول السيادة بين سلطان علي، أو سلطان معاوية .

نزل (عبد الله الحضرمي) حسب التعليمات في بني تميم، فأتاه العثمانية منهم مسلمين ، كما جاء غيرهم يستمعون إلى دعوته للثورة في طلب الثأر لعثمان، ولهم، وسرعانَ ما ظهرَ الخلافُ والجدلُ، إذ أعلن (الضحاك بن قيس الهلالي) ^(٤)، وكان على شرطة البصرة رفضَ تلك الدعوة، والعودة إلى سفكِ الدماء بعد أن آمنَ الناسُ، ورضوا خلافةَ علي بن أبي

(١) معاوية بن حديج التحيبي الكندي ويكنى بأبي نعيم قائد عسكري حليف لبني أمية. صحابي على قول الأكثرين شهد فتح مصر، وهو الذي وفد إلى عمر بفتح الإسكندرية.

(٢) د. أمين صالح: العرب والإسلام، (ص ٢٥٩) .

(٣) عبد الله بن عمرو بن الحضرمي حليف بني أمية قال الواقدي: ولد على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وروى عن عمر بن الخطاب

(٤) من صغار الصحابة وله أحاديث، كان أميراً، جواداً، شجاعاً شهد فتح دمشق في خلافة عمر بن الخطاب وسكنها وكانت له دار فيها. ثم حضر مع معاوية بن أبي سفيان معركة صفين وكان أميراً على أهل دمشق، ثم ولاء معاوية أميراً على الكوفة سنة ٥٣ هـ لمدة ثم عزله وولاه على دمشق،

طالب، بينما عارضه (عبد الله بن خازم السلمي)^(١)، واستهان به فعرض نصرته لابن الحضرمي الذي قرأ عليهم كتاب معاوية يبث السموم فيهم، فهو: " يذكّرهم بأثار عثمان فيهم، وحبّه للعافية، وسد ثغورهم، ويذكر قتلّه، ويدعوهم إلى الطلبِ بدمه " كما يقدم لهم معاوية العهد، والضمان أن يعمل فيهم بالسنة، كما أغراهم بالأموالِ بصرفِ قيمة عطائين في العام الواحد .

وحدث الانقسام بين قبائل العرب منهم من رأى الاعتزال مثل: (الأحنف بن قيس)، وكان سيد تميم في البصرة، بأن قال: " لا ناقة في هذا ولا جمل "، وانقسم رأي عبد القيس بين عمرو بن مرحوم الذي يفضل الثبات على طاعة أمير المؤمنين على بن أبي طالب، وبين عباس بن صحر العبدى الذي خالف قومه عبد القيس في الولاء لعليّ، وسرعان ما أدرك (ابن الحضرمي) دقة موقفه بالنسبة إلى قلة أنصاره، فطلب الجوار من تميم، فقبلوا جواره .

وعلى الجانب الآخر في البصرة كان هناك (زياد بن أبيه) نائباً عن واليها عبد الله بن العباس الذي كان عند الخليفة بالكوفة؛ ليقوم بأول دورٍ سياسيّ يلفت إليه الأنظار كشخصية عربية قوية صار لها وزنٌ كبير في تلك الفترة التي شهدت انتقال الخلافة الإسلامية من الراشدين إلى بني أمية .

فقد أدرك (زياد بن أبيه) خطورة أهداف ابن الحضرمي في البصرة، فحاول أن يستميل جانب بكر بن وائل من ربيعة، فوجد الانقسام أيضًا بين شيوخهم مثل: انقسام عبد القيس بين الولاء لعليّ، أو الميل إلى معاوية، فكان أن التجأ زياد إلى الأزدي من العرب اليمنية في البصرة، فأرسل إلى شيخهم (صبرة بن شيمان الحداني الأزدي)^(٢) يطلب أن يجيزه، وبيت مال المسلمين، وقبل زياد طلب زعيم الأزدي في نقل المال إلى داره شرطًا لتلك الإجارة، كما نقل المنبر أيضًا من جامع البصرة، فكان يصلي الجمعة بمسجد الحدان .

(١) عبد الله بن خازم بن أسماء بن الصلت بن حبيب بن حارثة بن هلال بن سماك بن عوف بن قتيبة بن امرئ القيس بن نهية بن سليم، أبو صالح القتيبي البصري السلمي، أمير خراسان، شجاع مشهور، وبطل مذكور كبش مضر، وفارسها في عصره.

(٢) صبرة بن شيمان الأزدي ثم الزهراني ثم الحداني (٢٠ ق هـ - ٤١ هـ / صحابي من الأشراف، رأس الأزدي في أيامه. شهد الفتوحات العربية لتحرير العراق، وكان رأس شنوءة في الفتوح زمن عمر بن الخطاب، نزل هو وقومه البصرة، وكان لهم جامع، وهو الجامع الذي نزلته السيدة عائشة يوم الجمل.

ونلاحظ هنا أن استجابة اليمنية إلى إجارة زياد ابن أبيه ممثل سلطان الخلافة في البصرة جاءت من دوافع العصبية بين مضر- والأزد اليمنية، فكان زعيمهم (صبرة بن شيمان) مفخماً عزّ عليه أن يلجأ ابن الحضرميّ أول ما يلجأ إلى قبائل تميم دون الأزد، ولذلك رفض إجارة ابن الحضرمي عندما توجه إليه يقول: "أنت ناب من أنياب العرب، فانصُرني " وردّ عليه صبرة بقوله: "لو نزلت بداري لنصرتك"، ومن ثمّ قبل نجدة زياد بن أبيه بشروطه السابقة وتيقّن زياد من ثبات الأزد جميعاً بجانبه في تلك الأزمة، وبذلك كتب إلى الخليفة يصوّر الموقف لمباشرة التصرف .

اهتم الخليفة بأمر البصرة، فأرسل قوة بقيادة (أعين بن ضبيعة المجاشعي)^(١) أحد رجال بني تميم كي يفرّق القوم عن ابن الحضرمي، ويقاوم من عصاه بمن أطاعه، وجاء أعين، ونزل في قومه، وجمع منهم رجالاً نهض به إلى ابن الحضرمي، ومن معه، ثم دعاهم فشتموه، وواقعهم نهاره، ثم انصرف عنهم كي يتم اغتياله ليلاً على يد قوم، قيل: أنهم من الخوارج، أو دسيسة من ابن الحضرمي، وأراد زياد بن أبيه قبول التحدي، والنزال بعد اغتيال (أعين المجاشعي) معتمداً على الأزد غير أن تميمًا راسلت الأزد تقول: لم نعرض لجاركم، فما تريدون إلى جارنا؟ وكرهت الأزد قتالهم، وقالوا: إن عرض إلى جارنا منعناه، فكتب زياد مرة ثانية إلى الخليفة يصوّر الموقف .

وكان أن أرسل الخليفة قوة أخرى بقيادة أحد بني سعد من تميم أيضاً هو (جارية ابن قدامة السعدي)، ومعه كتاب الخليفة إلى أهل البصرة بالتوبيخ، والتهديد بالسير إليهم، وإنزال هزيمة بهم تكون أمر وأقسى مما حلّ بهم "يوم الجمل"، وتصرف جارية هذه المرة بإشارة زياد النائب في البصرة باستنفار الأزد فأجابه (صبرة بن شيمان) بالسمع والطاعة لأمير المؤمنين، كذلك استمال قدامة عدداً من قومه ممن ثبتوا على الولاء للخليفة، فصار في قوة كبيرة، وتصدى على الفور لقتال ابن الحضرمي الذي تخلى عنه بعض من انضم إليه، فانهمز، وتحصن في قصر سنبل مع سبعين رجلاً معه، فحاصره جارية بن قدامة، وأحاط القصر بالحطب، وأحرقه بمن فيه .

(١) أعين بن ضبيعة بن ناجية بن عقال بن محمد بن سفيان بن مجاشع بن دارم التميمي الحنظلي الدارمي، ابن أخ صعصعة بن ناجية جد الفرزدق الشاعر الأموي، وهو والد النوار زوجة الفرزدق، وكان قد شهد موقعة الجمل مع علي بن أبي طالب، وهو الذي عقر الجمل الذي كانت عائشة بنت أبي بكر عليه فيقال أنها دعت عليه بأن يقتل غيلة، فكان كذلك

هكذا فشلت تلك المحاولة في البصرة، والتي كشفت عن تباين موقف رجال العرب حتى بين أبناء القبيلة، أو العشيرة الواحدة من قضية، أو مشكلة واحدة هكذا، منهم من كان عثمانياً، ومنهم من كان من الخوارج، ومنهم أيضاً من لازم طاعة الخلافة، وجميع تلك الاتجاهات في إطار الدين تماماً مثل: انقسامهم في مسألة الصدقات أثناء حركة الردة عن الدين والدولة سابقاً .

الفصل الثاني:

ظهور الخوارج وثوراتهم الأولى - و انقسامهم.

مفهوم الخوارج^(١):

من الاعتقادات التي كان لها أثرها البالغ في الحياة العقلية، والتاريخية للمسلمين (فكرة الخروج) التي أصبحت مذهبًا من مذاهبهم في المجال الديني، والسياسي، والأخلاقي، والاجتماعي، واكتسبت صبغة أيديولوجية فعّالة اعتقدتها طائفة من المسلمين لامعة في مجال الثبات على المبدأ بعمقٍ ووفاءٍ، والحرص على طبع الواقع الاجتماعي الإسلامي بطابع أخلاقي يكاد يكون مطلقًا، كما اندفعت هذه الطائفة بما أوتيت من قوة نفسية ومادية، ومن إخلاصٍ عديم النظير في تحويل اعتقادها إلى فعلٍ حيٍّ محسوسٍ، وتصوير نظرها إلى واقع علميٍّ مشهودٍ، وتوجيه التاريخ وجهةً مع ما ذهبَتْ إليه من اعتقاداتٍ، وما تتمسك به أشدَّ التمسك من آراءٍ وكابدت في سبيل ذلك ما كابدت وعانت من أجل تحقيق أهدافها وأنظارها ما عانت، وليس من بين الفرق الإسلامية قاطبة فرقة لقيت من العنتِ المُضني ما لقيته فرقة الخوارج، ولا بدلت من المُهج، والدماء في ميادين الحرب، والنضال ما بذلته فرقة الخوارج، وقد امتزجت بأوصال تاريخ صدر الإسلام، وبوقائع الدموية، وقد كانوا أكثر شوقًا للسيف، وحبًا في الشهادة^(٢).

(١) من الناحية اللغوية يقال خرج فلان من مكانٍ ما، ووجد لأمر ما مخرجًا، أي: مخلصًا، ويطلق الخروج على يوم العيد، وعلى يوم القيامة قال تعالى: ﴿يَوْمَ يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ ذَلِكَ يَوْمُ الْخُرُوجِ﴾ [سورة ق: الآية ٤٢]، كما يطلق على ظهور ملامح النجاسة على شخص، فيقال: خرجت خوارج فلان إذ بدت نجابته وبرز ذكاؤه، ويطلق الخارجي على: من خرج وسعى واكتسب شرفًا ما كان له من قبل، وتسمى الخيل ذوات العرق الأصيل، والعنقاة الخالصة والجودة، وقد أشار صاحب (تهذيب اللغة) أبو منصور بن أحمد الأزهري إلى أن الخوارج أصحاب مقالة مفردة من أهل الأهواء، وقد قال الزبيدي سماوا بالخوارج لخروجهم على الناس أو الدين أو عن الإمام علي كرم الله وجهه في صفين ويطلق الخروج على ما يقابل القعود وقد قال أبو موسى الأشعري القعود سبيل الآخرة والخروج سبيل الدنيا. والخروج معنى قرآني إسلامي فإنه يطلق على الجهاد في سبيل الله قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكُهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ﴾ [سورة النساء آية ١٠٠].

(٢) يرى (الإمام مالك) عدم تكفير الخوارج، بل يعتبرهم أصحاب بدعة، وكذلك أيضًا بعض تلاميذه، مثل: إبراهيم بن القاسم، وسحنون فإنه لا يكفرون الخوارج أما (الإمام الشافعي) فإنه لم يفرق بين مذهب الخوارج، وبين غيره من مذاهب الفرق الأخرى في عدم التكفير بها، وأما (الإمام أحمد بن حنبل) فإنه يرى تكفير الخوارج، وأهل الأهواء القائلين بخلق القرآن. وقرّر موفق الدين بن قدامة الحنبلي أن الخوارج لا يقاتلون ما لم يخرجوا، أو يسفوا دمًا ويرى (أبو المظفر) تكفير الخوارج بسبب أنهم كفّروا الصحابة. كما يرى (الشهرستاني) أن كل من خرج على الإمام الحق الذي اتفقت الجماعة عليه يسمى: (خارجًا) سواء أكان الخروج في أيام

وقد اهتمَّ الكثيرُ من المؤرِّخين بتدوين تاريخ الخوارج ، بسبب مغالاة الخوارج في آرائهم ، وكثرة الدماء التي أهدرت في ثوراتهم سواء منهم ، أو من خصومهم ، ولأثرهم الذي لا يُنكر في الفكر الإسلامي سياسيًا، ودينيًا .

نشأة الخوارج:

أما اهتمامنا بالخوارج - في رسالتنا هذه - فإنه يأتي انطلاقًا من كون زعماء الخوارج من منطقة بحثنا - وهو شرق الجزيرة والخليج - حيث زوّدت هذه المنطقة بحركة الخوارج بالزعماء المؤسسين، فإذا كان البعض من عرب الجزيرة، أو من العناصر الأخرى غير العربية قد انضمت إلى الخوارج ، فإننا نعتبرهم مُغذّين لصفوفهم، وليسوا مؤسسين لفرقهم، أو مبادئهم، كما أثبتت الأحداث .

وقد نرجع إلى الخلف قليلاً ؛ لنبيّن أن هذا الخروج لم يأت هذا فجائيًا، أو أنه قام من فراغ، فبعد أن تبنت العناصر اليمينية دعوة السبئية تبعًا لما تقول بمبدأ الوصاية، فأزالت خلافة عثمان، وساقته الخلافة إلى علي بن أبي طالب بات العرب يطعنون عليه سياسته في تولية بني عمّه من أولاد العباس ابن عبد المطلب حكم الولايات مثل: (عبيد الله بن العباس) على البصرة، و(قثم بن العباس) ابن العباس على الحجاز، وأيضًا عبيد الله بن العباس على البصرة، فالولاة الجدد من أقارب الخليفة الحالي، كما كان الولاة السابقون من أقارب الخليفة السابق، فكانوا يقولون: "علام قتلنا الشيخ"؟ يقصدون عثمان، ثم لماذا هو يحل دماء قوم أهل البصرة في موقعة الجمل، ويُحرّم عليهم أموالهم كغنيمه؟ وكان قد منعهم منها ، وعوّضهم بما وجد في بيت مال البصرة، وهنا تبرز مشكلة مهمة، ألا وهي: ما مدى حرية الخليفة في التصرف في أموال المسلمين؟ كان عثمان يعطي منها كثيرًا لأقاربه، ويعطي الآن على أنصاره مما وجدّه في بيت مال البصرة^(١) .

فلا شك أن تلك القبائل من تميم، وبكر في منطقة الخليج كانت تسمح هذه المطاعن الجديدة في سياسة علي بن أبي طالب، أو تشارك فيها، ولا تستبعد - أيضًا - أنها كانت متدمرة من سيطرة العناصر اليمينية، والتي يمثلها: (الأشعث بن قيس الكندي، والأشتر بن

الصحابية على الأئمة الراشدين ، أو كان بعدهم على التابعين بإحسان، فالخروج عنده ينصرف إلى المعنى السياسي ، وهو الخروج على الإمام الشرعي الذي انتخب ، واتفق عليه ، وبذلك يكون خروجًا على اتفاق الجماعة أيضًا .

(١) الطبري: تاريخ الرسل والملوك (٤/ ٥٤١)، ابن الأثير: الكامل: (٣/ ١٣٢) .

مالك النخعي) على تطورات الموقف في صقّين، فقد لعب العنصرُ-اليميني بزعامة (الأشعث بن قيس الكندي) دورًا بارزًا في الأحداث التي وقعت في عهد علي، إذ استجاب لدعوة رُفّع المصاحف على أسنة الرماح، كما أجبر الخليفة على وقف القتال، والتفاوض مع معاوية والذي انتهى بقبول التحكيم، ثم حمل الأشعث الكندي الصحيفة يقرأها على الناس فَرِحًا مسرورًا فاحت بمجلس لبني تميم الذين اعتبروه المسؤول عن وقف القتال مع عدوّهم حتى يفيئوا إلى أمرِ الله، وقال قائلهم - وهو عروة بن أديّة التميمي:- "أتحكمون في دين الله، ونهيه الرجال لا حامي إلا لله"، ووصلت حدة المناقشات إلى الهجوم على الأشعث، فتفادى الأشعث الضربة التي أصابت فرسه، وكادت العصبية القبليّة تقع بين النزارية واليمينية لولا ما كان عليه القوم جميعًا من تحالف، واتفاق في موقفهم الجديد^(١)

المحصلة أنه: توصل العناصر اليمينية إلى مبدأ التحكيم مع الطرف المعادي، كما أن موافقة الخليفة على التحكيم أعطى فرصة لتلك القبائل من تميم وبكر أن تعبّر عن رغبتها المكبوتة في نبذ الولاة لحكومة قريش، والخلافة جميعًا .

ففي أثناء عودة الجيش ظهر بين رجاله العداوة والتباغض، وقد فشئ- فيهم التحكيم يقطعون الطريق بالشتائم، والتضارب بالسياط، وكان أنّ نحوًا من اثنا عشر- ألفًا من أهل البصرة والكوفة ممن ينكر التحكيم، ورفضوا دخول الكوفة، ونزلوا حروراء، ونظموا تجمّعهم في شكل انفصال عن الخلافة الإسلامية، فأقاموا منهم شعب بني ربيعي التميمي أميرًا للحرب، وعبد الله بن الكوال يشكري أميرًا للصلاة، والأمر شورى بينهم بعد الفتح، والبيعة لله -عز وجل- ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر^(٢)، وعرف هؤلاء وقت ذلك ب(الحرورية) .

تلك هي: (نشأة الخوارج)، ورؤسائهم، أو زعمائهم الأولون من بني تميم من مضر، وبكر بن وائل من ربيعة اتخذوا من مسألة قبول الخليفة التحكيم رغم أنّهم قبلوه من قبل، وألحوا فيه، باب للجدل الديني من جماعة القرءاء بينهم، ومبررًا للانفصال عن كيان دولة الخلافة الإسلامية .

(١) المسعودي: مروج الذهب (٢/ ٤٠٣ - ٤٠٤) .

(٢) المسعودي: نفس المصدر، (٢/ ٤٠٥) .



وتلك هي طبيعة العرب، وقد ظَهَرَ من تحليلٍ سابقٍ للبداوة الجافة لبني تميم ظهرت في نداء وفدهم للنبيّ من وراء الحجرات، واتهام أحدهم للنبيّ عند تقسيم غنائم هوازن بعدم العدل، وتظهر الآن كما أشرنا نبوءة الرسول عن بني تميم حين أجاب على عمر بن الخطاب الذي استأذَنَ في قتل ذلك الرجل بقوله: «دعوه، ستكون له شيعة يتعمقون في الدين حتى يخرجوا منه كما يخرج السهم من الرمية»^(١).

وتحوي كتب الأدب والتاريخ نصوصاً كاملة للمناظرات، والآراء الدينية أولها كلمة عروة بن أودية التميمي^(٢): لا حكم إلا لله، ثم ذلك الجدل الطائش أثناء عودة جيش العراق من صفين، أو هذا الجدل الديني في قبول التحكيم أو رفضه مع الخليفة حين أتاهم في حروراء، واستطاع بحجّته، وبلاغته اقتناع الحرورية بالعودة في انتظار ما يسفر عنه

(١) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ت تدمري، (٢ / ١٤١).

(٢) عروة بن حدير بن عامر التميمي. أبو بلال. ويُعرف أيضاً باسم عروة بن أديّة (وأديّة هي جدته)، ويُنسب إليها أحياناً مع أخيه مرداس بن حدير. كان من أهل النهروان ضد علي بن أبي طالب، وقيل أنه أول من قال: «لا حكم إلا لله». وهو من أوائل من سلّ سيفه رفضاً للتحكيم بين علي ومعاوية بن أبي سفيان.

التحكيم^(١)، كما استمر جدلهم يتردد في مسجد الكوفة بهتاف: "لا حكم إلا لله"، فكان علي يقول: "الله أكبر كلمة حق أريد بها باطل".

ثم جاءت نتيجة التحكيم سلبية، فكان أن كاتب أهل الكوفة زملاءهم من أهل البصرة بعزمهم على الخروج، فاجتمع أربعة آلاف منهم عند النهروان، وتولى قيادتهم (عبد الله بن وهب الراسي)^(٢) على الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر.

وعند النهروان أقدم الخوارج على قتل (عبد الله بن خباب) أحد صحابة رسول الله ﷺ، وامرأة له حامل^(٣)، ولقد أدى هذا العمل إلى احتجاج أهل العراق، وكانوا على تعبئة بعد إمكانهم خروجهم لقتال أهل الشام تاركين هؤلاء وراء ظهورهم يعيشون فساداً في أهلهم، وهكذا حوّل الخليفة جيشه من قتال عدو منشق عن سلطان الخلافة إلى جماعة كانوا أصلاً من جنده، وكانت المعركة الثالثة في الحروب الأهلية على عهد أمير المؤمنين علي بن أبي طالب بين طوائف العرب المسلمين ب(نهر النهروان)^(٤).

وإذا كانت معركة النهروان قد قضت على جموع الخوارج، فإن أفكارهم لا زالت موجودة لدى العرب، فمن ربيعة الذين فشا فيهم قول الخوارج في التحكيم، فقاموا بثورات متعددة مثل: ثورة (أشرس بن عوف الشيباني)^(٥) في نواحي الدسكرة، ثم الأنبار في ربيع الثاني عام (٣٨هـ)، وثورة (هلال بن علفة، وأخوه مجاهد بن تميم الرباب) في نواحي ماسبذان في جمادي الأولى، ثم ثورة (الأشهب بن بشر)^(٦) في نواحي جرجرايا من أرض جوخي في جمادي الثانية، ثم ثورة (سعيد بن قفل) من تميم، ثم ثورة ابن ثعلبة من بكر بن وائل في نواحي المدائن في رجب من نفس العام.

(١) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، (٣/ ١٦٦).

(٢) عبد الله بن وهب الراسي. من بني راسب بن ميدعان. من قبيلة الأزدي اليمنية. كان قائد الحرورية في معركة النهروان. أدرك النبي، وشارك في فتوح العراق، واشترك مع علي بن أبي طالب في بعض حروبه أيام الفتنة، لكنه انقلب عليه بعد واقعة التحكيم بينه وبين سيدنا معاوية بن أبي سفيان.

(٣) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، (٣/ ١٧٢).

(٤) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، (٣/ ١٧٢ - ١٧٥).

(٥) أشرس بن عوف الشيباني: من وجوه بني شيبان وشجعانهم في صدر الإسلام. خرج في منتين من أصحابه على علي بن أبي طالب بالدسكرة (من غربي بغداد) بعد وقعة النهروان، ثم سار إلى الأنبار فقتل فيها.

(٦) الأشهب بن بشر الجلي: أحد الشجعان الرؤساء في صدر الإسلام. خرج على أمير المؤمنين علي بن أبي طالب بعد واقعة النهروان في ١٨٠ رجلاً، فقاتله أصحاب علي جرجرايا (بين واسط وبغداد) فقتل الأشهب وأصحابه. نسبته إلى بجيلة من أحياء اليمن، من كهلان. -الاعلام للزركلي-

الخروج إليهم، وأعمل فيهم القتل، ولم يسلم منهم سوى خمسين رجلاً، فأَمَّتْهُمْ، وأدخل جرحاهم الكوفة، فعملوا^(١).

وكانت أشدّ ثورات الخوارج قوةً هي: (ثورة الخريت بن أرشد)^(٢)، في بني ناجية في عام (٣٢٨هـ)، وكان مع الخريت (٣٠٠) رجل من بني ناجية مقيمين مع عليّ في الكوفة، وشهدوا معه (صفين، والنهروان)، فجاء إلى عليّ في ثلاثين راكبًا من أصحابه يسير بهم، فقام بين يدي عليّ فقال له: "والله يا عليّ لا أطيع أمرَكَ، ولا أصلي خلفك، وإني غداً لمفارقُكَ"، وذلك بعد تحكيم الحكّمين، فقال له عليّ: "ثكلتك أمك إذا تعصّي- ربّك، وتثكت بعهدك، ولا تضر- إلا نفسك، خبرني لم تفعل؟"، قال: "لأنك حَكَمْتَ في الكتاب، وضعفت عن الحق إذا جدّ الجدّ، فخرج من عنده منصرفاً إلى أهله"^(٣).

خرج (الخریت بن راشد) من الكوفة متوجّهاً إلى البصرة، ثم إلى الأهواز حيث التفّ حوله بعض العرب من يري رأيه في التحكيم، وكثير من الفرس الذين أرادوا كسر- الخراج، بالإضافة إلى بعض اللصوص، وتمكّنوا من إخراج (سبيل بن حنيف) عامل الخليفة على فارس، ومنعوا الأموال^(٤).

فكان لا بد من توجيه قوة كبيرة العدد ضد الخريت بن راشد في بني ناجية، ومن تبعهم من العرب والعلوك، فسير الخليفة (معقل بن قيس الرياحي)، في أربعة آلاف من أهل البصرة، وأهل الكوفة، فأتى الأهواز، ولقي جمع الخريت قرب جبل رامهرمز، فأوقع بهم الهزيمة، واضطر الخريت إلى الفرار إلى سيف عمان^(٥).

(١) ابن الأثير: الكامل في التاريخ (٣/ ١٨٧ - ١٨٨).

(٢) يذكره المسعودي باسم الحارث بن راشد مروج الذهب: (٢/ ٤١٨)، وقد كان الخريت قد لقي رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في وفد بني سامية بن لؤي واستعمله عبد الله بن عامر والي البصرة في خلافة عثمان على كورة من كور فارس، ثم اشترك مع طلحة، والزبير في يوم الجمل ينظر: أسد الغابة (١/ ١٢٨)، ثم ذهب إلى الكوفة واشترك مع علي في صفين إلى وقع التحكيم ينظر: ابن الأثير: الكامل: (٣/ ١٨٣).

والخریت بن راشد الناجي (٣٠ ق هـ - ٣٨ هـ / ٥٩٢ - ٦٥٨ م): صحابي، و من الزعماء الشجعان المقدمين، من أهل عُمان. وزعم ابن الفرات أن اسمه الحارث بن راشد. ثبت على إسلامه في الردة، وكان علي بني ناجية في حروب الردة بعمان. شهد الفتوح الإسلامية في فارس وكان له أحسن البلاء، فولاه عثمان بن عفان كور فارس. ثم أقره علي بن أبي طالب على الأهواز في أعقاب الجمل

(٣) الطبري: تاريخ الرسل والملوك (٥/ ١١٣ - ١١٤).

(٤) ابن الأثير: الكامل في التاريخ (٣/ ١٨٤ - ١٨٥).

(٥) ابن الأثير: الكامل في التاريخ (٣/ ١٨٥).

وكان بنو ناجية بعمان قد ثاروا على الحلوة بن عوف الأزدي عامل الخليفة على عمان ، كما ارتدوا عن الإسلام^(١) ، وشجعهم الخريت بن راشد الآن بالاستمرار في تلك الردة .

وجاءت التعليمات إلى معقل بن قيس بمطاردة الخريت بن راشد، والقضاء عليه، فخرج من الأهواز، وأخذ على فارس حتى أتى سيفَ عمان، ونصب معقل راية أمانٍ لمن يأتيها من الناس، كما دارت معركة شديدة قتل فيها الخريت، ومائة وسبعون رجلاً من أصحابه، وأسر الكثير من بني ناجية مع حريمهم، وأولادهم^(٢) ، وبذلك قضى على تلك الحركة الخارجية ، وكذلك على ردة عمان الثانية .

فالخريت بن راشد كان خارجياً من رأيه أن علياً حَكَمَ ورَضِيَ، فخلَّعه حكمه الذي ارتضاه، ولذلك جاء الخليفة بصراحة خروجه عن الطاعة بقوله: " والله يا علي لا أطيعُ أمرك، ولا أصلي خَلْقك، وإني غداً لمفارقك"، غير أن جمع الخريت تشكل تشكيلاً عجيباً من أصنافٍ شتى، فهو نفسه كان خارجياً، ويظهر لمن معه من الخوارج أنه على رأيهم في أن علياً لا ينبغي له أن يحكّم، ويقول سراً للعثمانية من أتباعه: "أنا والله على رأيكم، والله قتل عثمان مظلوماً"، وهكذا كان يُرضي كلَّ صنفٍ منهم علاوة على تشجيع العرب المسلمين على منع الصدقاتِ ، وتشجيع النصارى على منع الجزية^(٣) .

ومهما يكن من كسر شوكة الخوارج في بداية ظهورهم، فقد استمرت أفكارهم الخاصة في الدين، والسياسة، وكونوا جهة معادية لخلافة علي بن أبي طالب ساعدت معاوية بطريق غير مباشرٍ على مناوأة سلطان الخلافة ، ثم تولية منصب الخلافة بعد أن دبّر بعض أفرادهم مؤامرة فظيعة.

فقد اتفق ثلاثة من الخوارج، وتعاهدوا على عدم النكوص على قتل ثلاثة رجال هم: عمرو بن العاص بالفسطاط، ومعاوية بن أبي سفيان، وعلى بن أبي طالب بالكوفة^(٤) ،

(١) تاريخ اليعقوبي: (١٩٥ / ٢) .

(٢) ابن الأثير: (١٨٦ / ٣)، أثناء عودة معقل بن قيس بالأسرى، والسبايا استنجدوا بمصقلة بن هبيرة الشيباني عامل الخليفة على أردشير، فاشتراهم مصقلة بخمسمائة ألف درهم عجل منها مائة ألف، ثم عجز عن سداد الباقي أنه أطلق سراح من اشتراهم فلحق بمعاوية .

(٣) ابن الأثير: الكامل في التاريخ: (١٨٣ - ١٨٥) .

(٤) ابن الأثير: الكامل: (١٩٤ / ٣)، تاريخ اليعقوبي: (٢١٢ / ٢)، المسعودي: مروج الذهب (٤٢٣ / ٢) .

وذلك باعتبارهم من أئمة الضلالة - كما يزعمون-^(١)، وفي وقت محدد معلوم ١٧ رمضان سلم من هذه المؤامرة كل من: (معاوية وعمرو)، وقتل الإمام علي بن أبي طالب .

وبعد مقتل علي لم يكن الخوارج يرون أن الخلافة حق لكل عربي حرّ، وأنه إذا اختير الخليفة يصحّ له أن ينزل عنها لمن هو أفضل منه، وإذا جار استحلّوا عزّله، أو قتله^(٢)، فلما انضمت إليهم بعض المسلمين من غير العرب جعلوا الإمامة حقًا لكل مسلم يتّصف بالصفات الحسنة، بل إنهم أجازوا أن لا ضرورة لوجود إمام طالما سار الناس من غير ظلم بينهم، وهم بذلك ينبذون مبدأ الخلافة في قريش؛ كما يقول أهل السنة، أو في بيت علي بن أبي طالب؛ كما تقول الشيعة الإمامية .

وفي بداية العصر الأموي كان غالبية عرب الكوفة من شيعة علي، وأهل بيته، وقليل منهم خوارج، لقد أدّى تأييد أهل الكوفة للإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه، ومناصرتهم وكذلك تضيق الولاة الأمويين عليهم إلى ضعف حركة الخوارج في الكوفة، فحاول الخوارج اتخاذ البصرة مركزًا لهم غير أنهم لم يحظوا بنجاح كبير بسبب تطرفهم، ولأن أهل البصرة أخذوا يعتمدون في حياتهم على التجارة مع دارين خاصة، ومناطق شرق الجزيرة والخليج عامة، والحياة الاقتصادية المزدهرة وقتها في شرق الجزيرة، والخليج بساحليته تتطلب الاستقرار، والهدوء؛ لذلك كان أهل البصرة مؤيدين للدولة الأموية، مما أتاح للولاة الأمويين استعمال الشدة لقمع حركات الخوارج في البصرة .

نرى ذلك مثلاً عند عبید الله بن زياد الذي سجن، وقتل الكثيرين منهم، ومن أبرزهم: (عروة بن أدية التميمي)^(٣) .

ويبدو أن هذه النكبات التي أصابت الخوارج قد زادتهم إصرارًا، ودفعت كثيرًا من الناس إلى النظر فيما يدعون إليه، فزاد أنصارهم، وكثر تابعوهم، وأصبح عهد (ابن زياد) هو بداية عهد ازدهار الخوارج في البصرة^(٤)، وخاصة في ظروف الفتنة الثانية التي أظلت الدولة الإسلامية في العصر الأموي .

(١) ابن الأثير: الكامل في التاريخ (٣ / ١٩٥) .

(٢) المسعودي: مروج الذهب (٣ / ٧٢) .

(٣) فلهوزن: الخوارج والشيعة، (ص ٦١ - ٦٥) .

(٤) فلهوزن: نفس المصدر (ص ٦٢) .

والذي حدث على أثر وفاة (يزيد بن معاوية) أن انقسم العالم الإسلامي، وحاول الخوارج الاتصال بـ(ابن الزبير)، ومناصرته، ثم اختلفوا معه، وانصرفوا عنه، وعاد نافعُ بنُ الأزرق، وجماعته إلى البصرة^(١)، في حين ذهب أبو فديك، وجماعته إلى اليمامة، وكان اختيارهم إلى اليمامة نابغاً من إدراكهم بأن الأوضاع هناك تتلائم مع مجيء أتباعهم إليهم، وأن لهم فيها من يسندهم، ويعطف عليهم، ولعل الشعور القبلي قد أثر في ذلك؛ لكونهم من عشائر اليمامة، واختاروا (أبو طالوت) رئيساً لهم على أن يكون لهم حق إبداله، ومبايعة من هو أفضل منه عندما يجدون ذلك^(٢).

ومع اليمامة نستطيع أن نقول: إنه بدأت حركة الخوارج في شرق الجزيرة، والخليج، وأنها - أي الحركة - قد اعتمدت على قبيلتي بكر، وحنيفة^(٣)، وجميعهم من ربيعة.

كما أن أهل شرق الجزيرة، والخليج لم يؤيدوا الخوارج في هذه المرحلة بعد تواجدهم في اليمامة مما حمل الخوارج على إخضاع سكان هذا الإقليم بالقوة؛ لأن هذه المنطقة لم تساهم في الحركة - في مراحلها الأولى - في اليمامة حيث كانت قبيلة عبد القيس، -وهي أكبر قبائل المنطقة في ذلك الوقت - معادية للخوارج.

وهكذا تطورت أفكار الخوارج، فبعد أن كانت طائفة خارجة على علي بن أبي طالب لقبوله التحكيم صارت لهم مبادئ تشهد بأنهم خارجون على الدولة الإسلامية، وعلى استئثار قريش بالخلافة، وانقسموا إلى عدة فرق، وطوائف وذلك بعد أن بدأ نافع بن الأزرق يقدم للخوارج مبادئ دينية جاءت متشددة مثل: مبادئهم السياسية، وكانت سبباً في انقسامهم إلى فرق متعددة بلغت في العدد نحو (عشرين فرقة)^(٤)، كل فرقة تخالف الأخرى في بعض تعاليمها، وأشهر فرق الخوارج أربعة هي:

١- الأزارقة:

وهم أتباع (نافع بن الأزرق) كانوا في البصرة، ثم خرجوا إلى الأهواز في شوال (٦٤هـ)، وهناك تبني نافع آراء متطرفة منها: أن التقية غير جائزة مستدلاً بقوله تعالى:

(١) الطبري: تاريخ الرسل والملوك (٥/ ٥٦٤)، ابن الأثير: الكامل في التاريخ (٤/ ١٦٣).

(٢) البلاذري: أنساب الأشراف (ج٦/ ص١٥ب).

(٣) فلهوزن: الخوارج والشيعنة، (ص٧٥).

(٤) أحمد أمين: فجر الإسلام (ص٢٦٠).

﴿ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً ﴾ [سورة النساء: الآية ٧٧]، وأن مخالفيهم مشركين كفرة لا تحل مناكحتهم، وموارثتهم، وأكل ذبائحهم، ولا يجب ردّ أماناتهم، وأباح قتل النساء، والأطفال ممن لم يعتنق مذهبهم، كما كُفّر القعدة منهم عن القتال، وامتنحن المهاجر إليه، غير أن هذه الآراء المتطرفة لم يقبلها عددٌ من الخوارج الذين كانوا معه، فانشقوا عنه إلى غيره من مفكري الخوارج .

٢- النجدات:

إنهم أصحاب: (نجدة بن عامر الحنفي)، وكانوا يرون أن (التقية) جائزة، مستدلين بقول الله تعالى: ﴿ إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاءً ﴾ [سورة آل عمران: الآية ٢٨]، وقوله عز وجل: ﴿ وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ ﴾ [سورة غافر: الآية ٢٨]، ويرون أن القعود جوائز والجهاد إذا أمكن أفضل، وقال تعالى: ﴿ وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ [سورة غافر: الآية ٩٥]، وأن ردّ الأمانات إلى أهلها واجب، ولم يقبلوا بقتل الأطفال والنساء لمن خالفهم وأن المقام في دار الكفر (محل إقامة المسلمين المخالفين لهم) حلال، ولم يؤمنوا بالامتحان وكان من مبادئ النجدات أنه لا حاجة للناس إلى إمام وإنما عليهم أن يتناصفوا فيما بينهم، فإن رأوا أن ذلك لا يتم إلا بالإمام جاز لهم أن يقيموا إمامًا عليهم^(١)،^(٢).

٣- الصفرية:

هي أشهر فرق الخوارج، وأكثرها دورانًا في الكتب^(٣)، وهم أصحاب (زياد بن الأصفر)، وسمّوا كذلك بـ(الزيادية)، وكان موطنهم الإقليم الشرقي من الجزيرة العربية، وقد خالفوا كلاً من: الأزارقة والنجدات في أمور كثيرة منها: أنهم لم يكفروا القعدة عن القتال إذا كانوا موافقين في الدين والاعتقاد، ولم يسقطوا الرجم، واتفقوا مع الأزارقة في أن أصحاب الذنوب مشركون، غير أنهم لا يرون قتل أطفالٍ ونساءٍ مخالفيهم، كما أجازوا (التقية) في القول، دون العمل.

(١) الشهرستاني: الملل والنحل (١/ ١٦٨) .

(٢) أحمد أمين: فجر الإسلام، (ص ٢٦١) .

(٣) جمال الدين سرور: الحياة السياسية في الدولة العربية الإسلامية (ص ١٣١) .

٤- الأباضية:

وهم أصحاب (عبد الله بن أباض التميمي)^(١)، ومن آرائهم: يرون أن مرتكب الكبيرة موحد، وليس مؤمناً^(٢)، وكانت نزعتهم أميل إلى المسالمة، فلم يتغالوا في الحكم على مخالفيهم مثل الأزارقة، كما كانوا يرون أن مخالفيهم كفار، وليسوا مشركين، وأجازوا مناكحتهم، وموارثتهم، والإقامة معهم، وحرّموا قتلهم، وسببهم في السرّ^(٣)، وأن دعوة الإسلام تجمعهم، وقد ظهر (عبد الله بن أباض) في النصف الثاني من القرن الأول الهجري، ولا يزال أتباعه في (المغرب وعمان)، إلى اليوم .

يتبين لنا مما سبق ذكره أن الآراء المتطرفة، والمغالي فيها، التي تبناها نافع بن الأزرق قد وضعت الخوارج في بداية مرحلة خطيرة، فقد فتحت مجالاً واسعاً أمام مجتهداتهم لمناقشات نظرية واسعة استمرت فترة من الزمن، كما أدت إلى ظهور آراء متباينة، ومواقف مختلفة، وكانت سبباً في تفرّقهم، ولا ريب أن الاتجاه المعتدل الذي تمثله (النجادات) هو أقرب إلى آراء عامة المسلمين .

وكان أكثر من اعتنق مبدأ الخوارج عرباً بدواً، وقد انضم إليهم بعض الموالي؛ إعجاباً برأيهم الديمقراطي في الخلافة، ولكن لم ينضم إليهم من الموالي إلا قليل؛ لكون أكثرهم بدواً شديدي العصبية يحتقرون الموالي، ويزدرونهم .

وإن الناظر في تاريخ الخوارج يتبين فيهم مميزات واضحة أهمها: التشدد في العبادة، والانهماك فيها فقد وصفهم (الشهرستاني) بأنهم: أهل صوم وصلاة، ووصفهم (المبرد) بأنهم: في جميع أصنافهم يبرأون من الكاذب، ومن ذي المعصية الظاهرة، كما أنّهم أخلصوا لعقيدتهم، وقاتلوا دفاعاً عنها، ومن مميزاتهم في عهد علي بن أبي طالب أنهم: كانوا عرباً من صميم بلاد العرب، ومن قبائل بكر وتميم وطى، كما أنهم تأثروا في مبادئهم بالفكرة الدينية، فقد كان كثير منهم من فريق القرّاء، ونفروا من أن يحكم أحد في كتاب الله^(٤)، وأصبحوا يعتقدون أنهم وحدهم المسلمين، ومن ليس على عقيدتهم كافر،

(١) جمال الدين سرور: الحياة السياسية في الدولة العربية، (ص ١٣١) .

(٢) جمال الدين سرور: نفس المصدر ونفس الصفحة .

(٣) أحمد أمين: فجر الإسلام، (ص ٢٦٠) .

(٤) أحمد أمين: فجر الإسلام (ص ٢٦٠) .

(٦٦هـ)^(١)، وكان عمره يومئذ ثلاثين سنة، وصار هؤلاء من الخوارج يسمون بالنجدات، أو النجدية نسبة إلى الرئيس الذي اختاروه^(٢).



إقليم اليمامة

(١) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، (٤/ ٢٠١).
 (٢) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، (٤/ ٢٠١).

الفصل الثالث:

حروب الخوارج:

٢. الأزارقة في شرق الخليج.

١. النجدات في غرب الخليج.

١_ النجدات في غرب الخليج.

أقام نجدة بعد مبايعته باليمامة أشهرًا أكثر خلالها أتباعه من بكر بن وائل وحنيفة؛ لكونهما القبيلتين اللتين تكونان أكثر سكان اليمامة وقتها، ومن اليمامة وجّه نجدة بن عامر إلى سواحل الخليج الغربية حملة بقيادة (نصر بن مالك الحنفي) مع (٣٠٠) رجل، وكان بهذه المنطقة الأزدي، وعبد القيس، لكن عاملها (سعيد بن الحارث الأنصاري) ^(١) صد هجومهم، فوجّه نجدة حملة أخرى مع (قدامة بن المنذر بن النعمان) ^(٢) في ٣٠٠ رجل ^(٣)، ولكن سرعان ما عدل نجدة عن مهاجمة الأحساء بسبب هجوم بني كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة ^(٤) على سوق ذي المجاز ^(٥)، بالقرب من عرفة، ونهّبهم إياه فكتب إلى قدامة بن المنذر بن النعمان، ومن معه يطلب منه التوجّه لقتال بني كعب بن ربيعة، وهم بذوي المجاز، ثم تبعهم نجدة بن عامر في ٤٠٠ رجل ^(٦)، فالتقوا هناك، فهزمهم نجدة، وقتل منهم عددًا كبيرًا، ثم عادوا إلى اليمامة، وفي الطريق انضم إليهم عددٌ كبيرٌ من الناس، فكثرت أتباعه حتى بلغ عددهم ثلاثة آلاف ^(٧).

(١) سعيد بن الحارث الأنصاري سعيد بن الحارث الأنصاري الخزرجي روى أبو بكر بن شيبعة، عن الحسن بن موسى، عن الليث، عن عقيل، عن الزهري، عن عروة بن الزبير، عن أسامة بن زيد، " أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أوقفه وراءه يعود سعد بن عباد، وسعيد بن الحارث بن الخزرج، قبل وقعة بدر ". أخرجه أبو عمر. (٢) أبوه النعمان بن المنذر بن المنذر بن امرئ القيس اللخمي، الملقب بأبي قابوس ولد في الحيرة في العراق، وهو من أشهر ملوك المناذرة قبل الإسلام. كان داهية مقداما. وهو باني مدينة النعمانية على ضفة دجلة اليمنى، وصاحب يوم البؤس والنعيم.

(٣) البلاذري: أنساب الأشراف (ج ٦/ ورقة ١٥ ب).

(٤) بنو كعب قبيلة عربية هوازنية قيسية وهم بنو كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة من هوازن.

(٥) سوق ذي المجاز هو أحد أسواق العرب الأدبية في الجاهلية وهو سوق قبيلة هذيل. ويقع في شرق مكة المكرمة ويبعد عنها مسافة ٢١ كم..

(٦) البلاذري: نفس المصدر، نفس الورقة.

(٧) ابن الأثير: الكامل في التاريخ (٤/ ٢٠١).

وفي رجب عام (٦٧هـ) تقدّم نجدة إلى الأحساء، وما جاورها مرةً أخرى، وفي هذه المرة رحّب به الأزدي، وقالوا: نجدة أحبّ إلينا من ولاتنا، فانضموا إليه، فأما عبد القيس فلم يذعنوا له، وصبروا على محاربتّه، والتقوا به في (القطيف) لكنهم انهزموا، وقتل الكثير منهم، وسبي نجدة من قدّر عليه من أهل القطيف^(١)، وأقام نجدة بعدها في القطيف في حين وجّه ابنه (المطرح)؛ ليتعقب فلول المنهزمين من عبد القيس، وأتباعهم، فالتقى بهم في (الثوير)^(٢)، ولكن المطرح قتل، وجماعة من أصحابه^(٣).

كان لا بد لنجدة بن عامر أن يستمرّ في محاولته السيطرة على ساحل الخليج، فأرسل سرية إلى (مدينة الخط) بقيادة (داوود العكلي)^(٤)، فظفر بأهله.

ويتبين لنا مما سبق أن أهل هذا الإقليم لم يكونوا من الخوارج، أو مؤيديهم مما حمل نجدة على إخضاعهم بالقوة، وبالتالي نرى أن شرق الجزيرة من البصرة إلى عمان لم يساهم في الحركة في مراحلها الأولى عندما كانت في اليمامة، كذلك نرى أن عبد القيس في هذا الوقت كانت معادية للخوارج في حين أن اعتماد الخوارج كان علي بن بكر، وبني حنيفة^(٥)، وكذلك الأزدي في هذه المرحلة مدعين إنكار نجدة^(٦) للظلم، وقد يظهر لنا أيضًا من هذا التشكيل القبليّ هو صورة مكبرة من التحالف بين ربيعة، واليمانية، ونجدة الذي ظهر واضحًا في خراسان في العصر الأموي، ولا بد أن هذا كان بسبب الروح القبلية، والرغبة في تحقيق مصالحهم، وتقوية مركزهم، إذ كانوا أقلية في شرق الجزيرة، مما أدى ذلك الأمر إلى سيطرة النجدات على شرق الجزيرة العربية مستفيدة تمامًا من ظروف (الفتنة الثانية) في غرب الدولة بين خلافة عبد الله بن الزبير في الحجاز، وبين الخلافة الأموية في بني مروان بالشام.

(١) ابن الأثير: الكامل في التاريخ (٤ / ٢٠١).

(٢) ابن الأثير: الكامل في التاريخ (٤ / ٢٠١).

(٣) وفي ذلك يقول جمال بن سلمة:

أن تقتلوا بالقطيف بأننا * قتلناكم يوم الثوير وحصصًا

وان تقتلوا منا وكيعًا وعاصمًا * فإننا قتلنا طارقًا والمطرخًا

(٤) نسبة إلى بني عكل بن عوف بن عيد مناة بن طانجة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان، راجع

بن حزم: جمهرة أنساب العرب (ص ٤٨٠).

(٥) فلهوزن: أحزاب المعارضة السياسية الدينية في صدر الإسلام، الخوارج والشيعية، (ص ٧٥).

(٦) ابن الأثير: الكامل في التاريخ (٤ / ٢٠٤).

حروب بن الزبير مع خوارج شرق الجزيرة:

كان لنمو حركة نجدة بن عامر^(١)، وقوته في شرق الجزيرة الأثر الكبير في تهديد سلطة (عبد الله بن الزبير)، وقد حاول (حمزة بن عبد الله بن الزبير) الذي كان والياً على البصرة من قبل أبيه إخراج نجدة من إقليم شرق الجزيرة، والخليج، فقد أرسل إليه عبد الله بن عمير الليثي^(٢) مع جيش من (أربعة عشر ألف مقاتل) من أهل البصرة، وذلك سنة (٦٧هـ) ، ولما اقترب من جيش نجدة اعتزل داوود العكلي، وجماعته من الخوارج لقتال لعوامل ربما أهمها اختلافهم مع نجدة لكن نجدة بن عامر ثبتت مع مَنْ بَقِيَ معه، وهاجم معسكر ابن عمير على حين غرة فقاتلهم طويلاً، ثم افترقوا، وأصبح ابن عمير فهاله ما رأى في عسكره من القتلى والجرحى، فتشاغل هو ومَنْ في عسكره بموتاهم، وجرحاهم، فباغتهم نجدة، وانقض عليهم وغنم ما في معسكرهم^(٣)، وبذلك اتسع نطاق سلطانه، وازدادت قوته .



(١) نجدة بن عامر الحنفي أحد قادة الخوارج في عهد الدولة الاموية، ولد عام ٣٦ هـ، وبويع في سنة ٦٦ هـ. استولى على اليمامة، والبحرين بعد حروب طويلة وامتد نفوذه حتى اليمن، واتخذ من القطيف قاعدة له. ثم ولي مكانه أبو فديك أحد أنصاره السابقين من الخوارج أيضاً. استمر في حكمه حتى أرسل له عبد الملك بن مروان جيشاً قضى عليه عام ٧٣ هـ .
(٢) الطبري: تاريخ الرسل والملوك (٦ / ١١٧) . أبو عاصم عبيد بن عمير الليثي (نحو ٥ هـ - ٧٣ هـ): ذكر البخاري أنه رأى النبي ﷺ، وعباده في كبار تابعي مكى. أحد رواة الحديث النبوي، وهو أول من قص القصص لوعظ الناس في الإسلام في خلافة عمر بن الخطاب، قال ابن سعد البغدادي: «أول من قص عبيد بن عمير على عهد عمر بن الخطاب»
(٣) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، (٤ / ٢٠٣) .

وبعد انتصاره على ابن عمير بعث جيشًا إلى عمان بقيادة (عطية بن الأسود الحنفي)، حيث كان يحكمها (عباد بن عبد الله الجلندي) هو وأبناؤه: سعيد وسليمان يعشّران السفن، ويحبّيان البلاد، فهاجمها عطية، وقتل حاكمها، كما استولى عليها، وأقام بها أشهرًا، ثم عاد إلى الأحساء تاركًا في عمان نائبه (أبا القاسم) الذي قتله العثمانيون، ثم لم يلبث الأمر إلى أن اختلف عطية بن الأسود الحنفي مع نجدة بن عامر^(١)، فعاد إلى عمان، ولكنه لم يستطع دخولها بسبب مقاومة العثمانيين له فتوجّه إلى (كرمان) حيث حَقَّق نجاحًا، وضرب الدراهم العطوية^(٢)، غير أن المهلب أرسل إليه جيشًا فهرب إلى (سجستان)، ثم إلى السند، حيث قتله جيش المهلب في (قنابيل)^(٣).

إخضاع الكويت (كاظمة) وأطراف العراق:

أما نجدة فإنه استمرّ في توسيع منطقة سلطانه في المناطق الشمالية من شرق الجزيرة، والخليج ففي عام (٦٨ هـ) قاتل نجدة بني تميم في كاظمة، وطويلع، وأجبرهم على أن يؤدّوا له الصدقة، وبذلك امتد سلطانه إلى أطراف العراق^(٤)، وفي نفس هذه السنة (٦٨ هـ) ذهب نجدة مع ما يقرب من ألف من أتباعه إلى مكة للحج^(٥)، ثم توجّه إلى المدينة، فاستعدّ أهلها لقتاله، وكان من بينهم (عبد الله بن عمر)، فلما كان بنخل^(٦)، أخبر باستعداد ابن عمر لمقاومة الخوارج، فرجع أدراجه^(٧)؛ لأنه أدرك أن خروج (عبد الله بن عمر) يدل على أنه سيلقى مقاومة من المتدينين، وذوي المكانة عند المسلمين، وفي هذا خطرٌ كبيرٌ عليه؛ لأنه سيؤدي إلى إثارة المسلمين ضد الخوارج^(٨).

(١) البغدادي: الفرق بين الفرق (ص ٨٨) .

(٢) مطبوعة على الطراز الساساني باللغة البهلوية، وكتب عليها بالعربية "باسم الله ولي الأمر" .

(٣) قنابيل مدينة بالسند وهي قبة لولاية يقال لها السندمة ، ياقوت: معجم البلدان: (١٨٣ /٤) .

(٤) ابن الأثير: الكامل في التاريخ (٢٠٣ /٤) .

(٥) ابن كثير: البداية والنهاية (٢٩٤ /٨) .

(٦) نخل: منزل من منازل بني ثعلبة من المدينة على مرحلتين، ياقوت: معجم البلدان: (٧٦٨ /٤) .

(٧) ابن الأثير: الكامل في التاريخ (٢٠٣/٤ - ٢٠٤) .

(٨) يرى فلهوزن أن سبب تراجع نجدة أمام ابن عمر يعود إلى أن سائر الخوارج كانوا يوقرون أباه عمر بن الخطاب توقيرًا كبيرًا، الخوارج والشيعية (ص ٨٠) .

عاد نجدة بن عامر إلى مقرّه باليمامة بشرق الجزيرة، وقد عين الجارود الحنفي على الطائف، والسراة، كما أنّه وجّه (حاجب بن خيصة) لجمع صدقات بني هلال وعنبر، ممّا يدل على اتساع نفوذه إلى تلك الجهات^(١).

الخلاف بين نجدة وأتباعه:

دبّ الخلاف بين نجدة، وبين أتباعه رغم نجاح نجدة، وامتداد سلطانه، فقد كانت هناك تيارات لهدم سلطانه، فيرجع خلاف النجدات إلى عوامل عدة منها:

١. عدم المساواة في توزيع الفياء والغنائم بين أتباعه من جيش البحر والبر، ففضّل الذين بعثهم في البرّ على الذين بعثهم في البحر في العطاء، فنازعه على ذلك، وبينوا أنّه ليس من حقه أن يفضّل بعضهم على بعض^(٢)، وكان لهذا الأثر في تصدّع كيان النجدات، وظهور جبهات المعارضة، وكان نجدة بن عامر ضحية ذلك، وكان هذا أيضاً من أسباب الخلاف بين نجدة، وعطية بن الأسود.

٢. المراسلة بينه وبين (عبد الملك بن مروان)، حيث كتب عبد الملك بن مروان إلى نجدة بن عامر يدعوه إلى طاعته، وبيعته على أن يهدّر له ما أصاب من الدماء والأموال، وأن يوليّه اليمامة، وما حولها، ولكن نجدة رَفَضَ ذلك، فطعن عليه أصحابه، وكان ذلك من أسباب الخلاف بينه وبين (عطية بن الأسود)^(٣).

(١) البلاذري: انساب الأشراف (ج٦/ ورقة ١٦).

(٢) البغدادي: الفرق بين الفرق، (ص٨٨)، وفي رواية أخرى أنّه فضل سرية البحر على سرية البر، ابن الأثير: الأثير: الكامل في التاريخ (٤/ ٢٠٥).

(٣) ابن الأثير: الكامل في التاريخ (٤/ ٢٠٥)، والشهرستاني: الملل والنحل، (١/ ١٦٦). عطية بن الأسود الحنفي اليمامي من بنو حنيفة في اليمامة. أحد أعلام الخوارج. كان مع نافع بن الأزرق حتى قال نافع بتكفير القعدة عن الزحف، ففارقه عطية، وباع نجدة بن عامر الحنفي، لكن فارق نجدة أيضاً لقول نجدة أن من خالف الشريعة عن جهل فهو معذور، ففارق جماعته للمرة الثالثة، واتحد مع أبي فديك، لكنه تبرأ من هذا أيضاً وبذلك انقسم جماعتهم حينها إلى الفديكية (نسبة إلى أبي فديك)، وعطوية (تتبع عطية بن الأسود).

٣- إرجاعه ابنة لعبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان قد أسيرت في إحدى الغارات ، فاشتراها نجدة من (ابن بحدج) الذي كانت في يده، وردّها إلى عبد الملك بن مروان، فنقم عليه أتباعه؛ لأنه رد جارية لهم إلى عدوّهم^(١) .

٤- عدم موافقة نجدة بن عامر على معاقبة أحد أتباعه بسبب شرب الخمر بحجة أنه شديد النكايّة على العدو؛ لذا اتهمه أتباعه بأنه عطّل الحدّ في شرب الخمر^(٢) .

٥. ومن الأسباب الأخرى أنه أعذر أهل الخطأ في الاجتهاد بالجهالات؛ إذ أنه بعث قوة إلى القطيف بقيادة ابنه مطرح، فغنموا، وسبوا من الغنائم قبل أن تقسم، فلمّا رجعوا، وأخبروا نجدة، وذلك بين لهم أن ذلك لا يحقّ لهم، فأخبروه أنهم كانوا لا يعرفون أن ذلك لا يحقّ لهم، فعذّرهم نجدة؛ لجهالتهم^(٣) .

٦- وكلم نجدة في رجلٍ، فأعطاه فرسًا، فلاموه بأنه يعطي على الشفاعة، وهذا أيضًا من عوامل الاختلاف بين نجدة، وبن الأسود^(٤) .

إن أكثر الاتهامات التي وجّهت إلى نجدة كانت فردية، وهي إن صحّت فهي حجة ظاهرة، ولكنها تخفي وراءها شعورًا متفاقمًا ضده يعمل على هدم سلطته، والتخلص منه، وأن هذا الشعور الخفي لا بد وأن يكون مبنياً على تعصب قبلي، فهناك أثر واضح لهذا التعصب بين قيس بن ثعلبة من بكر بن وائل، وبين بني حنيفة؛ إذ إنّ أبا فديك عبد الله بن ثور أحد بني قيس قد لعب دورًا رئيسًا في خلع نجدة وقتله، وكان هدفه من ذلك قيادة الحركة، ونقل مركزها إلى الأحساء بدل اليمامة حيث كان معظم عبد القيس يقطن هناك.

وهذا يُظهر لنا الدور الذي لعبه إقليم شرق الجزيرة العربية في توجيه الخلافات بين خوارج اليمامة، وقد تحقق بالفعل ما كان يصبوا إليه أبو فديك، فنقل مركزه إلى الأحساء، كما أن الموالي قد لعبوا دورًا مهمًا في هذه الخلافات، وذلك للسيطرة على حركة الخوارج ، وتوجيهها لصالحهم^(٥) .

(١) البعقوبي: تاريخ (٢/ ٢٧٢)، وابن الأثير: الكامل (٤/ ٢٠٤) .

(٢) الشهرستاني: الملل والنحل (١/ ١٦٦)، وابن الأثير: الكامل: (٤/ ٢٠٥) .

(٣) البغدادي: الفرق بين الفرق (٢: ٨٨-٨٩) .

(٤) الشهرستاني: الملل والنحل (١/ ١٦٦) .

(٥) ينظر التفصيلات في خلع نجدة، ومقتله، ومبايعة أبو فديك .

كان خلاف نجدة بن عامر مع أتباعه فرصة استغلها أعداء الخوارج حين ضعفوا، وانقسموا على أنفسهم، كما اشتدت انقساماتهم، فثاروا على عمّال نجدة، فقد ثار أهل الطائف على الحاروق الحنفيّ، فهرب، ثم قتل في عقبة، عبد الله بن النعمان^(١) الدوس رئيس أزد السراة، كما أن سعد الطلائع عامله على نجران قتله ناجية الجرمي بعد أن منعه الصدقة^(٢).

نهاية نجدة بن عامر وتولية فديك^(٣):

أدت الخلافات السابقة الذكر بين نجدة، وأتباعه إلى خلع، وولوا أمرهم أحد الموالي وهو ثابت التمار، ولكن سرعان ما انتصرت العصبية القبليّة على العقيدة الخارجيّة، فأدركوا أنه لا بد لمن يكون أميرهم أن يكون عربيًا خالصًا، فطلبوا من ثابت التمار أن يختار لهم خليفة، فاختار زوج أخته أبي فديك عبد الله بن ثور أحد بني قيس بن ثعلبة، فنال البيعة^(٤).

أدرك أبو الفديك ضرورة التخلص من نجدة بن عامر الذي اختفى في إحدى قرى هجر^(٥)، ونزل أبو الفديك بابا حسن، وأخذ يعمل على التخلص من نجدة وقتله؛ لأن بقاءه مصدر خطر عليه، فأرسل جماعة من أتباعه في طلب نجدة، كما أرصد جائزة مالية قدرها: (عشرة آلاف درهم) لمن يدلهم عليه، كما أن أيّ مملوك يدلهم على نجدة فهو حرّ^(٦)، ففرّ نجدة إلى أخواله بني تميم، واختفى عندهم، ولكنه قتل عام (٧٢ هـ)، وتولى قتله جماعة من أصحاب أبي فديك، وكان فيهم أبو طالوت، وثابت التمار^(٧).

(١) عتبة منزل في طريق مكة بعد واقصة وهو ماء لبني كريمة بن وائل ياقوت: (٦٩٢ / ٣).

(٢) ابن الأثير: الكامل في التاريخ (٢٠٤ / ٤).

(٣) أبو فديك هو عبد الله بن قيس بن ثعلبة التغلبي. من قادة الخوارج الحرورية. اتبع في البداية نافع بن الأزرق، ثم تولى إمرة الخوارج بعد مقتل نجدة الحروري عام ٦٩ هـ (حوالي ٦٨٨ م). وكانوا يسيطرون على البحرين، وما جاورها أيام حكم عبد الله بن الزبير (الخليفة في الحجاز).

(٤) اليعقوبي: تاريخ (٢٧٣ / ٢).

(٥) ابن الأثير: الكامل في التاريخ (٢٠٦ / ٤).

(٦) البغدادي: الفرق بين الفرق، (ص ٩٠).

(٧) الشهرستاني: الملل والنحل، (١ / ١٦٦).

أثار قتل نجدة جماعة من أصحاب أبي فديك ففارقوه، ثم طعنه أحد أتباعه، وهو مسلم ابن جبير بسكين، ولكنه برى، وقد قتل المعتدي^(١).

لقد كان لازدياد قوة الخوارج في شرق الجزيرة العربية بعد أن خرج إليها أبو فديك، وأتباعه من اليمامة، كما كان لخلاف الخوارج، وانقسامهم، وقتل نجدة بن عامر أثر كبير في نفس مصعب بن الزبير الذي كان يلي العراق لأخيه عبد الله بن الزبير، فأراد أن يستفيد من هذا الخلاف، وأن يضع حدًا لهذه القوة، فأعد جيشًا من أهل البصرة، لكن أبا فديك هزم هذا الجيش^(٢)، ثم هزم جيشًا آخر أرسله مصعب من أهل البصرة، وجنوبها بقيادة زياد بن القرشي^٣، ولما قتل مصعب، واستعاد الأمويون سيطرتهم على العراق، اهتموا بأمر الخوارج، وعملوا على القضاء على حركاتهم.

ثم في سنة (٧٣ هـ) أرسل والي البصرة (خالد بن عبد الله بن أسيد) جيشًا بقيادة أخيه أمية بن عبد الله قوامه (١٢٠٠٠) اثنا عشر ألفًا لمحاربة أبا فديك الذي كان أتباعه (٧٠٠) رجلًا فقط، ولكنهم استطاعوا أن يوقعوا جيش أمية في كمين فشقتوهم^(٤).

ثم أرسل (عبد الملك بن مروان) حملة أخرى إلى أبي فديك من أهل الشام يقودها عمر ابن عبد الله بن معمر^(٥)، وضم إليهم من أهل الكوفة حوالي ثمانية آلاف رجلًا (٨٠٠٠)، ووضعهم تحت قيادة (محمد بن موسى بن طلحة)، ثم أمرهم بالتوجه إلى البصرة^(٦).

ثم تبعهم إلى البصرة في ثلاثة عشر ألف رجلًا تحت إمرة ابن أخيه عمر بن موسى بن عبد الله بن معمر^(٧)، وجعل أهل الكوفة على الميمنة، وأهل البصرة في الميسرة، وخيله في القلب، ثم تقدم نحو هجر، ونزل في خندق في جواثا في حين كان أبو الفديك في المشقر مع اثنا عشر ألف من أتباعه منهم عدد كبير من الأعراب الذين جاءوا للحرب طمعًا في الغنائم، وانضموا إليه بعد هزيمة أمية بن خالد، اشتبك أبو فديك مع جيش عمر بن عبد الله في المشقر في معركة استمرت خمسة أيام كانت كفة أبي فديك راجحة في البداية،

(١) ابن الأثير: الكامل في التاريخ (٤/ ٢٠٦).

(٢) البلاذري: أنساب الأشراف (ج٦/ ورقة ٣٧ ب).

(٣) البلاذري: نفس المصدر، نفس الورقة.

(٤) ابن الأثير: الكامل في التاريخ (٤/ ٧٤٥).

(٥) الطبري: تاريخ الرسل والملوك (٦/ ١٩٣)، ابن الأثير: الكامل في التاريخ (٤/ ٣٦٢).

(٦) ابن الأثير: الكامل في التاريخ (٤/ ٣٦٢).

(٧) ابن الأثير: الكامل في التاريخ (٤/ ٣٦٢)، الطبري (٦/ ١٩٣).

ولكن شجاعة وخبرة عمر قد غيّرت الموقف، فقتل أبو الفديك، وأخذ رأسه إلى الخليفة، وطورد أتباعه، وحوصروا في المشقر، فقتل الموالي بينما أطلق العرب، وذلك سنة (٧٤ هـ)، وإن هذه المعركة قد أنهت سيطرة النجدات على شرق الجزيرة العربية.

لقد انضم بنو عبد القيس إلى حركات الخوارج المتأخرة في شرق الجزيرة، وساهموا فيها مساهمة فعّالة، فجميع الثورات في تلك الفترة قام بها رجال من عبد القيس، وتكررت هذه الثورات مما حملت الحجاج بن يوسف الثقفي على أخذ جماعة من زعمائهم حيث عاقبهم بشدة؛ إما بقطع أعضائهم، أو بسجنهم^(١)، ففي سنة (٧٨ هـ) ثار في هجر بنو محارب بن عمرو بن وديعة بن لكيز بن أقصى بن عبد القيس، وقد طلب محمد بن أبي صعصعة الكلابي والي شرق الجزيرة المساعدة من (الحجاج) الذي كانت قواته في هذا الوقت، وهي من البصرة، والكوفة مشغولة في محاربة الأزارقة بقيادة المهلب بن أبي صفرة، وسوف نتحدث عن هذا في متابعة نشاط الخوارج في شرق الخليج العربي، وفارس والبصرة.

لذلك سأل الحجاج الخليفة بأن يأمر والي اليمامة (إبراهيم بن عربي) لمحاربة الخوارج، فتقدم إبراهيم، وهزم الثوار، ورجع إلى اليمامة^(٢).

وفي سنة (٧٩ هـ) ثار (الريان البكري) بقرية طاب من مدينة الخط جنوب الأحساء، ثم انضم إليه ميمون الذي جاء في أصحابه، وربما يكونوا من الأزدياء من عمان، فنزلوا دارين، فاستدعى محمد بن صعصعة والي الحجاج في شرق الجزيرة أهل المنطقة لحرب الريان، وجماعته، ولكن عبد القيس انضم إلى الخوارج، وهي أغلب سكان المنطقة في هذه الفترة، ورفضت طلب الوالي، فأرسل محمد بن صعصعة جيشاً من الأزدياء بقيادة عبد الله ابن عبد الملك العوزي من الأزدياء لمحاربة الخوارج، لكنه هزم وقتل، ولذلك ترك محمد بن صعصعة المنطقة، وبعد أربعين يوماً من خروج محمد دبّ خلاف بين ميمون والريان أدى إلى ترك ميمون المنطقة، وذهب إلى عمان في حين أقام الريان بالزارة، لكن محمد في هذه الفترة لم يحاول أن يستفيد من هذا الخلاف بين أعدائه، فأرسل الحجاج (يزيد بن أبي كبشة) مع اثني عشر ألفاً من مقاتلة الشام، وقد التقى بالريان، فقتل الريان مع عدد كبير من أتباعه سنة (٨٠ هـ)، ثم ثار داود بن محرز أحد بني عبد القيس، واتخذ

(١) البلاذري: أنساب الأشراف، (ج٦/ ورقة ٤٢ أ).

(٢) البلاذري: أنساب الأشراف، (ج٦/ ورقة ٤٢ أ).

القطيف مركزًا له، وقد أتاه أهالي المنطقة على إنزال جثة الريان وأتباعه ودفنوه، ونجح في إلحاق الهزيمة بجيش أرسل ضده بقيادة أبي البهاء، صاحب شرطة القطيف، كما ألحق الهزيمة بعبد الرحمن بن النعمان العوزي، وكان لهذه الهزيمة أكبر الأثر في اتفاق الأزد مع أهل القطيف ضد داود، وعبد القيس، وبهذه المحالفة هزم داود وأتباعه، وقتلوا .



وفي عام (٨٦ هـ) ثار بالأحساء وما جاورها مسعود بن أبي زينب المحاربي من عبد القيس، فهرب عاملها أي عامل شرق الجزيرة، وهو الأشعث بن عبد الله بن الجارود، وسيطر مسعود على كل المنطقة قرابة ١٩ سنة، وقام بقتل زعماء الأزديين، ومنهم عبد الرحمن بن النعمان العوزي، ومنصور بن عمرو العقيلي مع بني حنيفة، فقاتلوا مسعود بالخضرة^(١)، قتالاً شديداً فقتل مسعود، وقام بأمر الخوارج بعده هلال بن مدلاج، فحارب، وقتل الكثير من الخوارج، حتى تفرقوا مع نفر يسير، فدخلوا في قصر فتحصنوا فيه، فصعد إليهم بنو حنيفة، فقتل هلال، واستأمن الباقين^(٢).

وبعد مقتل مسعود ثار في هجر أخوه سعيد، ولكن خالفه (عون بن بشير) أحد بني الحارث بن عامر بن الحنيفة، وأحد أتباعه المشهورين بكفره، فافترق أتباعه فرقتين: فرقة مع سعيد بقيت في هجر^(٣)، والفرقة الأخرى مع عون جعلت القطيف مركزاً لها،

(١) الخضرة بلدة بأرض اليمامة، ياقوت: (٢/ ٤٥١)، وابن الأثير: (٥/ ١١٩) .

(٢) ابن الأثير: الكامل (٥/ ١١٨ - ١١٩) .

(٣) البلاذري: أنساب الأشراف (ج٧/ ورقة ٢٥ أ) .

وقد انحازَ إلى عون عددٌ كبيرٌ من الخوارج، مما أثار غضب سعيد عليه فدبّر اغتياله، حتى تخلص منه ، ثم بقي هو في هجر .

أما عن جماعةِ عونٍ فلم تتوفر لنا معلوماتٌ عمّا حلَّ بهم بعد مقتل عون، ولا بد أن تكون العصبية القبلية سببًا في الخلاف الذي نَسَبَ بين عونٍ وبين سعيد الذي يبدو أن موقفه كان ضعيفًا، ولم يؤيده الخوارج .

ومن ناحية أخرى فقد امتد نشاطُ خوارج هجر والأحساء وما حولها إلى البصرة شمالًا ، وذلك في عهدِ (عبد الملك بن مروان) ولا بد أن يكون هذا دليلًا على شعورهم بأن لهم في البصرة من يسندهم، ويعطف عليهم كما أن الأوضاعَ في البصرة كانت تلائمهم، كما أن للشعور القبلي أثر كبير في ذلك، إذ أن البعضَ من عبد القيس كانوا يقطنون البصرة، هذا فضلًا عن قربها من هجر، فقد قام عددٌ كبيرٌ منهم بإشعال الثورات الخارجية فيها، وأشهرها الثورة التي قام بها سنة (٧٨ هـ) خارجيٍّ من عبد القيس يدعى أبو معبد الشني^(١)، وقد جاء من شرق الجزيرة، واتخذ موقعًا له قرْبَ البصرة غير أن صاحب الشرطة في البصرة في هذه الفترة الحكم بن أيوب قضى عليه، وشتت أصحابه^(٢) .

كذلك قامت سنة (٨٦ هـ) ثورة بزعامة (داود بن النعمان) في البصرة، وقد قدّم إليها من الجنوب، وجعل "موقع" مركزًا لثورته، ثم ذهب إلى البصرة مع أربعين رجلًا، فانضمَّ إليه عددٌ من خوارجها إلا أن الحكم بن أيوب استطاع التغلّب عليه، وقتله مع عددٍ من أتباعه بعد مقاومة عنيفة^٣ .

يتبيّن لنا مما مرَّ أن عبد القيس انضمت إلى حركة الخوارج عندما انتقلت من اليمامة إلى هجر، وأنهم ساهموا مساهمةً فعّالة في حركات الخوارج المتأخرة، كما قاتلوا في صفوفهم، أما دوافع انضمام عبد القيس إلى الخوارج في هذه المرحلة هي كما يلي:

١. كان لتدهور التجارة في منطقة هجر، والإحساء والقطيف بعد الفتح الإسلامي أثر كبير، إذ لم تُعد سفن، وسلع الهند، والشرق الأوسط تفرّغ من موانئها، كما أنها لم تُعد قاعدة انطلاق لفتوح فارس، وجنوب إيران حيث إن البصرة احتلت كل هذه المكانة، وخاصة

(١) البلاذري: أنساب الأشراف (ج٧ / ورقة ٢٥ أ)

(٢) اليعقوبي: تاريخ (٢ / ٢٧٥) .

(٣) اليعقوبي: نفس المصدر، نفس الصفحة .

منذ عهد بني أمية اتضحت هذه الصورة جلية، فأدى كل ذلك إلى تدهور الأوضاع الاقتصادية في المنطقة .

٢- وكان لشعور عبد القيس بالمخاطر التي تهددهم نتيجة كساد تجارتهم، وتدهور أوضاعهم الاقتصادية، وعدم حصولهم على العطاء أثر واضح، حيث إن الأموال كانت ترسل إلى البصرة، ومن هناك توزع على المقاتلين كل ذلك جعل عبد القيس تتمسك، وتنضم إلى الخوارج للثورة على الحكم الأموي .

٣- كانت جميع الفرق الإسلامية السياسية مصبوغةً بصبغةٍ دينيةٍ واحدة، فلما ظهر الخوارج، وتمسكوا بالعقيدة الدينية انضم إليهم عددٌ كبيرٌ من عبد القيس الساخطين على حكم بني أمية، وذلك لتقويض دعائم هذا الحكم، وإقامة حكمٍ عادلٍ .

٤- كانت جماعة عبد القيس جماعة بطبيعتها تستاء من الحكم المركزي في حين أن حركة الخوارج كانت تعطيهم الحرية في التصرف، وتمنع عنهم الخضوع لأي سلطان يفرض عليهم .

٥- ويبدو أن عددًا كبيرًا من عبد القيس قد انضموا إلى الحروب بجانب الخوارج بدافع الطمع في الحصول على الغنائم .

١- الأزارقة في شرق الخليج:

أما عن الأزارقة الذين ظهروا على مسرح الأحداث بضعةً وعشرين سنة، فجدير بالباحث أن يبين فلسفتهم، وسبب الاختلاف عليهم؛ ليبين العوامل التي أدت في النهاية إلى هزيمتهم أمام بني أمية .

اتّجه الخوارج من العراق إلى الحجاز؛ ليقفوا بجانب عبد الله بن الزبير في وجه الجيش الأموي المحاصر مكة، ثم تركوه بعد أن تبين أنه ليس على رأيهم في أمر عثمان ١، فعادوا إلى العراق وهم متفرقون، فأتى البصرة فريقٌ منهم يضم (نافع بن الأزرق، وعبد الله بن

(١) سأل الخوارج ابن الزبير عن رأيه في عثمان، فقال لهم: إنني ولي لابن عفان في الدنيا والآخرة، وولي أوليائه، وعدو أعدائه، فقالوا: "برئ الله منك يا عدو الله، ثم انصرفوا عنه، فسار جماعة منهم إلى البصرة، وفيهم نافع بن الأزرق الحنفي، وعبد الله بن صفار السعدي، وعبد الله بن أباض التميمي، وحنظلة بن بهيس، وعبد الله والزبير بن الماحوز، وذهب آخرون إلى اليمامة حيث ولوا عليهم نجدة بن عامر الحنفي. ينظر: محمد جمال الدين سرور: الحياة السياسية في الدولة العربية الإسلامية ط/ ٥، (ص ١٢٩) .

الصفار، وعبد الله بن أباض، وبنو الماحوز عبد الله، وعبيد الله، والزيبر) وكلهم من تميم، بينما انطلق (أبو طالوت، وأبو فديك، وعطية بن الأسود) من بكر بن وائل إلى اليمامة، وانضم إليهم بعد ذلك نجدة بن عامر الحنفي، ويمثل هذا التفرق بدء اختلاف الخوارج في الرأي فيما بينهم، وانقسامهم إلى فريقٍ متعدّد.



فقد جاء فريقُ الخوارج بزعامة نافع بن الأزرق البصرة وقت اضطراب الأحوال بها إثر وفاة الخليفة (يزيد بن معاوية)، وإبعاد الوالي الأموي عبيد الله بن زياد عن العراق، فكسروا باب السجن، وأخرجوا إخوانهم المحبوسين، ثم سار نافع إلى الأهواز في شوال (٦٤ هـ) مع جماعةٍ بينما تخلف عنه فريق منهم عبد الله بن الصفار، وعبد الله بن

أباض، فنظر نافع فرأى أن ولاية من تخلف عن الجهاد من الذين قعدوا من الخوارج لا تحل له، وأن من تخلف عنه لا نجاة لهم، فدعا أصحابه إلى البراءة منهم، وعدم الزواج منهم، أو أكل ذبائحهم، وكذا عدم جواز قبول شهاداتهم، أو أخذ العلم منهم، كما لا يحل ميراثهم، كذلك رأى نافع قتل الأطفال، وأن جميع المسلمين كفار مثل كفار العرب لا يُقبلُ منهم إلا الإسلام، أو القتل .

هكذا تظهر فرقة الخوارج الأزارقة الذين ينسبون إلى نافع بن الأزرق، وكان من أكبر فقهاءهم، وقام مذهبهم على تكفير عثمان، وعلى سائر المسلمين ممن ليسوا على مذهبهم، وتكفير القعدة عن القتال مع قدرتهم عليه، ولو كانوا على مذهبهم، وإباحة قتل أطفال ونساء مخالفينهم، كذلك يرون أن (التقية) غير جائزة في قول ولا عمل؛ لأن الله يقول: ﴿ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللَّهِ ﴾ [سورة النساء الآية: ٧٧]، وكذا تكفير مرتكب الكبيرة .

غير أن تشدد الأزارقة لم يعجب فريقاً آخر من الخوارج، حتى فارقه بعضهم، وعلى رأسهم نجدة بن عامر الحنفي، وساروا إلى الإمامة، فأطاعه الخوارج هناك بأن تركوا أبا طالوت، وانضموا إليه، وبايعوه بالإمامة، وكوّنوا فرقة ثانية عرفت بـ(النجدات)، ترى أن التقية جائزة تبعاً لقول الله تعالى: ﴿ وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ ﴾ [سورة غافر الآية: ٢٨]، كذلك تقول النجدات أن القعود جائز، والجهاد أفضل إذا أمكن، واستدلوا بقول الله تعالى: ﴿ وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ [سورة النساء الآية: ٩٥]، ويبدو من ذلك أن الأزارقة، والنجدات كانوا على خلاف كبير، وخاصة في مسألتين: (التقية والقعود)، بل إن النجدات كفّروا من يقول بتكفير القعود .

ومن جهة أخرى كاتب نافع بن الأزرق كلاً من: (عبد الله بن الصفار، وعبد الله بن أباض)، وكان أيضاً من الفقهاء المعروفين بتشددهم إزاء التقية، والقعود، واعتبار مخالفينهم مشركين، وإباحة قتل أطفالهم، ونسائهم، فكان أن اعترض عبد الله بن أباض على تشدد نافع، وقال: إن القوم براء من الشرك؛ لأنهم أقرؤا بالتوحيد والقرآن والرسول، إنما هم كفار بالنعم، ثم هو يُجيزُ الإقامة معهم، والزواج منهم، والوراثة فيهم، باعتبار دعوة الإسلام تجمعهم، وعلى هذا تبدو نزعة الأباضية أميلُ إلى المسالمة دون مغالاة في الحكم على مخالفينهم؛ كالأزارقة .

أما عبد الله بن الصفار فلم تعجبه مغالاة نافع، ولا مسالمة ابن أباضي، وقد شقَّ بين ذلك طريقاً، فإن اتفقت الصفارية مع الأزارقة في تكفير مرتكب الكبيرة إلا أنهم لا يرون قتل أطفال ونساء مخالفينهم، كالأزارقة، كذلك لم يكفروا القعدة عن القتال، كما أجازوا التقيّة في القول دون العمل^(١).

وإذا كان قد قدر للبحث أن يبيّن دور عبد القيس مع الخوارج في شرق الجزيرة، وغرب الخليج، فمن المأمول أن يوضّح دور بني تميم خاصة، وهم الذين قامت هذه الحركة الدينية، والسياسية أول ما قامت على عاتقهم كما سيبيّن دورهم الكبير في النشاط السياسي، والحربي^(٢)، وخاصة في شمال، وشرق الخليج العربي في البصرة، وعلى أرض فارس.

ولقد مرّ بنا أن (عروة بن أديّة التميمي)^(٣) هو أول من برز بين صفوف أهل الشام، والعراق في صفين، ونادى: "لا حكم إلا لله" كما أن أخاه أبا بلال مرداس التميمي ظهر كزعيم كبير للخوارج في أول حركتهم، وكان المحرك القوي لهذه الحركة حيث قال عنه فلهوزن: أنه القديس الحقيقي للخوارج^(٤)، وبرز من تميم زعماء كثيرون قادوا حركة الخوارج من نصر إلى نصر، وخاصة بعد أن قويت شوكتهم في شمال، وشرق الخليج.

زحفت حروب الخوارج على الساحل الشرقي للخليج العربي بعد أن اشتدت شوكة نافع بن الأزرق، وكثرت جموعه في الأهواز، فأقبل على البصرة يهددها من الأهواز مقر تجمّعه، فزحف حتى أقبل على الجسر الموصّل إلى البصرة، لكن (عبد الله بن الحارث) أمير البصرة بعث إليه (مسلم بن عبيس بن كريض بن ربيعة)؛ ليدافع عن البصرة، فخرج إليه، ودفعه حتى بلغ مكاناً من أرض الأهواز يقال له (دولاب)^(٥) هناك في جمادي الآخرة سنة (٦٥ هـ) تهيأ الناس للقتال، واقتتلوا قتالاً شديداً، وقتل مسلم بن عبيد من ربيعة، ونافع بن الأزرق الحنفي، فأمر أهل البصرة عليهم (الحجاج بن باب الحميري)، وكان على

(١) محمد أمين صالح: العرب والإسلام (ص ٣٢٥-٣٥٥).

(٢) هذه الحروب بعضها ضد الخوارج، والأغلب مع الخوارج، وأحياناً يلتقي زعيمان من تميم ضد بعضهما.
(٣) فلهوزن: الخوارج والشبيعة (٢/ ٦٢). عروة بن حدير بن عامر التميمي. أبو بلال. ويُعرف أيضاً باسم عروة بن أديّة (وأديّة هي جدته)، ويُنسب إليها أحياناً مع أخيه مرداس بن حدير. كان من أهل النهروان ضد علي بن أبي طالب، وقيل أنه أول من قال: «لا حكم إلا لله». وهو من أوائل من سلّ سيفه رفضاً للتحكيم بين علي ومعاوية بن أبي سفيان.

(٤) فلهوزن: نفس المصدر، نفس الصفحة.

(٥) ابن الأثير: الكامل (٤/ ١٩٤).

ميمنة الجيش أثناء القتال، في حين أمرت الأزارقة عليهم (عبد الله بن الماحوز)، وكان على ميسرة جيش الأزارقة أخوه (الزبير بن الماحوز التميمي)^(١)، ثم عادوا، واقتتلوا، وقتل الاثنان حتى جاءت إلى الخوارج سرية لهم لم تكن شهدت القتال، فحملت على أهل البصرة، فانهزموا، وفروا إلى (دجيل)^(٢) حيث ألقوا بأنفسهم فيه، فغرق منهم خلق كثير، وسلمت بقيتهم، ولقد وصلت الأنباء هذه إلى ابن الزبير، فكتب إلى (عمر بن عبيد الله بن معمر)^(٣)، فولاه البصرة، وولى عمر هذا أخاه عثمان محاربة الخوارج، فخرج إليهم في (اثني عشر ألفاً)، وقد لقيه حارثة بن بدر فيمن معه، ولكنه اعتزل عنه قبل المعركة .

ولما اقترب الخوارج من البصرة كتبوا إلى (ابن الزبير) كاشفين عن خطورة الموقف، وطلبوا منه أن يقرأ لهذا الأمر (المهلب بن أبي صفرة)^(٤)، فكتبوا بعد ذلك على لسان ابن الزبير إلى المهلب بن أبي صفرة قبل أن يصل إلى خراسان مقر ولايته الجديد أن يسير إلى الخوارج؛ لمحاربتهم، ففعل المهلب، وأمر أولاً على الأحماس^(٥)، ثم خرج إلى الخوارج، وكانوا عند الجسر-الأصفر، وبقيادة (عبيد الله بن الماحوز التميمي)، فدفعهم عنه، وارتفعوا إلى الجسر-الأكبر، فسار إليهم المهلب، فارتفعوا فوق ذلك حتى نزلوا (نهر تيرى)^(٦) في مكان يقال له: (سلي وسلبري)^(٧)، ولما نزل المهلب بقومه قرب الخوارج خندق على نفسه، ولما خرج إلى الأهواز، ولى المهلب يجي ما حواليه من الكور، ويسير الجواسيس؛ لتأتيه بأخبار الأزارقة أولاً بأول، فلما اطمأن إلى جيشه، وعلم خبر الخوارج استخلف أخاه المعارك بن أبي صفرة على (نهر تيرى)^(٨)، ثم سار إلى أسواق الأهواز فاحتلها، لكن عبيد الله بن الماحوز التميمي قائد الأزارقة استطاع أن يقضي على المعارك بن أبي صفرة، فقد بعث إليه خمسين فارساً إلى نهر تيرى قتلوا المعارك، وصلبوه فنمى

(١) نفس المصدر (٤ / ١٩٥)، وينظر الطبري (٥ / ٦١٤) .

(٢) الطبري: تاريخ الرسل والملوك (٥ / ٦١٣)، وانظر ابن الأثير: الكامل، (٤ / ١٩٥) .

(٣) الطبري: تاريخ الرسل والملوك (٥ / ٦١٦)، ابن الأثير: الكامل، (٤ / ١٩٦) .

(٤) الطبري: نفس المصدر، (٥ / ٦١٦) .

(٥) الطبري: نفس المصدر نفس الصفحة .

(٦) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، (٤ / ١٩٧) .

(٧) الطبري: تاريخ الرسل والملوك (٥ / ٦١٧) .

(٨) ابن الأثير: الكامل في التاريخ (٤ / ١٩٧) .

الخبر إلى المهلب، فما كان منه إلا أن بعث ابنه (المغيرة بن المهلب)، فدخل نهر تيرى، وقد خرج منه الأزارقة، ثم عاد إلى أبيه، وقد نزل (سولاف)^(١).

معركة سولاف:

دارت معركة كبيرة هُزِمَ فيه جيشُ المهلب هزيمة منكرة حيث حمل الخوارج عليه، وأصحابه، فانهمزوا، وقتل منهم عددٌ كبيرٌ لكن المهلب، وابنه ثبتا، ونادى المهلب أصحابه، فعادوا إليه، وتجمع إليه نحو أربعة آلاف، وأخذ بعدها يتعقب أخبار الخوارج، وهو في العاقول الذي ظل فيه ثلاثة أيام سار بعدها إلى مقربة من الخوارج، وهم في (سلي وسلبرى) وفي هذا المكان هزم الخوارج بزعامة عبيد الله بن الماحوز على الحملة على المهلب بن أبي صفرة، فحملوا بأجمعهم، كما صنعوا يوم سولاف، فكان لهم النصر. أول الأمر لكن المهلب، وهو رجل حرب أعدَّ خطةً حملَ بها على الخوارج، فاقتتلوا قتالاً شديداً، فجهد الخوارج، وقتل ابن الماحوز، وانصرف الخوارجُ إلى أرجان، وذلك في سنة (٦٥ هـ)^(٢) في الوقت الذي كان فيه مصعب بن الزبير واليًّا على البصرة من قبل أخيه عبد الله بن الزبير.

ظل الخوارجُ بعد هذه الهزيمة النكراء من المهلب في أرجان محزونين حتى جاءهم الفرج من أخوة لهم في الحركة من شرق الجزيرة العربية من هجر، فقد أرسل إليهم خوارج الأحساء بعد سماعهم نبأ الهزيمة أرسلوا إليهم المدد من الرجال والسلاح، فجمعوا شملهم، وأعدوا عدتهم، وبايعوا الزبير بن الماحوز، ثم شخَّص إليهم (عمر بن عبيد الله)، وهم بأرجان فألح عليهم، وأخرجهم منها إلى أصبهان حيث استعدوا، وأتوا سابور، فزحف عليهم عمر بن عبيد الله بن معمر^(٣)، وقاتلهم قتالاً شديداً، ثم زحفوا إلى قنطرة^(٤)، وتقدم إليهم ابنه عبد الله بن عمر فقاتل وقيل، وعلم عمر فحمل بمن معه على الخوارج، وهزمهم، ونهبهم، ثم انصرفوا حتى خرجوا من فارس، وقد خلفوا فوق أرض سابور سبعين قتيلاً، ولم تمضِ شهور حتى كانت معركة أصبهان، فقد حاصر الزبير

(١) ابن الأثير: نفس المصدر نفس الصفحة .

(٢) الطبري: تاريخ الرسل والملوك، (٦/ ١١٩) .

(٣) الطبري: تاريخ الرسل والملوك (٥/ ٦١٩) .

(٤) الطبري: نفس المصدر نفس الصفحة .

بن الماحوز عتاب بن ورقاء الرياحي ، ولما طال الحصارُ خرج عتاب مستميتًا، ومعه ألفان وسبعمائة فارس، فقاتلوا، وانهزم الخوارج، وقتل الزبير بن الماحوز^(١) .

لقد كانت هزيمة الخوارج على يد (عتاب بن ورقاء) جرحًا مؤلمًا، كما كان على من يخلف الزبير أن يداوي هذا الجرح ؛ لذا كان الحملُ على خليفة الزبير - وهو قطري بن جعونة بن يزيد بن زياد التميمي - الملقَّبُ بـ(ابن فجاءة)، وهو خارجي أزرق^(٢) .

أخذ قطري يبثّ العيونَ بين جيوش عتاب، واستطاع قطري - بحسن تفكيره وبراعته ، وحسن تدييره - أن ينسحب انسحابًا مأمونًا عقب الهزيمة^(٣) التي لا يزال أتباعه يئنُّون منها، ولكنه رغم ذلك لم يترك من وقته لحظة دون أن يستفيدَ منها، فواصل قطري انسحابه حتى أتى كرمان فأقام بها واجتمعت إليه جموع كثيرة بها، فزادت قوته، ثم أقبل في زحفه حتى أخذ أرض أصبهان^(٤)، والأهواز، وكان عامل مصعب بن الزبير على البصرة الحارث بن أبي ربيعة يتابع تحركات قطري، فكتب إلى مصعب يخبره أن الخوارج قد تحدّرت إلى الأهواز، وأنه ليس لهم إلا المهلب ابن أبي صفرة^(٥)، وعلى الرغم من أن مصعب كان في أمسّ الحاجةِ إلى تولية المهلب على الموصل؛ ليصدّ عنه الأمويين، فإنه بعث إليه ليسيّر إلى الخوارج في الأهواز، فالتقى الجيشان في (سولاف) ، وكانت سولاف ميدانًا لمعركة سابقة اشترك فيها كل من قطري، والمهلب، وكان النصر فيها للخوارج ذلك أن أرضَ سولاف كانت معروفةً للقائدين، ومعروفة لكثيرٍ من جنودهما، فاقتتلوا بها ثمانية أشهر أشدّ قتالًا رآه الناس، ولكن لم تسفرْ المعركة عن شيء، وفي خلال المعركة

(١) الطبري: تاريخ الرسل والملوك (٦/ ١٢٦)، وينظر: ابن الأثير الكامل (٤/ ٢٠٠) .

(٢) يقول عنه ابن خلكان في وفيات الأعيان (..) عند الحديث عن قطري هذا: أن قومهم قطري ليس باسم له ، ولكنه نسب إلى موضع بين البحرين، وعمان، وهو اسم بلد كان فيه أبو نعامة المذكور فنسب إليه) ينظر: ابن خلكان: وفيات الأعيان (٣/ ٢٥٦) . ابن الماحوز هو عبيد الله بن بشير بن الماحوز السليطي اليربوعي التميمي. رئيس الخوارج الأزارقة في الأهواز، وما حولها. كان مع نافع بن الأزرق ثم خلفه بعد مقتله عام ٦٥ هـ (حوالي ٦٨٥ م). اشتبك في معارك مع قادة عبد الله بن الزبير، وهم عمر بن عبيد الله بن معمر، والمهلب بن أبي صفرة، وقُتل أخيراً على يد جيش المهلب.

(٣) كان قطري يلقب في الحرب بأبي نعامة وفي السلم بأبي محمد كما ورد في حياة الحيوان الكبرى للدميري (٥/ ٥٠٣) ، طبعة القاهرة .

(٤) الطبري: تاريخ الرسل والملوك ، (٦/ ١٢٧) .

(٥) الطبري: نفس المصدر نفس الصفحة .

(٦) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، (٤/ ١٩٧) .

كان قطري بن فجاءة^(١)، ومن معه قد توافقوا على الخندق صباحًا، ودار حوار بين الخوارج، وأصحاب المهلب دون حرب.

لقد كان مقتل مصعب بن الزبير عند نهر الدجيل في هذه السنة (٧١ هـ)^(٢)، وهو دخول خالد بن عبد الله بن أسيد البصرة، وعزله للمهلب؛ كل ذلك كان له الأثر الكبير في هذه الحروب التي اشتعلت بين الخوارج، وجيش المهلب، فقد خرج خالد بن عبد الله بن نفسه لمحاربة قطري، واستمر القتال ثلاثين يومًا بينهما لم يحقق خالد - رغم عناده وإصراره - أي نصرٍ على قطري، فلم يكد خالد يضع أثقاله حتى فاجأه بمعركة طال فيها القتال، ودون حسم للمعركة، ويخيل إلينا أن كلا منهما أثر أسلوب الاستنزاف^(٣)، ولكن يتضح لنا أن قطري قد أعد خطة برية وبحرية، ثم ينفذها في آنٍ واحدٍ، ويستطيع بها أن يلحق الهزيمة بخالد، وأن تكون هزيمة قبيحة لحقت بالدولة الأموية^(٤).

بعد هذه المعركة التي اندحر فيها جيش خالد أدرك قطري بن الفجاءة أن المهلب يعد خطة، لينقذ ما يمكن إنقاذه من سمعة خالد، فرأى أنه لزامًا عليه أن يجرّ أعداءه إلى أرضٍ تصلح لأن يديرَ هو منها المعركة كما يشاء، فسار إلى (كرمان)، وانصرف خالد إلى البصرة، فأقام قطري بكرمان شهرًا، ثم خرج إلى فارس، وخرج خالد من البصرة إلى الأهواز، ولحق به عبد الرحمن بن محمد ومعه جيش من الكوفة، والتقى به وانضم إليه في الأهواز ٥، وجاء قطري حتى دنا من معسكر القوم، وبعد إقامته عشرين ليلة التحم الجيشان، وكان عدد جيش خالد وعدته عظيمًا، فهال قطري أمرهم، فهرب عن ساحة المعركة، فتبعه خالد بجيشٍ من البصرة بقيادة (داود بن قحذم)^(٥)، وعاد خالد إلى البصرة، كما انصرف عبد الرحمن بن محمد إلى الري، أما المهلب فأقام بالأهواز.

(١) (فجاءة) هذا اسمه، وهو من بني شيبان .

(٢) الطبري: تاريخ الرسل والملوك (٦/ ١٦٠) .

(٣) الكامل (٣/ ٢٠٤)، ولم تكن المعارك هذه تطول بهذه الصورة إلا نادرًا، وكان العرب لا يزالون يذكرون وقائعهم بالأيام، فيقولون: (يوم ذي قار)، و(يوم بدر) و(يوم أحد) أي: أن المعارك غالبًا كانت تدور أحداثها في يوم واحد، وينتصر المنتصر، وينهزم المنهزم فيها، نعم كان يسبقها أيامًا، وشهورًا للاستعداد، ولكنها لا تدوم أيامًا متتالية بهذه الصورة إلا نادرًا .

(٤) وصفها فلهوزن في كتابه تاريخ الدولة العربية، (ص ٢١٩) .

(٥) الطبري: تاريخ الرسل والملوك (٦/ ١٧١) .

(٦) الطبري: نفس المصدر نفس الصفحة .

لم يُسَرَّ (عبد الملك بن مروان) الخليفةُ الأموي بخروج داود بن قحذم وراء الخوارج ، فكتب إلى بشر- بن مروان يأمره بإرسال جيشٍ آخر في أربعة آلاف بقيادة رجل شجاع لا يختلف مع داود بن قحذم، فبعث بشر- بن مروان (عتاب بن ورقاء) في أربعة آلاف فارسٍ^(١) من أهل الكوفة حتى التقوا مع جيش داود بأرض فارس، فتتبعا القومَ يطلبونهم حتى نفقتْ خيولُ عامتهم، وأصابهم الجهدُ، والجوعُ، حتى رجع عامةُ الجيش مشاةً إلى الأهواز^(٢) .

وأما فلهوزن في كتابه الخوارج والشيعة^(٣)، فإنه يذكر أن عدم استمرار الاشتباك هو أن عتاب بن ورقاء وصله خبر وفاة بشر- بن مروان سنة (٧٤ هـ)، فأوقف جند العراق من أهل الكوفة والبصرة القتال، وعادوا إلى أمصارهم، ولم يبق بجانب المهلب إلا قومه من الأزد^(٤) .

كانت حروبُ الخوارج الأزارقة في الأهواز، وقد استطاعوا السيطرةَ عليها كلها، وأخذوا يتقدمون في مواجهةِ البصرة في حين أن الخوارج النجدات يحاربون في منطقة شرق الجزيرة زاحفين على البصرة من الجنوب، وكان الخوارج في هذه الفترة كانوا يعملون (كمآشية) على البصرة؛ للسيطرة عليها من الجانبين، لكن سرعان ما تغيرت مجرى الحروب حينما أدرك (عبد الملك ابن مروان) أن سلطة المهلب بن أبي صفرة على الجند العراقي قد ضعفت بعد وفاة والي العراق بشر- بن مروان، فعهد إلى الحجاج بن يوسف يضبط الأمور، وكتب إليه كتابًا بخطه^(٥)، في حين يذكر بن الأثير^(٦) أن: عبد الملك بن مروان أصرَّ على أن يتولى المهلب - وهو الساحر المزوني، كما يسمونه- حربهم، ولقد كان له النصرُ سابقًا عليهم في (سلي وسلبري)، وذلك قبل أن يتولَّى قطري بن فجاءة أمرَ الأزارقة .

وفعلًا عاد المهلب بن أبي صفرة إلى محاربة الخوارج تنفيذًا لرغبة عبد الملك الذي طلب منه ذلك لكن الأزارقة خافوا لقاء المهلب، وخرجوا إلى سوق الأهواز بعيدين عن البصرة

(١) الطبري: نفس المصدر (ص ١٧٣) .

(٢) الطبري: نفس المصدر نفس الصفحة.

(٣) فلهوزن: الخوارج والشيعة ، (ص ١٠٣) .

(٤) محمد جمال الدين سرور: الحياة السنية في الدولة العربية، (ص ١٢٤) .

(٥) اليعقوبي: تاريخ (٢/ ٢٧٣) .

(٦) ابن الأثير: الكامل (٤/ ١٩٨ - ٢٠٠) .

التي تمدّ المهلب بالعدد والعدة، ولكن المهلب تبعهم حتى أخرجهم من البصرة، والأهواز إلى مدينة (رام هرمز) إلى فارس، واستولى المهلب على رام هرمز، ثم تحصّن بها^(١).

وفي أوائل سنة (٧٥ هـ) بعد إدراك عبد الملك لضعف سلطة المهلب على جيش العراق والي الحجاج بن يوسف الثقفي العراق، وجاء البصرة، وأقسم ليقتلن من مكث بها ثلاثاً دون أن يخرج إلى المهلب^(٢)، حتماً تغيّر الموقف أمام قطري بعد أن زادت قوات المهلب، فخرج المهلب في آثار قطري يتعقبه من مكان إلى آخر حتى وصل المهلب إلى كازرون، فعسكر بها، وخذق على نفسه متحصّناً بها، وطلب من قائد جنود الكوفة، وهو (عبد الرحمن بن مخنف) أن يخندق على نفسه، فرفض^(٣).

وخرج (صالح بن محراق) - وهو أحد قواد قطري بن فجاعة - في أربعمئة من جنده، واتفق هو وعبيده بن هلال مع قطري على البيان، فساروا ناحية بني تميم، فوجدوهم أيقاظاً متمارسين، فمالوا ناحية عسكر ابن مخنف، وانقضوا عليه، فأصابهم إصابة بالغة، وقتل ابن مخنف نفسه، وهكذا انتصر قطري في (كازرون)، غرب الساحل الشرقي للخليج العربي.

وكان الحجاج بن يوسف يتابع قتال الخوارج يوماً بيوم فوجّه إلى المهلب (البراء بن قبيعة) يستحثه في مناجزة الخوارج، وكتب إليه: "إنك لتحب بقائهم لتأكل بهم، فعزّ على المهلب أن يكتب الحجاج إليه ذلك، فأخذ ابن قبيعة إلى ميدان القتال، فشهد معركة استمات فيها جماعة من الخوارج، حتى لقد حفر كل واحد منهم حفرة، وأثبت قدميه فيها، فإذا مات واحد منهم جاء آخر فأقبره ووقف مكانه، ولما عاد (ابن قبيعة) إلى الحجاج فقال له: "لقد رأيت قوماً لا يعين عليهم إلا الله".

يتضح للباحث من حرب (المهلب وقطري) أن القائدين كانا كفتين، ولم يستطع أحدهما أن يحقق نصراً على الآخر، وأن الكفتين متعادلتين، لكن سرعان ما أسهمت عوامل أخرى خارجة عن إرادة قطري بن فجاعة ساعدت المهلب بن أبي صفرة على أن يستغلها، وأن تكون بداية النهاية لقطري ومن معه، لقد استغل المهلب طبيعة الخوارج في عدم

(١) المبرد: الكامل (٣/ ٢١١).

(٢) الطبري: تاريخ الرسل والملوك (٦/ ٢٠٤).

(٣) المبرد: الكامل، (٣/ ٢١٤).

استطاعتهم احتمالَ طولِ السلطةِ عليهم، وقطري هذا قد مَضَى. عليه أكثر من عشر- سنواتٍ في خلافةِ الخوارج، كما استغلَّ المهلب ما فيهم من التمسكِ بظاهرِ النصوصِ دونَ محاولةِ تأويلها، فبدأ يثير الفتنةَ، والخلافَ بينهم حتى نجحَ في تفريقِ كلمةِ أتباعِ قطري، أي: أنه ابتكر أسلوبًا جديدًا يشبهُ أسلوبَ (الحربِ النفسية) التي تشنها الدولُ ضد بعضها الآن .

بواسطة وسائل الدعاية، ولما زاد الخلافُ خرج قطري إلى حدودِ "اصطخر"، فأقام بها شهرًا، والقوم في اختلافهم^(١)؛ حيث بدأت قوة الأزارقةِ تضعُف، ورأى أهل اصطخر ما عليه الأزارقة من خلافٍ، فأخذوا يكتبون المهلبَ بأخبارِ قطري الذي أحسَّ بذلك، فعاقب أهل اصطخر، بل وهدمها^(٢)، وارتحلَ عنها إلى جيرفت، وهناك بدأت الخلافات تتسع بين الخوارج، فقد اتهموا عبدة بن هلال بأنه يدخل دار رجلٍ بغيرِ إذنه^(٣)، ففارق بعضهم قطري، وولوا عليهم (عبد ربه الكبير)، ثم اقتتلوا نحو شهرٍ فكتب المهلب إلى الحجاج يأمرهم، فكتب إليه، وأمره أن ينتهزَ هذه الفرصةَ، ويقاثلهم، وهم مختلفون قبل أن يتجمَّعوا، فلم يرَ المهلبُ هذا الرأي، ورأى أن يتركهم يقتل بعضهم بعضًا، وفي ذلك هلاكهم بأيديهم من غير أن يراق دُمُ نفرٍ من جنده، وإن اجتمعوا، فإنهم يكونون قد رَقوا، وضعفوا، فيكون أمرهم عليه أهونُ إذ تكون شوكتهم قد ضعفت، فلم يجد الحجاج بداً من موافقته، فظل الخوارجُ يقتتلون نحو شهر، والمهلب مستريحٌ .

أما قطري فخرج بمن تبعه من جندهِ فلاحق بطبرستان، وعند ذلك انتهزَ المهلبُ هذه الفرصةَ، وحصروا- (عبد ربه) وأصحابه في جيرفت، ثم حمل عليهم وهو يتلو: ﴿ **وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِئْتَةً وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ** ﴾ [سورة البقرة الآية: ١٩٣]، فلم يزل حتى أنزلَ اللهُ نصره عليه، وهزم الخوارج، وقتل (عبد ربه)^(٤) .

(١) المبرد: الكامل (٣/ ٢٢٢).

(٢) المبرد: الكامل (٣/ ٢٢٦).

(٣) راجع قصة أخرى لوقوع الفتنة بين الأزارقة أوردتها الإمام الطبري (٢/ ١٠٠٦) (٦/ ٣٠٣)، مؤداها: أن رجلاً يدعى (المقنطر) قد قتل رجلاً من الخوارج ذا بأس اختلفوا مع قطري، وطالبوه أن يدفع المقنطر إليهم؛ ليقتلوه، ولكنه لم يوافقهم .

(٤) ابن الأثير: الكامل (٤/ ٤٣٩)، وينظر: المبرد: الكامل (٣/ ٢٢٤) .

أما أمر قطري بن فجاءة الذي سار إلى طبرستان، فإن الحجاج بن يوسف أرسل إليه (سفيان الكلبي)^(١) في جيشٍ عظيمٍ، فاجتمع بإسحاق بن محمد الأشعث من أهل الكوفة^(٢)، لكن قطري لم يستطع أن يستعيد قوته، ويجمع جموعه؛ لأن المدة لم تكن على ذلك، وكذلك كان لكثرة الترحال، وربما لقلّة الزاد الأثُر الكبير في تناقص قوته لكن تفريق جماعته عنه كان هو السبب المباشر؛ لذا حاربه أتباع المهلب فوق عن دابته، فتهدّته إلى أسفل الشَّعب، ومرّ به عالج، فاستقاه على أن يعطيه سلاحًا، فعمد إلى أعلى الشعب، وחדر عليه حجرٌ من فوق الشعب، فأصابه في رأسه فأوهنه، ونادى في الناس، فجاء في أولهم أهل الكوفة، فقتلوه^(٣)، وحملوا رأسه إلى إسحاق، فأرسله إلى سفيان، فأرسله إلى الحجاج، فبعث به الحجاج إلى (عبد الملك)، وهلك قطري بعد أن حارب المهلب سنتين، وهكذا كانت مأساة الخوارج الأزارقة الشجعان، وبطل من أبطال شرق الجزيرة، والخليج بطل أوفاه التاريخ حقه رغم تناسي بعض المؤرخين له .

وبنهاية (قطري بن فجاءة) تنتهي الأزارقة من التاريخ كقوة مؤثرة؛ حقًا لقد استطاع قطري أن يهدّد البصرة، ويمد سلطانه إلى أقاليم واسعة بفارس، وأصبهان، وكرمان حتى ناداه أتباعه بلقب (أمير المؤمنين)، ولولا أن هبَّ الله لبني أمية رجالًا أعادوا القوة إليهم، فقصوا على (ابن الزبير)، كما قضوا على كثير من الفتن، ثم أجمَعوا على أمرهم، وألقوا بكل ما لديهم من رجالٍ وسلاحٍ ومالٍ ضد الأزارقة - أقول: لولا ذلك - لتغير التاريخ في شرق الجزيرة، والخليج، وساحل فارس، ولكان في هذه المناطق شأنٌ كبيرٌ للخوارج الأزارقة .

ومن ناحية أخرى فإنه ليس معنى (نهاية الأزارقة) هو نهاية الخوارج بصفة عامة، بل ظل الخوارج يعملون على إثارة الصعاب أمام الأمويين في بلاد العراق، والجزيرة، وشرق الجزيرة، كلما أتاحت لهم الفرصة اشتدت وطأتهم في أواخر عهد بني أمية ٤، وصاروا يرحبون بكل من ينضم إليهم؛ ليعينهم .

(١) الطبري: تاريخ الرسل والملوك، (٦ / ٣٠٩) سفيان بن الأبريد وهشام بن أبي مخنف، ينظر: ابن الأثير (٤)

(٤٤٢)، ومحمد جمال الدين سرور: الحياة السياسية، (ص ١٢٨) .

(٢) الطبري: تاريخ الرسل والملوك، (٦ / ٣٠٩) .

(٣) الطبري: تاريخ الرسل والملوك، (٦ / ٣٠٩) .

(٤) محمد جمال الدين سرور: الحياة السياسية في الدولة العربية الإسلامية ص ١٢٦

ثم هدأت حركة الخوارج في عهد (الوليد بن عبد الملك، وأخيه سليمان)، فلما ولي (عمر ابن عبد العزيز) الخلافة خرج بعضٌ منهم، ولكن عمر بن عبد العزيز بما عرف عنه من ميلٍ إلى المسالمة رأى أن يسلكَ معهم سياسةً اللين، فرحّب بالاستماع إلى مآخذهم عليه لتتاح له بذلك الفرصة لإقناعهم، وحرصًا على التزامهم جادة الصواب .

أما في عهد (مروان بن محمد) آخر خلفاء بني أمية فقد برزَ (عامر بن صنبارة)، كقائد عظيم لمروان بن محمد، واستطاع أن يلحق الهزائم بالخوارج، وأن يتابعهم حتى وردوا فارس، ومنها رحل (شيبان بن عبد العزيز الحروري) خليفة الضحاك بن قيس الشيبانيّ رحل في فرقته ناحية شرق الجزيرة وقتل هناك .

ولا ريب أنه كان للجهود التي بذلها مروان بن محمد؛ لإضعاف شأن الخوارج في بلاد الجزيرة، والعراق، وفارس، وشرق الجزيرة بأثرها في زوال نفوذهم في تلك البلاد، فلبث فترة طويلة يحاربهم، ويتعقبهم حتى تمكّن من القضاء على شوكتهم، وإضعافهم .

عوامل انتصارات الخوارج:

يهمنا ونحن نبحث في تاريخ الخوارج في منطقة شرق الجزيرة، والخليج أن نعرف أسباب انتصار الخوارج، وأسباب انهزامهم، وضعفهم مع العلم أن حركاتهم كانت سياسية، فمزجوها بكثيرٍ من تعاليم الدين، كما فهموه .

لا شك أن من أسباب انتصاراتهم قوة شعورهم الدينيّ بأنهم على الحق، وأن الله سينصرهم كما نصر أهل بدرٍ، وهم قلة، وهذا هو ما يسمى الآن ب(القوة المعنوية) ، ولم يكن هذا الشعور خاصًا برجالهم، بل كان في نساءهم -أيضًا- ، ومن أجل ذلك كانوا يتسابقون إلى ميادين القتال، وهم يرون رأي العين أن أعدائهم أكثر منهم عددًا، وأقوى عدة، ثم لا يلبثون حتى يخرجوا من الميادين منصورين، هذا الشعور أَلَف بينهم، وهم من قبائل شتى، فأنساهم أمر العصبية، وأشعل في قلوبهم نار الغيرة على دين الله أن يُمسَّ بسوءٍ، وعلى خلافة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أن يتولاها من لم يك للمسلمين اختيار، ولا شورى في ولايته عليهم، أو من يستعمل سلطةً وظيفته للاستئثار بما هو حق للمسلمين عامة، أو في إثارة نفسه، وأهله، وقربته بالأعمال مع وجود الأصلح، والأمثل من غيرهم، وهذا الشعور أيضًا مع ما ينضم إليه من إقدامهم الغريب، وشجاعتهم النادرة ، وأنفتهم أن يستكينوا لظلم الظالمين، وصرهم، وزهدهم في الدنيا،

ورغبتهم فيما عند الله ، وخفة أثقالمهم، ومحافظتهم على التقشف، والتجافي عن أسباب الترف، كل هذه الخصال كانت من أهم عوامل انتصاراتهم في جميع المواقع تقريبًا .

عوامل ضعفهم وهزيمتهم :

أما عوامل ضعفهم وهزيمتهم فترجع إلى:

١- إن أكثرهم كانوا لا يعرفون النظام، ولا يألّفون الطاعة؛ لأن معظمهم من أهل البادية ، ومن أجل ذلك كانوا يتفرون لأقلّ الطواري، وأوهن الأسباب، ولو اتفقت كلمتهم لمحو بني أمية من الدنيا محوًا، ولألّفوا دولة من أقوى دول الأرض .

٢- كما يرجع إلى آرائهم المتطرّفة، فقد فرّقوا جميع المسلمين، وأوجبوا محاربتهم ، ومحاربة ولاة الأمر عامة، وقد كان تشددهم في الرأي من أهم عوامل انقسامهم، كما حصل بين الأزارقة، والنجادات .

٣. كما أنهم لم ينشئوا جماعةً، أو تنظيمًا نظريًا كالجماعات السرية التي تكون بمثابة القوة المفكرة في الجسم، تعمل في الخفاء، وفي هدوء فترسم الخطط، أو تنظم الوحدة ، وتحفظ كيانها من أن يتعرّض إلى الانهيار، وسلطانها من أن تتخطفه الأهواء، بل كانوا سرعان ما يعلنون أمرهم، ولا يبالبون بما قد يتخذ ضدّهم من التدابير، أو يلي في سبيلهم من العوائق، أو يعرضهم إلى الأخطار شأن الصادقين دائمًا مع أنفسهم .

إذا كان بعض المؤرخين يعتقدون أن الخوارج ثاروا على الظلم، وثاروا على تلك السياسة التي اختطها القرشيون؛ ليكونوا حكام المسلمين سواء أكانوا يستحقون، أو لا يستحقون، وأنا اعتبرهم ثائرين على الفوارق البغيضة التي استنّها حكام بني أمية بين العرب، والموالي، فإنه في الوقت نفسه يجب ألا ننسى. أن خروج الخوارج كان من أهم الأسباب في توقّف الفتح الإسلامي، وتعريض دولة المسلمين إلى الزوال، ولو أن الترك، أو الروم كانوا في ذلك الوقت أقوىاء لكان لهم من خروج الخوارج فرصة ثمينة للقضاء على الدين الإسلامي، وأهله بل ودولته، ولكن الله تعالى سلّم، وجعل من (عبد الملك، والمهلب، والحجاج) قوة كسرت شوكتهم، وفرّقت كلمتهم، وبددّت شملهم، وأطفأت سراجهم رغم أنه كان يضيء أحيانًا بتقوى الله، والخشية من عذابه .

الخلاصة:

البحث هو: محاولة لدراسة أحوال الخليج العربي وشرق الجزيرة منذ فجر الإسلام حتى سقوط دولة بني أمية في الشرق .

ويتكون هذا البحث من ثلاثة أبواب، خصّص الباب الأول منه لدراسة الأحوال الجغرافية لهذا الإقليم (شرق الجزيرة والخليج)، وهو يتضمن التعريف بهذا الجزء، وموقعه، وحدوده، والسواحل المطلّة عليه، وأشهر المدن، والمواني فيه، وأنواع الأرض، ومصادر المياه، والجبال، وكذلك التعريف بالسكان المقيمين فيه قبل الإسلام، وبعد الإسلام، وكانت تسكنه عند ظهور الإسلام كل قبائل عبد القيس، وعشائر من تميم، ومن بكر بن وائل ومن الأزدي، وفي الفصل الثالث من هذا الباب تمّ بحثُ الأحوال الاقتصادية التي تمثلت في التجارة أولاً، وفي الزراعة، والصناعة، وصيد اللؤلؤ الذي اشتهرت به المنطقة، واتضح لنا جلياً ظهور حياة اقتصادية مزدهرة ساعدت على تقدم الحضارة في هذا الجزء من العالم .

أما الباب الثاني فقد تناول البحث عن ظهور الإسلام، وانتشاره في المنطقة مع ذكر في البداية للحياة الدينية، والعقائد، والأديان المنتشرة في هذا الجزء قبل ظهور الإسلام، ومنها الوثنية واليهودية والنصرانية والمجوسية، ثم أشرنا إلى كيفية اعتناق أهل المنطقة للإسلام موضّحين ذلك بالرسائل المتبادلة بين رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، وأنحاء المنطقة، وكذلك الوفادات التي وفدت على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في المدينة حيث خرجت من الخليج، وشرق الجزيرة ثم أوضحنا النكته أي: الردة عند أهل هذه المنطقة، وتحدثنا عن أسبابها، وأهدافها، ونتائجها، وفي آخر فصل من هذا الباب تحدثنا عن اشتراك عرب المنطقة في الفتوحات الإسلامية، والدوافع، لهذا الاشتراك وآثاره، وتناولنا العلاقة بين الفرس، وعرب الخليج، وهي لم تكن وثيقة، إذ إن سيطرة الفرس على هذا الجزء كانت اسمية، ومقصورة على الساحل فقط حيث اتخذها الفرس مركزاً للأسطول الساساني، وتتبعنا في هذا الفصل المعارك التي دارت مع الفرس، وعرب المنطقة من الشمال إلى الجنوب الشرقي من ساحل الخليج العربي .

أما الباب الثالث والأخير، فقد خصّص للنشاط السياسي لعرب الخليج، وشرق الجزيرة العربية، وبحثت فيه الإدارة الإسلامية لهذا الجزء، وطبيعتها، ثم أشرنا إلى الحروب

الأهليّة في الدولة الإسلامية من (موقعة الجمل) إلى صفين لكون الأولى في البصرة عاصمة هذا الإقليم تقريبًا في تلك الفترة، وأثرها على السكان في المنطقة، وانقسامهم، وكذلك الحال بالنسبة للثانية، وهي (صفين)، ونتائجها، وأثرها على ظهور فرقة الخوارج، وبيننا دور هؤلاء الجماعة (الخوارج) في هذا الإقليم، كما أوضحنا كيف أن عرب هذا الجزء أصبحوا مغذيين لهذه الجماعة، وأشرنا إلى نمو حركة الخوارج، وتوجيه آرائهم ثم إلى تعدد فرقهم، وإلى حروبهم في المنطقة، وما حولها، وأثر هذه الحروب على (عرب الخليج)، وخاصة عبد القيس .

الملاحق :

الملحق الأول

رسائل رسول الله - صلى الله عليه وسلم- إلى أهل الخليج وشرق الجزيرة العربية

كتاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم- إلى عبد القيس:

كتب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إلى عبد القيس: "من محمد رسول الله إلى الأكبر بن عبد القيس إنهم آمنون بأمان الله، وأمان رسوله على ما أحدثوا في الجاهلية من القحم، وعليهم الوفاء بما عاهدوا، ولهم ألا يحبسوا عن طريق الميرة، ولا يمنعوا صوب القطر، ولا يحرموا حرمة الثمار عند بلوغه، والعلاء بن الحضرمي أمين رسول الله على برها وبحرها، وحاضرها وسراياها، وما خرج منها، وأهل البحرين خفراؤه من الضيم، وأعوانه على الظالم، وأنصاره في الملاحم، عليهم بذلك عهد الله وميثاقه، لا يبدلوا قولاً، ولا يريدوا فرقة، ولهم على جند المسلمين الشركة في الفيء، والعدل في الحكم، والقصد في السيرة حكماً لا تبديل له في الفريقين كليهما، والله ورسوله يشهد عليهم^(١) .

وكتب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أيضاً إلى عبد القيس: "بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب من محمد رسول الله لعبد القيس، وحاشيتها من البحرين، وما حولها، إنكم أتيتموني مسلمين، مؤمنين بالله ورسوله وعاهدتم على دينه، فقبلت على أن تطيعوا الله ورسوله فيما أحببتم وكرهتكم، وتقيموا الصلاة، وتؤدوا الزكاة، وتحجوا البيت، وتصوموا رمضان، وكونوا قائلين لله بالقسط ولو على أنفسكم، وعلى أن تؤخذ من حواشي أموال أغنياءكم فترد على فقراءكم، على فريضة الله ورسوله في أموال المسلمين^(٢) .

كتاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إلى بكر بن وائل:

كتاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إلى بكر بن وائل "أما بعد فأسلموا تسلموا"^(٣) .

(١) ابن سعد: الطبقات (٢/ ٤٧-٤٨) .

(٢) حميد الله الحيدر آبادي، الوثائق السياسية (ص ٩٥)

(٣) ابن سعد: الطبقات، (٢/ ٤٦) .

كتاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إلى أهل هجر:

كتب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إلى أهل هجر، فقال: "أما بعد، فإني أوصيكم بالله، وبأنفسكم ألا تضلوا بعد أن هديتم، ولا تغوا بعد أن رشدتم، أما بعد فإنه قد جاءني وفدكم، فلم آت إليهم إلا ما سرهم، ولو أتي اجتهدت فيكم جهدي كله أخرجتم من هجر، فشفعت غائبكم، وأفضلت على شاهدكم، فاذكروا نعمة الله عليكم، أما بعد فإني قد أتاني الذي صنعتم، وأنه من يحسن منكم لا أحمل عليه ذنب المسيء، فإذا جاءكم أمراي، فأطيعوهم، وانصروهم على أمر الله، وفي سبيله، وأنه من يعمل منكم صالحا فلن تضل عند الله، ولا عندي" (١).

كتاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إلى مجوس هجر:

ونصه: "أما بعد من شهد منكم أن لا إله إلا الله، وأن محمدا عبده ورسوله، واستقبل قبلتنا، وأكل ذبيحتنا فله ما لنا وعليه ما علينا، ومن أبي فعليه الجزية، على كل رأس دينار على الذكر والأنثى، ومن أبي فليأذن بحرب من الله ورسوله" (٢).

كتاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إلى المنذر بن ساوي:

كتب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إلى المنذر بن ساوي: "بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله إلى المنذر بن ساوي سلام على من اتبع الهدى، أما بعد: فإني أدعوك إلى الإسلام، فأسلم تسلم يجعل الله لك ما تحت يديك، واعلم أن ديني سيظهر إلى منتهى الخف، والحافر" (٣).

كما كتب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إلى المنذر بن ساوي: "إن من صلّى صلاتنا، واستقبل قبلتنا، وأكل ذبيحتنا ذلك المسلم له ذمة الله، وذمة رسول الله، فمن أحب ذلك من المجوس فهو آمن، ومن أبي فعليه الجزية" (٤).

(١) نفس المصدر (ص ٤٠).

(٢) الزيلعي: نصب الراية لأحاديث الهداية (٤/٤١٩ - ٤٢٠).

(٣) نفس المصدر، (٤/٤١٩ - ٤٢٠).

(٤) أبو يوسف: الخراج (ص ١٤١).

كما كتب رسول الله -صلى الله عليه وسلم- إلى المنذر بن ساوي أيضًا: "من محمد رسول الله إلى المنذر بن ساوي، سلام الله عليك، فإني أحمدُ اللهَ إليك الذي لا إله إلا هو، أما بعد، فمن استقبل قبلتنا، وأكل ذبيحتنا، فذلك المسلم الذي له ما لنا وعليه ما علينا، ومن لم يفعل فعله ديناؤُ من قيمة المعافري، والسلام ورحمة الله، يغفر الله لك" (١).

كما كتب رسول الله -صلى الله عليه وسلم- إلى المنذر بن ساوي أيضًا: "أما بعد، فإن رسلي قد حمدوك، وإنك مهما تصلح أصلح إليك، وأثبك على عملك، وتنصح لله، ولرسوله، والسلام عليك" (٢).

وكتب رسول الله -صلى الله عليه وسلم- إلى المنذر بن ساوي أيضًا: "أما بعد، فإني قد بعثت إليك قدامة، وأبا هريرة، فادفع إليهما ما اجتمع عندك من جزية أرضك، والسلام" (٣).

كتاب رسول الله -صلى الله عليه وسلم- إلى أسيبخت بن عبد الله مرزبان هجر:

كتب رسول الله -صلى الله عليه وسلم- إلى أسيبخت بن عبد الله مرزبان هجر: "إلى أسيبخت بن عبد الله صاحب هجر، إنه قد جاءني الأقرع بكتابك، وشفاعتك لقومك، وإني قد شفعتك، وصدقت رسولك الأقرع في قومك، فأبشر فيما سألتني، وطلبتني بالذي تحب، ولكني نظرتُ أن أعلمه وتلقاني فإن تجئنا أكرمك، وإن تقعد أكرمك، أما بعد، فإني لا أستهدي أحدًا، وإن تهدي إليّ أقبل هديتكَ، وقد حمّد عمّالي مكانك، وأوصيك بأحسن الذي أنت عليه من الصلاة، والزكاة، وقراءة المؤمنين، وإني قد سمّيت قومك بني عبد الله فمُرهم بالصلاة، وبأحسن العمل وأبشر، والسلام عليك وعلى قومك المؤمنين" (٤).

(١) أبو يوسف: الخراج (ص ١٤١).

(٢) ابن سعد: الطبقات، (٢/٤٠).

(٣) ابن سعد: الطبقات، (٢/٤٠).

(٤) ابن سعد: الطبقات، ١ق (٢/٢٧).

كتاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إلى هلال صاحب البحرين:

كتب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إلى هلال صاحب البحرين: "سلم أنت فأني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو لا شريك له، وأدعوك إلى الله وحده، تؤمن بالله، وتطيع، وتدخل في الجماعة؛ فإنه خير لك، والسلام على من اتبع الهدى"^(١).

كتاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إلى أهل البحرين:

كتب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إلى أهل البحرين: "أما بعد فإنكم إذا أقمتهم الصلاة، وآتيتهم الزكاة، ونصحتهم الله ورسوله، وأتيتهم عشر-النخل، ونصف عشر-الحب، ولم تمجسوا أولادكم، فلکم ما أسلمتم عليه غير أن بيت النار لله ورسوله، وإن أبيتم فعليكم الجزية " ٢ .

(١) ابن سعد: الطبقات، ١ق (٢٧/٢) .

(٢) البلاذري: فتوح البلدان (ص ٩٦) .

الملحق الثاني

ولاة شرق الجزيرة العربية والخليج منذ فجر الإسلام حتى نهاية الأمويين:

رسول الله - صلى الله عليه وسلم - العلاء بن عبد الله بن عماد الحضرمي ^(١) .

أبو بكر الصديق - رضي الله عنه - كان العلاء بن الحضرمي على البحرين أزمان أبي بكر ^(٢) .

عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - ، فعزله عمر، وجعل قدامة بن المظعون مكانه، ثم عزله قدامة، وردّ العلاء، وكان العلاء يباري سعدًا لصدع صدّعه القضاء بينهما، فطار العلاء على سعدٍ في الردّة بالفضل حتى طَفَّر سعدٌ بالقادسية ^(٣)، وعياش بن أبي ثور ^(٤)، وأبو هريرة الدوسي ^(٥)، والربيع بن زياد الحارثي ^(٦)، وعثمان بن أبي العاص، وعثمان بن عفان - رضي الله عنه -، وعثمان بن أبي العاص ^(٧)، وعبد الله بن سوار العبدي ^(٨)، ومروان بن الحكم ٩، وعلي بن أبي طالب - رضي الله عنه -، وعمر بن أبي سلمة المخزومي - وهو ابن أم سلمة زوج رسول الله - ^(١٠)، والنعمان بن العجلان الأنصاري ^(١١)، وقدامة بن العجلان، وعبيد الله بن العباس، ومعاوية بن أبي سفيان، والأحوص بن عبد أمية ^(١٢)، ومروان بن الحكم ^(١٣)، وعبد الملك بن مروان، وابن أسيد بن الأخنس بن شريق الثقفي ^(١٤)، وسانان بن سلمة بن المحبق المهبذبي ^(١٥)، وموسى بن سنان، وسعيد بن

(١) أبي يوسف: الخراج (ص ١٤١) .

(٢) اليعقوبي: (١٥٦ / ٢) .

(٣) الطبري: (٧٩ / ٤) .

(٤) أسد الغابة: (١٦١ / ٤) .

(٥) البلاذري: فتوح البلدان (٨١ - ٨٣) .

(٦) الدينوري: الأخبار الطوال (ص ١٣٣)، الطبري: (٢٧٩٨ / ١/٥) .

(٧) أنساب الأشراف: (١٦ / ٨) .

(٨) خليفة بن خياط: التاريخ (١ / ١٥٩) .

(٩) نفس المصدر .

(١٠) ابن الأثير: الكامل (٣ / ٢٢١ - ٢٢٢)، واليعقوبي: (٢ / ٢٣٦) .

(١١) اليعقوبي: (٢ / ٢٣٦ - ٢٣٧) .

(١٢) ابن حزم: جمهرة أنساب العرب (ص ٥٧٦) .

(١٣) أنساب الأشراف: (١٢٦ / ٥) .

(١٤) ابن سعد: الطبقات (١ / ٩٠) .

(١٥) نفس المصدر نفس الصفحة .

حسان الأسيدي^(١) ، وزيايد بن الربيع الحارثي^(٢) ، ومحمد بن صعصعة الكلابي^(٣) ، والوليد بن عبد الملك قطن بن زيايد بن الربيع الحارثي^(٤) ، وسليمان بن عبد الملك ، وقطن بن زيايد بن الربيع الحارثي ، وعمر بن عبد العزيز ، والأشعث بن عبد الله الجارود ، وصلت بن حريث ، وعبد الكريم بن المغيرة ، ويزيد بن عبد الملك ، وإبراهيم بن عربي^(٥) ، وهشام بن عبد الملك ، ومحمد بن حسان بن سعيد الأسيدي ، المهاجر بن عبد الله الكلابي^(٦) ، والوليد بن يزيد ، ومحمد بن حسان بن سعيد الأسيدي ، مروان بن محمد ، وبشر بن سلام العبدي ، وقد ذكر من ولاتها أيضًا قطن بن مدركة اللابي ، ويلج بن المثني^(٧)

ومن ولاة الأمويين في عمان:

الحجاج بن يوسف الثقفي ، والخيار بن سيرة المجاشعي ، والوليد بن عبد الملك ، وسيف بن الهاني الهمداني ، وسليمان بن عبد الملك ، وصالح بن عبد الرحمن بن قيس الليثي ، وعمر بن عبد العزيز ، وعمر بن عبد الله بن صبيحة الأنصاري ، وزيايد بن المهلب^(٨).

- (١) خليفة بن خياط: تاريخ (١/ ٢٩٩) .
- (٢) نفس المصدر نفس الصفحة.
- (٣) نفس المصدر نفس الصفحة.
- (٤) نفس المصدر ، (١/ ٣٠٠) .
- (٥) الطبري: تاريخ الرسل والملوك ، (٣/ ١٤١٠) .
- (٦) نقائض جرير والفرزدق: (١/ ٥٣٩) .
- (٧) ديوان الفرزدق: (٢/ ١٤١-١٤٢) .
- (٨) سرحان بن سعيد: تاريخ عمان (ص ٤٦) .

فكر الخوارج: (١)

مما تقدم يتضح لنا أن الفكر كان مهياً للمعارضة، وأن بذور الفتنة قد غرست فلما تهيأ لها الجو المناسب، ظهرت واتسعت على شكل حزب سياسي كبير "الخوارج".

لم يكن للخوارج أفكار وعقائد خاصة بهم عند نشأتهم، فالتفوا حول شعارات دينية تثير حماسهم، وتحرك عواطفهم، وتدفعهم إلى التضحية والفداء، وقد ظل الشعار الذي رفعته الخوارج يوم صفين "لا حكم إلا لله" ^(٢). لحقبة طويلة. هو الراية التي يلتفون

حولها، وهو النداء الذي يستثير حميتهم، حتى يوطنوا أنفسهم على الموت طلباً للشهادة فعند التعبئة للحرب يصيح فيهم مناديتهم: "هل من رائج إلى الجنة"، فيتصايحون جميعاً: "الروح إلى الجنة" ^(٣)، فهذا خارجي قد طعن بالرمح، فجعل يسعى فيه إلى قاتله: وهو يقول: "وعجلت إليك ربي لترضى" ^(٤)، وهذا خارجي آخر خالطه السيف، فأخذ يردد: "حبذا الروح إلى الجنة" ^(٥)، لم تقف الخوارج عند حد هذا النداء القرآني فحسب، بل طبقوه على مخالفيهم من المسلمين، فإذا علي بن أبي طالب قد كفر لقبوله التحكيم، وإذا أصحابه كفروا -أيضاً- لقبولهم إمامته بعد ذلك ^(٦)، ولكن رغم إجماع الخوارج على تكفير علي، فإنهم مختلفون في نوع هذا الكفر، فبعضهم يراه: (كفر شرك)، بينما يراه آخرون منهم كفرًا من نوع آخر ^(٧)، كما كفروا الحكمين أبا موسى الأشعري، وعمرو بن العاص، ومعاوية وناصره ومقلديه ^(٨)، ولم يوقروا من الخلفاء الأوائل إلا أبا بكر وعمر

(١) هذا الفصل مقتبس من كتاب الخوارج في المشرق الإسلامي حتى نهاية القرن الثاني الهجري تأليف: السيد الدكتور: صالح بن حسين السادة (رحمه الله) صاحب الرسالة، وضعت هنا للحاجة إليه وصلته بالبحث.

(٢) ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج ١، ص ١٩٢. وينظر: الزين، تاريخ الفرق الإسلامية، ص ٨٩.

(٣) طه حسين، الفتنة الكبرى، (١٠٥ / ٢).

(٤) المبرد، الكامل، (١٥٥ / ٣).

(٥) أبي الحديد، نفس الكتاب، (٩٦ / ٥).

(٦) نفسه، (١١٣ / ٨).

(٧) الأشعري، مقالات الإسلاميين، (١٦٧ / ١).

(٨) المسعودي، مروج الذهب، (٨٧ / ٢).

الذين رأوهما إمامي حق^(١)، أما عثمان فلم ينج من تشديعهم عليه بالكفر، لسيرته في السنوات الست الأواخر من خلافته^(٢).

ولم يكتف الخوارج بتكفير غيرهم من المسلمين، بل نظروا إليهم نظرة المسلمين إلى عرب الجزيرة، فكان عليهم إما الإسلام، وإما السيف^(٣)، في حين كانت نظرتهم إلى غير المسلمين من أصحاب الديانات السماوية الأخرى أكثر إنسانية، وأقل تطرفاً؛ إذ كانوا يرون المحافظة على أهل الذمة من اليهود والنصارى، في الوقت الذي كانوا يستباحون دماء المسلمين ويقولون: "احفظوا ذمة نبيكم"^(٤)، وهكذا كانت غلطتهم مع المسلمين عاملاً على احتماء المسلم بهويّة غير الإسلام للنجاة من شرهم، فحين وَقَعَ واصل بن عطاء المعتزلي بين أيديهم، لم يُنجه منهم إلا ادعاؤه أنه مشرك مستجير بهم^(٥)..

ومنذ بدء دعوتهم لم يكونوا يرون الإقامة بين مخالفيهم من المسلمين، لاعتقادهم أن ديار السلطان ديار جورٍ واستبدادٍ، وأن المقيمين بها هم أهلُ بدعٍ مُضَلَّة، فبعد مبايعتهم للراسبي خطبهم، فقال: "أخرجوا بنا من هذه القرية الظالم أهلها إلي بعض كور الجبل، أو إلى بعض هذه المدائن منكرين لهذه البدع المضلة"^(٦) وسرعان ما هَجَرَ الخوارج ديارهم تاركين أهلهم، وأقربائهم؛ لينضموا إلى ولاية الحق والعدل^(٧)، ولكن هذه الهجرة لم تكن تعني أنهم قد هجروا ديارهم إلى الأبد، بل كان تعبيراً عن خروجهم على سلطان الحكم، ورفضهم أن يستظلوا بنظامه، واستعداداً للانقضاض عليه، ودك أركانه لاستبداله بما يروّنه عدلاً وإسلاماً.

إن فكر الخوارج السياسيّ إذن مصدره الدين، وليس العصبية، وهو ما عبر عنه ابن خلدون بقوله: "إن الخوارج المستميتين في شأن بدعتهم لم يكن ذلك لزعمة ملك ولا رياسة، ولم يتم أمرهم لمزاحمتهم العصبية القوية" إنما تولد عن "خلاف اجتهاديّ في

(١) المبرد، الكامل، (٣/ ١٦٤).

(٢) السيابي، أصدق المناهج في تمييز الأباضية من الخوارج، (ص ٦٣- ٦٤)، والمسعودي، مروج الذهب، (٢/ ٨٧).

(٣) ابن عبدربه، العقد الفريد، ط القاهرة، ص ١٢٦٣ هـ، (١/ ص ٢٦٤).

(٤) المبرد، نفس المصدر والصفحة.

(٥) نفس المصدر والصفحة.

(٦) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، (٣/ ٣٣٥). وعند ابن قتيبة... (منكرين لهذه البدعة المضلة (التحكيم)

والأحكام الجائرة، الإمامة والسياسة، (٢/ ٢٢٤).

(٧) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، (٣/ ٣٣٦).

مسائل دينية ظنية، متعلقة بالإمامة، ذلك هو ما أجمع عليه جمهرة من الدارسين الثقة" (١)

كان الطابع الديني سمة مميزة لنشاط الخوارج ونظمهم السياسية في المشرق (٢)، فقد التزموا بتعاليم المذهب في اختيار الأئمة، وجباية الأموال والجهاد، ومعاملة الخصوم.

هكذا كان التطرف والشدة في إعلان الرأي من خصائص فكرهم السياسي، ومن أسباب فشلهم أيضًا، حتى قيل بأن: "سياستهم غير سياسية بته" (٣)

وليس أدلّ على ذلك من قولهم بالاستعراض، ورفض التقية، وتشددهم في قبول المهاجرة (٤).

وعلى الرغم من فرق الخوارج فيما بعد، واختلاف آرائهم، وتشعب مذاهبهم وتأويلاتهم، فإنهم قد اتفقوا على بعض المسائل الهامة التي تشكل نواة أفكارهم، وأبرز هذه المسائل الفكرية والعقائدية ما يلي:

أولاً: نظرية الخلافة (الإمامة) (٥):

يذهبُ البغدادي إلى أن الذي اجتمعت عليه الخوارج "وجوب الخروج على السلطان الجائر" (٦)، وليس جوازُ الخروج، كما ذهب الأسفراييني (٧)، ويحدّد المقدسي أن الخوارج لم يكفروا كلّ حياة عثمان بن عفان، الفترة التي تبرّأوا منها ليست أيامه كلها" (٨).

لقد وضع الخوارج نظرية الخلافة، وهي أنّ الخلافة يجب أن تكون باختيار حرّ من المسلمين، وإذا اختير الإمام أو الخليفة، لا يصح له أن يتنازل، وليس بضروري أن يكون الخليفة، أو الإمام قريشياً، بل يصح أن يكون من قريشٍ ومن غيرها، ولو كان عبداً حبشياً

(١) المقدمة، (٦٩ / ٢).

(٢) فلهوزن، الخوارج والشيعة، (ص ٢٩).

(٣) محمود إسماعيل، الخوارج في بلاد المغرب، (ص ٢٥٨). وينظر: الشهرستاني، الملل والنحل، (١ / ١٦٤).

(٤) فلهوزن، تاريخ الدولة الغربية، (ص ٣٧٢).

(٥) الإمامة والخلافة لفظان أطلقا على مسمى واحد الماوردي: الأحكام السلطانية، (ص ٢٠).

(٦) البغدادي، الفرق بين الفرق، (ص ٥٥).

(٧) الأسفرائي، التبصير في الدين، (ص ٢٦).

(٨) المقدسي، البدء والتاريخ، (٥ / ١٣٤ - ١٣٥).

(١)، ولا شك أن هذا المبدأ قد لقي قبولاً في نفس الموالي الذين انضمَّ بعضهم إلى صفوف الخوارج، وإذا تمَّ الاختيارُ كان على الإمام، أو الخليفة أن يخضع خضوعاً تاماً لما أمر الله، وإلا وجب عزله، وأدركوا أن كلَّ دعوةٍ لا تستهدف الوصولَ إلى قيادة الأمة لا تستطيع الاستمرارُ والحياة، فقال أحد قادتهم يحثهم على اختيار أميرٍ لهم: "فولوا رجلاً منكم، فإنكم لا بد لكم من عمادٍ وسنادٍ وراية تحفون بها، وترجعون إليها" (٢)

سرعان ما استجابوا لهذه الدعوة، فاختاروا منهم عبد الله بن وهب الراسبي، واعتبروه الإمام الشرعي، والأمير المنتخب (٣).

واتفق جميع الخوارج على وجوب الإمامة، وأن على الأمة الانقيادُ لإمامٍ عادلٍ، يقيم فيهم أحكام الله، ويسوسهم بأحكام الشريعة التي أتى بها رسول الله "صلى الله عليه وسلم"، عدا النجدات من الخوارج فإنهم قالوا: (لا يلزم الناس فرض الإمامة، إنما عليهم أن يتعاطوا الحق فيما بينهم) (٤) ..

إذن أوجب الخوارج نَصَب الإمام (٥). ورأوا أن الإمامة تستحق بالشورى من قريش، أو غيرهم من العرب، والعجم (٦). فيستحقها أي مسلم يجتمع فيه العلم والزهْد ولو كان نبطياً (٧)، ولا يجوزون إمامة الجائر (٨). بل أجازوا البراءة من الأئمة الذين يحكمون بغير ما أنزل الله. في رأيهم. أو كما عبّر "البغدادي" عن هذا المبدأ بقوله: "وجوب الخروج على السلطان الجائر" (٩)، فلا يصح الرضى عن ظلمهم وجورهم (١٠)، ويعرف أبو يعقوب الوريثاني السلاطين بأنهم "الذين تغلبوا على الناس لا يراعون شرعا، ولا يدعون إليه" (١١)، وبمقتضى هذا المبدأ رجعوا إلى الوراثة، فرضوا عن أبي بكر، لأنه أخذ بكتاب الله

(١) شجع هذا المبدأ الموالي وغير العرب إلى الانضمام إلى الخوارج، انظر ابن الجوزي تلبيس إبليس، (ص ٩٦).

(٢) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، (٣/ ٣٣٦).

(٣) ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، (١/ ٢٠٨).

(٤) ابن حزم، الفصل في الملل والنحل، (٤/ ٨٧).

(٥) الشهرستاني، الملل والنحل، (١/ ١٥٧).

(٦) الناشئ الأكبر، مسائل الإمامة، (ص ٦٨).

(٧) ابن الجوزي، تلبيس إبليس، (ص ٩٦).

(٨) الأشعري، مقالات الإسلاميين، (١/ ٢٠٤).

(٩) البغدادي: الفرق بين الفرق، (ص ٧٣).

(١٠) الشهرستاني، نفس الكتاب والجزء، (١/ ٢٠٠).

(١١) الوريثاني، الدليل لأهل العقول، (٣/ ٤١).

تعالى وسنة نبيه محمد "صلى الله عليه وسلم" ^(١)، كما رضوا عن عمر بن خطاب، لأنه كان يهتدي بمن قبله من المؤمنين وبحكم كتاب الله وسنة نبيه ^(٢)؛ أما عثمان، فيتبرؤون منه ^(٣). لأنه . في رأيهم . يحكم بغير ما أنزل الله، وأنه . في رأيهم . خالف سنة نبي الله والخليفتين الصالحين أبي بكر وعمر ^(٤).

وبذلك أنكروا أولوية قريش، وأكدوا على ميزان الفضيلة والتقوى، وتقديم أشد الناس بأساً في تحمّل مسؤوليات هذا المنصب الخطير في السلم، والحرب.

أما عن بيعة أمير الخوارج، فكان يأخذها من أعدائه بعد هزيمتهم، حيث كانوا يؤمّرون بوضع أسلحتهم أولاً، ثم يسلمون عليه بإمرة المؤمنين ^(٥)، وعلى الرغم من استعمال الخوارج لكلمة (خليفة) وكلمة (إمام)، فإن لقب أمير المؤمنين كان المحبّب عندهم، تيمناً بعمر بن الخطاب الذي يحملون له الإكبار والتقدير.

أما العصمة فينفيها الخوارج عن الإمام نفيًا تامًا، بل إن طائفة منهم ترى أن الرسول "صلى الله عليه وسلم" معصوم، فيما يتعلق بتبليغ الرسالة، أما فيما يأمر به، أو ينهى، فإنه غير معصوم، وجوّزوا وقوع الظلم من النبي "صلى الله عليه وسلم" نفسه، لذلك قال أولهم: "اعدل يا محمد فإنك لم تعدل" ^(٦)، وهم بخلاف الشيعة، فإن الإمام عندهم معصوم . وقد ذهبوا إلى أن الإمام تقبل حسنائه، وتغفر له سيئاته، وإلى أن طاعته واجبة في كلّ ما يأمر به ^(٧)، فكانه عندهم شخص شبه معصوم .

وفيما يتصل برجعة الإمام، فإن الخوارج لا تعتقد في رجعة أحدٍ إلا (الحمزية) أصحاب حمزة بن أكرك الذي كان من المجاردة الحازمية، ثم خرج عنهم، وقال بالقدر، وبالاستطاعة قبل الفعل وعندما مات شك أتباعه في موته، وبقوا ينتظرون عودته إليهم

(١) كشف الغمة، ورقة (١٩٠) .

(٢) نفس المصدر والصفحة، ومختصر تاريخ الأباضية، (ص ٢١) .

(٣) الشهرستاني، نفس الكتاب والجزء، (١ / ١٩٨) .

(٤) كشف الغمة، ورقة (١٩٣) .

(٥) ابن تيمية، منهاج السنة النبوية، (٢ / ٨٣) .

(٦) المصدر نفسه.

(٧) البغدادي، الفرق بين الفرق، (ص ٩٩)، ويذهب البغدادي إلى أن المنتظر عند الخوارج هو مسعود بن قيس

الخافي، من أتباع خلف الذي كان تابعاً لابن الأورق ومخالفاً لحمزة بن أكرك، بل إنه ينسب إليه قتل حمزة .

مدة مائة وعشرين سنة^(١)، وبهذا يكون هناك وجه شبه بين الشيعة والخوارج، كما تأثر الأرجاء بالتشيع، فأخذ المرجئة عن الشيعة التقية والمهدي المنتظر^(٢).

ثانياً: نظرية الإيمان:

اصطبغ فكر الخوارج في أول أمرهم بصبغةٍ سياسيةٍ محضةٍ، ثم قزروا بعد ذلك أن العمل بأوامر الدين؛ من صلاة وصيام وصدق وعدل . جزء من الإيمان، وليس الإيمان الاعتقاد به وحده، فمن اعتقد أن: (لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله)، ثم لم يعمل بفروض الدين، وارتكب الكبائر، فهو كافر؛ لأنه هو الذي يصنع مصيره المؤمن، أو مصيره الكافر، بما يكتسبه من فعلٍ، أو يجتنبه من نهي^(٣) ..

والإيمان عند الخوارج قول وعمل، أي: أنه لا بد أن يترجم المعتقد عندهم إلى واقع الحياة، فالذي يؤمن بالله ورسوله، وبكل ما أمر به الإسلام من صلاة وزكاة وأوامر ونواه، ثم لا يقيم الصلاة، ولا يؤتي الزكاة، ولا ياتم بالأوامر، ولا ينتهي بالنواهي، فليس بمؤمن، وإنما كافر، وعند الإباضية منهم أنه "كافر كفر نعمة"، فمن أتى بالقول، وضيع العمل فهو منافق، وليس بمشرك ولا مسلم^(٤) ..

والواقع أن المسلمين يكادون يتفقون - عدا المرجئة- على أن الإيمان يشمل الأعمال ؛ لأن العمل مسألة السلوك مرتبطة بأمر الدين، وهو الإيمان، فإذا كان العمل عنصراً داخلياً في مقوماته، فإن مَنْ ترك العمل، أو خالف النهي خرج بذلك عن الإيمان، والإيمان عند الخوارج كل لا يتجزأ، فأصله التصديق والإقرار والمعرفة، وتجسيد السلوك والعمل^(٥).

والإمام الغزالي يرد الإيمان إلى ثلاثة فصول هي: الإيمان بالله ورسوله وباليوم الآخر، أمّا ما عداها من الفروع فلا كفر فيها، إلا أن ينكر الإنسان أصلًا دينيا جاء عن الرسول بطريقة

(١) ينظر المقدسي، البدء والتاريخ، (١٣٨ / ٥) .

(٢) محمود إسماعيل، الحركات السرية، (ص ٣٨) .

(٣) الشهرستاني: نهاية الاقدام، (ص ٤٧٥) .

(٤) أمال محمد حسن، (برقة وطرابلس في القرون الثلاثة الأولى)، (ص ١٥) .

(٥) ابن تيمية، الإيمان، (ص ١٥٤) .

التواتر، إذ يصبح حينذاك بمنزلة القرآن^(١)، وهذه الأصول تقرّها الشيعة الإمامية أيضًا^(٢).

ويجدر بنا بعد هذا الاستعراض لأفكار الخوارج الأساسية أن نستعرض بإيجاز الأفكار، والمعتقدات الفرعية في الأمور البسيطة.

الأفكار الفرعية:

ذكر أن الخوارج على اختلاف أصنافها تبرأ من الكاذب، ومن الذين يجاهرون بالمعصية^(٣)، وحكي الإمام الأشعري أنهم ينكرون عذاب القبر، ولا يرون على الناس فرضًا ما لم تأتهم الرسل^(٤)، وقد احتجوا على ذلك بقوله تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [سورة الإسراء: الآية ١٥]. كما خالفوا اعتقاد أهل السنة بشفاعة الرسول يوم القيامة^(٥).

وربما يكون من المفيد في هذا المقام أن نعرض لما ذكره القلقشندي حول إيمان جميع الخوارج؛ إذ كشف لنا العديد من آرائهم، وأفكارهم في كثير من الأمور المختلفة، فعلى الرغم من أن هذا الإيمان يماثل في أصوله إيمان أهل السنة، فإنهم يزيدون عليها، فيقولون: "وإلا أجزت التحكيم وصوّبت قول الفريقين في صفين، وأطعت بالرضى مني حكم أهل الجور، وقلت في إمارة بني أمية عدل، وإن قضاءهم حق، وأن عمرو بن العاص أصاب، وأن أبا موسى الأشعري ما أخطأ"^(٦).

ويبدو أن الخوارج ظلوا - في أول أمرهم - على رأي واحد، لا يختلفون إلا في الأمور الفرعية البسيطة، فكانوا يتولون أهل النهروان الذين يصفونهم كشهداء بدر عند المسلمين، كما كانوا يتولون كبيرهم أبا بلال مرداس بن أدية^(٧)، ولعل تعرفنا آراء أبي بلال هذا يكشف لنا أفكارهم قبل أن تتبلور عقائدهم بشكلها الواضح.

(١) ينظر الغزالي، فيصل التفرقة، (ص ٥٦).

(٢) مغنية، مع الشيعة الإمامية، ط بيروت، سنة: ١٩٥٦م، (ص ٧).

(٣) الشهرستاني، الملل والنحل، (١/ ١٦٦).

(٤) الأشعري، مقالات الإسلاميين، (١/ ص ٢٠٦).

(٥) ابن تيمية، الإيمان، (ص ١٤٢ - ١٤٣) ط القاهرة، سنة: ١٣٢٥هـ.

(٦) القلقشندي، صبح الأعشى، (١٣/ ص ٢٢٥).

(٧) المبرد، الكامل، (٣/ ص ٢١٥).

كان أبو بلال من الذين حاربوا إلى جانب الإمام عليّ في صفين، ثم أنكر التحكيم، ولكنه لم يكن يدين باستعراض، ولا يرى القتال إلا دفاعاً عن النفس، كما كان يحرم خروج النساء^(١)، وقد قيل: أنه كان يدين بالتقية، فقد ذكر المبرد أنه نصح البلجاء^(٢)، الخارجية أن تستتر، بعد أن كانت تحرض الناس على ابن زياد، فقال لها: "إن الله قد وسّع على المسلمين في التقية فاستتري"^(٣).

ولقد خالف مرداس في بدء أمره رأي أسلافه، فلم يرَ حرجاً في الإقامة في ديار المسلمين من مخالفيهم. وظلّ على هذا الاعتقاد حتى حبسه عبد الله بن زياد، وأخذ يجد في مطاردة الشّرة، حينذاك صمّم على الخروج، فلما سئل عن ذلك، قال: "أريد أهرب بديني وأصحابي من أحكام هؤلاء الجورة"^(٤).

وهكذا بدا لنا أن الخوارج في بدء أمرهم لم يكونوا أصحاب نظريات عقديّة خاصة بهم، بل كانوا يخضعون لاجتهادات زعمائهم الذين لم تكن قد تبلّورت لديهم أفكار محدّدة واضحة يميّزون بها عن سائر المسلمين، وربما كان انشغالهم بالأعمال الحربية المتواصلة قد حال بينهم وبين النظر في الأمور الفكرية، ولم يتسنّ لهم ممارستها إلا في مرحلة متقدمة من العصر الأموي، حين تسرّب إلى عقائدهم طرف من المباحث الكلامية، كالكلام في الاستطاعة، وخلق الأفعال، والوعد والوعيد، وغيرها.

ويمكن لنا مما تقدّم أن نعلم بوضوح؛ كيف أن الخوارج ليسوا مجرد بدو؛ كما ادعى بعض المؤرخين، وليست حركتهم "تطاولا وتمرداً وفتنة" ضد أولي الأمر - وليست "مروقاً وكفراً وزندقة" من الناحية الدينيّة، وإنما كانوا من أحسن الناس فكراً، وأصوبهم، وأقربهم

(١) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، (٣/ص ٥١٨).

(٢) هي امرأة من بني حازم بن يربوع بن حنظلة التميمي ينظر: شرح النهج، (٥/ص ٨٢).

(٣) المبرد، الكامل، (٣/ص ٢١٥)، ولعل أخذه بمبدأ التقية هو الذي جعل الشيعة تدعيه، فقد زعموا أنه كتب إلى الحسين بن علي، فقال: إني والله لست من الخوارج، ولا أرى رأيهم، وإني على دين أبيك إبراهيم، ابن أبي الحديد شرح نهج البلاغة، (٥/ص ٩٧)، كما استحلته المعتزلة، وزعموا أنه خرج منكراً جور السلطان، داعياً إلى الحق والعدل، واستدلوا على ذلك من رده على زياد، حين توعد وهدد أن يأخذ المحسن بالمسيء، والمطيع بالعاصي، المبرد، نفس المصدر، (ص ٢١٤).

(٤) المبرد، نفس المصدر، (٣/ص ٢٥٠).

إلى حقيقة الحوار والمناظرة، وسوف يرى القارئ هنا نموذجًا لذلك في استجابة شوذب الشيباني زعيم الخوارج^(١)، والذي أعد له عمر بن عبدالعزيز جيشًا كبيرًا.

(١) وذكره الطبري باسم بسطام من بني يشكر. ينظر: تاريخ الرسل والملوك، (١/ ص ٥٥٥).

مصادر ومراجع البحث

أولاً: القرآن الكريم.

ثانياً: الأحاديث النبوية.

ثالثاً: المخطوطات:

- ١- البلاذري (ت: ٢٧٩ هـ) أحمد بن يحيى: أنساب الأشراف، مخطوطة مصورة في دار الكتب بالقاهرة.
- ٢- تاريخ عمان، مخطوطة من غرفة المخطوطات بوزارة التراث القومي مسقط عمان.
رابعاً: المصادر العربية القديمة:
- ٣- ابن الأثير: (ت ٦٣٠ هـ / ١٢٣٨ م) عز الدين أبي الحسن علي بن أبي الكرم: الكامل في التاريخ، ١٢ جزء صادر للطباعة والنشر بيروت ١٣٨٥ هـ. ١٩٦٥ م.
- ٤- الأزهري: (ت ٣٧٠ هـ) أبو منصور محمد بن أحمد: تهذيب اللغة ١٥ جزء تحقيق إبراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي، مطابع سجل العرب، القاهرة ١٩٦٧ م.
- ٥- الاصطرخي: (ت ٣٤١ هـ) أبو اسحق إبراهيم بن محمد: مسالك الممالك طبع دي غويه بريل ليدن ١٨٧٠ / ١٩٢٧ م.
- ٦- البغدادي (ت ٤٢٩ هـ) أبو منصور عبد القادر بن طاهر: الفرق بين الفرق، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، مطبعة المدني، القاهرة بدون تاريخ.
- ٧- البكري (ت ٤٨٧ هـ) أبو عبد الله بن عبد العزيز: معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، تحقيق مصطفى السقا، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة ١٣٦٢ هـ ، وما بعدها .
- ٨- البلاذري (ت: ٢٧٩ هـ) أحمد بن يحيى: أ- فتوح البلدان، ١- مطبعة النهضة المصرية، ١٣١٨ هـ / ١٩٥٧ م ، ٢. مطبعة ذي غوية بريل. ليدن ١٨٦٦ م.
- ٩- أنساب الأشراف ج ١، القاهرة دار المعارف ١٩٥٩ م، تحقيق محمد حميد الله .

- ١٠- ثعلب (ت: ٢٩١هـ) شرح ديوان زهير بن أبي سلمى، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة ١٣٨٤هـ / ١٩٦٤م .
- ١١- الجواليقي (ت: ٥٤٠هـ) أبو منصور موهوب بن أحمد: المعرب من كلام الاعجمي على حروف العجم، تحقيق أحمد محمد شاكر، طهران ١٩٦٦م .
- ١٢- الجوهري (ت: ٣٩٨هـ) إسماعيل بن حماد: الصحاح، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، مطابع دار الكتاب العربي، القاهرة ١٣٧٦هـ / ١٩٥٦م .
- ١٣- ابن حزم: (ت: ٤٥٦هـ) أبو محمد علي بن حزم الأندلسي: جمهرة أنساب العرب، تحقيق عبد السلام هارون، دار المعارف، مصر ١٣٨٢هـ / ١٩٦٢م .
- ١٤- ابن حوقل: (ت القرن الخامس الهجري) ابن حوقل النصيبي، كتاب صورة الأرض، منشورات مكتبة الحياة، بيروت .
- ١٥- ابن خرداداذابة: (ت في حدود ٣٠٠هـ) أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله، المسالك والممالك، طبعة دي غوية، بريل. ليدن ١٨٨٩م .
- ١٦- خسرو (ت ٤٨١هـ) نصري علوي: سفر نامه، ترجمة يحيى الخشاب، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة ١٩٤٥م .
- ١٧- الخطيب البغدادي: (ت: ٤٦٣هـ) أبو بكر أحمد بن علي: تاريخ بغداد ١١ جزء، نشر- دار الكتاب العربي، بيروت، بدون تاريخ .
- ١٨- ابن خلكان (ت ٦٠٨- ٦٨١هـ) أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، جزآن مكتبة ومطبعة النهضة المصرية، ط الثانية، صفر ١٣٨٤هـ. يونية ١٩٦٤م .
- ١٩- ابن خياط (ت: ٢٤٠هـ) أبو عمرو خليفة بن خياط: التاريخ، تحقيق أكرم ضياء العمري، ط ١، مطبعة الآداب، النجف والأشرف ١٣٨٦هـ / ١٩٦٧م .
- ٢٠- ابن رسته (ت:) أبو علي أحمد بن عمر: الأعلاف النفيسة، بريل. ليدن ١٨٩١م .

- ٢١- الزيلعي (ت ٧٦٢ هـ) جمال الدين أبو محمد عبد الله بن يوسف الحنفي: نصب الراية لأحاديث الهداية، ط ١، مطبعة دار المأمون بشير ١٣٥٧ هـ / ١٩٣٨ م، سلسلة المطبوعات، المجلس العلمي، الهند.
- ٢٢- ابن سعد: (ت ٢٣٠ هـ) محمد: كتاب الطبقات الكبرى، لجنة الثقافة الإسلامية، مطبعة لجنة نشر الثقافة الإسلامية القاهرة ١٣٥٨ هـ.
- ٢٣- الشهرستاني (ت ٥٤٨ هـ / ١١٥٣ م) أبو الفتح محمد بن عبد الكريم: الملل والنحل، ٥ أجزاء، مكتبة المثنى، بغداد، بدون تاريخ.
- ٢٤- الطبري: (ت: ٣١٠. ٩٢٢) أبو جعفر محمد بن جرير: (أ) تاريخ الأمم والملوك، ١٠ أجزاء، ١٩٣٩ م.
- ٢٥- (ب) تاريخ الأمم والملوك، ١٠ أجزاء، دار المعارف، ١٩٧٠ م.
- ٢٦- (ج) تاريخ الأمم والملوك، ٣ أجزاء، بريل. ليدن ١٨٨٣ م.
- ٢٧- أبو عبيدة (ت ٢٠٩ هـ) معمر بن المثنى: نقائض جرير والفرزدق، ثلاثة أجزاء، مطبعة بريل. ليدن ١٩٠٧، مكتبة المثنى، بغداد.
- ٢٨- أبو الفدا (ت ٧٣٢ هـ) عماد الدين إسماعيل بن محمد بن عمر صاحب حماة: المختصر في أخبار البشر، دار الكتاب اللبناني، بيروت.
- ٢٩- ابن قتيبة (٢٧٦ هـ) أبو محمد عبد الله بن مسلم: المعارف، تحقيق ثروت عكاشة، مطبعة دار الكتب، القاهرة ١٩٦٠ م.
- ٣٠- القزويني (ت ٦٨٢ هـ) أبو زكريا بن محمد بن محمود: آثار البلاد وأخبار العباد، دار صادر بيروت ١٣٨٠ / ١٩٦٠ م.
- ٣١- القلقشندي (ت: ٨٢١ هـ / ١٤١٨ م) أبو العباس أحمد بن علي: صبح الأعشى. في صناعة الإنشاء، ١٤ جزء، دار الكتب المصرية ط ٢، ١٩٣٨ م.
- ٣٢- الكرمانى (ت ٧٨٦ هـ) شمس الدين محمد بن يوسف: صحيح مسلم بشرح الكرمانى، نشر محمد عبد اللطيف، المطبعة البهية المصرية مصر، ١٣٢٥ هـ / ١٩٣٣ م، وما بعدها.

- ٣٣- ابن الكلبى (ت ٢٠٤ هـ) هشام بن محمد: الأضنام، تحقيق أحمد ذكي، نسخة مصورة من طبعة دار الكتب، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة ١٣٨٤هـ / ١٩٦٤ م .
- ٣٤- لغدة الأصفهاني (القرن الثالث الهجري) الحسن بن عبد الله: بلاد العرب، تحقيق حمد الجاسر والدكتور صالح العلي، منشورات دار اليمامة للبحث والترجمة، الرياض ١٣٨٨ هـ / ١٩٦٨ م، ط ١ .
- ٣٥- المرزوقي (ت: ٤٢١ هـ) أحمد بن محمد بن الحسن: شرح ديوان الحماسة، ٤ أجزاء، نشر أحمد أمين وعبد السلام هارون ط ١ مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة (١٣٧١-١٣٧٢هـ / ١٩٥١ - ١٩٥٣ م) .
- ٣٦- ٣٢- المسعودي (ت ٣٤٦ هـ) أبو الحسن علي بن الحسن بن علي، أ- مروج الذهب ومعادن الجوهر، المطبعة التجارية الكبرى بالقاهرة ط ٤، ١٩٦٤ م .
- ٣٧- (ب) التنبيه والاشراف، دار التراث القومي، بيروت ١٣٨٨هـ / ١٩٦٨ م، والتنبيه والاشراف، الثالث من المكتبة الجغرافية نشر دي غوية ليدن ١٨٩٣. ١٨٩٤ م .
- ٣٨- النووي (ت ٦٧٦ هـ) أبو زكريا يحيى بن شرف، رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين ط ١ مصطفى الباي، مصر ١٣٥٧ هـ / ١٩٣٨ م .
- ٣٩- النويري (ت ٧٣٣ هـ) شهاب الدين أحمد عبد الوهاب، أ- نهاية الارب في فنون الأدب، ط ٢، دار الكتب المصرية ١٣٥٥ - ١٩٣٦، ب - المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة، القاهرة ١٣٨٣ / ١٩٦٣ م .
- ٤٠- ابن هشام (ت: ٢١٨ هـ / ٨٣٢ م) أبو محمد عبد الملك بن هشام بن أيوب العامري الحميري، السيرة النبوية، ٤ أجزاء، تحقيق مصطفى عبد القادر وآخرون ، مكتبة شقرون القاهرة ط ٣، ١٩٧٨ م .
- ٤١- الهمداني (ت: ٣٤٣ هـ / ٩٤٦ م) أبو محمد الحسن أحمد بن يعقوب ابن يوسف بن داوود، صفة جزيرة العرب، جزآن، تحقيق محمد بن علي الأكوغ الحوالي، مطبعة السنة المحمدية، القاهرة ١٣٨٦ / ١٩٦٦ م

٤٢- ياقوت (ت ٦٢٦ هـ) شهاب الدين أبو عبد الله الحموي الرومي، معجم البلدان، ٦ أجزاء ، لايزك ١٨٦٨ م .

٤٣- اليعقوبي (ت ٢٨٤ هـ) أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن واضح، تاريخ اليعقوبي، جزآن، طبق هوتسما، مطبعة برلين ١٧٨٣ م

٤٤- أبو يوسف (ت: ١١٣-١٨٢) القاضي يعقوب بن إبراهيم، الخراج مطبعة بولاق سنة: ١٣٠٢ هـ (المطبعة السلفية) .

خامساً: المراجع العربية الحديثة:

٤٥- الإحسائي: محمد بن عبد الله: تحفة المستفيد بتاريخ الاحساء، في القديم والجديد، القسم الأول، ط ١ مطابع الرياض، ١٩٦٠

٤٦- أحمد شلبي (دكتور): التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية، النهضة المصرية ط ٧، ٣ أجزاء، ١٩٧٧

٤٧- أحمد محمود صبحي: البحرين ودعوى إيران، الإسكندرية ١٩٦٢ م .

٤٨- أحمد مصطفى أبو حكمة: . تاريخ الكويت. . لجنة تاريخ الكويت.

٤٩- أظهر المباركفوري: من النارجيل إلى النخيل (مجلة ثقافة الهند، أكتوبر ١٩٦٥، دلهي)

٥٠- الأفغاني: سعيد، أسواق العرب في الجاهلية، ط ٢، دار الفكر، دمشق ١٩٦٠ م.

٥١- جمال زكريا قاسم: الخليج، دراسة لتاريخه المعاصر، ١٩٤٥ . ١٩٧١ م، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ١٩٧٤ م .

٥٢- جواد علي: (أ) المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ط ١، دار العلم للملايين بيروت .

٥٣- (ب) تاريخ العرب قبل الإسلام، بيروت، مطبعة المجمع العلمي بغداد، ١٩٥٤

٥٤- حسن إبراهيم (دكتور): تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي (أربعة أجزاء) مكتبة النهضة المصرية، ط ٧، ١٩٦٤ م .

- ٥٥- حيدر بن محمد بن رزيق (ت ١٢٧٤هـ): الشعاع الشائع باللمعان في ذكر أئمة عمان، وزارة التراث القومي، مسقط عمان، ١٩٧٨ م .
- ٥٦- حوراني: جورج فضلوا، العرب والملاحة في المحيط الهندي في العصور القديمة وأوائل القرون الوسطى، ترجمة الدكتور السيد يعقوب بكر، القاهرة ١٩٥٨
- ٥٧- الدباغ: مصطفى مراد، جزيرة العرب موطن العرب ومهد الإسلام، جزآن، ط ١، منشورات دار الطليعة بيروت ١٩٦٣
- ٥٨- سرحان بن سعيد الازكوي العماني: تاريخ عمان، دار الدراسات الخليجية، عمان
- ٥٩- سرور: محمد جمال الدين (دكتور): (أ) قيام الدولة العربية الإسلامية، دار الفكر العربي ١٣٩٧هـ / ١٩٧٧ م .
- ٦٠- (ب) الحياة السياسية في الدولة العربية الإسلامية، دار الفكر، ط ٥، ١٣٩٥هـ / ١٩٧٥ م .
- ٦١- (ج) تاريخ الحضارة الإسلامية ط ٤، ١٣٩٦هـ / ١٩٧٦ م .
- ٦٢- سليمان سعدون البدر: منطقة الخليج العربي، الكويت، ١٩٧٤ م .
- ٦٣- سنان: محمود بهجت: البحرين درة الخليج العربي، ط ١، بغداد ١٩٦٣ م .
- ٦٤- سيف مرزوق الشمالان: (أ) تاريخ الغوص على اللؤلؤ .
- ٦٥- (ب) دول الخليج العربي وإماراته- (مؤتمر الأدباء العرب، ١٩٦٥ م) .
- ٦٦- شكري فيصل: المجتمعات الإسلامية في القرن الأول، ط ٣، دار التعليم للملايين، بيروت ١٩٧٣ م .
- ٦٧- صالح أحمد العلي (دكتور): (أ) محاضرات في تاريخ العرب ج ١، ط ٣، مطبعة الارشاد، بغداد ١٩٦٤ م .
- ٦٨- (ب) التنظيمات الاجتماعية والاقتصادية في البصرة في القرن الأول الهجري ط ١، ١٩٥٣ م، ط ٢، ١٩٦٩، دار الطليعة، بيروت .

- ٦٩- عادل رضا: عمان والخليج، دار الكاتب العربي، القاهرة ١٩٦٩ م .
- ٧٠- عبد العزيز المنصور (دكتور): نشأة قطر وتطورها، ١٢٧٢ هـ .
- ٧١- عبد العزيز حسين: الخليج العربي والكويت، دليل الكويت ١٩٦٥ غرفة تجارة وصناعة الكويت دولة الكويت
- ٧٢- عبد الأمير محمد أمين: المصالح البريطانية في الخليج، مطبعة الارشاد، بغداد ١٩٧٧
- ٧٣- عرام : (ت القرن الثالث الهجري) ابن الأصبع السلمي: جبال تهامة، لعبد السلام هارون، ط ١، مكتبة الخانجي بمصر والمثنى ببغداد القاهرة ١٩٥٥/١٣٧٤
- ٧٤- علي حسن الخربوطلي (دكتور): فجر الدولة الإسلامية
- ٧٥- العدوي (إبراهيم العدوي) دكتور: الدولة الإسلامية ودولة الروم، القاهرة ١٩٥٨ م .
- ٧٦- قلعجي: قدرتي: الخليج العربي، بيروت ١٩٦٥ م .
- ٧٧- كحالة: عمر رضا: جغرافية شبه جزيرة العرب، المطبعة الهاشمية، دمشق، ١٩٤٤ م .
- ٧٨- محمد أمين صالح (دكتور): العرب والإسلام، نهضة الشرق، جامعة القاهرة، ١٩٨٠ م .
- ٧٩- محمد متولي (دكتور): حوض الخليج العربي، جزآن، الأنجلو، القاهرة ١٩٧٨ م .
- ٨٠- نبيل عاقل: تاريخ العرب القديم وعصر الرسول، دار الفكر، ط ٣، ١٣٩٤ هـ / ١٩٧٥ م
- ٨١- وهبة (حافظ): جزيرة العرب في القرن العشرين، ط ٤ ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة ١٩٦١ م .
- سادسًا: مراجع مترجمة:
- ٨٢- أرنولد سير توماس: الدعوة إلى الإسلام، ترجمة الدكتور حسن إبراهيم حسن، ط . القاهرة ١٩٧٠ م .

- ٨٣- كريستنشن (آرثر): إيران في عهد الساسانيين، ترجمة يحيى الخشاب وعزام، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة ١٩٥٧ م .
- ٨٤- ج. ج. لوريمير: (أ) دليل الخليج التاريخي، ٧ أجزاء، قطر ١٩٧١ م .
- ٨٥- (ب) دليل الخليج الجغرافي، ٧ أجزاء، قطر ١٩٧١ م .
- ٨٦- حسن بيرنيا: تاريخ إيران القديم، مراجعة يحيى الخشاب، الأنجل المصرية ١٩٧٩ م .
- ٨٧- ٨٠- فلهوزن (يوليوس): (أ) تاريخ الدولة العربية من ظهور الإسلام إلى نهاية الدولة الأموية، مطبعة لجنة التأليف، القاهرة .
- ٨٨- (ب) أحزاب المعارضة السياسية الدينية في صدر الإسلام، الخوارج والشيعة ترجمة عبد الرحمن بدوي، مطبعة لجنة التأليف، القاهرة ١٩٥٧ م .

المصادر والمراجع الأجنبية

1. Adany at, (Fareydaun) : Bahrain island. New york, 1955
2. Belgrawe,(James): Welcom to Bahrain, Manma,1973
3. Faroughy, (Abbas): The Bahrain Island,New york, 1951
4. Fiey, Fr.J.M. Memorial Mgr Gabriel Khouri Sarkis (1898 1968) Belgique .Imprimerie Orietaliste 1969
5. Hay. Sir Rupert: The Persian Gulf States Washington.1959
- 6.Hitti, (Philip): The World Of Island. London 1960
- 7.India Office Records Factory Records.
8. The Encyclopaedia Of Island Vol. IP.585, 940,944, William Bention Publisher.
9. Walker, John. A catalogue Of The mubammaden Cains In The British Museum ,Oxford, Univrsity Press 1967.
10. Wilson, (sir Arnold T.): The Persian Gulf. Oxford, 1928.

رقم الصفحة	الموضوع	التسلسل
١	كلمة المشرف العام لمؤسسة السادة للفكر والثقافة	١.
٤	المقدمة والتقريظ	٢.
١١	ترجمة لصاحب الكتاب	٣.
١٤	الإهداء	٤.
١٥	المقدمة وتحليل المصادر	٥.
٢٢	خطة البحث	٦.
٢٨	تمهيد جغرافيا العالم العربي	٧.
٣١	جغرافيا الخليج وشرق الجزيرة في فجر الإسلام	٨.
٣٢	(الخليج العربي وأشهر مدنه وموانئه)	٩.
٣٨	الساحل الغربي للخليج	١٠.
٣٩	جنوب العراق	١١.
٤٢	البصرة	١٢.
٤٥	كاظمة (الكويت)	١٣.
٤٧	مدينة هجر (الهوف حاليًا):	١٤.
٤٩	القطيف	١٥.
٥٠	دارين	١٦.
٥١	الإحساء	١٧.
٥٢	جواثا	١٨.
٥٣	الخط	١٩.
٥٤	الظهران	٢٠.
٥٧	وديان الساحل الغربي للخليج العربي	٢١.
٥٨	العيون والآبار والنهيرات	٢٢.
٦٠	مرتفعات شرق الجزيرة العربية:	٢٣.
٦٣	الأخوار	٢٤.
٦٥	أوال (البحرين)	٢٥.
٦٨	جزر (البحرين)	٢٦.
٦٩	قطر	٢٧.
٧٢	الجزر القريبة من قطر: جزيرة حوارين	٢٨.
٧٦	الساحل الشرقي للخليج	٢٩.
٨٠	سكان الخليج وشرق الجزيرة إبان فجر الإسلام	٣٠.
٨١	عبد القيس	٣١.

٨٥	٣٢. بكر بن وائل
٨٧	٣٣. بنو حنيفة
٨٨	٣٤. تميم
٩٤	٣٥. الأزدي
٩٨	٣٦. أهمية الخليج الاقتصادية منذ فجر الإسلام
٩٨	٣٧. التجارة في الخليج
١٠٢	٣٨. التجارة الداخلية سوق هجر و المشقر
١٠٣	٣٩. التجارة الخارجية
١٠٤	٤٠. الطرق البرية
١٠٦	٤١. الطرق البحرية
١٠٨	٤٢. التجارة مع الهند
١١٣	٤٣. الزراعة في الخليج
١١٦	٤٤. الصناعة في الخليج
١١٧	٤٥. الثياب القطرية
١٢٦	٤٦. الصناعات الأخرى
١٢٨	٤٧. اللؤلؤ
١٣٦	٤٨. الحياة الدينية في الخليج وشرق الجزيرة قبل الإسلام
١٣٦	٤٩. الوثنية
١٣٩	٥٠. المجوسية
١٤٢	٥١. الأسيديّة
١٤٣	٥٢. النصرانية
١٤٥	٥٣. اليهودية
١٤٨	٥٤. ظهور الإسلام في شرق الجزيرة والخليج العربي
١٤٩	٥٥. الوفود والقبائل الي رسول الله
١٧٢	٥٦. ارتداد أهل المنطقة عن الإسلام وأسباب الردة.
١٨٦	٥٧. قصة ثمامة بن أثال
١٩٠	٥٨. اشتراك عرب المنطقة في الفتوحات الإسلامية.
٢٠٣	٥٩. الإدارة الإسلامية في شرق الجزيرة والخليج العربي وولاتها المسلمون.
٢١٨	٦٠. النشاط السياسي لعرب الخليج وشرق الجزيرة في القرن الأول الهجري
٢١٩	٦١. الفتن والحروب الداخلية (موقعة الجمل - القلاقل

	في البصرة بعد صيفين .
٢٣٦	٦٢. ظهور الخوارج وثوراتهم الأولى - وانقسامهم
٢٥٠	٦٣. حروب الخوارج:
٢٧٣	٦٤. عوامل انتصارات الخوارج
٢٧٤	٦٥. عوامل ضعفهم وهزيمتهم
٢٧٦	٦٦. خلاصة البحث
٢٧٧	٦٧. الملاحق
٢٧٨	٦٨. رسائل رسول الله - صلى الله عليه وسلم- إلى أهل الخليج وشرق الجزيرة العربية
٢٨٢	٦٩. ولاة شرق الجزيرة العربية والخليج منذ فجر الإسلام حتى نهاية الأمويين:
٢٨٤	٧٠. فكر الخوارج
٢٩٢	٧١. مصادر ومراجع البحث

تم والله الفضل والمنة

